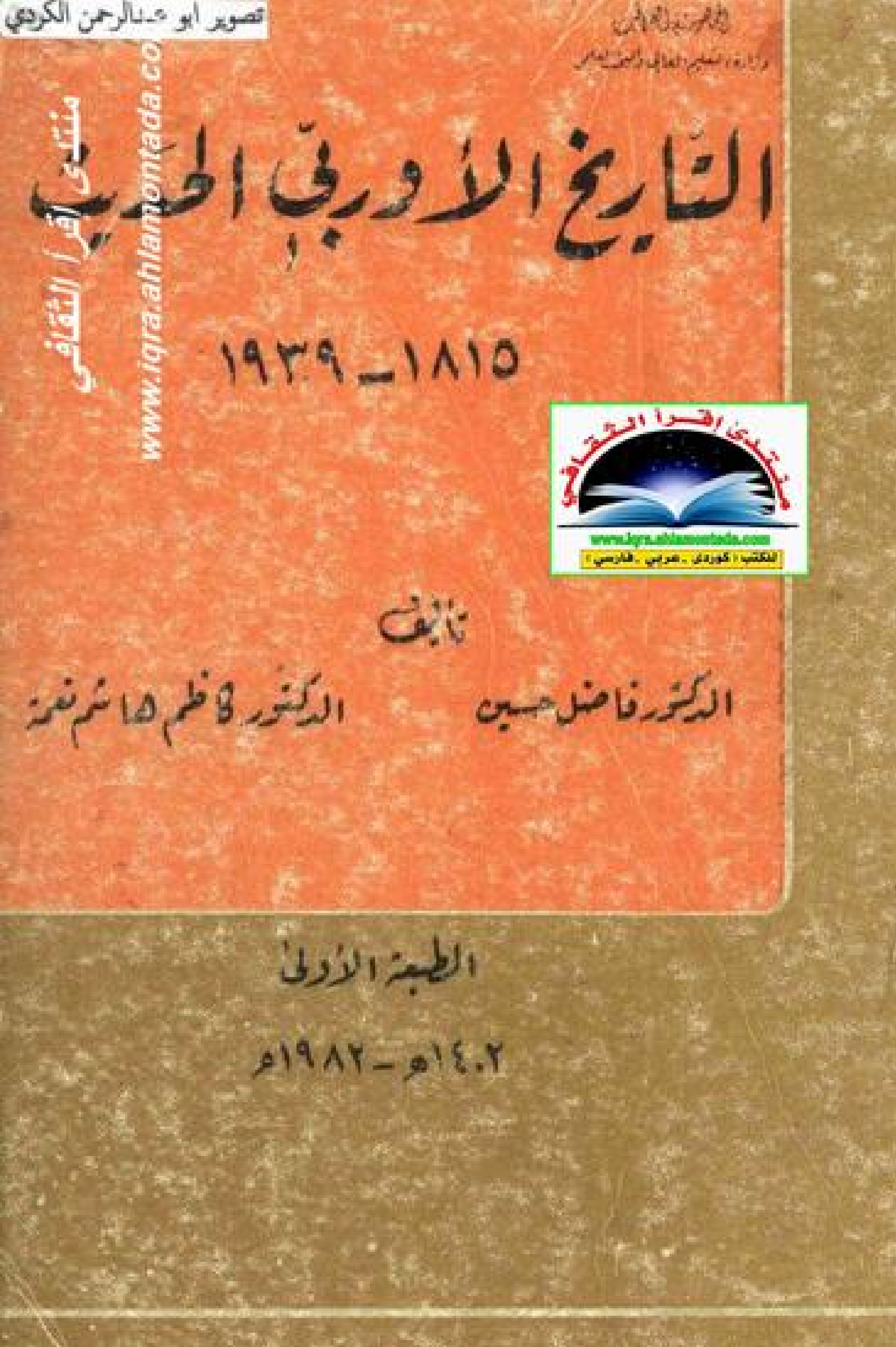

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
التاريخ الأوربي الحديث
١٨١٥ - ١٩٣٩
تأليف
الدكتور فاضل حسين
الدكتور كاظم هاشم نعمة
الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الجمهورية العراقية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

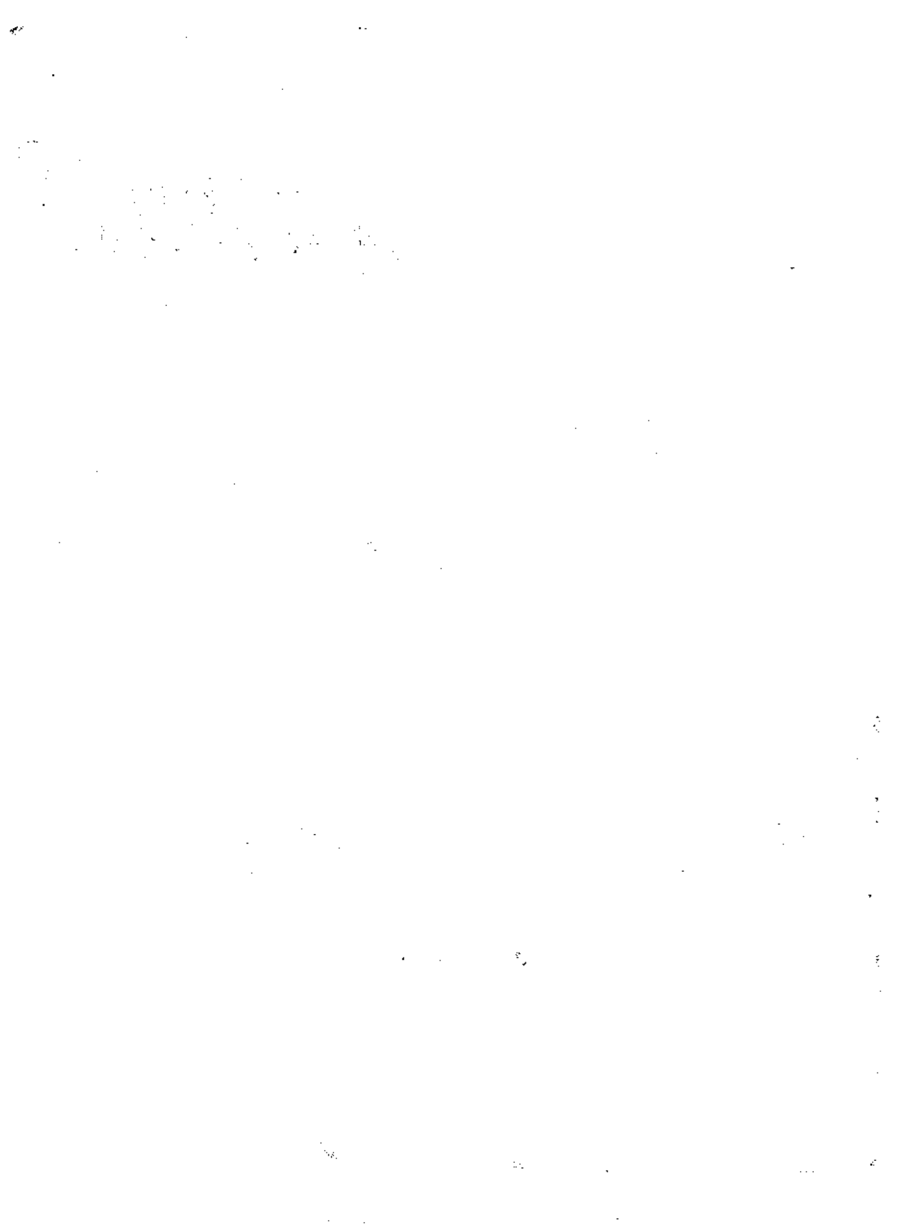
التاريخ الأوربي

الدكتور فاضل حسين　　　　الدكتور كاظم هاشم نعمة

الطبعة الاولى

١٩٨٢م　　　　١٤٠٢هـ

م/١/ت.أ



تصديـــر

ينشد المؤلفان من وراء هذا الكتاب تعريف طلبة السياسة بالتيارات والاحداث السياسية والاقتصادية والفكرية التي أثرت على مجرى تاريخ اوربا والعالم.

وقد جهدنا من أجل أن يكون هذا المؤلف متلائماً مع طبيعة دراسة مناهج العلوم السياسية ولكن هذا لايعني أن الكتاب مقتصر على ذلك فقط. فمن المعلوم أن معظم المؤلفات في التاريخ الاوربي الحديث في اللغات الاجنبية وان المعرب منها قليل وكذلك التأليف فيه وهكذا نرى أن كتابنا هذا يتعرض إلى فترة زمنية طويلة ويقع في حجم معتدل.

لقد كتب د. فاضل حسين التمهيد والفصول التالية : الاول والثالث والرابع والسادس والسابع .في حين كتب د. كاظم هاشم نعمة الفصول التالية : الثاني والخامس والثامن والتاسع.

بغداد

١٩٨٠

تمهيد : عن الثورة الفرنسية ونابليون :

أثرت الثورة الفرنسية على سير الحوادث في فرنسا واوربا والعالم خلال الفترة التي تلتها. ولكي نفهم حوادث التاريخ الاوربي منذ مؤتمر فينا، من الضروري ان نلقي نظرة سريعة على فترة الثورة الفرنسية ونابليون .

كان النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي السائد في فرنسا وفي القارة الاوربية ماعدا انكلترا، نظاما اقطاعيا بدرجات متفاوتة بالملكية المطلقة والنبلاء الاقطاعيين وبالكنيسة والاكليروس. كان اعمدة النظام الاقطاعي هؤلاء يتمتعون بامتيازات سياسية واقتصادية واجتماعيةحين كانت الاكثرية من الشعوب محرومة منها.

كان النظام الاقطاعي في فرنسا اضعف مما هو في الاقطارالاوربية، وكانت الطبقة البرجوازية التجارية والصناعية والمالية والزراعية افضل حالا من مثيلاتها في اوربا، وكانت اكثر وعيا سياسيا واحس تنظيما، ولذلك استطاعت أن تقود الطبقة العامة (البرجوازية والحرفيين والعمال والفلاحين) في فرنسا لتقويض النظام الاقطاعي المتداعى في فرنسا قبل غيرها من دول اوربا.

كان زعماء الثورة الفرنسية ومفكروها يهدفون إلى اقامة ملكية مقيدة على غرار انكلترا، متأثرين بالاحداث والافكار السياسية في انكلترا والولايات المتحدة حين قامت الثورة المجيدة في انكلترا (١٦٨٨) فأدت إلى تقييد الملكية واعلان لائحة الحقوق الانكليزية وحين قامت الثورة الاميريكية (١٧٧٦) واعلنت استقلال الولايات المتحدة ولائحة حقوقها. كان المفكر الرائد الذي تأثرت به الثورات الثلاث هو جون لوك صاحب نظرية حق الثورة ضد الطغيان .

وكانت الكنيسة الفرنسية اكبر مالك اقطاعي في فرنسا اذ كانت تملك نحو خمس الاراضي. في السنوات الاولى من قيام الثورة صودرت اراضيها

وشرع الدستور المدني لرجال الدين الذي اوجب ان يكون ولاء الاكليروس للدولة الفرنسية لا للبابوية. احدث هذا الدستور انشقاقا في صفوف الاكليروس فبعضهم اقسم يمين الولاء لهذا الدستور المدني وبعضهم رفض. بعض الرافضين عمل على اثارة الرأى العام الفرنسي ضد الثورة ولا سيما في صفوف الفلاحين، وبعضهم هاجر من فرنسا وعمل ضد الثورة الفرنسية. وقفت الثورة موقفا سلبيا من المسيحية.

وكان النبلاء الاقطاعيون يتمتعون ببعض الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية كالاعفاء من الضرائب، ولكنهم كانوا منشقين على انفسهم فضعفوا. الغت الثورة الفرنسية امتيازات النبلاء وصادرت اراضيهم ووزعتها على الفلاحين.

كان اكثر الفلاحين اقنانا واقل الطبقات وعياً سياسيا واكثر محافظة وتأثرا بالاكليروس. الغت الثورة الفرنسية القنانة. وهاجم الفلاحون النبلاء الاقطاعيين في الريف واستولوا على املاكهم.

نال الحرفيون والعمال اقل المكاسب من الثورة، ولكن الثورة فتحت امامهم مجال الحرية والعمل السياسي في المستقبل.

إلى حدّ ما اختلفت الأقاليم الفرنسية عن بعضها من حيث الوعي القومي فوحدتها الثورة وجعلتها دولة قومية مركزية. وكان البرلمان المسمى بمجلس الطبقات يمثل الطبقات التقليدية الرئيسية : الاكليروس والنبلاء والعوام، فجعلته الثورة جمعية وطنية تمثل الشعب لا الطبقات الثلاث.

انتصرت الطبقة الثالثة على الاقطاع. وفي ٢٠ ايلول ١٧٩٢ اوقفت جيوش الثورة الفرنسية زحف جيوش النمسا وبروسيا التي غزت فرنسا، عند تلال فالمي. قال كوته الشاعر الالماني : في هذا اليوم (٢٠ ايلول ١٧٩٢) بدأ تاريخ جديد للعالم، وهو يعني انتصار البرجوازية على الاقطاع.

اعلنت الثورة الفرنسية حقوق الانسان ورفعت شعارات الحرية والمساواة والاخاء، ورفعت راية القومية في فرنسا واوربا. وشرع اليعاقبة تشريعات رادكالية متطرفة.

بعد اعلان الجمهورية في فرنسا سادت فترة من العنف والارهاب وكثرت الضحايا، وقطعت المقصلة رؤوس الكثيرين مثل الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انطوانيت ودوق اورليان، وبلغ عدد الضحايا في فرنسا الآلاف. وخضعت فرنسا لدكتاتورية اليعاقبة بزعامة روبسبيير . وجند نحو مليون من المواطنين (الشعب المسلح) للدفاع عن فرنسا اولا ثم لغزو اوربا بعد ذلك. وخاضت فرنسا حروبا عديدة (تكونت اربع محالفات ضدها) لمدة تقرب من ربع قرن (١٧٩٢ — ١٨١٥).

في عهد نابليون سيطرت فرنسا على القارة الاوربية، واخلت بالتوازن الدولي فأثار ذلك خشية الدول الكبرى روسيا، بروسيا، النمسا وبريطانيا وكانت بريطانيا زعيمة المقاومة.

بدأ تناقض الثورة الفرنسية واضحا في عهد نابليون. فمن جهة نشرت الثورة الفرنسية في اوربا والعالم رايات القومية والحرية، ومن جهة ثانية حكم نابليون فرنسا والبلاد المفتوحة حكما دكتاتوريا.

حاول نابليون تهدئة الكنيسة البابوية فعقد مع البابا اتفاقية (الكونكورداتو) في ١٨٠١ بقيت نافذة حتى سنة ١٩٠٥ حين فصلت الكنيسة عن الدولة. وفي عهد القنصلية برئاسة الجنرال نابليون بونابرت شرعت بعض الاصلاحات المهمة اشهرها قوانين نابليون التي تعتبر من اعظم منجزات الثورة ونابليون. نشرت الثورة الفرنسية في فرنسا واوربا والعالم مبادىء مهمة :

١ — الفردية : تؤكد على اهمية الفرد في المجتمع، حين كانت الظروف السابقة تؤكد على اهمية الجماعة كالطبقة والكنيسة.

٢ — العلمانية : وتعني أن الدين أمر شخصي يهم الفرد ولايهم الدولة.

٣ — القومية : جعلت الدولة القومية أعلى شكل من أشكال التنظيم السياسي والاجتماعي ، واليها وحدها يعود ولاء واخلاص جميع المواطنين .جعلت

الثورة الفرنسية السيادة شعبية وقومية وجعلت المصالح القومية فوق مصالح الاسر المالكة وجميع المصالح الاخرى .

ومن جهة أخرى هدمت الدكتاتورية اليعقوبية والنابليونية مبادىء الثورة الفرنسية .انتشر في فرنسا واوربا فزع عام من اراقة الدماء والتعاسة التي سببتها الحروب النابليونية .وانتشرت المجاعات والاوبئة والجرائم والامراض بعد الحروب .

ولذلك مجد الحاكم والقسيس والشعب بركات السلام ، وصار السلام لا الحرية المطلب الاول عند الناس ،وصارت المحافظة على السلام الداخلي والخارجي رغبة عامة تقريباً سنة ١٨١٥ حين كان مؤتمر فينا منعقدا .

الفصل الاول

مؤتمر فينا

بدأت نهاية نابليون في معركة لايبزك (معركة التحرير – معركة الامم) في ١٦ – ١٩ تشرين الاول ١٨١٣ التي انتهت بهزيمة نابليون وتراجعه إلى فرنسا . وفي نهاية ١٨١٣ اقنعت النمسا حلفاءها بعرض شروط مناسبة على نابليون : لفرنسا أن تحتفظ « بحدودها الطبيعية» – الراين والالب والبرنيز ، وان يستمر نابليون بالحكم . ولكن نابليون الذي كان يفكر بالنصر لا بالسلام رفض تلك الشروط .

وفي اوائل ١٨١٤ غزت ثلاثة جيوش حليفة كبيرة شمال فرنسا واطبقت على باريس . وفي الاول من آذار عقدت الدول الاربع الرئيسة بريطانيا، وروسيا ،والنمسا ، بروسيا معاهدة شومون chaumont تعهدت بها بتوحيد جهودها في محالفة مدتها عشرون عاماً واتفقت على أن لاتعقد أية دولة صلحا دون موافقة الدول الاخرى وان لاتتخلى عن الحرب حتى يسقط نابليون، وتعهد كل فريق متعاقد بتجهيز (١٥٠) ألف جندي ، ووعدت بريطانيا بمساعدة خاصة قدرها خمسة ملايين جنيه .

وفي ٣١ آذار استسلمت باريس إلى الحلفاء ، وبعد ثلاثة عشر يوماً وقع نابليون مع رؤساء الحلفاء معاهدة فونتنبلو الشخصية وبها تنازل عن عرشه وعن جميع الحقوق التي تعود له ولاسرته في فرنسا . وفي مقابل ذلك اعطى نابليون جزيرة ألبا في البحر المتوسط ومرتبا سنوياً قدره مليون فرنك له. واعطيت دوقية بارما الايطالية إلى الامبراطورة ماريا لويز مع مرتب قدره مليونان ونصف مليون فرنك خصص لاعضاء اسرة نابليون . في جزيرة ألبا أمضى نابليون عشرة أشهر.

حين استولى ملوك اوربا على فرنسا في ١٨١٤ لم يعودوا يفكرون تفكيراً جدياً في اعادة الاحوال الاجتماعية والسياسية كما كانت قبل الثورة الفرنسية

تماماً . كان تاليران وزير خارجية فرنسا رجل الساعة عند الفرنسيين يرغب في المحافظة على حدود بلاده ، وفي الوقت نفسه كان يعتقد بأن أكثريةمواطنيه لن يعودوا إلى الملكية المطلقة. وقد اتفق تاليران والاسكندر الاول قيصرروسيا ، كما وافقت الدول الكبرى ، على أنه باسم الشرعية يجب اعادة آل بوربون إلى عرش فرنسا بشرط أن يعترفوا باصلاحات الثورة الفرنسية ، وان يعودوا كملوك مقيدين .

في ٣٠ مايس ١٨١٤ عقدت معاهدة باريس الاولى وفيها روعيت فرنسا إلى حد كبير فلم ينزع سلاحها ولم تطالب بدفع تعويض حربي أو رد روائع الفن التي نقلتها من ايطاليا والمانيا . ولم تعد حدودها في اوربا إلى ماكانت عليه عام ١٧٨٩ وانما إلى ماكانت عليه في ١٧٩٢ أي أنها كسبت بعض الاراضي بل أنها حصلت على بعض الاراضي فيما وراء تلك الحدود .

المبحث الاول

الجو الدولي الذي عقد فيه مؤتمر فينا

اعاد الحلفاء وريث لويس السادس عشر الشرعي اخاه كونت بروفانس ملكا لفرنسا باسم لويس الثامن عشر. منح الملك الجديد الشعب الفرنسي دستورا أكد على الحريات الفردية واقام ملكية مقيدة دستورية لفرنسا.

تم الاتفاق بين الحلفاء على عقد مؤتمر فينا في خريف ١٨١٤ للاتفاق على اساس لتسوية الاوضاع في بقية انحاء اوربا (خارج فرنسا). وكان من المتفق عليه عدم اشراك فرنسا في المؤتمر. ولكن فرنسا طالبت بالاشتراك في مباحثات فينا بعد ان رد اليها اعتبارها واصبحت مرة اخرى دولة ملكية. حضرت فرنسا المؤتمر لتحقيق مصالحها الخاصة. وعندما انقسمت الدول الكبرى إلى معسكرين : روسيا وبروسيا من جهة والنمسا وبريطانيا من جهة أخرى استخدم تاليران هذا الخلاف لصالح فرنسا. ولما اشتدت الخلافات بين المعسكرين الفت فرنسا والنمسا وانكلترا في ٣ كانون الثاني ١٨١٥ حلفا دفاعيا سريا لمقاومة مطاليب روسيا وبروسيا. كان الخلاف يدور حول مطالبة بروسيا بضم سكسونيا جميعها اليها وفي مقابل ذلك تحصل روسيا على القسم الاكبر من بولندا. وقد عارض مترنيخ مستشار النمسا ذلك وايده كاسلري وزير خارجية بريطانيا ثم انضم اليهم تاليران.

تفاقم الخلاف حتى بلغ شفا الحرب. ثم اضطر الاسكندر على التراجع وحذت بروسيا حذوه، فحصلت روسيا على القسم الاكبر من بولندا دعى بعد ذلك «ببولندة المؤتمر» وحصلت بروسيا على حوالي نصف سكسونيا. ثم فوجيء الحلفاء بعودة نابليون إلى فرنسا.

ففي ٢٦ شباط ١٨١٥ هرب نابليون من البا وعاد إلى فرنسا وهرب ملكها لويس الثامن عشر. نشر نابليون بيانا قال فيه انه عاد لينقذ فرنسا من فضائع النبلاء والعائدين وليضمن للفلاح ملكية ارضه وليساند الحقوق

التي اكتسبت في ١٧٨٩ ضد الاقلية التي تحاول اعادة الامتيازات الطبقية واعباء القرن الماضي الاقطاعية. وتعهد نابليون بنبذ الحرب وبأن يحكم كرئيس دستوري. تصور نابليون ان اوربا المنقسمة على نفسها ستعجز عن مقاومته.

كان نابليون مخطئا في تصوره عن اوربا. فسرعان ما تناسى الساسة الذين كانوا يتجادلون حول شروط معاهدة فينا، خلافاتهم في مواجهة الخطر المشترك. جددت الدول الكبرى معاهدة التحالف فيما بينهما واصدرت بيانا قالت فيه : ان نابليون قضى على الحق الشرعي الوحيد لبقائه حين نقض الاتفاق الذي عينه في جزيرة ألبا وحين عاد فظهر في فرنسا مع مشاريعه في الفوضى والتدمير اظهر لجميع العالم انه لن يمكن اقامة السلام معه. ولذلك اعدت الدول الكبرى غزوا ثانيا لفرنسا في ٩ حزيران ١٨١٥ وقعت معاهدة فينا وفي ١٨ حزيران دارت معركة واترلو الحاسمة التي خسرها نابليون. واعاد الحلفاء احتلال باريس وجاءوا معهم بلويس الثامن عشر.

في ٢٠ تشرين الثاني ١٨١٥ عقدت معاهدة باريس الثانية، وفيها فرض الحلفاء على فرنسا شروطا اقسى مما جاء في معاهدة باريس الاولى اذ اجبرت على دفع تعويض حربي قدره (٧٠٠) مليون فرنك، واعادة الأعمال الفنية، والرضوخ لاحتلال قوات الحلفاء لقلاعها الرئيسة لمدة خمس سنوات وانقصت رقعة اراضيها في اوربا من جديد اذ جردت من منطقة حوض السار فاعيدت إلى حدودها عام ١٧٩٠ مع حرمانها من بعض المواقع ذات الاهمية الستراتيجية على الحدود. وفي الوقت نفسه اى ٢٠ تشرين الثاني ١٨١٥ وقعت معاهدة اخرى في باريس وهي معاهدة التحالف الرباعي بين الدول الاربع الكبرى التزمت هذه الدول بمقتضاها المحافظة، بقوة السلاح لمدة عشرين عاما، على التدابير التي اتفق عليها في شومون وفينا وباريس من حيث الحدود المرسومة واقصاء نابليون واسرته نهائيا عن عرش فرنسا.

وفي المادة السادسة من هذه المعاهدة اتفقت الدول الاربع على العودة للاجتماع في فترات محدودة لبحث المسائل ذات الاهمية المشتركة.

المبحث الثاني
شخصيات المؤتمر

اعترافاً بدور النمسا في اسقاط نابليون ، وبشخصية مترنيخ اختيرت فينا مكاناً لعقد مؤتمر فينا الدولي . قصد فينا في خريف ١٨١٤ مجموعة من الشخصيات البارزة لم تشهد لها اوربا من قبل مثيلا في مكان واحد.

حضر ستة من رؤساء الدول : الاسكندر الاول قيصر روسيا ،وفرنسيس الاول امبراطور النمسا ، وفردرك وليم الثالث ملك بروسيا ،وملوك الدانمرك وبافاريا وفرتمبرك.

مثل بريطانيا لورد كاسلري ودوق ولنكتن الحديدي. وحضر مع الاسكندر الاول كابو دستريا (يوناني) والبارون فونشتاين (الوطني البروسي)وكونت نسلرود (من أصل ألماني) والأمير آدم ازارتورسكي(البولندي). وساعد فردرك وليم الثالث ملك بروسيا هاردنبرك وهمبولت.

ومثل مندبون دول السويد واسبانيا والبرتغال وامراء الاراضي المنخفضة وسردنيا وحكام ألمانيا الصغار ومثل فرنسا تاليران الداهيةالساحر(الاسقف السابق والبونابرتي السابق، ومندوب لويس الثامنعشر في المؤتمر والوطني الفرنسي دائماً).

واخيرا وليس اخراً كان حاضراً مترنيخ يقوم باعباء الالتزامات التي آلت اليه بصفته مضيف المؤتمر .

الاسكندر الاول قيصر روسيا (١٨٠١ ـ ١٨٢٥)

بدأ حياته مؤمنا بمبادىء الاحرار وحالف نابليون واقتسم معه النفوذ في وسط اوربا وشرقها بعد ١٨٠٧، ثم انقلب ضده وقاومه حين غزا روسيا (١٨١٢) ولعب دورا حاسماً في اسقاطه بعد ذلك . بعد مؤتمر فينا وقع تحت تأثير مترنيخ ووقف ضد الحركات التحررية .

لورد كاسلري :

وزير خارجية بريطانيا من حزب المحافظين لعب دورا حاسماً في الوصول إلى مقررات مؤتمر فينا .

دون ولنكتن الحديدي :

القائد البريطاني الذي لعب دورا حاسماً في اسقاط نابليون ولاسيما في معركة واترلو الحاسمة ، وكان من أبرز زعماء حزب المحافظين

البارون فون شتاين :

زعيم بروسيا في نهضتها بعد ١٨٠٧ ، ادخل اصلاحات عصرية مثل الغاء القنانة وتوزيع الاراضي على الفلاحين واقامة الحكومات المحلية على غرار انكلترا ، وحاول اقامة ملكية دستورية مقيدة . وقف نابليون ضده واضطره إلى الهرب إلى النمسا ثم إلى روسيا فأثار القيصر الروسي ضد نابليون.

آدم أزار تورسكي :

امير بولندي لجأ إلى الاسكندر الروسي وطلب منه العون على اعادةاستقلال بولندة فوعده بذلك وحقق له بعض وعده .

هاردنبرك :

احد زعماء نهضة بروسيا ، اتم اصلاحات شتاين فجعل الفلاحين مالكين مطلقين لبعض ماكان في حوزتهم من الاراضي (١٨١١).

همبولت :

احد زعماء نهضة بروسيا ، قام ببعض الاصلاحات التربوية وبتأسيس جامعة برلين (١٨٠٩).

مترنيخ :

ينتمي مترنيخ إلى أسرة نبيلة . دخل جامعة ستراسبرك في شبابه ، ثم استمر بدراسته في مدينة مينتز ، واقام في انكلترا ، ثم ذهب إلى فينا ودخل الخدمة

الدبلوماسية للامبراطور فرنسيس. مثل النمسا في سكسونيا وبروسيا وروسيا. وفي ١٨٠٦ عين سفيراً للنمسا في بلاط نابليون.

في ١٨٠٩ عين مترنيخ مستشاراً للنمسا (أي رئيساً للوزراء) في عهد الامبراطور فرنسيس الاول ، ثم سرعان ما أصبح الشخصية المسيطرة في فينا.

كان هم مترنيخ في ١٨١٤ أن يعيد ، قدر المستطاع . الوضع السياسي والاقليمي كما كان سنة ١٧٩٢. كان له دور بارز في عقد معاهدة شومون في آذار ١٨١٤ ، ومعاهدة باريس الاولى في مايس ١٨١٤ وقد نصت على عقد مؤتمر يضم جميع الدول الاوربية من أجل التوصل إلى تسوية سلمية عامة وهو مؤتمر فينا .

* * *

كان المؤتمر مهرجانا، فقد اقام الملوك ووزراؤهم الارستقراطيون ومرافقوهم اثناء المفاوضات المآدب الكبيرة الفخمة والحفلات الموسيقية الشيقة وحفلات الرقص الرسمية.

لم يكن مؤتمر فينا «مؤتمرا» حقاً . فقد اعتقد مترنيخ ان على الدول الاربع الكبرى المنتصرة — الموقعة على معاهدة شومون — ان تقرر جميع الامور فيما بينها ثم تقدم قراراتها لمجرد الابرام الشكلي من قبل الدول الاخرى التي تجتمع بشكل مؤتمر. ولكن تاليران، الماهر بالدبلوماسية مثل مترنيخ، عزم على ادخال فرنسا في مشاورات الدول الكبرى. في بداية الامر هدد تاليران بابطال منهاج « الأربع الكبار Big Four بالاستناد إلى معاهدة باريس التي دعت إلى عقد مؤتمر حر وكامل من جميع الدول، وفي تهديده هذا كان يعلم بمساندة اسبانيا والبرتغال والسويد والدول الصغرى. وقبل ان يمضي وقت طويل تمكن تاليران من الاستفادة من الانشقاق الذي حدث بين «الاربع الكبار» فلعب دورا مهما في تسوية خلافاتها، ثم قبل في مشاوراتها في حينه. في تلك الظروف لم يعقد اى « مؤتمر » رسمي. ولكن

بصورة غير رسمية جرت مفاوضات مستمرة في فينا خلال شتاء ١٨١٤ – ١٨١٥. وقد جرت احيانا بين «الاربع الكبار» واحيانا بين الثماني الدول الموقعة على معاهدة باريس، واحيانا فيما بين الامراء الالمان وحدهم، ولكن في اكثر الاحيان وفي اواخر الايام بين «الخمس الكبار Big Five » النمسا وروسيا وبريطانيا وبروسيا وفرنسا.

المبحث الثالث

مبادىء المؤتمر

المبدأ العام الذي كان اساس تسوية فينا هو مبدأ مترنيخ،وهو اعادة الحدود والاسر المالكة في عدة اقطار اوربية كما كانت قبل قيام الثورة الفرنسية ومجيء نابليون، قدر الامكان. وهذا المبدأ ينسجم مع «توازن القوى او التوازن الدولي» المستعاد في اوربا، وكذلك مع مبدأ (الشرعية) الذي استغله تاليران لأجل انقاذ فرنسا وتمكينها من ان تلعب دورا فعالا في مشاورات اوربا.

١ ـ التوازن الدولي :

يتضمن حصول كل دولة عظمى على الاراضي التي كانت في حوزتها عام ١٨٠٥ أو ما يعادلها. شعرت الدول المعادية لفرنسا ونابليون ان نابليون اخل بالتوازن الدولي، وانه من الضروري ان تعود فرنسا إلى حدودها القديمة او ما يقرب منها وان تحاط وتطوق بدول قوية تمنعها من العودة في المستقبل إلى الاخلال بالتوازن الدولي. اعادت تسوية فينا التوازن الدولي قدر الامكان.

نالت روسيا اكثر مما كان بود حلفاؤها. من ذلك حصولها على جزء كبير من بولندا ويشمل العاصمة وارسو التي استردتها من بروسيا واعدة باقامة مملكة بولندية وطنية لها دستورها الخاص، وكان حصول روسيا على كل هذه السلطة وهؤلاء الرعايا مخلا بالتوازن الدولي في نظر كاسلرى ومترنيخ.

طبق مبدأ التوازن الدولي في المانيا، ولكن بروسيا شكت من ان الاراضي التي حصلت عليها اقل من تلك التي كانت تملكها عام ١٨٠٥، فقد تنازلت لروسيا عن رقعة كبيرة من الاراضي البولندية، فنالت عوضا عنها نحو نصف سكسونيا ومقاطعة الراين.

واعاد مترنيخ بناء بافاريا كدولة قوية تستطيع النمسا الاطمئنان إلى تعاونها. وحصلت هانوفر، بفضل صلتها ببريطانيا، على كسب طيب من الاراضي.

اما سائر الدول الالمانية الصغرى فقد رسمت حدودها وفصلت معالمها وفق اهواء النمسا او بروسيا. ولم يوضع اى اعتبار تقريبا لمصالحها الخاصة. وقد هبط العدد الاجمالي للدول الالمانية في الاتحاد الالماني الجديد إلى ثمان وثلاثين او تسع وثلاثين ولاية. واحتفظت النمسا بزعامة المانيا الفعلية وان لم تتخلف عنها بروسيا كثيرا.

في ايطاليا اعيدت الولايات البابوية إلى الوجود. وانشئت مملكة نابولي من جديد تحت حكم ملك من سلالة ال بوربون.

ادمجت هولندا وبلجيكا في مملكة واحدة. واعترفت جميع الدول بسويسرة دولة مستقلة وضمنت لها حدودها. واستعادت كل من اسبانيا والبرتغال حدودها القديمة. وفصلت النرويج عن الدانمرك وضمت إلى السويد.

احيطت فرنسا من جميع حدودها وطوقت بدول قوية نسبيا لمراقبتها ومنع قيامها بتعكير السلام العالمي والاخلال بالتوازن الدولي. جعلت بروسيا قوية لتكون متراسا ضد فرنسا. وادمجت هولندا وبلجيكا في مملكة واحدة على حدودها الشمالية، من اجل تدعيم قدرة الدول الصغيرة على مقاومة فرنسا. وفي الجنوب قرر المجتمع توسيع وتقوية مملكة سردنيا واعادة الاراضي التي فقدتها اسبانيا والبرتغال اليهما للغرض نفسه اي تطويق فرنسا ومراقبتها.

٢ ــ الشرعية :

هو المبدأ الذي اصرت عليه فرنسا واستغلته لاستعادة مكانتها، ويتضمن عودة الاسر المالكة القديمة إلى بلدانها وامتيازاتها وعودة الحكم المطلق، قدر الامكان:

عادت اسرة بوربون إلى الحكم في فرنسا، ولكن ضمن حدود الدستور الذي منحه لويس الثامن عشر للشعب الفرنسي. كما عادت اسرة بوربون إلى نابولي وصقلية (مملكة الصقليتين) ودعت ملكها، في معاهدة سريعة عقدت بينه وبين مترنيخ (بموافقة كاسلرى)، بان لا يمنح بلاده دستورا دون الحصول على موافقة النمسا وعادت اسرة بوربون إلى اسبانيا.

وعادت اسرة سافوى إلى سردنيا (اوبيدمونت) في شمال غربي ايطاليا. وعادة اسرة اورانج إلى هولندا وضمت اليها بلجيكا. وعاد البابا إلى ممتلكاته الزمنية في ايطاليا الوسطى. وعاد مختلف الامراء الالمان الذين ادخلت اراضيهم في اتحاد الراين. واستعادت النمسا التيرول والاراضي التي جردت منها.

٣ ـ التعويض :

عوضت الدول الكبرى وحليفاتها الدول الصغرى التي اسهمت في اسقاط نابليون. وعوقبت بعض الدول التي وقفت إلى جانب نابليون مثل سكسونيا والدانمرك ودوقية وارسو الكبيرة.

عوضت النمسا لتنازلها عن حقوقها في الاراضي المنخفضة الجنوبية (بلجيكا) فاعطيت مركزا قياديا في ايطاليا اذ تقرر نقل اراضي جمهورية البندقية التاريخية (وبضمنها مقاطعة ايلريا على الساحل الشرقي من بحر الادرياتي) ودوقية ميلانو (لومبارديا) بصورة مباشرة إلى امبراطورية هابسبرك، واجلس اعضاء من اسرة هابسبرك على عروش دويلات ايطاليا الوسطى الصغيرة توسكانيا وبارما ومودينا.

وكانت مكاسب بروسيا مهمة بصفة خاصة اذا استعادت كل الاراضي الالمانية التي جردها منها نابليون، ونالت اضافة إلى ذلك بوميرانيا السويدية واكثر من خمسي اراضي سكسونيا وجميع ويستفاليا واكثرية اراضي الراين.

سلمت «بولندة المؤتمر» وفنلندا إلى روسيا لاسهامها الكبير في اسقاط نابليون. ولأجل تعويض هولندا ضمت اليها بلجيكا تحت حكم امير اورانج واعيدت اليها مستعمرة جاوا الهولندية. وعوضت السويد لتنازلها عن فنلندا إلى بروسيا، بحصولها على النرويج التي اخذت من الدانمرك، وبذلك عوقب ملك الدانمرك لوقوفه إلى جانب نابليون. وقرر المؤتمر توسيع وتقوية سردينا فاعيدت اليها سافوى وبيدمونت واضيفت اليه جنوا .

المبحث الرابع
قرارات المؤتمر

بالاضافة إلى ماصدر عن مؤتمر فينا من قرارات توضح مبادئه في التوازن الدولي والشرعية والتعويضات ،اصدر المؤتمر قرارات أخرى ،بعضهايخص مبادىء القانون الدولي ،وقرارات أخرى منوعة :

القضية البولندية :

حدث انشقاق بين الدول الاربع الكبار بسبب معالجة قضيةبولنداوسكسونيا ففي ١٨١٣، قبل معركة الامم ، وعد قيصر روسيا الاسكندر الاول بروسيا والنمسا بالقضاء على دوقية وارسو الكبيرة التي كان نابليون قد قامها ، وبمشاركتهما في تقسيمها .ولكن بعد انتصار الحلفاء في معركةالامم سنة١٨١٣ غير القيصر الروسي رأيه ، متأثراً بمصالحه الخاصة وبالحاح الامير البولندي ازارتورسكي ، فقرر أن يستولي على بولندا كلها ،واعترافاً بمبدأ القومية وعد باعادة تنظيم بولندا القديمة ومنحها دستورا حرا واستخدام مواردها لتقوية مركز روسيا العسكري والاقتصادي . ولذلك اقترح أن تعوض النمسا ببعض الاراضي الايطالية وان تعوض بروسيا بالاستيلاء على سكسونيا(وكان ملكها غراندوقا لوارشو وحليفاً أمينا لنابليون). ثم اجتاح القيصر بولندابجيوشه الروسية وقدم مقترحاته إلى الاربعة الكبار في فينا . وافق فرديك وليم الثالث ملك بروسيا فورا ، لانه أراد ارضاء القيصر الروسي ، ولأنه رأى طعم سكسونيا مغريا جدا .

ولكن مترنيخ خشي عاقبة وجود روسيا في اوربا الوسطى بصورة دائمة ولذلك وقف موقفاً معارضاً .اما كاسلري وزير خارجية بريطانيا فكانلايثق بروسيا بوجه عام ولا بالقيصر بوجه خاص فوقف إلى جانب مترنيخ. وهكذا نشأت معضلة بين روسيا وبروسيا من جهة والنمسا وبريطانيا من جهة ثانية وفي فترة من الفترات بدا كأن الحرب واقعة بين الدول الاربع الكبار

ثم قـــدم كاسلـــري ، يؤيـــده تاليران وزيـــر خارجية فرنسا ، حـــلا وسطاً نالت به بروسيا جزءاً من سكسونيا لاجميعها ونال القيصر الروسي القسم الاكبر من بولندا ، وبقيت غاليسيا البولندية في حوزة النمسا ، وبقيت بوزن والممر البولندي في حوزة بروسيا ، وهكذا عوقب ملك سكسونيا ايضاً ، واعيد تقسيم بولندا ، واطلق على ماقاله القيصر الروسي منهـا اسم « بولندة المؤتمر «Congress Poland»

الاتحاد الالماني : ــ

في تسوية ألمانيا الاقليمية والدستورية لم تجد النمسا ولا بروسيا من المفيد أن تصرا اصرارا شديدا على مبدأ « الشرعية » ، فقد عارضت كلتاهما اعادة الدويلات والامارات الصغيرة التي تجاوز عددها المئتين والتي الغيت في ١٨١٣ ، ولم يبذل أي مجهود جدي لاحياء الامبراطورية الرومانية المقدسة التي انتهى اجلها في ١٨٠٦ . وقد طالب البارون فون شتاين بتوحيد جميع ألمانيا تحت سيادة دولة واحدة ، ولكن مترنيخ وامراء ألمانيا الجنوبية عارضوا ذلك ، وكان فردرك وليم الثالث ملك بروسيا مترددا . كانت النتيجة حلا وسطاً : ايجاد « اتحاد ألماني » يضم الثماني والثلاثين دولة الباقية ولها مجلس مؤلف من مندوبين يمثلون الحكام وتترأسه النمسا ، وتركت الدول الاعضاء حرة في ادارة شؤنها الخاصة ولكن لايحق لها التحالف مع دولة أجنبية ضد الاتحاد أو ضد أحد الاعضاء . وضع الاتحاد (اسميا تحت ضمانة جميع الدول الاوربية ، ولكن ساعد موقف الامراء الالمان الصغار النمسا على الاشراف على الاتحاد منـــذ البداية .

ومن قرارات مؤتمر فينا :

١ ــ تم النظر بعين الانصاف في مطالب الافراد الذين اصيبت ممتلكاتهم في الحرب .

٢ ــ سويت المنازعات الخاصة بقواعد الاسبقية والسلوك الدبلوماسي .

٣ ـ اتفق على مبدأ ينظم شؤون الانهار الدولية ،الامر الذي ستكون له أهميته في المستقبل.
٤ ـ اعلنت منافاة تجارة الرق للمبادىء الانسانية فحرمتها فرنسا واسبانيا وهولندا والسويد ، ووعدت البرتغال بتحريمها. والفضل في هذه المكاسب للاراء الانسانية يرجع إلى كاسلري وإلى حماسة الشعب البريطاني من ورائه. هذا بالرغم من أن بريطانيا لم تمانع تجارة الرق فورا بل تلكأت حتى وقت متأخر.

المبحث الخامس

نقد قرارات المؤتمر

وصف زعماء مؤتمر فينا صانعو السلام بالمحافظين والرجعيين ،وبأنهم من رجال العهد القديم الذين لم يتأثروا إلى حد كبير بالآراء الجديدة وبالرغم من أن التسوية التي وضعوها حافظت على السلام مدة طويلة نسبياً أي نحو أربعين عاماً ، فقد وجهت إلى تلك التسوية بعض الانتقادات منها :

١ — حاولت التسوية اعادة التوازن الدولي الذي اخل به نابليون ، ولكن التوازن الدولي الجديد لم يكن تأمله فقد اخلت به روسيا بحصولها على بولندا وفنلندا واقتربت من اوربا الوسطى وأثارت مخاوف النمسا وبريطانيابصفةخاصة

٢ — في تطبيق مبدأ الشرعية اعيد بعض الحكام المطلقين إلى دولهم بالرغم من ارادة شعوبهم كما حدث في فرنسا ونابولي واسبانيا والبرتغال والدولة البابوية والامارات الالمانية ، واعيدت التيرول إلى النمسا دون أخذ رأى شعبها .

٣ — ومن تطبيق مبدأ الغموض مبدأ التعويض ، الحقت بولندا وفنلندابروسيا رغم ارادة البولنديين والفنلنديين ، وقسمت سكسونيا بين بروسيا والاتحاد الالماني واعطيت البندقية ولومبارديا إلى النمسا ،ووضع على عروش تسكانيا وبارما ومودينا امراء من اسرة هابسبرك النمسوية رغم ارادة سكان هذه المناطق . والحقت النرويج بالسويد والحقت بلجيكا بهولندا ضد رغبات النرويجيين والبلجيكيين ، واقيمت وحدات مصطنعة لم تدم طويلا .

٤ — عدم الاهتمام باراء الدول الصغرى أمام مصالح الدول الكبرى. وهذا النقد هو أخطر نقد وجه إلى صانعي السلام .

٥ — اعلن مؤتمر فينا أن تجارة الرقيق منافية للمبادىء الانسانية واكتفى بهذا الاعلان ،وكان المفروض أن يعلن المؤتمر الغاء تجارة الرقيق في اوربا وفي

العالم . وبالرغم من استجابة فرنسا واسبانيا وهولندا والسويد ، ووعد بريطانيا والبرتغال بالغائها في المستقبل ،فان تجارة الرقيق استمرت في أكثر انحاء العالم : في اميركا وافريقيا وآسيا .

المصادر :

هـ ا . فشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩ــ ١٩٥٠ ، تعريب احمد نجيب ووديع الضبع ، دار المعارف المصرية .

B.Croce, History of Europe in the Nineteenth Century, London, 1933.

A.J. Grant and H. Temperley, Europe in the Nineteenth and Twentieth Centuris, 1789–1938, London, 1939.

Rene Albrecht–Carrie, A Diplomatic History of Europe, London, 1958.

A. Cobban, A History of Modern France, 2 vol. London, 1973.

W.P. Hall and W.S. Davis, The Course of Europe Since Waterloo New York, 1957.

C.J.H. Hayes. A Political and Cultural History of Modern Europe, New York, 1934.

H–Niclson, Congress of Vienna, London, 1946.

C.K. Webster, the Foreign Policy of Castlereagh 1812–1815, London, 1931.

الفصل الثاني
العلاقات الدولية ١٨١٥ ـ ١٨٣٠

لقد حرص المؤتمرون من ملوك وامراء ودبلوماسيين في مؤتمر فينا على وضع خاتمة لتطورات الثورة الفرنسية التي انتشرت في اوربا . وكان عداؤهم لافكار الثورة الفرنسية ونابليون عاملا من بين عاملين اجمع عليه المؤتمرون على الرغم من التناقضات التي اتسمت بها مواقفهم. وكان العامل الثاني هو اتخاذ الخطوات السياسية والدبلوماسية لاعاقة نهوض فرنسا مرة اخرى.

ولكن احداث اوربا الداخلية كانت امنع من ان يصدها تيار النزعة المحافظة المتمثلة في اركان انظمة اوربا الشرقية روسيا والنمسا وبروسيا ولذلك فان العلاقات الاوربية التي رسم دربها مؤتمر فينا كانت متأثرة بصورة مباشرة بالتطورات الداخلية في انظمة القوى العظمى. ولكي نفهم عملية المحفل الاوربي ، وهو النظام الذي سارت عليه العلاقات الاوربية، ينبغي ان نحدد السمات الرئيسة للاوضاع الداخلية في تلك الدول وان نتفحص مواقف الشخصيات الرسمية التي تركت اثراً على اسلوب ومعالجة القضايا ووضع حلول لها .

شهد القرن الثامن عشر عدة حروب اوربية اربكت الاستقرار في نظام الدول المستقلة الذي اوجدته معاهدة ويستفاليا في ١٦٤٨. ولكن القوى العظمى سعت من اجل التوازن فيما بينها فحددت اهداف تلك الحروب كما ان الخلافات تمت تسويتها على المستوى الدبلوماسي التقليدي الذي شغله نفر محدود انتموا إلى طبقة اجتماعية اعطت ولاءها للفئة الحاكمة التي كانوا جزء منها. ولم تتمكن قوة عظمى واحدة من فرض هيمنتها على اوربا، لان مبدأ نظام توازن القوى حرم عليها ذلك. فعندما كانت فرنسة لويس الرابع عشر مصدر تهديد محتمل للاستقرار، تألفت الدول والامارات الاوربية لصد فرنسا. ولكن ينبغي ان لا نغفل ان القوى العظمى كانت الاداة الاولية في

عملية توازن القوى . اما الاعضاء الاخرون فقد تمتعوا بسيادتهم نتيجة ادامة التوازن من جانب القوى العظمى. إذ ان ضم دولة كبيرة اليها دولة صغيرة كان سيخلق عدم توازن لا ترتضيه القوى العظمى الاخرى (اما تقسيم بولندا فكان حالة خاصة).

في ١٧٨٩ هبت رياح الثورة الفرنسية وحملت معها دعوة التغيير واسقاط الانظمة القديمة إلى جميع أنحاء اوربا . وكانت لعجلة الثورة شعاراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .فالشعب أصبح مصدر السلطة وليس الحاكم والحرية الفردية أصبحت حقاً للجميع بغض النظر عن الطبقة والتقاليد التاريخية التي حصرت الحرية في فئات محدودة .كما أن الثورة الفرنسية رسمت حدوداً واضحة بين الشعب أو الامة وارادتها وبين الطبقة الحاكمة وارادتها ، ثم شددت على التباين الجذري بين الاثنين . والاكثر من هذا اعطت الثورة الفرنسية حكمها على أن الانظمة القديمة لاتلائم روح العصر وبالتالي اجازت لكل الشعوب الاوربية حق الثورة على أنظمتها القديمة ، علماً بان مبادىءالثورة الفرنسية كانت في نصرة تلك الشعوب. وهكذا تعرض التركيب الداخلي للانظمة السياسية في اوربا الى صدمة الثورة الفرنسية وحروب نابليون، فكان منطقيا أن يتأثر تركيب العلاقات الاوربية على صعيد السيادة والهيمنة في اوربا والتوسع الاستعماري.

ولكي تشرف القوى الرئيسة على العلاقات الاوربية اتخذت عدة خطوات فمن أجل دحر نابليون وانقاذ اوربا من حالة اللاإستقرار التي صاحبت التوسع الفرنسي في عهد نابليون اجمعت بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا على تجديد الحلف الرباعي في ٢٠ تشرين الثاني ١٨١٥. كان الغرض الرئيسي وراء تجديد الحلف هو مراقبة فرنسا المدحورة لان مصلحة اوربا بأسرها تتطلب ذلك . وإلى جانب ذلك فان أهمية الحلف الرباعي تأتي من المادة السادسة فيه حيث تعهدت الاطراف المتعاقدة « على تجديد اجتماعها خلال فترات زمنية محددة . لغرض التشاور في القضايا ذات المصلحة المشتركة ، وللتداول في

الاجراءات اللازمة للحفاظ على رخاء الدول والسلم في اوربا (١). وكانت هذه الخطوة الصيغة الرسمية للمحفل الاوربي(٢)(The Concert of Europe). وكما يتضح من هذا التعهد فان الدول العظمى كانت تنظر إلى السلم والاستقرار في اوربا من زاوية مشتركة ، الا أن المنطلقات والاغراض والسبل التي اعتمدتها ومارستها تلك القوى كانت متباينة . ولربما تضافرت عدة عوامل على ذلك اولها التطور التاريخي للنظم السياسية للحلفاء . فقد كانت بريطانيا تسير في طريق الليبرالية المقيدة، في حين كانت روسيا والنمسا وبروسيا ومتمسكة بمبادىء ترجع في اغلبها إلى النظام القديم. وبالتالي فان الساسة البريطانيين لم يرفضوا التغيير الذي كان لابد أن يحصل في النظم الاوربية والذي عبرت عن بعض صيغه الثورة الفرنسية . الا أن انكلترا رأت في الثورة الفرنسية والحروب النابليونية محاولات فرنسية لبسط النفوذ على اوربا ومن ثم مزاحمة التجارة البريطانية والمصالح الاستعمارية. من هنا كانت بريطانيا حريصة على صد الخطر الفرنسي او اى خطر ناجم عن محاولة دولة اوربية عظمى من اجل السيادة على اوربا. أما حلفاء بريطانيا فقد كانوا محافظين بدرجات متفاوتة. فالنمسا بشخص مترنيخ وقفت بوجه محاولات ابدال النظم السياسية القائمة انذاك. فقد كانت النمسا امبراطورية مؤلفة من عدة قوميات وتخشى على تمزق جسدها السياسي تحت وطئة التيارات الليبرالية — القومية المتأثرة بالثورة الفرنسية . ولذلك كرس مترنيخ جهوده الدبلوماسية وبراعته في تحريك الرجال من أجل اعفاء النمسا من أن تكون طرفاً في حرب اوربية . فاية حرب بين القوى العظمى إلى تصدع الوحدة الداخلية

(1) Grant and Tempertey, Europe in the Nineteenth and Twentieth Centuries 1789–1950, Longman Paper back, London 6 th ed. 1974, P. 139.

(٢) جاء في مصدر اخر ان جذور المحفل الأوربي ترجع الى تموز ١٧٩١ في مذكرة رفعت باسم الامبراطور ليوبلد .

The Cambridge Modern History, vol. X, P. 3.

للامبراطورية النمساوية. وفضلا عن ذلك كان دور النمسا في المانيا يتعرض لضغوط كثيرة من بروسيا من جهة ومـــن الحركات الليبرالية – القومية في الدويلات والإمارات الالمانية الاخرى .

لقد كان مترنيخ مؤمنا بالتوازن كحالة استقرار تديم الحقوق والشرعية داخل النظام السياسي. وبالتالي فقد حاول ان يسبغ هذا المعتقد ويترجمه إلى واقع في اطار العلاقات الاوربية مابين ١٨١٥ – ١٨٤٨ . ولكي يحقق ذلك اعتمد مترنخ اسلوب اقناع وكسب تأييد قيصر روسيا وملك بروسيا . ولم تكن مهمة مترنخ امر يستعصى على رجل حاذق ومخطط ومدرك لما يريد. قـــد حدت الاحداث الداخلية في بروسيا ان تدفع بفردريك وليم الثالث إلى اتباع اثر مترنخ . فقد كانت القوى العظمى ترى في وجود المانيا القوية عائقاً بعين التوسع الفرنسي.

بيد ان اخراج المانيا القوية إلى حيز الوجود تطلب ترتيبات معقدة . فمن جهة كان ثمة نزاع بين النمسا وبروسيا على التحكم بالدويلات والامارات الالمانية. ومن جهة اخرى كانت قضية الحفاظ على سيادة تلك الدويلات الالمانية وحمايتها من تيارات التغيير التي شاعت فيها بسبب اجراءات نابليون . وقادت الجهود الاوربية عند مؤتمر فينا في مايس وحزيران ١٨١٥ إلى توسيع اللجنة الالمانية التي كانت قد قررت عليها الدول الكبرى في ١٨١٤. وقد تبنت اللجنة الالمانية مسودة دستور تعتمد على المقترحات النمساوية. ووافقت دول مؤتمر فينا على القانون الفيدرالي الذي وقع مع مواثيق مؤتمر فينا في حزيران ١٨١٥.

ولقد تألف الكونفيدرال الالماني لسنة ١٨١٥ من تسعة وثلاثين كياناً. اذ لم تعد هناك تلك الامارات والمملكات الصغيرة التي كونت هيكل الامبراطورية المقدسة، فقد اندثرت وإلى الابد بفضل اجراءات نابليون كما ان الكونفيدرال الالماني لم يحاك الدولة القومية التقليدية، فقد انطوى على قوميات غير المانية واستثنى اخرى (كالجيكيين في بوهيميا ومورافيا).

لقد مثل الدستور الكونفيدرالي تجمعاً لكيانات كانت تحرص على وجودها واحتمت بالإجراءآت الدستورية لمنع اختراق سلطاتها الداخلية . فالدايت في فرانكفورت لم يكن سوى مجلس سفراء مهمتهم التصدي لكل محاولة لتقييد سلطة حكامهم . وعلى الرغم من أساليب الشد والضغط التي مارسها السفراء في جلسات ولجان الدايت في فرانكفورت فقد أفلحت كل من النمسا وبروسيا في تصدر الكونفيدرال الالماني. ولكن دور النمسا البارز كان واضحاً.

وعلى الجملة كانت التطورات الليبرالية السياسية والقومية في الكونفيدرال الالماني تسير بخطى متفاوتة بسبب حركة الاصلاحات التي عمت منذ ١٨٠٧. فقد أشرف فريهر كارل فون شتاين والأمير هاردنبرك على تحديث بعض الجوانب السياسية والإدارية والعسكرية في بروسيا. ففي ١٨٠٧ الغى الرق، وفي ١٨٠٨ جرى تنظيم الهيكل الإداري للإدارة المحلية. كما أن فردريك وليم الثالث أعطى وعداً في ١٨٠٥ وشدد عليه في ١٨١٥ بمنح بروسيا دستوراً يحقق لليبراليين والمصلحين بعض الطموحات . بيد أن عناد وتصلب الطبقة المالكة دفعت بالملك إلى العدول عن ذلك . أما في بقية كيانات الكونفيدرال الالماني فإن أمير بادن وأمير بفاريا قد تعهدا بتقليص صلاحيات السلطة .

لقد اتجهت الحركة الليبرالية الألمانية بعد مؤتمر فينا إلى التصدي إلى تعاظم قوة وسلطة الدولة . وطالبت بمنح الحريات السياسية وتقليص سلطة الملك والحكام ومنح المؤسسات الدستورية .ولم تكن المانيا منفردة في هذه الظاهرة التي عمت فرنسا وايطاليا أيضاً .ولكن ثمة أمور عززت هذا الإتجاه في المانيا وأعطته أهمية في العلاقات الأوربية . فعلى الصعيد الداخلي تظافرت عدة عوامل لتجعل الحركة الليبرالية الألمانية عنصر تغيير فاعل. فمن جهة كانت الاتجاهات متعددة لكونها خضعت لتجربة تاريخية معينة وفقاً لتطور كل كيان في الكونفيدرال الألماني . ثانياً أن الليبرالية، في المانيا الشمالية تأثرت بالحركة الرومانسية ،في حين أن الليبرالية في الولايات الجنوبية تأثرت بالثورة الفرنسية. ففي بادن وفورتنبرغ وبفاريا كانت الدساتير أكثر تقدماً لانها حاكت التجربة

الفرنسية لحد ما. ثم أن الحركة الليبرالية الالمانية نشطت بين المنظمات الطلابية التي ساندت آراء الأساتذة الليبراليين .

ففي ١٨١٥ أوجد الطلبة في جامعة ينا منظمة بودثينشافت .وقد حذت جامعات وسط وجنوب المانيا حذوها. واعتمدت هذه المنظمة الطلابية شعارات «الشرف ، الحرية ، والوطن» وكانت بمثابة الدالات على وعي قومي موحد . وفي ١٨١٧ قد عقد اجتماع موسع لهذه الحركة الطلابية في ساكس فايمر وأعرب الطلبة عن اتجاهات ليبرالية وقومية. ومما يلفت النظر أن ردود فعل النمسا وبروسيا كانت قد تجاوزت أهمية تلك الأحداث . فقد رأت كل من فينا وبرلين أن الروح الثورية والاتجاه اليعقوبي للثورة الفرنسية قد شبا في ألمانيا. لذلك سلكتا أسلوب قمع التيار الليبرالي. فأمرت سلطات بروسيا بتفريق المنظمات الطلابية في جامعات بروسيا. وأعرب الملك فردريك وليم الثالث عن نزعة محافظة ومؤيدة لموقف فينا. وكانت هذه لحظة مواتية طالما انتظرها مترنخ المحنك في استثمار الأحداث وصولا إلى غاياته. كما أنه كان يتربص الفرص للتدخل في الشؤون الالمانية حفاظاً على هيمنة النمسا ووحدتها. فاقترح عقد لقاء مع هاردنبرك مستشار بروسيا لوضع نهاية لهذا التيار الليبرالي. وفضلا عن ذلك فقد جندت النمسا بقية الدول الأوربية لانجاز تلك المهمة. واقترح فرانسيس الامبراطور النمساوي على الكسندر القيصر الروسي فكرة تدخل مشترك في المانيا . وقد انضم فردريك إلى هذا الرأي وأشار على الكسندر تقديم التأييد إلى سياسة التدخل. ولكن قيصر روسيا تردد في ذلك.

لقد كان مترنخ قلقاً على موقف روسيا من أوضاع وترتيبات مابعد مؤتمر فينا. كما أنه كان يدرك حقيقة أن مشروعه الأوربي لصيانة التوازن وإدامة هيمنة النمسا لن ينجح مالم تسنده روسيا. ولكن ثمة اعتبارات وقفت بين طموحات مترنخ وبين تحقيقها، وبالتالي فقد اضطر على تنسيق مواقفه مع روسيا رغم علمه بأن ذلك سيثير حفيظة انكلترا. وقد كان مترنخ يرى أن

أوربا لن تستقر مالم تتشاور المملكات الثلاث في أوربا الشرقية بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك. ولكن التعاون بين النمسا وروسيا تعثر بسبب اهتمامات الكسندر وتصوراته في العلاقات الإوربية .

ولقد تبنى الكسندر فكرة التوازن عن سبيل الأقاليم من جهة ،وعن سبيل وحدة العقيدة والأخلاق المسيحية من جهة أخرى .وقد تمثلت فكرة التوازن في مطالبة الكسندر الدول الكبرى الاخرى في مؤتمر فينا باعطاء بولندا إلى روسيا وقد أفلح في اقناع كاسلريه بأهمية انضمام دوقية وارشو إلى بقية مقاطعات بولندا الخاضعة لروسيا. أما الدعوة إلى التحالف على أساس المبادىء المسيحية فقد تجسدت في مساعي الكسندر لعقد حلف مقدس. وقد شرع في ترويج الفكرة في شباط ١٨١٥ إلا أن أحداث أوربا حالت دون تحقيق المشروع. وفي خريف تلك السنة تقدم الكسندر بمسودة الحلف المقدس. وقد ارتكز الحلف على وجوب تمسك حكام أوربا «بعزم لايلين» في إخضاع العلاقات الدولية فيما بينهم إلى مبادىء الدين المقدس ، والعدالة والاحسان ، والسلم .

ان الحلف يعبر عن نزعة دينية غارقة في خيال رحب لاصلة له بواقع الدبلوماسية الأوربية آنذاك. فالتوجه إلى اصلاح العلاقات الأوربية عن سبيل القيم المسيحية إنما كان دعوة اقتصرت على المثاليين .في حين توجهت الدول الأوربية العظمى إلى مؤتمر فينا لتضع تراتيب تؤمن مصالحها القومية. وقد ارتأت إلى التوازن الأقليمي والتعهدات السياسية هي الوسائل الممكنة. بعبارة أخرى أن الحفاظ على الوضع الراهن كان ينبغي أن يستند إلى قواعد تقرها تلك الدول. وكان رد كاسلريه ممثل انكلترا غير ايجابي لمشروع الكسندر . وقع ذلك فقد وقعه اغلب ملوك أوربا في ٢٦ أيلول ١٨١٥ .

ولعل موقف قيصر روسيا من طبيعة الرباط الذي يجمع بين ملوك وحكام أوربا كان من الأسباب التي حدث به إلى التردد في إسناد فكرة تدخل النمسا

في المانيا لقمع التيارات الليبرالية ـ القومية. فقد أشار الكسندر إلى أنه لايقف ضد فكرة التدخل بحد ذاتها وانما يساندها إذا لبست رداء أوربيا ووفقاً لروح التضامن الذي انطوى عليه الحلف المقدس غير أن امرأ كهذا كان لايتوافق مع تصورات مترنخ عما يجري في الكونفيدرال الألماني. وقد ظن مترنخ أن تعاوناً مع الكسندر غير ممكن طالما كان الكسندر متمسكاًبأفكاره الدينية والخيالية والمغامرة .

ومما عزز تخوف مترنخ من مواقف الكسندر هو سلوك الاخير ازاء الليبراليين البولنديين ، فقد منح قيصر روسيا بولندا دستوراً ودايت في ١٨١٥ وكان مخلصا وجادا في محاولاته لارضاء العناصر الليبرالية — القومية البولندية، إلا أن البولنديين لم يرتضوا دول الاستقلال شيئاً. ومع ذلك فقد اعتقد مترنخ أن الكسندر يتعاطف مع الخطر الذي مابعده خطر على استقرار أوربا والحفاظ على الوضع الراهن الا وهو خطر الدساتير الليبرالية التي تقيد من سلطة النظم التقليدية والاهم من هذا كله أن الامبراطورية النمساوية كانت تحكم القوميات غير الالمانية وفقاً لأسس بعيدة عن اللبرالية. فإذا قدر لهذه النزعة اللبرالية أن تعم الاقاليم الأوربية فإن قوميات الامبراطورية النمساوية في بولندا وفي شمال ايطاليا وفي شرق أوربا ستطالب بمنحها حريات أوسع .وبعبارة أخرى أن الامبراطورية النمساوية كانت ستنوء تحت وطأة الدعوة الليبرالية وبالتالي ستتفكك. ولذلك جهد مترنخ على أرجاء ،أن لم يكن ابطال مفعول هذا الاتجاه الثوري .

المبحث الاول

مؤتمر أكس لاشابل (ايلول ١٨١٨)

لقد كان المناخ السياسي الاوربي مهيئا لعقد مؤتمر اوربي عام تلتأم فيه الدول العظمى على هدى من روح فلسفة المحفل الاوربي التي شاعت في اوربا بعد اندحار نابليون وعقد الحلف الرباعي والحلف المقدس . وقد توجهت الممالك في شرق اوربا يرأسها ملوكها وامبراطورها ، فجاء فرانسيس الاول ومترنخ عن النمسا وحضر الكسندر ومعه الكونت كابودستريا ونيسلرودعن روسيا . ومثل فردريك وليم الثالث وهاردنبرغ بروسيا . وكان تاليران عن فرنسا . كما مثل الدوق ويلنكتن واللورد كاسلرية بريطانيا .

وكانت القضية الفرنسية محور اجتماع مؤتمر اكس لاشابل . فقدطالبت فرنسا الدول الكبرى بالجلاء عن اراضيها بعد ان دفعت ما كان عليها من غرامات فرضت عليها بموجب معاهدة فينا ، كما انها اعربت عن عزمها على الانتما الى المحفل الاوربي واستعادة دورها في تصريف الشؤون الاوربية كقوة رئيسة . ولكن واجهتها مسألة الضمانات التي كان يجب ان تقدمها الى الدول الكبرى دليلا على حسن تصرفها وفقا لما كان قد تم الاتفاق بشأنه بصيغة المعاهدات .

وعلى الرغم من ان القيصر الكسندر كان قد حدد ورقة عمل مؤتمر اكس لاشابل ، فان خلافات عامة ودقيقة حدثت في مواقف الدول الكبرى . بشأن رؤياه وسياساته المتقلبة . فقد تداخلت نشاطات بعض العملاء الروس مع الجماعات الليبرالية والثورية في المانيا وايطاليا واسبانيا . واعربت فينا ولندن عن قلق بصدد نشاطات كهذه . في الوقت نفسه كان الكسندر يروج لنزعة دينية اصلاحية لا تقتصر على روسيا وبولندا بل تشمل بقية الاقطار الاوربية . وهكذا كان موقف قيصر روسيا من الاحداث الاوربية موضع القلق بالنسبة لمترنخ . فلقد كانت فرنسا بأمس الحاجة الى تأييد الدول الاوربية

الكبرى لكي تعود الى حضيرة المحفل الاوربي ولذلك لم تشكل خطراً على مترنخ في مساعيه لكبح جماح التيار الثوري في اوربا . ومن جهة اخرى فان موقف انكلترا من التيار الثوري في اوربا كان متعاطفا مع مترنخ ولربما كان ذلك نتيجة امرين . اولهما ان انكلترا كانت تنشد احلال الاستقرار في اوربا بعد الزلزال النابليوني طالما ان التوازن لم يفسح فرصاامام قوة اوربية واحدة للهيمنة على اوربا ، اى ان انكلترا كانت قد اعفيت من الاشتراك في الاحداث الاوربية ولم تتكبل في اوربا وبالتالي اتيحت لها مجالات التوجه الى النهب الاستعماري وتعزيز المواقع . وثانيهما هو ان الحكومة المحافظة البريطانيـــة كانت تواجه مصاعب داخلية افرزتها التطورات الاقتصادية والاجتماعية . فلقد عززت حكومة المحافظين مصالح الفئة الاوليغاركية من ارستقراطي ملاك الاراضي على حساب الفئات الناهضة في رحاب الثورة الصناعية (برجوازية المدن والعمال والفلاحين الاجراء) . فلكي ينعم ملاك الارض من الاسعار المُرتفعة للحبوب زاد البرلمان من التعريفة الجمركية المفروضة على الحبوب المستوردة ، واجاز شراء الاراضي الزراعية لاغراض تربية المواشي كما ان البرلمان الغى ضريبة الدخل . ومع ان الاضطراب الداخلي في انكلترا لم ياخذ صيغة العمل التي سلكتها المنظمات والفئات الطلابية والليبرالية والقومية في بقية الاقطار الاوربية ، الاان شبح هيجان الجماهير العامة اثار مخاوف الحكومة المحافظة وزعزع ثقة الطبقة المالكة . ولقد شهدت لندن ومانشستر نشاطات سياسية اقرب الى الهيجان والاحتجاج العام منه الى اجتهادات فئوية. ولقد آلت هذه التطورات الى تشريع القوانين الستة في نهاية ١٨١٩ والتي قيدت التجمعات العامة ونشر وتداول الكراريس السياسية والصحف . وهكذا فقد سارت حكومة المحافظين في درب السياسة الرجعية التي طالما شدد عليها مترنخ وعزم على اشانها في جميع انحاء الاقطار الاوربية .

لقد اعترضت جهود مترنخ في الساحة الاوربية سياسة قيصر روسيا . لذلك كان يسعى الى توفيق بين تصورات الكسندر عن التفاعلات الرئيسة

في العلاقات الاوربية وبين حلول مترنخ لها . ولكن التطورات في روسيا زودت مترنخ بحجة اقوى لاقناع الكسندر بضرورة تكاتف القوى الاوربية في وجه الخطر العام . فقد اتضح أنّ الليبراليين الروس كانوا يبيتون للكسندر عملية اختطاف وقد استعانوا بالضباط . وعندما انكشف الامر تراجع القيصر الروسي عن حماسه للدعوة الليبرالية . ولقد كانت النمسا من جهتها حريصة على اشراك روسيا في النظام الاوربي . فروسيا في نظر فينا قوة رئيسة للابقاء على استقرار النظام الاوربي الذي تطلعت اليها فينا كوسيلة لتجنب الحرب فياوربا . ثم ان روسياكانت قادرة على تهديد المصالحالنمساوية والبروسية معاً. فقد كان لديها جيش قوى . الا أن روسيا ، حسب تصورات مترنخ ، لن تغامر في مشروع كهذا . فعلى الرغم من وهن النمسا وبروسيا امام القوة العسكرية الروسية ، الا ان تأليب الفيدرال الالماني ضد روسيا سيؤول الى مواجهة بين روسيا والمانيا . وعند عقد المقارنة بين فرض توجيهات الكسندر العسكرية نحو اوربا وبين احتمالات تهديد الدولة العثمانية والنزول الى الدانوب فان الاحتمالات كانت ارجح . ولكن مع ذلك ، فان الحرب ضد الباب العالى كان سوف يؤول الى تفتيت النظام الاوربي القائم انذاك والذى انطوى على اطر تصريف العلاقات الاوربية .

فمن ناحية ان تفكيك الدولة العثمانية على يد روسيا كان سوف يثير امامها احتمال تحالف نمساوى – بروسي – انكليزى . ومع ان العمليات العسكرية الروسية كانت ستكون سريعة وفاعلة الا ان انهيار الباب العالى واجراء تغييرات اقليمية لصالح روسيا هو في آخر المطاف محصلة تفسد التوازن الاوربي لذلك فان هذه القوى الثلاث كانت ستصد الجهود الروسية وتبطل النتائج التي كان القيصر الكسندر يتوخاها . وبالتالى فان من مصلحة روسيا ان تنساق الى النظام الاوربي .

وكما يبدو فان القوى الاوربية المجتمعة في اكس لاشابل كانت تقف على ارضية مشتركة بشأن الابقاء على التوازن في النظام الاوربي . وقد تداولت

الوفود في قضايا متعددة اظهرت من خلالها تباين في المنطلقات والتهيؤ للإلتزام ولقد كانت مسألة انتماء فرنسا إلى المحفل الاوربية من الامور التي اجمع عليها . فوافق المؤتمرون على الجلاء من فرنسا بعد ان وفت ماعليها من تعويضات بموجب مؤتمر فينا . ولكن الخلافات نجمت بشأن صيغة ارتباط فرنسا في المحفل الاوربي . فالاتجاه الذي كان سائدا هو ان يجدد الحلف الرباعي بعد انضمام فرنسا اليه . غير ان قيصر روسيا اراد ان يبعث الحياة في الحلف المقدس الذي كانت كل من انكلترا والنمسا قد انكمشت منه . فالنمسا لم ترغب في اتاحة مناخ اوربي يمكن قيصر روسيا من ان يصبح حامي اوربا لان في ذلك مخاطر على دورها في المانيا اولا وفي اوربا ثانيا . لذلك امتلكت مترنخ المخاوف من تشديد الكسندر على ارساء النظام الاوربي على مبدأ الوحدة الدينية والاخوة المسيحية . اما انكلترا فان دوافعها كانت ذرائعية واملتها عليها سياستها الاوربية . فقد ميزت انكلترا بين المعاهدات ذات المعنى والبعد الالزامي كمعاهدة فينا والحلف الرباعي وبين الاتفاقات التي لاتنطوي على التزامات . فالمعاهدات التي وقعت في باريس في ٣٠ مايس ١٨١٤ وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٨١٥ ومعاهدة فينا كلها احتوت على أجراءات وقواعد لتنظيم العلاقات الاوربية . وكانت تهدف إلى احلال الامن والسلم ولذلك فان اختراقها من قبل دولة ما كان يعتبر انتهاكا وخطرا على الاستقرار في اوربا . في حين فسرت انكلترا اتفاقيات الحلف المقدس على انها غير ملزمة وانها مجرد اسلوب للاعراب عن نوايا عامة تتشاطرها انكلترا مع بقية الدول الاوربية الكبرى الا نها لاتضع ضوابط ملزمة للتعامل الدبلوماسي . ثم أن الحكومة البريطانية في شخص كانك كانت قد اتخذت سياسة الابتعاد عن مشاريع الكسندر . وقد تمثل هذا الرأي في موقف كاسلريه الذي ساند مترنخ ضد الكسندر . فقد زعم كاسلريه ان التزام بريطانيا بتعهدات انما هو امر ينبغي ان يحظى بموافقة البرلمان . ومع ان كاسلريه كان ينشد تعزيز المحفل الاوربي الا أنه توجس نوايا روسيا المتسترة وراء الدعوة الدينية.

فالكسندر كان يريد ان يحصل على وصاية من المحفل لاتخاذ مواقف تعهدية بصدد قضايا تعتبر اغراض عامة للقوى الاوربية . في حين كان كاسلرية يراى ان التعهد ينبغي ان يعطى ازاء سياسة معينة واغراض محددة.
ان من اكثر المبادي خطورة واهمية على العلاقات الاوربية والتي اثيرت في مؤتمر اكس — لا — شابل هو مبدأ حق التدخل في الشؤون الداخلية لعضو في الحلف الرباعي او الحلف المقدس لمواجهة خطر الثورة . ومع ان الدول الكبرى الخمس قد اعربت في ذلك المؤتمر عن نيتها في حفظ الامن واقرار الاستقرار والتوازن في اوربا ، الا انها لم تعط تعهدا صريحا بتمسكها بمبدأ حق التدخل . ولذلك فقد فسرت هذه النية على انها موافقة ضمنية على التكاتف الاوربي الجماعي لاخماد الثورات المناهضة للنظم السياسية التي اقرها مؤتمر فينا . وربما يرجع سبب الغموض في هذا الموقف إلى اخفاق الدول الاوربية الخمس في تحديد معنى التدخل والحالات التي تستدعي القيام بالتدخل . ولقد كانت بريطانيا من اكثر الدول ترددا في اسناد مبدأ حق التدخل . في حين تصور مترنخ ان المصلحة الاوربية العليا تستوجب الاخذ بهذا المبدأ . فطالما انه ليس في وسع دولة اوربية ان تكون في عزلة عما يجرى في اوربا ، وعلى الاخص في مجال تحدي شرعية الانظمة القائمة آنذاك ، فان فكرة عقد المؤتمرات للتباحث في قضايا اوربية هي بحد ذاتها معبرة عن نية في تبني موقف متكاتف ازاء الخطر المشترك الا وهو الثورة . اما قضية سبل اخماد الثورات ومساندة النظم الشرعية فان ذلك ستقرره الاتجاهات المتوافقة في المؤتمرات . وكان مترنخ قد افلح في توجيه موقف بروسيا صوب فينا من جهة . اذ الت التطورات الليبرالية في المانيا إلى انحسار دور بروسيا في زعامة المانيا ورجحت النمسا .
وقد مثلت احداث ١٨١٩ (مؤتمر كارلسباد لممثلي حكومات الكونفيدرال الالماني) نقطة انعطاف لصالح التيار المترنيخي. ومن جهة اخرى ، فان الكسندر قيصر روسيا كان هو الاخر يجنح تدريجياً عن مواقفه المبكرة في اسناد الليبرالية

والقوميات . فقد اتضح له من موقف الطلبة والجمعيات الليبرالية السرية في المانيا الذى قاد الى اغتيال كوتزبيو (وهو عميل روسي) ومن محاولة لاغتياله ان الليبرالية خطر وسبب لعدم الاستقرار . وبالتالي فقد اوجد مترنخ صفا موحدا من النمسا وبروسيا وروسيا لمحاربة الليبرالية ومؤيدا للعمل الجماعي اذا اقتضت الضرورة .

وعلى الرغم من شيوع هذا الاتجاه في مؤتمر اكس ـ لا ـ شابل الا أن الخلافات بين الدول الاوربية الكبرى ظلت معوقا امام اية خطـوة جماعية بشأن قضية هامة . ولقد اعفى المؤتمر من مواجهة حالة تشتت الاراء بصـدد علاقة اسبانيا بمستعمراتها . ولكن الاحداث التي تلت في السنين التالية كشفـت عن عمق الهوة في المواقف المتباينة للاطراف الرئيسة في المحفل الاوربي التي ارادت فرض موقفها على دولة من الدرجة الثانية .

لقد سعت دول المحفل الاوربي في مـؤتمر اكس ـ لا ـ شابـل ان تروض الدول الاوربية الصغرى على تفضيل مصالح الاستقرار الاوربي على نزعاتها . فكما حدث بالنسبة الى الخلافات بين السويد والدانمارك بخصوص مساعدات الدانمارك للنرويجيين . وقد احتج ملك السـويد على هيمنة الدول الكبرى على الشؤون الاوربية . وفي نفس النطاق تحركت دول المؤتمر في حسم مسألة منزلة امراء الكونفيدرال في الراين .

والى جانب هذه القضايا السياسية الاوربية والالمانية تدارس مؤتمر اكس ـ لا ـ شابل قضية القرصنة في البحر الابيض المتوسط . ولكن الدول المشتركة لم تتوصل الى حل مناسب لمعالجة الامر . فقد تجابهت انكلترا وروسيا لاختلاف المصالح والغايات . في حين كان لبروسيا والنمسا مواقف اخرى .

فبروسيا لم تكن دولة تجارية على نطاق واسع كما انها لم تمتلك اسطولا قويا تستطيع الركون اليه للذود عن تجارتها ، ولذلك لم ترفض فكرة وضع خاتمة لعملية القرصنة ولم تتحزب لسبيل دون آخر . في حين كانت النمسا قد آمنت

تجارتها بان اولت مهمة حماية سفنها الى الاسطول العثماني في البحر الابيض المتوسط . ولكي تتجنب الدول الاوربية هيمنة دولة بحرية واحدة على الملاحة في المتوسط اقترحت بروسيا بتأييد من روسيا ان توكل المهمة الى نشاط اوربي مشترك . وقد حبذت روسيا اجراء كهذا .

فمن جهة انها ستكون موجودة بحرياً في البحر الابيض المتوسط . بيد ان مشروعاً كهذا اصطدم بمعارضة انكلترا التي تخوفت من نوايا روسيا ومن وجودها البحرى في منطقة حساسة وبالمقابل عرضت انكلترا اسطولها البحرى مهمة حماية التجارة ومتابعة القرصنة وذلك بمنحها حق تفتيش السفن الماخرة في المتوسط . ولكن المشروع الانكليزى أثار مخاوف الدول الاوربية الاخرى . ففي الحقيقة كانت فكرة انكلترا اكتساب الوصاية من اوربا كي تفرض هيمنتها على التجارة في البحر المتوسط . وقد لاحظت الدول الاوربية ان انكلترا كانت تنشد مكاسب تخصها وتعزز منزلتها التجارية . وهكذا فقد أخفق المؤتمر في اتخاذ موقف محدد ازاء قضية القرصنة في البحر الابيض المتوسط .

ان السنتين التاليتين لمؤتمر اكس ــ لا ــ شابل شهدت تطورات داخلية في اوربا كان محورها الخطر الليبرالي ومساعى تطويقه في المانيا واسبانيا والبرتغال وايطاليا بالاضافة الى التوجه الليبرالي في فرنسا وروسيا .

المبحث الثاني

مؤتمر تروباو – ومؤتمر لايباخ

لقد كانت قرارات كارلسباد ذات طابع شمولي ولم تقتصر على تطويق المد الليبرالي في المانيا. كما أنها عززت قبضة مترنخ على شؤون المانيا والزعامة النمساوية وأتاحت له فرص نشر نظامه المرتكز على محاربة الثورة من أجل ابقاء النظم الشرعية . فحتى انكلترا ذات التاريخ البرلماني المتميز انضمت إلى صف التيار المحافظ. فكما عرفنا أن حكومة المحافظين ارتابت من الاضطرابات الاجتماعية والأفكار التي روجها الرديكاليون الليبراليون أمثال وليم غودون وتوماس بين ووليم كوبت وجيرمي بنثام. وقد تجابهت مصالح الفئة الارستقراطية المالكة للأرض مع أربع قوى سياسية واجتماعية مناهضة لها من أرضيات متباينة. فالرديكاليون الليبراليون شيعوا لافكار التمثيل السياسي والعدالة الاجتماعية والحريات السياسية. ثانياً ، كان البروتستنتيون المتمردون يطالبون بالمساواة في الحقوق والامتيازات مع اتباع الكنيسة الانكليزية .ثالثاً، ان الثورة الصناعية أفرزت قوة سياسية – أجتماعية – اقتصادية تنامت مع العقدين الاولين من القرن التاسع عشر بحيث أصبح من الصعوبة بمكان على حكومة المحافظين والفئات الرجعية أن تصد نشاطها . ورابعاً، كان لدور الايرلنديين الكاثوليك أثر في الضغط على الحكومة البريطانية وأضعف بمنزلة التيار الرجعي في انكلترا .

لم تكن الأوضاع في فرنسا بعد مؤتمر أكس – لا – شابل أكثر استقراراً مما كانت عليه الحال في انكلترا والمانيا وروسيا. فقد تمكنت العناصر الليبرالية من تحقيق كسب سياسي في مجلس الشعب . وحدثت تحالفات مختلفة بين الجماعات السياسية في مجلس الشعب كان أثرها ارباك الاوضاع الداخلية في فرنسا واثارة قلق الدول الأوربية الأخرى وعلى الاخص النمسا وروسيا.

فقد استقال تاليران الذي كان قد حقق تفاهماً مع الكسندر قيصر روسيا في مؤتمر اكس – لا – شابل وبذلك تفارق الملك لويس الثامن عشر مع تاليران ولم يعد في وسعه السيطرة على تحركات مجلس الشعب .وقد تتابعت الحكومات ولكنهـا لم تحسم النزاع بين الليبراليين المتطرفين اليبراليين المعتدلين وأنصار الشرعية. ومما لاشك فيه أن تقلب الأحداث الداخلية في فرنسا لفت نظر أطراف الحلف الرباعي . فقد أجمعوا عند أكس – لا – شابل على مراقبة فرنسا وحدها من الرجوع إلى مواقف الثورة الفرنسية ونابليون ازاء أوربا. وقد أثيرت مسألة منع فرنسا من السير في ركاب اللبرالية. بيد أن تحرك لويس الثامن عشر أنقذ فرنسا من احتمال تدخل أوربي باسم المحفل الأوربي فاوقف المد الليبرالي وبذلك أتاح فرصاً جديدة أمام مترنخ لقيادة التيار الرجعي والمحافظ في أوربا .

لقد حرص مؤتمر فينا على اخماد انفاس الثورة الفرنسية في فرنسا وذلك بارجاع النظام القديم ومراقبة سلوك فرنسا ومن ثم اشراكها في المحفل الأوربي . بيد أن تلك الأساليب لم تضع نهاية لآثار الثورة الفرنسية على أنظمة الحكم في أوربا . فبعد أن تمكنت العناصر اليمينية من ايقاف زحف التيار الليبرالي في فرنسا، وسارت فرنسا في رحاب النظم الرجعية في شرق أوربا، هبت عواصف الاضطرابات السياسية والثورة في أطراف أوربا في أسبانيا ونابولى من أجل اسقاط المبادىء التي فرضتها تسويات مؤتمر فينا. وكان الاتجاه العام هو احياء الدساتير التي نالتها الشعوب في ظل تأثير الثورة الفرنسية واصلاحات نابليون .

وكانت اسبانيا بداية سلسلة الثورات ضد النظم التقليدية. ففي ١٨٠٨ خضعت اسبانيا لقبضة سيطرة نابليون الذي نصب أخاه جوزيف ملكاً على اسبانيا في حين مكث ملكها فيردناند السابع في فرنسا إلى أن أفرج عنه في ١٨١٤. ولم يرضخ الاسبانيون للسيطرة الفرنسية بل تمردوا ونالوا تأييداً

من بريطانيا وانتصروا في النهاية. في ١٨١٢ تمكن الثوار الاسبانيون من وضع دستور للبلاد انطوى على كثير من مبادىء وملامح الدستور الفرنسي لسنة ١٧٩١. فقد أودعت السيادة بموجب الدستور في الشعب ،وتألفت هيئة عامة (الكورتس) ينتخب أعضاؤها بطريقة غير مباشرة ومنحت شعوب المستعمرات الحقوق ذاتها. ومما لاشك فيه أن دستور ١٨١٢ مثل جناح الليبرالية القادم من محافظات السواحل على حساب تحالف النبلاء ورجال الدين وهما الفئتان اللتان تحكمتا باسبانيا. ولكن الملك والفئات الموالية أحجمت عن السير في الطريق الجديد. فقد تمسك الملك بأسلوب الحكم التقليدي وطاردت الحكومة الليبراليين . وبالوقت الذي كانت اسبانيا متأخرة صناعياً والتجارة رديئة لم تسع الحكومة وفيردنان السابع على تحسين الأوضاع . بيد أن التطورات في مستعمرات اسبانيا في امريكا اشعلت فتيل الثورة. فقد أرادت تلك المستعمرات شيئاً من الاستقلالية في حين أصر فيردناند على حكمها حسب طريقته في حكم اسبانيا. فكانت الثورات في المكسيك وغيرها من أقاليم أمريكا الجنوبية. ولكي يعيد الأمن إلى تلك الأقاليم شرع الملك في ارسال حملة عسكرية في ١٨١٩. ولكن التمردات العسكرية تعددت وعمت اسبانيا حالة من الاضطراب انتهت في آذار ١٨٢٠ باعلان الملك عن تمسكه بدستور ١٨١٢ وإبطال جميع القيود المناهضة للنزعة الليبرالية .

لقد انعكست ثورة اسبانيا على العلاقات الأوربية، فلم يكن في وسع أطراف المحفل الأوربي السكوت عما يجرى في اسبانيا، فمن جهة أن الشرعية قد أرغمت بحد السيف على تبني دستور ليبرالي ،ومن جهة أخرى أن مبدأ التدخل بالنيابة أو الجماعي اصبح عرضة للتأويل المتباين. كما أن خطر الثورة أخذ يهدد أطراف أوربا الأخرى. فالبرتغال كانت تعاني من الاتجاه ذاته. ففي آب ١٨٢٠ ثارت حامية لشبونة وكانت تعبر عن امتعاض من النفوذ البريطاني في البرازيل وتضرر التجار البرتغاليون .

وارغم الجيش الملك جون الرابع على قبول دستور على شاكلة الدستور الاسباني .

لم يتوقف شعاع الثورات عند البرتغال بعد ان اندلع من اسبانيا بل تسرب إلى ايطاليا عموما والى مملكة الصقليتين او نابولى . وكما هو شأن اسبانيا فقد كانت ايطاليا ساحة رحبة لاستقبال تيارات الثورة الفرنسية . ولعل اجراءات نابليون في ايطاليا كانت من العوامل الرئيسة التي ايقظت في الجسد الجغرافي والقومي الايطالي حركة الوحدة القومية . فقد كانت اجراءته ثورية . فمن جهة اخرج نابليون امراء ايطاليا من ولاياتهم ، باستثناء نابولي وبيدمونت او سردينيا . كما انه ادمج ايطاليا في اطار نظامه الاوربي وافاد نفسه من الجنود الايطاليين في حروبه . ولكن حصيلة هذا الامر كانت ادراك الايطاليين لقضاياهم القومية وعقم الانظمة القديمة . وبعبارة اقصر لقد حطمت حملات نابليون القيود والمعوقات الجغرافية والاقتصادية والسياسية التي عانت منها ايطاليا .

ولكن مؤتمر فينا اغفل التغييرات المادية والسياسية في ايطاليا وحرص على ارجاع النظم القديمة . وبدلا من ان يصون الوحدة الادارية التي بثها نابليون اوجد عشر دول من احجام متباينة (بيد مونت، لومبارديا ــ فينيسيا، بارما ، مودينا ، لوكا ، توسكاني ، الدويلات البابوية ، نابولي ، موناكو ، سان مارينو) اما جمهوريتا جنوة والبندقية فقد اعطيت جنوة إلى بيد مونت وضمت النمسا البندقية اليها . وبذلك اصبحت النمسا سيدة الموقف في شمال ايطاليا ثم ان مملكة نابولى عقدت معها معاهدة دفاعية تعهد بموجبها الملك فيردناند الاول السير في توجيهات النظام النمساوي . ولم تكن الاوضاع الاقتصادية والسياسية في الدويلات الايطالية جيدة . والاكثر من هذا ان

الملوك الذين ارجعهم مؤتمر فينا حرصوا على اخماد النشاطات الليبرالية وما يتعلق بها من افكار . وبذلك تصاعدت المعارضة لاساليب الحكم القديم وللامتيازات التي استرجعتها لانفسها العناصر التقليدية . وقد انفجرت حدة المجابهة في مملكة نابولي التي ابهرت الثورة الاسبانية احرارها . فطالبت الملك فيردناند الأول باعطاء الشعب دستورا على نمط دستور اسبانيا ١٨١٢ . وقد اذعن الملك لتلك المطالب

لم تكن الثورات في اسبانيا والبرتغال وايطاليا ذات طابع محلي صرف بل امتدت اثارها الى الساحة الاوربية واستدعت مواقف من جانب الدول الكبرى سواء ذات المصلحة المباشرة في الأمر ام تلك التي اولت استقرار النظام الاوربي والاخوة المسيحية اهمية كبيرة . اما النمسا فقد رات في ثورة نابولي خطرا يهدد نظامها في ايطاليـــا . فاذا استتب الامر لصالح الثوار واخذت المملكة بالدستور الليبرالي فان حمى هذا التيار ستعم ممتلكات النمسا في شمال ايطاليا وكذلك كان من المحتمل ان تطالب القوميات الاخرى الخاضعه للنمسا بدساتير اكثر حرية من الاستبداد النمساوى . والاكثر من هذا فان مخاوف مترنخ بلغت ذروتها . فبعد ان اعاد فرنسا الى المحفل الاوربي وانضمت الى صف النظم الرجعية تاججت آثار الثورة الفرنسية في اطراف اوربا وبذلك فقد كان تآكل النظام المترنيخي قد بدأ من الاطراف السائبة وليس من اللب . ومما لاشك فيه ان روح الدساتير الليبرالي كانت ستعم بقية الاقطار الاوربية . ولكن الامر كان اكثر تعقيدا مما يبدو في الظاهر . فعلى الرغم من جنوح الكسندر قيصر روسيا إلى جناح الرجعية وتحول فرنسا من الليبرالية القصيرة الامد الى الرجعية .كان مترنخ يقلق من التدخل الاوربي الجماعي . فالتدخل الجماعي يضيع على النمسا فرصة زعامة اوربا . اضف الى ذلك ان اشراك روسيا في العمل الجماعي التدخلي كان سيعني دخول الجيش الروسي إلى الاقطار الاوربية ومقاطعات الدول الكبرى كما هو الحال بشأن اسبانيا ونابولي . فلكي يصل الروس الى نابولي لابد وان

يمروا في الاقاليم الايطالية التابعة للنمسا . وثمة سبب اخر حدا بمترنخ إلى التردد في عرض قضية الثورة في نابولي على بساط المحفل الاوربي . فالمسألة تخص النمسا وفي وسعها أن تقوم بالمهمة ولكن ينبغي ان تنال الوصاية من لدن الدول الكبرى الاخرى .

لقد كان مترنخ يتطلع للانفراد في عملية اخماد الثورة في ايطاليا بوصاية من المحفل الاوربي . فثمة امور تضافرت لاخراج هذا الاحتمال . فبريطانيا كانت غير راغبة في اشراك نفسها بصورة وثيقة في قضايا البر الاوربي ، كما ان بروسيا كانت منصرفة الى توضيب شؤونها الداخلية اضافة الى ان فردريك وليم الثالث كان قد اعطى زمام الامور الى النمسا منذ مؤتمر كارلسباد . واما فرنسا فقد كانت حريصة على استتباب الاوضاع في اسبانيا ، ولكنها بالوقت نفسه كانت قلقة من تعاظم دور النمسا في الشؤون الاوربية . ولكن على الرغم من تلك الظروف المواتية اعترضت طريق مترنخ المواقف الشخصية لقيصر روسيا. فالكسندر كان يتحين الفرص لممارسة مبداه الرئيس في الحلف المقدس. فطالما تاق الى تكاتف الملوك في ظل الاخوة المسيحية لانقاذ اوربا من خطر الثورة . لذلك كان الكسندر من المؤيدين الشديدين لعقد مؤتمر للمحفل الاوربي

لقد رضخ مترنخ امام ضغوط الكسندر ومطالبة فرنسا بعقد مؤتمر فدعا المحفل الاوربي الى تروباو في تشرين الاول ١٨٢٠ . ولم تحضر انكلترا وفرنسا المؤتمر بمستوى رفيع بل بعثتا مواقبين عنهما . وبذلك سنحت الفرص امام مترنخ للتأثير على الكسندر بصورة مباشرة وكسب تأييده للمبادىء والحلول التي طرحها مترنخ لحسم القضايا التي كانت تهدد وجود الملوك «ينبغي على الملوك ان يقدروا بصورة دقيقة فرص بقائهم في المستقبل القريب» (١)

(1) Metternich's Secret Memorandum to the Emperor Alexander, Troppau, December 1820, in Mack Walker, Metternich's Europe, Macmillan, London, 1968, P. 112.

ولكي يضمنوا بقاءهم فان السياسة المعتمدة ينبغي هـي الاخرى ان تكون «على مبدأ الاتحاد بين الملوك...لانقاذ المجتمع من الخراب الشامل» . وكان الخراب في نظر مترنخ نابعا من الثورة .

لقد تقدم مترنخ الى مؤتمر تروباو وبمسودة بروتكول انطوت على الابعاد الرئيسة لسياسته «تبطل العضوية في التحالف الاوربي للدول التي تحدث فيها تغييرات في حكومتها بسبب ثورة تكون نتائجها مهددة للدول الاخرى . ولاتنتمي تلك الدول الى التحالف حتى تكون الاوضاع فيها ضامنة للنظام الشرعي والاستقرار . وفي حالة تعرض دول اخرى الى تهديد مباشر من جانب تلك التغييرات ، فان الدول تلزم نفسها باتخاذ السبل السلمية او المسلحة عند الحاجة لارجاع الدول المذنبة الى احضان الحلف العظيم» (١)

ان هذا المبدأ يثبت فكرة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاوربية التي تصبح الثورة فيها خطر على التوازن والاستقرار في اوربا .

وكانت ايطاليا دون غيرها من الاقاليم التي تعرض فيها النظام القديم الى خطر فادح في نظر مترنخ . وعلة ذلك واضحة . فقد ادرك مترنخ وايقن ان مصير وزعامة النمسا تبدأ من ايطاليا . وبالتالي لابد ان تتأكد النمسا من ان الثورة لن تهب من هناك . فالنمسا في حسبان مترنيخ بوابة الدرب الرئيس الى آسيا وعلى الاخص الدولة العثمانية ولكي تصون النمسا تلك البوابة عليها ان توجد لنفسها نفوذاً بل نظاما في ايطاليا . وهكذا فان النمسا كانت متحمسة الى التدخل في نابولى .

ولكن مواقف الدول المتحالفة الاخرى أثارت بعض الصعوبات وعلى الاخص من جانب انكلترا وفرنسا . اما قيصر روسيا فقد تغيرت اراؤه عما كانت عليه خلال مؤتمر اكس — لا — شابل . فالتطورات الداخلية المتمثلة بعصيان حامية سيمونوسكي في تشرين الثاني ١٨٢٠ لم تترك اي شك في مخاطر التعاطف مع الراديكاليين الروس. وكما لاحظ مترنخ فان الكسندر

جاء إلى تروبا وقد كان رجلا متغيرا. واما بروسيا فقد سارت خلف خطى النمسا.

ان تشكيل جبهة تضم كل من روسيا وبروسيا والنمسا لم يخدم مصلحة المحفل الاوربي. ولكي يتجنب مؤتمر تروبا تمزق وحدة الصف ضغطت روسيا والنمسا على انكلترا وفرنسا من اجل كسب تأييدهما لمبدأ التدخل. ولكن كاسلريه اعترض على الدمج بين قضيتين متباينتين. فالثورة في اسبانيا انما هي حدث داخلي يخص اسبانيا في حين ان ثورة نابولي ذات مساس مباشر بالنمسا اذ انها تقع ضمن مصالحها. واذا ارتأت النمسا ان تأخذ اجراءات معينة فان ذلك ينبغي ان لا يكون تحت غطاء المحفل الاوربي. هذا من جهة، اما من جهة اخرى فان انكلترا لن ترفض اتخاذ اجراءات ما في وجه الثورة المفسدة للاستقرار في اوربا الا انها لن ترتبط بسياسة يصوغها وينفذها مؤتمر ذو طابع اوربي.

لم يتردد المجتمعون عند تروباو امام تخلف انكلترا وسلبية فرنسا ،بل اصدروا برتكول تروباو وفي ١٥ تشرين الثاني ١٨٢٠.وقد عمم المؤتمر على بلاطات الدول الاوربية مذكرة في ٨ كانون الاول ١٨٢٠ شرح فيها ماجرى في المؤتمر. واكدت المذكرة على ان اللقاء كان تحت شعار الوحدة التي انطوت عليها قرارات مؤتمر فينا والحلف الرباعي والتي انقذت اوربا من آثار الثورة. وقد تأملت الدول المجتمعة في الاجراءات المشتركة لمواجهة الانتفاضة. وايقنت ان ضرورة تنفيذ تلك الاجراءات تصبح اكثر الحاحا عندما تهدد مخاطر الثورة الدول الاخرى. واشارت المذكرة إلى ان برتكول تروباو لا ينطوي على رغبة في الغزو او التداخل من جانب الدول الثلاث الموقعة.

لقد آل برتكول تروباو إلى امتعاض حكومة انكلترا. وكما اعرب كاسلريه في مقابلة له مع الامير ليفن، السفير الروسي الى لندن بانه لم يستطع فهم مقصد البرتكول. فهل كان اساسا للعمل او لحلف ام انه كان تفهم مشترك

للدول الثلاث بشأن الاوضاع الاوربية السائدة انذاك؟ فان كان الامر الاول هو المقصد فان ذلك يعني ايجاد نظام جديد يبطل التراتيب القائمة. ثم ان البرتكول يجيز لتلك الدول حق التدخل في شؤونها في حين ان مؤتمر فينا وما لحقته من تراتيب جاءت لتصون لتلك الدول امنها. وامر كهذا محفوف بالمخاطر. فدول البرتكول في وسعها ان تجد الاعذار للتدخل. ان موقف انكلترا لم يكن صدى لدعمها للثورة. على العكس من ذلك فقد قامت حكومة المحافظين باجراءات لكبح الهيجان العام والاحتجاجات السياسية والاجتماعية. الا انها خشيت من القواعد التي يستند عليها اجراء اوربي كالذي انطوى عليه البرتكول. اذ ان هذا سيكون بمثابة قانون دولي بين الامم لم تجمع عليه بقية الدول. وقد أثار كاسلريه مسألة الاضطرابات في اسبانيا واحتمال طلب ملكها من دول برتكول تروباو التدخل. ففي هذه الحالة ستتأثر مصالح بريطانيا لان فرنسا هي الدولة الاكثر حرصا على التدخل في اسبانيا.

وهكذا تصدع جدار المحفل الاوربي واسلوب نظام دولي اوربي للاشراف على ابقاء النظم التقليدية. ولكي يتحاشى الكسند ومترنخ هذه النتيجة حاولا ترقيع الامور بان طلبا من فيردناند ملك نابولي الحضور للتداول في الامر في مؤتمر هو في الواقع امتداد الى تروباو. وعليه فقد قررت الاطراف المعنية عقد مؤتمر عند لايباخ في مطلع عام ١٨٢١. ولكن تطور الاحداث في نابولي زاد من الامور تعقيدا. فقد حاولت الحكومة الليبرالية اعاقة محاولات الملك للتفاوض مع مؤتمر لايباخ، الا ان اعطاءه الوعود باحترام دستور ١٨١٢ سهلت له موافقة البرلمان على السفر. ولكن حالما ترك نابولي اعلن رفضه وتنصله للتعهدات التي قطعها على نفسه وطلب من المؤتمر ارجاعه إلى حكمه. فأجاز المؤتمر النمسا لتنفيذ ذلك. وفي ٦ شباط ١٩٢١ عبرت القوات النمساوية نهر البو.

لم تكن النمسا على اهبة الاستعداد حالها حال جيش نابولي. ولكن استطاعت خلال اشهر من دحر نابولي وارجاع فيردناند إلى عرشه. وفيما كانت القوات النمساوية في ايطاليا طرأت احداث ثورية في بيدمونت في آذار ١٨٢١. وطالب الاحرار من الملك الموافقة على دستور شبيه بدستور اسبانيا ١٨١٢ وكذلك اعلان الحرب على النمسا. الا ان الملك تردد في موقفه. وذلك لان حربا اهلية كانت ستقوم في بلاده اذا رفض الدستور كما انه اذا اقر الدستور سيدفع بدول برتكول تروباو إلى التدخل. لذلك تنازل عن العرش لصالح شارل البرت الذي وافق على منح البيدمونتيين دستورا ولكنه عدل عن ذلك فيما بعد. فحدثت حرب بين الملكيين والثوار. وكانت النتيجة تدخلا نمساويا على غرار تدخلها في نابولي. وانتصرت النمسا بفضل مترنخ في بسط نظامها على ايطاليا ومنه على اوربا. وعلى الرغم من ان انكلترا تصدت لمؤتمر تروباو ومؤتمر لايباخ الا ان موقفها في واقع الحال انطوى على تأييد ضمني.

المبحث الثالث

مؤتمر فيرونا

في آذار ١٨٢١ استقبل مؤتمر لايباخ أنباء الانتفاضة في مقاطعات الدانوب ضد الحكم العثماني .وكانت مستهل تطورات لاحقة في علاقة الدولة العثمانية بالاقاليم التي تحكمها في اوربا والتي عرفت بالمسألة الشرقية .وكانت هذه القضية من الامور الشديدة التعقيد والتي أثرت على العلاقات الاوربية من عدة نواحي .

لم تكن الدولة العثمانية من أطراف مؤتمر فينا ولم تشترك في مداولات المحفل الاوربي عند اكس – لا – شابل وتروباو ولايباخ. ولكن استثناءها لم يكن نتيجة اغفال الدول العظمى لاهمية الدولة العثمانية وانما لانها لم تسهم في توازن القوى الاوربي بصورة مباشرة، ولكونها مجال مصالح متضاربة للدول الكبرى وعلى الاخص روسيا وانكلترا. ورغم أن الدولة العثمانية لم توقع على برتكول تروباو الا أنها في ضوء احداث الدانوب والثورة في اليونان اصبحت ذات مساس مباشر بالمبدأ الاساس الذي انطوى عليه البرتكول . فتلك الاحداث كانت من دون شك تحدي للشرعية كمبدأ أما انها حصلت في دولة غير مسيحية ولا يربطها بالحلف المقدس رباط ديني أو لانها لم تنتم إلى الحلف الرباعي فهذه قضايا لاتبدل صورة الحال. فمبدأ الشرعية كان في نظر اطراف برتكول تروباو هو صلب الاستقرار والامن في اوربا . وان انتهاكه في دولة ماسوف يبحث على شيوعه في بقية الاقاليم. وعلى هذا الاساس خولت اطراف برتكول تروباو نفسها حق التدخل بالقوة اذا دعت الحاجة .وهذا ماحدث بالفعل في ايطاليا .

لقد تأثرت علاقات الدول الكبرى بشأن المسألة الشرقية باعتبارات متضادة احيانا ومتطابقة في احايين أخرى. وكانت روسيا من أكثر الدول الاوربيه تأثراً بتطورات الثورة في اليونان واقاليم الدانوب. وقد تظافرت جملة عوامل

على تحديد الموقف الروسي . فمن جهة كانت روسيا متعاطفة دينيا مع الارثدوكس التابعين للدولة العثمانية وكانت تتستر وراء هذا الاهتمام الذي اتصف به الكسندر قيصر روسيا واقرته بلاطات اوربا كي تنقل ثقلها إلى المناطق السلافية وإلى الممرات. وكانت مسألة الممرات تزداد اهمية بالنسبة لروسيا وذلك لان صادرات روسيا من الحبوب من ميناء اوديسا على البحر الاسود كانت في ارتفاع مطرد . اضف إلى ذلك أن السفن التجارية التي كانت تنقل الحبوب من روسيا كانت تعود إلى اليونانيين فعندما شددت الدولة العثمانية على التجارة عبر الممرات تأثرت تجارة الحبوب الروسية مباشرة .

ومع ذلك كله لم يكن الكسندر متلهفاً للحرب ضد الدولة العثمانية دفاعاً عن الثوار اليونانيين .وكانت مهمة الابقاء على الاستقرار والامن الاوربي وفقاً لروح برتكول تروباو الكابح الرئيس الذي منع روسيا من الدخول في حرب مع الدولة العثمانية .ولكن قيصر روسيا لم يدع المبادرة تفلت من يديه فقد اقترح في بداية ١٨٢٢ عقد مؤتمر بين روسيا والنمسا وانكلترا للتداول بشأن مسألة اليونان الا أن الدولتين ترددتا في تلبية دعوة روسيا خشية تعاظم نفوذ روسيا في منطقة البلقان . وبالاضافة إلى ذلك فقد مارست فينا ولندن ضغوطاً على الكسندر من أجل تجنب اندلاع مجابهة اوربية بسبب المسألة الشرقية . فالنمسا كانت قلقة من الثورة في البلقان الا انها اطمأنت إلى أن ، مصير الثورة في اليونان سيؤول الى الفشل على يد الاتراك لذا حبذت ترك الامور من دون تدخل اوربي لصالح الثوار ضد مبدأ الشرعية . أما انكلترا فكانت هي الاخرى غير راغبة في مجابهة اوربية وبالتالي عزز اللورد كاسلريه موقف مترنخ طالباً من الكسندر التوصل الى السبل السياسية لتسوية العلاقات الروسية ـ العثمانية التي تدهورت وشارفت على الحرب بسبب المسألة الشرقية وهكذا أرجأت روسيا حربها مع الدولة العثمانية بعد أن لم تلق تأييدا من بقية أعضاء المحفل الاوربي . الا أنها نالت بعض التنازلات من الدولة العثمانية

فبفضل دبلوماسية مترنخ وتاييد كاسلريه وافق الباب العالي على اخلاء اقاليم الدانوب وارخاء القيود على التجارة الروسية عبر المضايق.

في حزيران ١٨٢٢ وافق قيصر روسيا على حضور مؤتمر مع كاسلريه ومترنخ للتداول في المسألة الشرقية .وكان مترنخ يتطلع ايضاً إلى لقاء مع الملك جورج الرابع وكاسلريه. الا أن انتحار كاسلريه في آب جاء خيبة امل كبيرة لمترنخ. فقد كان كاسلريه في الواقع ميالا إلى مبدأ التدخل رغم أنه لم يمنح تأييده لمترنخ. ولذلك فقد كان موقف انكلترا متحفظاً وليس معاديا ثم أن تولي كاننك لوزارة الخارجية اسبغ على موقف انكلترا من المحفل الاوربي هوية تختلف من حيث التأكيد عن سياسة كاسلريه.وقد كتب كاسلريه قبل وفاته إلى الملك جورج الرابع قائلا : « سيدي ينبغي توديع اوربا ، فانت وانا عرفا اوربا وانقذاها . وليس هناك من أحد بعدي يفهم شؤون القارة » (١).

عندما انفض مؤتمر لايباخ كان قد قرر عقد مؤتمر في فيرونا. وفي تشرين الاول ١٨٢٢ ابتدأ المؤتمر مداولاته .وكانت الشؤون الاوربية منصبة على المسألة الشرقية وعلى أحداث اسبانيا . ولكن بفضل تحركات مترنخ الدبلوماسية وضعت ملفة المسألة الشرقية على الرف. وانحصر الاهتمام على اسبانيا .وبصدد هذه المسألة بالذات تعمقت شقوق جدران المحفل الاوربي..

لقد اولت فرنسا اهتماماً كبيراً للاحداث في اسبانيا ، وكانت من أحرص الدول الاوربية على اتخاذ موقف بصدد الثورة في اسبانيا. ولكن لم يكن الرأي السائد في فرنسا قد اجمع عليه . فالجيش كان تواقاً الى عمل يعيد اليه سمعته التي صاحبته عندما احتل اسبانيا تحت راية الثورة الفرنسية وقيادة نابليون ، والممولون والبرجوازيون كانوا أيضاً راغبين في حملة ضد اسبانيا

(1) Henry A. Kissinger, A World Restored, Metternich, Castlereagh and the Problem of peace 1812–1822, Cambridge. Mass., 1957, P.311.

ويضاف إلى هؤلاء العناصر الرجعية التي تمكنت من تعزيز قبضتها على لويس الثامن عشر. غير أن مشروع فرنسا في اسبانيا اعترضته معوقات سياسية على مستوى المحفل الاوربي وعلى مستوى العلاقات مع انكلترا .

في ٢٠ تشرين الاول افتتح المؤتمر مداولاته . وكان ويلنكتن ممثلا عن انكلترا وقد حددت لندن حرية حركته . فمبدأ التدخل الذي مارسته النمسا ضد مملكة نابولي لم يلق التأييد عند كاننك الذي ساند حق « اية أمة في تغيير أو تعديل مؤسساتها الداخلية » (١). ثم أن انكلترا كانت تخشى على تجارتها مع دول اوربا اللاتينية التي استقلت من التاج الاسباني ابان الثورة. فمالاشك فيه أن اعادة الملكية إلى اسبانيا لم يكن مقتصرا على اسبانيا وانما كان سيمتد في أثره إلى مستعمراتها ،ومن هذه الزاوية كانت مواقف الولايات المتحدة وانكلترا متقاربة فخيمت على نتائج مؤتمر فيرونا والمحفل الاوربي.

لقد طلبت فرنسا من دول المحفل تأييدها في حالة لجوءها إلى القوة المسلحة لارجاع ملك اسبانيا إلى عرشه. وهنا تباينت المواقف . ففي الوقت الذي عرضت كل من روسيا والنمسا وبروسيا مساندتها لفرنسا امتنعت انكلترا عن ذلك . بل حتى أن ممثل انكلترا اعترض على تقديم احتجاج ومطاليب إلى حكومة الثوار في مدريد باسم المؤتمر .وعندما قررت بقية الدول انذار مدريد انسحب الممثل الانكليزي .

ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد. اذ شاعت الاراء المتناقضة بين مؤيدي فرنسا بشأن العمل الذي سيقوم به المؤتمر. فقد كان امام المؤتمر فيرونا حلان. احدهما ان يقوم المؤتمر بتدخل جماعي وثانيهما ان يوكل إلى فرنسا تنفيذ ذلك، كما كان الحال في ايطاليا عندما تدخلت النمسا. وقد طالبت روسيا بان ترسل جنودها عبر المانيا وفرنسا إلى اسبانيا. الا ان مترنخ وفرنسا

(1) Canning to Sir DWilliam A Court, in H. Temperley, the Foreign Policy of Canning, 1812–1827, Frank Cass and com., London, 1966, P. 540.

لم تحبذا اجراء كهذا. وسعى مترنخ الى افشال المشروع بترويجه معارضة انكلترا. وجنح المؤتمر إلى فكرة تدخل فرنسي.

وقد سعت دول برتكول تروباو الى ممارسة الضغوط الدبلوماسية على اسبانيا. فتقدمت باحتجاج جماعي وانذرت بسحب سفرائها من مدريد اذا لم تذعن حكومة الثوار إلى الشرعية. وعلى الرغم من ان انكلترا لم تنضم إلى هذه الخطوة فقد نفذت تلك الدول تهديدها وسحبت سفرائها. وبعد ذلك اخذت فرنسا تهيء الوضع للتدخل وقد سبقت وان حشدت ما يقارب ١٠٠ الف جندي. وكانت انكلترا لا ترغب في تدخل فرنسي في اسبانيا من جهة، ولم تكن ترغب ايضا في صده عسكريا من جهة اخرى.

في نيسان ١٨٢٣ عبرت القوات الفرنسية الى اسبانيا. وبعد بضعة اشهر تمكنت من اسقاط الكورتس واعادة الملك الى عرشه التقليدي. غير ان قضية اسبانيا لم تحسم باحقاق الشرعية. فقد كانت مسألة المستعمرات الاسبانية هي الاخرى موضع خلاف بين الدول الاوربية ويضاف اليها الولايات المتحدة. لقد ارادت فرنسا ارجاع سلطان الملك على مستعمرات اسبانيا في العالم الجديد وامريكا الجنوبية واقامة مملكات يوضع على عروشها امراء فرنسيون. ثم ان فرنسا نظرت إلى المسألة من زاوية الخلافات والمنافسة السياسية والتجارية بينها وبين انكلترا. ولقد وجدت فرنسا في موقف روسيا مؤيد فالكسندر الاول كان من المطالبين بارجاع المستعمرات الاسبانية إلى حضيرة الشرعية وذلك لتمسكه بالمبدأ اولا وللتنافس مع انكلترا.

وبتشجيع من فرنسا دعا ملك اسبانيا في كانون الاول ١٨٢٣ إلى عقد مؤتمر اوربي للتداول في مسألة ارجاع سيطرة اسبانيا على مستعمراتها. وقد تجاوبت دول المحفل الاوربي باستثناء انكلترا. التي سبق وان اعلمت الحكومة الفرنسية بانها لن تستطيع التغاضي عن تدخل فرنسي في مستعمرات اسبانيا. وقد اذعنت حكومة باريس لذلك. وكان لهذه الخطوة اثر في اخراج مبدأ مونرو إلى حيز الوجود.

ففي كانون الاول ١٨٢٣ بعث الرئيس الامريكي مونرو مذكرة إلى المحفل الاوربي انطوت على تحديد موقف الولايات المتحدة من تدخل الدول الاوربية في الامريكيتين باعتباره اجراء غير ودي. اي ان الولايات المتحدة اعلنت عن سياسة اقتصار امريكا على الامريكيين. وثمة امور حدت بالولايات المتحدة إلى تبني مبدأ مونرو.

فالولايات المتحدة الامريكية الحديثة الاستقلال والتي كانت في حرب مع بريطانيا وجدت نفسها تسير في سياسة متطابقة مع سياسة انكلترا في امريكا الجنوبية وكان لابد ان تأخذ الولايات المتحدة في حسبانها انها لن تكون قادرة على صد تدخل اوربي تقوم به دولة اوربية رئيسة. فقد كانت الولايات المتحدة ضعيفة بحريا. من هنا يتضح ان الولايات المتحدة احتمت بسياسة بريطانيا الاوربية التي انعكست على الامريكيتين لأن كاننك لم يكن من دعاة الحرب مع فرنسا لاخراجها من اسبانيا الا انه كان من دعاة توازن القوى.

ولكن كيف تحقق بريطانيا توازنا في القوى يعيد مصالحها؟ مما لاشك فيه أن دول المحفل الاوربي، باستثناء بريطانيا، كانت متقاربة المواقف. والدليل على ذلك هو ان تدخل النمسا في ايطاليا وتدخل فرنسا في اسبانيا؛ وموقف القيصر من البلقان كلها كانت تلقى تأييدا او تفهما في بقية الاطراف بعبارة اخرى ان توازن القوى في اوربا كان لا ينطبق ومفهوم بريطانيا له. انها كانت تنشد توازن قوى يخدم ويعزز مصالحها. ولذلك فقد شجعت بعض منها. وكما قال كاننك «انني استنجد بالعالم الجديد لاعادة الاستقامة إلى التوازن في العالم القديم» (١)

وهكذا فقد اجاز الغطاء البحري الذي تعهدت به بريطانيا للولايات المتحدة من مواجهة المحفل الاوربي. ولم تكن المصالح التجارية والسياسية الصرفة

(1) Canning's Speech in Commons on Portugal, in H. Temperley, op.cit. P 585.

هي المحرك الوحيد لموقف الولايات المتحدة . فمن جهة كانت الولايات المتحدة حديثة الاستقلال ومناصرة له وعلى الاخص النظام الجمهوري . وبتضافر معارضة بريطانيا للتدخل في الشؤون الداخلية باسم المحفل ، واعلان مبدأ مونرو تمكنت بريطانيـا من تقليص آثـار سياسة المحفل على العلاقات الاوربية .

المبحث الرابع

انحلال المحفل الاوربي واسباب ذلك

على الرغم من استرخاء حدة التوتر في العلاقات الروسية ـ التركية بصدد اليونان وأقاليم البلقان ، فقد كانت الدول الاوربية الكبرى تشكك في نوايا روسيا ازاء ممتلكات الدولة العثمانية والبحر الابيض المتوسط . فبعد اجتماع عقد مع فرانسيس الثاني امبراطور النمسا عند سيرنويتز وافق الكسندر في نهاية ١٨٢٣ على ارسال ممثل روسيا إلى اسطنبول بعد أن كان قد سحب من هناك . كما أنه اخذ بفكرة التشاور مع حلفائه الاوربيين قبل أن يشرع باى عمل بصدد المسألة اليونانية . ولكن الكسندر مارس ضغوطاً دبلوماسية على الدول الاوربية لاتخاذ مواقف صارمة ازاء الدولة العثمانية. ففي مطلع ١٨٢٤ اقترحت الحكومة الروسية اقامة أقاليم يونانية ذات حكم ذاتي . وحاولت عقد مؤتمر اوربي لمعالجة القضية. لكن بريطانيا ترددت في تلبية الدعوةخشية من تمكن روسيا من فرض نفوذها على البلقان . وتحججت بان العلاقات التركية ـ الروسية ينبغي أن تعاد إلى حالتها الاعتيادية كشرط لحضور المؤتمر في حزيران ١٨٢٤ عقد المؤتمر الاوربي للتداول في مسألة اليونان . لكن تصلب اليونانيين في المطالبة بالاستقلال ورفض الاتراك لفكرة الحكم الذاتي واخفاق المفاوضات الجانبية بين تركيا وروسيا عن سبيل الممثل البريطاني في اسطنبول وتردد الدول الكبرى وعلى الاخص بريطانيا في تأييد الكسندر يضاف إلى ذلك عجز روسيا عن التحرك بمفردها في البلقان كل هذه الامور آلت إلى اخفاق المؤتمر الاوربي بشأن اليونان .

لكن الجهود لايجاد حل للقضية تقوضت الآن بالانزال العثماني بزعامة ابراهيم الذي قاد جيشاً مصريا إلى موريا . وفي شباط ١٨٢٥ حققت قوات ابراهيم بعض الانتصارات في جنوب اليونان . أما على الصعيد الدبلوماسي فقد دعت روسيا الى مؤتمر في بطرس برغ وحضره ممثلون عن النمساوبروسيا

وفرنسا وامتنعت بريطانيا عن الحضور . وكان لغياب بريطانيا أثر في تعطيل مداولات المؤتمر وعدم توصله إلى قرارات حاسمة . ففي نيسان من تلك السنة اصدر مؤتمر بطرس برغ برتكولا ليس بذي شأن سوى أنه انطوى على دعوة للتوسط بين الاتراك واليونانيين . وهكذا ذهبت جهود روسيا سدى في مجال توحيد الصف الاوربي في عمل مشترك ازاء الدولة العثمانية .

لقد سادت في بطرس برغ مشاعر الخيبة . وكان الكسندر يضع اللوم على بريطانيا . ولعله كان على حق في ذلك . فحلفاؤه الاوربيون كانوا منقسمين على أنفسهم ، ولذلك تستروا وراء التردد البريطاني لانقاذ أنفسهم والتخلص من اتخاذ سياسة صارمة تخرج روسيا منها كاسبة . فمترنخ كان يخشى من استفحال النفوذ الروسي في البلقان ومن تخلخل توازن القوى في المنطقة. وكان في ذلك مضار فادحة على النمسا . فهي قوة لها مصالح جمة في حوض الدانوب أما فرنسا فكانت قوة لايعتمد عليها في هذا الجزء من العالم . وبروسيا كانت ليست بذات شأن كبير في موازين القوى الاوربية .

في آب ١٨٢٥ انعطف الموقف الروسي نحو تأييد الاجراءات الفردية . فقد أعرب الكسندر عن رغبته في زيارة جنوب روسيا والتطلع على الموقف في البحر الاسود بعد تضرر تجارة الحبوب بسبب أحداث اليونان . وكذلك وزعت بطرس برغ مذكرة الى العواصم الاوربية الكبرى أشارت فيها الى أن روسيا مازالت تناشد الدول الاوربية في اتخاذ موقف صارم لكن تلك الدول لم تتجاوب معها . وقد نوهت المذكرة ايضاً الى أن روسيا سوف ترعى من الآن مصالحها القومية من دون التوسل الى الاجماع الاوربي عبر المؤتمرات .

في الحقيقة ، ان الكسندر كان قد ايقن في حدود ١٨٢٥ أن الدول الاوربية لاتجتمع معه بشأن الاشراف على العلاقات الاوربية كما فهمها وتصورها بنفسه . ففي الوقت الذي قدم فيه المساعدة إلى فينا وإلى باريس لمعالجة شؤون ايطاليا واسبانيا علماً منه أن ذلك كان يجري طبقاً لروح المحفل الاوربي والرخاء الديني الذي كان عصب الحلف المقدس ، كانت الدول الاوربية

الاخرى ترى أن محاولات الكسندر لاتعدى بسط نفوذ روسيا على البلقان وبالتالي كان ينبغي أن تمع روسيا من تحقيق ذلك .

لكن اندفاع روسيا للعمل بمفردها لم يكن من مصلحة الدول الاوربية أيضاً . وكانت بريطانيا من أكثر الدول الاوربية قلقاً على مصير الدولة العثمانية . فحرب روسية – تركية لايمكن ان تستثنى بريطانيا وذلك لما سيترتب على انتصار روسيا في حرب كهذه من آثار سلبية على الشرق الادنى والبحر الابيض المتوسط. بعبارة أخرى ان التوازن الاوربي كان سيجنح لصالح روسيا. وفي ضوء هذه الحقيقة كانت بريطانية تتقرب من روسيا أملاً في تحقيق تفاهم ثنائي يستند إلى تعاون مشترك في مسألة اليونان . وكان كاننك قد اتخذ جملة خطوات في هذا الاتجاه . فقد بعث إلى اسطنبول ستافورد كاننك، ابن عمه ، ليقوم بدور الوسيط بين تركيا وروسيا . ومن جهة أخرى بعث اللورد ويلنكتن إلى بطرس برغ للتباحث مع الحكومة الروسية من أجل التوصل إلى تفاهم . وكان السفير الروسي لدى لندن الامير ليفين قد اخبر حكومته بان ثمة اتفاق يمكن تحقيقه . وفي نيسان ١٨٢٦ وقعت كل من روسيا وبريطانيا برتكولا انطوى على جملة امور هامة . فقد نص البرتكول على أن تقوم بريطانيا في التوسط بين الترك واليونانيين وان لايبطل العمل بالبرتكول حتى في حالة وقوع حرب بين الدولة العثمانية وروسيا . كما أن بريطانيا وروسيا تعهدتا بالتدخل سوية و على انفراد بين الباب العالي والمواطنين اليونانيين عند الضرورة وقد عزمت الدولتان على اعلام القوى الاوربية الكبرى الاخرى (١) .

لم يكن موقف الدول الاوربية الكبرى مرحبا بالبرتكول الروسي – الانكليزي . بل حتى ان انكلترا رأت في البرتكول الذي توصل إليه ويلنكتن آثار سلبية وعلى الاخص المادة الثالثة التي لا تجيز تعطيل البرتكول رغم حالة الحرب بين روسيا والدولة العثمانية . كما ان توجهات نيقولا الاول،

---

(1) M.S. Anderson, the Eastern Question 1774–1923 A Study in International Relations, Macmillan, London, 1966, P. 65

الذي خلف الكسندر في كانون الاول ١٨٢٥ كانت نحو الحرب مع تركيا . ولقد رفض مترنخ الانضمام إلى اجراء لارغام الدولة العثمانية على سياسة معينة في المسألة اليونانية . في حين حذت بروسيا حذو النمسا . اما فرنسا فان شارل العاشر حبذ فكرة إجراء مشترك حتى وان كان عسكريا شريطة ان يصبح البرتكول الروسي — الانكليزي اتفاقية ثلاثية . وكان موقف فرنسا متأثرا باعتبارين . الاول ان شارل العاشر اخذ بفكرة الحرب المقدسة ضد الدولة العثمانية الاسلامية، والثاني هو ان فرنسا كانت ترغب في تحسين العلاقات الفرنسية — الانكليزية . وفي تموز ١٨٢٧ عقدت اتفاقية لندن بين روسيا ووبريطانيا وفرنسا . وهكذا فبعد ما كانت فرنسا قد تدخلت في اسبانيا لاخماد جذوة الثورة على النظام التقليدي ، اصبحت الان من انصار الثورة في اليونان . في حين اخفقت مساعي كاننك في كسب تأييد النمسا وبروسيا لسياسة التدخل في الدولة العثمانية في حالة رفض الباب العالي للوساطة الانكليزية . ولقد انطوت اتفاقية لندن على بنود سرية نصت على ان يعرض على الاتراك واليونانيين هدنة وتعهدت الدول الموقعة باتخاذ اجراءات بحرية لغرض حصار على قوات ابراهيم باشا في موريا. وقد صدرت الاوامر إلى الاسطولين الانكليزي والفرنسي بهذا الشأن .

ومن جهة اخرى تنشطت جهود النمسا لحسم النزاع التركي — اليوناني بالطرق الدبلوماسية. فقد كان مترنيخ مناهضا لتمرد اليونانيين على شرعية الحكم العثماني، كما انه كان شديد القلق على انتشار النفوذ الروسي في اقاليم البلقان . وفي تشرين الاول ١٨٢٧ تقدمت فينا بوساطتها إلى الباب العالي . لكن الاحداث في مياه بحر ايجة كانت تسير في اتجاه معاكس . ففي ايلول بلغت السفن الحربية المصرية ميناء نفارينو . وعلى اثرها وصلت السفن الانكليزية والفرنسية والروسية . وجرت مفاوضات بشأن انسحاب المصريين من دون مجابهة . ولكن الاوامر كانت بيد السلطان محمود الثاني . وبسبب حوادث محلية استغلها الاسطول الانكليزي وحلفاؤه حطمت السفن المصرية —

التركية في ٢٠ تشرين الاول عند نفارينو . وكان محمد علي قد المح قبل موقعة نفارينو إلى استعداده على الانسحاب في مقابل تعزيز نفوذه في سوريا والحجاز . لكن ذلك لم يتحقق.

لقد انعكست هزيمة الاسطول التركي – المصري عند نفارينو على العلاقات الاوربية بين الدول الكبرى . فالنمسا رأت ان حربا روسية على الدولة العثمانية سيجعل اقاليم البلقان تحت النفوذ الروسي ، وكذلك فان الاضطرابات هناك ستنتشر إلى جميع اوربا . لذلك فقد كانت النمسا على استعداد لارسال قواتها لنصرة تركيا . اما الحكومة البريطانية فقد أملت في التوفيق بين النتائج السلبية لمعركة نفارينو وبين الحفاظ على علاقات ودية مع الباب العالي . غير ان هذه المحاولات آلت إلى مواقف مترددة من جانب بريطانيا . فمن الواضح ان روسيا لم تكن قادرة على خوض حرب بحرية ضد الدولة العثمانية من دون ان تؤمن لنفسها حياد انكلترا وفرنسا . كما انها لم تكن قادرة على خوض حرب برية ضد الدولة العثمانية من دون ان تؤمن حياد النمسا . وكان هذان المطلبان عسيرين على روسيا. وهكذا فان تردد انكلترا شجع التيار المتشدد في روسيا ، بل وانه دفع بالمسألة اليونانية إلى المرتبة الثانية في العلاقات الاوربية اذ اصبحت العلاقات التركية – الروسية عصب المسألة . فالروس حبذوا استثمار نفارينو لتسوية حساباتهم مع الترك . وقد طالبوا حلفاءهم بفرض شروط على الدولة العثمانية من بينها الجلاء عن اليونان. كما ان الاسطول الروسي بدأ يعزز الجانب اليوناني عسكريا . لكن روسيا لم ترغب في خوض حرب ضد الدولة العثمانية بمفردها . وقد اظهرت الاراء الرسمية في بطرس برغ ان روسيا ينبغي ان لا تكون سببا في تفكيك الدولة العثمانية ، فوجود دولة ضعيفة لهو افضل بكثير من تقسيم الدولة العثمانية . فالدولة العثمانية الضعيفة ستكون حاجزا امام النفوذين البريطاني والروسي في البحر الابيض المتوسط والمضايق .

لقد كانت روسيا تطالب بتنفيذ ميثاق اكبر من الذي كانت الدولة العثمانية قد وقعته في تشرين الاول ١٨٢٦ ومنح روسيا مطاليبها في اقاليم الدانوب والملاحة في المضايق وتأجير بعض القلاع في سرقسيا. وعندما رفض الباب العالي الامتثال إلى هذه المطاليب بعد موقعة نفارينو تصلب موقف روسيا واتجهت نحو اسلوب النزاع المسلح مع الدولة العثمانية.

في ٢٦ نيسان ١٨٢٨ اعلن نيقولا الحرب على الدولة العثمانية. فبعد ما كانت بريطانيا وفرنسا تريدان من روسيا التعاون معها لحسم المسألة الشرقية اصبح الامر يتعلق بالدولتين الكبيرتين. ومما لاشك فيه ان سياسة الحكومة البريطانية تحملت قسطا من المسؤولية، اذ لم تضغط حكومة ويلنكتن على الباب العالي لقبول شروط تسوية معتدلة من جهة، ولم تظهر لروسيا رفضها تفرد روسيا في تمزيق الدولة العثمانية. وكانت هذه الازدواجية في الموقف متمثلة في خطاب الملك الانكليزي الذي اعرب فيه عن اسفه لحدوث اشتباك بحري مسلح مع حليف قديم وقد توقع الملك ان هذا الحدث لن يلحق ضرراً في الدولة العثمانية وان لا وتتبعه احداث حربية اخرى.

لم تكن مجريات الحرب الروسية – التركية لصالح روسيا في جميع المناطق. كما ان زحف الروس في اقاليم الدانوب اثار قلق الدول الكبرى. فالنمسا كانت تخشى من هيجان قوميات البلقان ولكي لا تعزل النمسا من التطورات في البلقان راودتها فكرة الاستلاء على صربيا. اي ان النمساويين لم يفكروا في اتاحة الفرص لروسيا لافساد التوازن بين النمسا وروسيا هنالك. وبالنتيجة فان احتراس روسيا في اثارة شعوب البلقان كان حصيلة احتمال قيام النمسا باحتلال الصرب. ومن الجهة الاخرى، فان فرنسا وبريطانيا عقدتا برتكولا في تموز ١٨٢٨ للقيام بعمل عسكري مشترك ضد ابراهيم باشا واخراجه من موريا. وفي آب انزلت فرنسا ١٤,٠٠٠ جندي عند خليج كورنث بعد ان انسحب ابراهيم باشا من نفارينو، وهكذا اصبحت الدولة العثمانية تواجه جيوشا روسية وفرنسية وضغوطا بحرية ودبلوماسية. ففي تشرين الثاني ١٨٢٨

وافق مؤتمر لندن على برتكول ، وضعت بموجبه موريا والجزر المحاذية تحت حماية الدول الكبرى . وكانت الدول الكبرى غير مجمعة على مصير اليونان . فمترنخ كان قد ايقن ان اعادة النظام القديم إلى اليونان اصبح امراً مستحيلا ، في الوقت الذي كان يرى أن اقامة دولة تابعة سيتيح اسبابا للتدخل في شؤون الدولة العثمانية ويجعل الاوضاع الاوربية مضطربة . اما ويلنكتن فقد اصبح من انصار استقلال اليونان عن الدولة العثمانية . وفي ٢٢ آذار ١٨٢٩ وقعت الدول الكبرى على برتكول جاء فيه ان اليونان ستصبح دولة مستقلة يحكمها امير تختاره الدول الكبرى وان حدودها في خليج ارتا في الساحل الغربي إلى خليج فولو في الشرق.

لقد حقق الروس تقدما عسكريا في النصف الثاني من ١٨٢٨ . فقد اكتسحوا البلقان . واصبح الطريق مفتوحا امام الروس لبلوغ اسطنبول عسكريا وفي مناخ مضطرب داخليا وانتصارات روسية بالغ الاتراك في اهميتها، ونتيجة لضغوط بريطانيا وفرنسا ، لم تنفع سياسة التريث لحين حصول خلافات بين الدول الكبرى تفيد الدولة العثمانية وتقيها من تقديم تنازلات كبيرة . أضف إلى ذلك ان الاتراك استهانوا باهمية المواصلات. فقد كان الجيش الروسي يعاني من صعوبات جمة كان بامكان الاتراك استثمارها . ولكن شيئا من هذا لم يحصل .

في ١٤ أيلول ١٨٢٩ وقعت تركيا صلح ادرنه . ولقد نالت روسيا عوض على اراضي في اسيا واوربا. فقد اخذت جورجيا وشرق ارمينيا . كما انها حققت لاقاليم الدانوب كيانات اتاحت لروسيا نفوذا لم يكن له مثيل في السابق. واكد الصلح على حقوق الملاحة لروسيا في الدانوب والمضايق .
اما قضية اليونان فقد ارجئت إلى مؤتمر اوربي في لندن . وفي شباط ١٨٣٠ وافق مؤتمر لندن على ان تكون اليونان دولة مستقلة عن تركيا .



الفصل الثالث

ظهور المبادىء السياسية في اوربا

١٨١٥ — ١٨٤٨

بعد سقوط نابليون كانت الرغبة عامة في السلام . حقق التسوية السلمية في ١٨١٥ المحافظون في الدول الكبرى المنتصرة بريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا ولذلك تمتعوا بشعبية واسعة خلال خمس عشرة سنة بعد ذلك، وكانت فترة ١٨١٥ — ١٨٣٠ فترة محافظة .

كانت بريطانيا أكثر اعداء الثورة الفرنسية ونابليون اصرارا ومثابرة وقد ساند الساسة البريطانيون والاموال البريطانية كل ائتلاف اوربي ، وطردت الاسلحة البريطانية الجيوش الفرنسية من أسبانيا وهزمت نابليون اخر الامر في واترلو .

ومع ذلك كان من الصعب أن تخرج بريطانيا منتصرة لولا اختلاف روسيا مع نابليون سنة ١٨١٢، وموقف النمسا الحاسم عشية « معركة الامم» في ١٨١٣ . كانت قوى هذه الدول بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا مجتمعة هي التي قضت حتماً على الامبراطورية النابليونية . ولذلك كان من حق هذه الدول مبدئياً أن تدير التسوية السلمية .

كانت حكومة بريطانيا حينذاك محافظة وراغبة بصفة خاصة في المحافظة على النظم التقليدية في الداخل والخارج ضد أي احتمال لتكرر الهجمات الثورية ضدها . وبالرغم من أن الملكية البريطانية كانت مقيدة فانها كانت مستعدة للتعاون من أجل الاهداف المحافظة المشتركة مع الملكيات المطلقة في القارة الاوربية .

كانت النمسا وبروسيا يحكمها المحافظون (الرجعيون) . وكانت روسيا يحكمها قيصر أظهر اعتناقه لبعض المبادىء الحرة ، ولكن قيصرها الكسندر كان غير مستقر بصورة واضحة وربما استخدم الاتجاهات الحرة ذريعة للطموح والعدوان الروسيين .

عصر مترنخ

كان مترنخ مستشار النمسا أقوى شخصية سياسية في اوربا خلال فترة ١٨١٥ ـ ١٨٤٨، وكانت مبادئه السياسية المحافظة (بل الرجعية) هي السائدة ، بوجه عام ، في اوربا . لذلك اطلق بعض المؤرخين اسم « عصر مترنخ » على تلك الفترة، كما اطلق بعضهم اسم « عصر نابليون » على الفترة التي سبقتها .

كان مترنخ واقعياً وكان عدوا لنابليون وللحركة الثورية التي نشرتها الامبراطورية النابليونية في اوربا . كان يريد اعادة السلام والنظام الاوربيين عن طريق اعادة التوازن الدولي . وكان يرى في التوسع الروسي تهديدا كبيراً لتوازن القوى الاوربية مثل التوسع الفرنسي . لذلك كانت سياسته من ١٨١٠ ـ ١٨١٣ أن يوقع بين نابليون والكسندر ، فرحب بالحرب التي نشبت بين نابلون والاسكندر في ١٨١٢، وحافظ على حالة الحياد المسلح وكان مستعدا لرمي ثقله إلى الجانب الذي قد يصبح في آخر الامر في مركز يسمح اعطاء النمسا أفضل الفوائد ، ولذلك صار تدخل النمسا العامل الحاسم في « معركة الامم» في تشرين الاول ١٨١٣. وفي حملة سنة ١٨١٤ انهارت امبراطورية نابليون وصارت النمسا ابرز دولة بين لحلفاء االمنصرين. وقد رحب الناس بمترنيخ باعتباره امهر سياسي في عصره واحترمه عاهلا روسيا روسيا وبروسا ، احتفى به تاليران لويس الثامن عشر ،وعندما زار انكلترا رحبوا به ترحيباً حادا . وقد عين اميرا وراثياً للامبراطورية النمساوية.

كان مترنخ يعلم حق العلم بانقسام اوربا بين الثوريين والرجعيين وبين اليسار واليمين .كان مترنخ رجعياً ومقتنعاً تمام الاقتناع في ١٨١٤ ــ ١٨١٥ بضرورة وجود امبراطورية نمساوية محافظة قوية كدعامة لاعادة توازن القوى اوربا وكسد منيع ضد قوى الثورة .

المبحث الاول

مبادىء المحافظين Conservatism

بعد سقوط نابليون انقسمت فرنسا حول ماجاءت به الثورة الفرنسية من الغاء الحقوق والامتيازات القديمة واخضاع الكنيسة وقطع الصلة بتقاليد الماضي اى الامور الاساسية في الحكم والمجتمع. وقد حدث الشيء نفسه في كل قطر تغلغلت فيه المبادىء الثورية اذ ظهر المؤيدون والمناوئون للفرديةو العلمانية والقومية والحرية والمساواة.

يمكن تقسيم الجماعات المتنافسة تقسيما مناسبا بتسميتها : المحافظين والاحرار. ولكن يجب ان نذكر ان هذه التسميات غير دقيقة وان هناك انواعا مختلفة من المحافظين وكذلك من الاحرار. فالجماعة الاولى تضم الرجعيين المتطرفين الذين ارادوا ارجاع كل شيء إلى ما كان عليه قبل ١٧٨٩. واشخاصاً آخرين، واكثرهم في بريطانيا ونحو ذلك في فرنسا، حاولوا المحافظة ضد التطرفات اليعقوبية والثورة الفرنسية واقامة نظام دستوري ينسجم مع التقاليد القومية مثل النظام البرلماني الارستقراطي في انكلترا او الملكية المقيدة التي حاولوا اقامتها في فرنسا في اوائل ايام الثورة الفرنسية.

كان تقسيم اوربا بين الحرية والمحافظة كما بدا سنة ١٨١٥ اجتماعيا وجغرافيا. فالملوك والامراء الذين عورضت سيادتهم، والنبلاء الذين صودرت اراضيهم وامتيازاتهم او هددت بالمصادرة، ورجال الدين الذين انتهكت عقائدهم او قلصت فعالياتهم فهؤلاء أعمدة ماقبل الثورة الفرنسية كانوا محافظين. أما طبقة الفلاحين التي تؤلف أكثرية شعوب القارة الساحقة. فكانت تتذبذب بين الاطراف المتنازعة كانت لاتزال تحترم سلطة الدولة والكنيسة ومتدينة باخلاص وتشك شكا فطريا بالتعابير اللطيفة على شفاه الاحرار لذلك كان من الممكن في بعض الاحيان والامكنة اعتبارهم محافظين. ولكن كان هناك وجه آخر مهم عارض فيه الفلاحون معارضة عنيدة وذلك هو تأييدهم لمنجزات الثورة الفرنسية الاجتماعية مثل الغاء الاقطاع والقنانة وبها نالوا أراضيهم .

من الناحية الجغرافية يلاحظ المرء على القارة الاوربية انه كلما اتجه غربا واقترب من فرنسا الثائرة يجد النسبة الاكبر من الاحرار ، وبعكس ذلك كلما اتجه شرقاً وابتعد عن فرنسا يجد النسبة الاكبر من المحافظين .

بعد عدة سنوات من سقوط نابليون مارس المحافظون في اوربا نفوذا كبيراً. وقد جدد الوطنيون ولاءهم للملوك الذين ترأسوا الانتفاضات القومية الكبيرة ضد نابليون . وقد انتعشت المسيحية بصورة واضحة ولاسيما الكنيسة الكاثوليكية . فوق كل شيء كان هناك فزع عام من اراقة الدماء والتعاسة التي سببتها الحروب الثورية والنابليونية .

المحافظون في بريطانيا

١٨١٥ — ١٨٣٠

في أواخر أيام حكم تشارلز الثاني في انكلترا انقسمت الطبقة الارستقراطية الحاكمة على نفسها : أيد بعض الارستقراطيين ، ولاسيما الارستقراطيين الزراعيين ملوكية تشارلز الثاني المطلقة ،وطالب بعض الارستقراطيين ولاسيما الارستقراطيين التجاريين ، بتقييد سلطة الملك . أطلق على انصار الملك اسم حزب التوري Tory وعلى خصومه اسم حزب الويك Whig . يمثل حزب التوري المحافظين ويمثل حـزب الويك الاحرار ، وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر صار يطلق على حزب التوري اسم حزب المحافظين Conservative party وعلى حزب الويك اسم حزب الاحرار liberal party .

في خلال فترة ١٨١٥ ـ ١٨٣٠ كانت الاتجاهات في بريطانيا تعني الحفاظ على نظم ومؤسسات الشعب البريطانية والسياسية والاجتماعية المعروفة في القرن الثامن عشر ولم تكن الملكية المطلقة من بينها، ولم يفكر المحافظون البريطانيون في اعادة الحكم المطلق الذي مارسه آل تيودور وآل ستوارت في في القرنين السادس عشر والسابع عشر (أي قبل الثورة المجيدة في ١٦٨٨) بل فكروا بالحفاظ على الملكية المقيدة والبرلمان الارستقراطي وطبقة النبلاء

الزراعية والكنيسة الرسمية (الانكليزية)والحريات التقليدية للفرد الانكليزي . ان الكفاح الطويل الذي قامت به بريطانيا ضد فرنسا الثورية والنابليونية وانتصر في النهاية ساعد على تقوية الاتجاهات المحافظة بين الجماهير الانكليزية ومكن البرلمان الارستقراطي من تشريع قوانين التسييج وقوانين الحبوب والتشريعات الاخرى التي زادت بالنفوذ الاقتصادي والسياسي للطبقات الحاكمة ذات الامتيازات .

من تلك الطبقات كانت جماعة المحافظين التي ادارت الحرب ضد فرنسا وكسبتها ، وقد ارتفعت مكانتها وهيبتها حتى أنها بقيت في الحكم بعض الوقت بعد ١٨١٥ محافظة على نظم ومؤسسات وتقاليد الماضي ومقاومة المطالبة بالتغيير . اشهر زعماء هذه الجماعة هم كاسلري وولنكتن والامير الوصي جورج الرابع. منذ سنة ١٨١١، حين اصيب الملك جورج الثالث بالجنون ثم بالعمى ، انتقلت سلطات العرش إلى ابنه الامير الوصي الذي أيد الاتجاهات المحافظة تأييدا كبيرا .

في ١٨٢٠ توفي جورج الثالث وتولى العرش جورج الرابع، وقد بقي هذا حتى وفاته في ١٨٣٠ من دعاة المحافظين البارزين وايده في ذلك كاسلريه وولنكتن . كان كاسلريه وزيراً لخارجية بريطانيا في وزارة اللورد لفربول (١٨١٢ — ١٨٢٧) من سنة ١٨١٢ حتى انتحاره في ١٨٢٢ وكان صاحب النفوذ الاكبر، ادار السياسة الخارجية وسيطر على مجلس العموم . أما ولنكتن فهو القائد الذي ساهم في دحر نابليون في واترلو، ولم يبرز في السياسة المدنية حتى الفترة التالية لوفاة كاسلريه ولكنه استغل سمعته ومكانته في مساندة قضية المحافظين .

الجماعة المعارضة للمحافظين في بريطانيا :

ظهرت عدة جماعات معارضة للاتجاهات المحافظة وتشريعات المحافظين الطبقية :

١ ـ **الراديكاليون** : وهم من أمثال كودوين Godwin واشهر مؤلفاته البحث عن العدالة السياسية The Enpuiry concerunig Political Justice (١٧٩٣) ، ومـنهم تومـاس بين Paine الـذي تأثر بتعالـيم الثوار الفرنسيين ، وجرمي بنثام Bentham الذي دعا إلى الحرية والديمقراطية . أيد هذه الجماعة صغار اصحاب الدكاكين والحرفيين. وظهرت الدعوة في كتابات بعض الرادكاليين المتطرفيين مثل شلي وبايرون، كما ظهرت في كتابات الصحفي وليم كوبت Coddett . هاجم الرادكاليون النظم القائمة ودعوا إلى الديمقراطية السياسية.

٢ ـ **الكاثوليك والبروستنت المنشقون** : كان الكاثوليك محرومين من الحقوق السياسية والمدنية. وعارض البروتستنت المنشقون عن الكنيسة الانكليزية دفع الضرائب من أجل الكنيسة الرسمية ومنعهم من المشاركة في الحياة العامة والدراسة الجامعية .

٣ ـ **رجال الصناعة من الطبقة الوسطى** : شرع هؤلاء باستعمال المكائن على نطاق واسع . تأثروا بأفكار جرمي بنثام السياسية ومبادىء آدم سمث الاقتصادية .

٤ ـ **العمال** : سبب استعمال المكائن الجديدة بطالتهم. قاموا باضطرابات ومحاولة تخريب وتدمير المكائن الجديدة وتدمير المعامل الجديدة. حاول العمال تخريب المكائن بوضع الاحذية القديمة داخلها، وقد سمى هذا تخريبا sabotage من كلمة حذاء في اللاتينية . استعمل هذا الاصلاح في القضايا السياسية.

تدابير المحافظين :

وافق البرلمان البريطاني المحافظ على التدابير الشديدة ضد الرادكالية. بعد محاولة اغتيال الامير الوصي في ١٨١٧ اعيد العمل بالقوانين التعسفية القمعية القديمة واوقف العمل بقانون الاحضار Hbeas Corpus الذي

يضمن حرية المساكن والتعجيل بتقديم المتهم إلى المحاكمة، وأعيد العمل بالاعتقال التعسفي والمعاقبة بصورة مؤقتة وقيدت حرية الصحافة. خشي الصحفي الراديكالي كوبت الاعتقال والسجن فأوقف جريدته السجل السياسي Political Register وأبحر إلى اميركا.

وفي سنة ١٨١٩ شرع البرلمان القوانين الستة :

١ – منع القانون الاول ممارسة التمارين العسكرية دون رخصة.

٢ – نص القانون الثاني على المحاكمة السريعة والعقوبة الشديدة ضد المجرمين.

٣ – خول القانون الثالث الحكام اصدار وثائق للتفتيش عن الاسلحة في البيوت الخاصة.

٤ – خول القانون الرابع مصادرة النشرات التي تدعو إلى المعارضة والالحاد ونفي كاتبيها.

٥ – نظم القانون الخامس وقيد حق الاجتماعات العامة.

٦ – أخضع القانون السادس كل المطبوعات التي لا تتجاوز صفحاتها العشرين لقانون الطوابع الخاص بالصحف، وهو قانون يوجب لصق طابع على الصحيفة لكي يزيد ثمنها ويقل الاقبال عليها.

لذلك قام عدد من الراديكاليين المتطرفين في لندن بتدبير مؤامرة كيتو Cato في ١٨٢٠ لاغتيال جميع اعضاء الوزارة، وقد اكتشفت المؤامرة وشنق خمسة من مدبريها.

المطالبة بالاصلاح :

انتعشت حركة المطالبة بالاصلاح وقويت الاتجاهات الحرة في بريطانيا مجدداً وعاد كوبت واعطى قوة جديدة للراديكاليين. ووجد الكاثوليك زعيما لهم وخطيباً مصقعاً في شخص دانييل اوكونيل O'connell . اما الطبقة الوسطى الصناعية التي زاد عددها فقد اشتدت مطالبتها بالتمثيل البرلماني

وبالتشريع المفيد للصناعة الآلية الجديدة وأيدتهم في ذلك الطبقات العاملة في المدن.

ومن جهة ثانية زادت الصعوبات الداخلية والفضائح ووصلت ذروتها في محاولة الطلاق بين جورج الرابع والملكة كارولين Caroline. وكانت آثار ونتائج هذه الصعوبات في مصلحة الاحرار. ثم انتحر كاسلريه في ١٨٢٢ وتحولت دفة الحكم المحافظ وقيادته إلى ايدي وزراء أصغر سناً وأقل تمسكا بالاوضاع القديمة. ومن اشهر هؤلاءجورج كاننكCanning وسير روبرت بيل Peel وكانوا أكثر اهتماما بالتجارة مما بالزراعة ولهم مصالح مع الصناعة الحديثة اكثر من مصالحهم مع الزراعة التقليدية، ولذلك كانوا على استعداد للاتفاق على حل وسط لمطالب الاحرار. مثال ذلك اكد كاننك وزير الخارجية بعد ١٨٢٢، لاسباب تجارية، على سياسة كاسلريه بعدم التعاون مع المحفل الاوربي في القضاء على الاتجاهات الحرة دوليا.

في اواخر ايام حكم جورج الرابع وافق البرلمان المحافظ على بعض قوانين الاصلاح، فحرر البروتستنت المنشقين من القيود السياسية (١٨٢٨) وسمح للكاثوليك بدخول البرلمان واكثر دوائر الحكومة (١٨٢٩).

المحافظون في فرنسا

١٨١٥ ـ ١٨٣٠

سادت الاتجاهات المحافظة في أكثر أقسام أوربا خلال السنوات التي تلت ١٨١٥ مباشرة وقصد بها المحافظة على ملوكية الحق الالهي المطلقة والمجتمع الطبقي ذي الامتيازات كما كانت قبل الثورة الفرنسية. ولكن الاتجاهات المحافظة التي تمثلت في بريطانيا وفرنسا تختلف قليلا. ففي فرنسا نجدها تضم بعض الرجعيين أنصار الحكم المطلق. وبهذا يتفقون مع الرجعيين في أوربا الوسطى والشرقية، ولكنها في الوقت نفسه ضمت عدداً كبيراً من

الأشخاص الميالين إلى روحية الحل الوسط والراغبين في المحافظة على نظام الحكم الدستوري وبعض الاصلاحات الأخرى التي اقترنت مع المرحلة الاولى من الثورة الفرنسية .

لم يفكر ملوك أوربا الذين استولوا على فرنسا سنة ١٨١٤ تفكيراً جدياً في اعادة الأحوال السياسية والاجتماعية كما كانت قبل الثورة. كان تاليران رجل الساعة في نظر الفرنسيين وكان يريد المحافظة على حدود بلاده ويعتقد أن مواطنيه لايريدون العودة إلى الملكية المطلقة. اتفق تاليران مع قيصر روسيا الكسندر الأول على اعادة آل بوربون إلى فرنسا باسم «الشرعية» بشرط أن يعترفوا باصلاحات الثورة الرئيسة، ووافقت الدول الكبرى على ذلك. وبموجب معاهدة باريس في مايس ١٨١٤ اتفق على أن تعود فرنسا إلى حدود سنة ١٧٩٢.
كان الوريث الشرعي للويس السادس عشر أخوه كرمنت بروفانس، وقد عاد إلى باريس مستخذاً لقب «لويس الثامن عشر ملك فرنسا بنعمة الله». اعتبر بداية حكمة سنة ١٧٩٥ أي منذ وفاة لويس السابع عشر بن لويس السادس عشر ، علم آل بوربون الأبيض بدلا من العلم الثوري المثلث الألوان. ثم منح الشعب دستوراً أكد على الحريات الثورية للفرد وأقام ملكية مقيدة دستورية في فرنسا .

تمثل عودة آل بوربون إلى فرنسا حلا وسطاً Compromise . حاول لويس الثامن عشر التقرب إلى الرجعيين والمحافظين وفي الوقت نفسه حاول تهدئة المحافظين المعتدلين وحتى الاحرار إذ حافظ على اصلاحات نابليون الإدارية والقانونية وبنك فرنسا والكونكورداتو (الاتفاق) مع الكنيسة ونظام التعليم الرسمي ،واعترف بطبقة النبلاء التي أوجدها نابليون على قدم المساواة مع طبقة النبلاء القديمة السابقة للثورة، ولم يتخذ أية خطوة لإعادة القنانة والإقطاع أو القضاء على المنجزات القومية للثورة الفرنسية. وأكد على المبادىء الحرة في الحكم التمثيلي والحرية الدينية والمساواة المدنية.

نشاط الرجعيين ١٨١٥ – ١٨١٦ :

عارض الملكيون المتطرفون الحل الوسط وحاولوا اقناع الملك لويس الثامن عشر بأنه لينه وتساهله لم يمنع مأساة المئة يوم حين عاد نابليون من ألبا . وطلبوا منه الغاء الدستور . ثم انتقموا من الأحرار ، وحدثت الاضرابات واراقة دماء دعيت بالارهاب الأبيض . واعدم المارشال ني Ney من أبرز قادة نابليون وسقط مئات الضحايا .

خلال فترة الارهاب الأبيض جرت انتخابات البرلمان الفرنسي ، جاءت أكثريته من الملكيين المتطرفين ،أكثر ملكية من الملك . ادار البرلمان الجديد شؤون البلاد لمدة سنة بروح شديدة الرجعية . شرعت القوانين لتقييد الصحافة ولاستثناء عدة جماعات من قانون العفو العام ، ولايجاد محاكم خاصة للنظر في قضايا الخيانة، ولالغاء المواد الخاصة بالطلاق من قوانين نابليون .

في ١٨١٦ حل لويس الثامن عشر هذا البرلمان المتطرف وأجريت انتخابات جديدة ، وجاءت الاكثرية من المحافظين المعتدلين ، وصار الملكيون المتطرفون والاحرار إقليتين صغيرتين متناحرتين .

حكم الملكيين المعتدلين ١٨١٦ – ١٨٢٠ :

في عهد الملكيين المعتدلين أعيد تنظيم مالية البلاد وجرى اعداد ميزانية سنوية تحتوي على الايرادات والمصروفات المقدرة، وصار تشريع الميزانية جزءاً مهماً من أعمال البرلمان . عقدت القروض لدفع الغرامة الحربية التي فرضها الحلفاء المنتصرون على فرنسا وأدى هذا إلى عقد مؤتمر أكس – لا – شابل في ١٨١٨ وسحب الجيوش الأجنبية من الأراضي الفرنسية. واعترف بفرنسا دولة كبرى ذات حكم مستقر . وشرع قانون جديد للانتخابات ضمن تفوق البرجوازية في مجلس النواب وقد احتوى هذا القانون نظاماً انتخابياً بسيطا ، اشترط دفع (٥٠٠) فرنك بدلا من (١٠٠٠) فرنك سنويا كضريبة مباشرة للحصول على ممارسة حق التصويت . وأخيراً شرع قانون متسامح للصحافة .

حكومة الملكيين المتطرفين ١٨٢٠ – ١٨٣٠ :

في أوائل ١٨٢٠ اغتال أحد الأحرار المتعصبين دوق بري من الاسرة المالكة . وعلى أثر ذلك اعادت موجة الغضب الشعبية الملكيين المتطرفين إلى السلطة، فعادوا فوراً الى سياسة القمع والرجعية . أوقفوا العمل بضمانات الحرية الفردية التي احتواها الدستور ، وأعادوا فرض الرقابة الشديدة على الصحافة ،وعززوا سيطرة رجال الدين الكاثوليك على جهاز التعليم الرسمي. وعدلوا قانون الانتخابات فاعطوا صوتين لكل مواطن يدفع الف فرنك سنوياً كضريبة مباشرة ،وأطالوا فترة اجتماع البرلمان فجعلوها سبع سنوات ، وأقاموا جهازاً للجاسوسية واستعملوه للقضاء على الجمعيات السرية. وبموافقة مترنيخ والدول الأوربية أرسل هؤلاء الملكيون المتطرفون حملة عسكرية فرنسية سنة ١٨٢٣ الى اسبانيا من اجل اعادة حكم الملك البوربوني المطلق الى تلك البلاد .

شارل العاشر ١٨٢٤ – ١٨٣٠ :

هو الكونت أرتوا زعيم الملكيين المتطرفين منذ عودة آل بوربون، خلف اخاه لويس الثامن عشر. كان مؤمناً بالأتحاد بين الكنيسة والعرش، وبأحياء نظم ومؤسسات العهد القديم السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية، وكره المبادىء الثورية .

في عهده فرضت قيود جديدة على الصحافة. جعلت العقوبات على الالحاد أشد. وعد المهاجرين بدفع تعويض لهم عن ممتلكاتهم وامتيازاتهم التي صادرتها الثورة الفرنسية بمبلغ نحو مليار فرنك.

اغضب شارل العاشر ، بسياسته الرجعية، الطبقات الوسطى ذات النفوذ والطبقة العاملة الكثيرة العدد وزادت شدة معارضة الاحرار. انتظم رجال الأعمال مع جنود وضباط نابليون السابقين وجماعة اليعاقبة في تجمع ضد سياسة شارل العاشر الرجعية. وفي انتخابات ١٨٢٧ انتقلت الاكثرية البرلمانية

من الملكيين المتطرفين الى الاحرار . فعين شارل العاشر المعتدلين في المناصب الوزارية . ولكن في ١٨٢٩ ، بالرغم من معارضة البرلمان، سلم رئاسة الوزارة إلى الأمير دي بولنياك Polignac ، وهو حد المهاجرين السابقين ومعروف بالعناد والرجعية . واستمر البرلمان على التصويت بعدم الثقة بالوزارة والتمسك بالحقوق التي تضمنها دستور ١٨١٤ .

في ربيع ١٨٣٠ حل شارل العاشر البرلمان ، فجاءت الانتخابات الجديدة ببرلمان آخر أشد عداء للرجعية مع البرلمان السابق. رد الملك على ذلك في تموز ١٨٣٠ باصدار أربعة مراسيم تعسفية :

١ ـــ قيد المرسوم الأول حرية الصحافة تقييداً شديداً .

٢ ـــ حل المرسوم الثاني البرلمان المنتخب حديثاً قبل أن يجتمع .

٣ ـــ نشر قانون انتخابي جديد جرد ثلاثة رباع المنتخبين من حق التصويت .

٤ ـــ حدد المرسوم الرابع أيلول الثاني موعد لاجراء الانتخابات الجديدة .

في يوم نشر المراسيم حرض الصحفيون والناشرون الأحرار مدينة باريس على الثورة المسلحة. حدث قتال في الشوارع لمدة ثلاثة أيام بين اعداد قليلة من القوات الحكومية التي كانت ضعيفة الاستعداد والقيادة. وبين عمال باريس فانتصر هؤلاء العمال. تنازل شارل العاشر لصالح حفيده البالغ من العمر عشر سنوات كونت شامبور Chambord ولجأ إلى انكلترا .

المحافظة في النمسا

كان المجهود الأكبر الذي بذله مترنخ هو أن يجعل النمسا مثالا للدولة المحافظة، وذلك بأن يقضي على الشعور القومي الانفصالي والمبادىء الحرة . فلاجل القضاء على الشعور القومي بين الشعوب المختلفة حبس مترنخ الدعاة الوطنيين وأقام الحاميات العسكرية في مختلف أجزاء امبراطورية هابسبرك من قومية مخالفة لقومية المنطقة. ففي هنغاريا قام حامية كرواتيه وفي النمسا الالمانية حامية جيكية، وفي بوهيميا حامية المانية، وفي المقاطعات الايطالية حامية

مجرية ،وفي غاليسيا البولندية حامية ايطالية. ولأجل مكافحة خطر تسرب الأفكار الثورية من الخارج أقام مترنخ سوراً من التعريفة الكمركية ومن الرقباء حول امبراطورية هابسبرك. ولاجل منع انتشار النزعات الحرة في الداخل فرض رقابة شديدة على الصحافة وعزز الشرطة وأكد على سيطرة رجال الكنيسة في المدارس.

ثم حاول مترنخ السيطرة على ايطاليا والمانيا لكي يقضي على أية حركة سياسية أو اجتماعية قد تنتشر منها إلى النمسا فتعمل على تدمير النظم والمؤسسات التي يدافع عنها.

المحافظة في روسيا

اظهر القيصر الكسندر الاول خلال النصف الاول من حكمه بعض الدلائل عن ميوله الحرة. ثم نصح ملك فرنسا المعاد الى الحكم بان يمنح دستورا لبلاده. واكد على الحريات القومية التقليدية والسلطة البرلمانية في غراندوفينه الجديدة فنلندا. وتعاون مع ازارتورسكي في اعادة تأسيس الدولة القومية البولندية على ان يكون هو ملكا عليها ولكن مع نظام حكم دستوري حر. واصغى مؤيدا تأييدا واضحا لطلبات البارون فون شتاين لاقامة دولة المانية موحدة حرة.

واما بالنسبة الى روسيا نفسها فقد فكر في نشر دستور مدون والغاء القنانة وتشجيع التعليم الشعبي. وشرع فعلا في اصلاح الحكم الفردي بايجاد مجلس استشاري للامبراطورية الروسية، وادخل الاصلاحات التربوية بايجاد بعض مدارس الكنيسة والمدارس الاعتيادية وباعادة تنظيم الجامعات الروسية مثل جامعة موسكو وايجاد جامعات جديدة في سان بطرسبرك وقازان وخاركوف.

بعد ١٨١٥ وقع الكسندر الاول تحت تأثير مترنخ فحول حماسته من الاصلاح السياسي والاجتماعي الى النهضة الدينية والاستعراض العسكري. وقف القيصر الاصلاحات التي بدأها قبل مؤتمر فينا فلم يعد الناس يسمعون شيئا عن الحكم الدستوري للامبراطورية الروسية ولا عن الغاء القنانة.

انتشرت خيبة الامل بين جماعة صغيرة من المثقفين الاحرار، وبصورة خاصة بين ضابط الجيش الشباب الذين تعلموا الشيء الكثير عن المبادىء الثورة الفرنسية خلال حملاتهم في اوربا الغربية . تألفت الجمعيات السرية وانتشرت الدعوة الحرة في روسيا على غرار ماجرى في ايطاليا واسبانيا.

توفي القيصر الاسكندر الاول فجأة في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٢٥. فحاولت الجمعيات الثورية القيام بثورة للقضاء على الرجعية. كان القيصر الاسكندر قد اوصى بان يخلفه على العرش اخوه نيقولا مفضلا اياه على اخيه الاوسط الغراندوق قسطنطين. عارضت الجمعيات هذه الوصية وحاولت احداث ثورة بين الجيوش المرابطة في سان بطرسبرك. كان شعار الثورة «قسطنطين والدستور Constautine and Constitution » . ولكن قسطنطين تخلى عن اصدقائه ، ولم يجد نيقولا صعوبة كبيرة في اعادة النظام واعتراف الناس بحكمه . لاجل ان نعرف مدى سطحية الدعوة الحرة في روسيا نذكر ان الكثير من الجنود الثائرين كانوا يعتقدون ان Constitution زوجة قسطنطين . عرف ثوار ديسمبر هؤلاء باسم الديسمبريين ، وقد عاقبهم القيصر الجديد نيقولا عقابا صارما .

كانت فترة حكم القيصر نيقولا الاول (١٨٢٥ ــ ١٨٥٥) اشد فترة رجعية في تاريخ اسرة رومانوف المالكة. في عهده اقيم المكتب الثالث للجاسوسية «اوخرانا» للقضاء على الحريات والحركات القومية في روسيا وتوابعها كفنلندا وبولندا. في عهده قامت ثورة في بولندا (١٨٣١) قضي عليها بشدة. تحالف القيصر مع السلطان محمود الثاني ضد محمد علي باشا والي مصر بموجب معاهدة معاهدة «هنكار اسكله سي» (١٨٣٣) وحاول ان تكون روسيا حامية للمسيحيين في الدولة العثمانية، وبصفة خاصة في فلسطين وساعد امبراطور النمسا في القضاء على ثورة المجر في ١٨٤٩. وحاول الاتفاق مع انكلترا لاقتسام املاك رجل اوربا المريض (الدولة العثمانية) كما سماها هو فرفضت انكلترا وتمسكت بسياستها في الحفاظ على كيان الدولة العثمانية وادى ذلك إلى نشوب حرب

القرم (١٨٥٣ ــ ١٨٥٦) التي انتهت باندحار روسيا وتوقيع معاهدة باريس في ١٨٥٦. عاشت روسيا في ظلام دامس في عهده، عدا ظهور الشاعر الروسي العظيم بوشكين الذي نظم «نشيد الحرية» في عهده. ومما يذكر من مناقب هذا القيصر الرجعي ايضا مساندته للثورة القومية اليونانية وظهور الدولة اليونانية الجديدة في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، وكذلك تشجيعه ومساندته للمتحف الروسي العظيم «ارميتاج» في سان بطرسبرك.

المبحث الثاني

مذهب الاحرار

يشير مذهب الاحرار (اللبرالية) إلى مجموعة من المبادىء متميزة ومتماسكة إلى حد ما، ولها مغزى فكري واقتصادي وسياسي ودولي.

فمن الناحية الفكرية كان مذهب الاحرار يعني حرية الفكر والميل لمعاملة الدين كأمر شخصي وتجريد الكنيسة من اي مركز ممتاز في المجتمع.

ومن الناحية الاقتصادية ناصر مذهب الاحرار المبادأة الفردية وحرية التعاقد بين المستخدم والعامل والمنافسة المطلقة في التجارة والصناعة. ولذلك فان مذهب الاحرار تضمن عداء لامتيازات الطبقات الزراعية والاقتصادية وللتعرفة الحامية وللاصناف والنقابات (لانها تشجع الاضرابات او تتدخل في حرية التعاقد)، ولتدخل الحكومة في تنظيم التجارة والصناعة.

ومن الناحية السياسية يرى مذهب الاحرار ان لا تتدخل الدولة في شؤون مواطنيها بل تكتفي بالمحافظة على النظام وحماية الملكية الخاصة. ويطمح مذهب الاحرار إلى حكم دستوري وتمثيلي وبرلماني.

ومن الناحية الدولية دعا مذهب الاحرار إلى السلام وادان الحرب. وايد تقرير المصير للشعوب وناصرها في الحصول على الاستقلال الوطني والحكم الدستوري.

الملكية الحرة في فرنسا ١٨٣٠ ـ ١٨٤٨

وضعت ثورة تموز ١٨٣٠ نهاية للرجعية في فرنسا، ثم أصبح النظام السياسي الذي حل محلها موضوع نقاش حاد. فقد كان لايزال هناك حزب جمهوري يضم في صفوفه الطلاب والعمال الباريسيين ويتزعمه كودفروا كافانياك Cavaignac وكان هذا الحزب يريد اعادة تأسيس جمهورية ١٧٩٥. ولهذا الحزب مؤيدون قليلون في الريف أو بين الشخصيات البارزة في باريس. وكان هناك أيضاً الأحرار البرجوازيون بزعامة أدولف تيير Thiers وهو

صحفي : ولافيت Lafayette ،وهو من أصحاب البنوك ، وكان هؤلاء مستعدين لقبول الملكية بشرط أن تكون دستورية لامطلقة وأن تسمح لهم بحكم البلاد. وقد اعتمدوا على تأييد جميع الفرنسيين الذين يريدون النظام والحرية .

كاد يحدث صدام مسلح بين الحزبين في وقت من الأوقات ، ولكن منع ذلك لافاييت Lafayette الذي تقدم به العمر ، إذ ظهر على المسرح السياسي واستعمل نفوذه لاقناع الجمهوريين بقبول مشروع الملكيين الأحرار تضمن هذا المشروع أن يرتقي عرش فرنسا لويس فيليب دوق أورليان بموافقة الشعب . وهذا الامير هو أحد أعضاء أسرة بوربون وهو ابن فيليب ايكالتية الذي صوت في المؤتمر الوطني على أعدام لويس السادس عشر ، وكان المعروف عنه أنه لم يؤيد مبادىء آل بوربون التقليدية . أما لويس فيليب فقد اشترك بثورة ١٧٨٩ ، وكان حاضراً عند سقوط الباستيل، وانضم إلى نادي اليعاقبة وتولى منصباً عسكرياً في عهد الجمهورية ، وقاتل في فالمى وفي الاراضي المنخفضة في عهد الارهاب اليعقوبي وبعد اعدام والده غادر فرنسا وتعلم دروساً في الاعتماد الشديد على النفس خلال فترة منفاه الطويلة في أوربا وأميركا ، وفي الايام الأخيرة تقرب إلى الطبقة الوسطى إذ أرسل أبناؤه إلى مدارس الطبقة الوسطى وأظهر تأييده لاراء فولتير وروسو .

في أوائل آب ١٨٣٠ وافق لويس فيليب على دعوة البرلمان لكي يصبح «ملك الفرنسيين» . وقد حل العلم المثلث الالوان فوراً محل علم آل بوربون ، وحلت نظرية السيادة الشعبية محل ملوكية الحق الآلهي . ولكن أهم نتيجة من نتائج ثورة تموز ١٨٣٠ في فرنسا هي انتصار البرجوازية.

عهد لويس فيليب ١٨٣٠ ــ ١٨٤٨

نقلت ثورة تموز ١٨٣٠ في فرنسا السيطرة السياسية من الارستقراطية إلى الطبقة الوسطى ومن الاتجاهات المحافظة إلى الاتجاهات الحرة (اللبرالية) وقد أطلق على لويس فيليب لقب الملك البرجوازي .

جعل نظام الحكم في فرنسا على غرار مافي بريطانيا: ملك يتولى ولا يحكم. وبرلمان يمثل الشعب نظرياً ولكن تنتخبه أقلية صغيرة من الشعب ووزارة مسؤولة أمام البرلمان. كانت الطبقة الحاكمة الجديدة في فرنسا برجوازية أكثر مما في بريطانيا.

اشتهر من وزراء الملكية الحرة البرجوازية فرانسوا كيزو Guizot وأدولف تيير Thiers . وكلاهما ينتسب إلى الطبقة الوسطى وطموح وعصامي وكلاهما كتب مجلدات في التاريخ وكلاهما لبرالي. كان كيزو بروتستنتيا معارضاً للحركات الشعبية كتلك التي حدثت في فرنسا في ١٧٩٣ ، وكان معجباً جداً بالنظم والمؤسسات السياسية والاقتصادية والدينية المعروفة في انكلترة الطبقة الوسطى واللبرالية. كان تيير أكثر حرية فكرية وأكثر انتهازية ،تدرب على السياسة على يد تاليران، وكان لايثق بالجماهير، وكان معارضاً للحكم التعسفي ومتمسكاً بفلسفة القرن الثامن عشر الحرة، ومبالا لعظماء التاريخ ولا سيما نابليون بونابرت. كان تيير اشهر الوزراء (١٨٣٢ — ١٨٣٦) ورئيساً للوزراء (١٨٤٠). وكان كيزو وزيراً للتربية (١٨٣٢ — ١٨٣٩) ورئيساً للوزراء (١٨٤٠ — ١٨٤٨).

شجع نظام حكم لويس فيليب الصناعة إذ شجع استيراد المكائن من انكلترا وتأسيس المصانع والمسابك في فرنسا ، وعهد الى شركة انكليزية ببناء سكة حديد من باريس الى لوهافرو ووضع خطة لبناء شبكة كاملة من السكك الحديد.

شجعت الحكومة المبادأة الفردية والتشبث الفردي . وكانت سياسة عدم التدخل هي سياسة التي اتبعتها الحكومة نحو الصناعة وجمع الثروة .

وشجعت الحكومة التربية والتعلم . ترك القانون الكنيسة حرة في ادارة المدارس الابتدائية ولكنه عزز سيطرة الدولة على المدارس الثانوية .

في السياسة التجارية لم تكن الملكية البرجوازية ميالة الاتجاهات اللبرالية كل الميل . كانت الصناعة الآلية في فرنسا ناشئة لاتستطيع منافسة الصناعة الآلية القوية في بريطانيا أو في بلجيكا . ولذلك لم تحدث الحكومة اي تغيير في نظام التعرفة الحاميـــة .

كانت سياسة فرنسا الخارجية على الأغلب منسجمة مع السياسة الخارجية البريطانية . فبالتعاون مع بريطانيا ساعدت فرنسا على اقامة مملكة بلجيكا المستقلة ، وعلى ايجاد ملك حر لدولة اليونان القومية الجديدة ، وعلى مساعدة الفئات الحرة في اسبانيا والبرتغال ، وعلى المحافظة على الوضع القائم في الشرق الادنى ضد قيصر روسيا من جهة وضد محمد علي باشا والى مصر من جهة ثانية ، وفي عهد لويس فليب تم استيلاء فرنسا على الجزائر .

الجماعات المعارضة لحكم لويس فيليب :

كان في فرنسا خمس جماعات ، على الاقل ، تعارض الحكومة :

١ ــ **دعاة الشرعية :** وتضم هذه الجماعة اشخاصا كثيرين من طبقة النبلاء القديمة وعددا من رجال الدين الكاثوليك وبعض الفلاحين وبعض المثقفين كانوا يعتبرون لويس فليب مغتصبا للحكم ، وحكمه ثوريا وبرجوازيا جداً .

٢ ــ **الجمهوريون :** وتضم هذه الجماعة الرادكاليين من العوام والفلاحين واصحاب الحرف الذين لايزالون يتذكرون أيام الجمهورية الديمقراطيةسنة ١٧٩٢ . وانتقدوا نظام حكم لويس فيليب باعتباره ملكيا وغير ديمقراطي ويخدم مصالح الطبقات الغنية لا المصالح الشعبية والقومية .

٣ ــ **الاشتراكيون :** تبع بعضهم لويس بلان في مطالبته بوجوب قيامالدولة بتشجيع المصانع التعاونية وضمان مستوى من اجور العمال يناسب حياة هؤلاء ، وآمنوا بالجمهورية الديمقراطية. وتبع بعضهم برودون في دعوته للقضاء على الملكية الخاصة ، وعلى كل حكومة ذات سلطة ، وفي دعوته إلى اقامة نظام جديد على أساس التعاون الاختياري .

٤ ـ **الكاثوليك :** اراد بعضهم إعادة الملكية الشرعية ، وكان بعضهم لبراليا وافق على المبادىء الثورية في السيادة الشبعية والحرية الفردية . وطالب بعضهم بالتشريع الاجتماعي لصالح الطبقات العاملة . وقد نفر أكثر الكاثوليك من كيزو ولاسيما من قيوده التي فرضها على حرية التعليم الكاثوليكي .

٥ ـ **البونابرتيون :** وهم الذين كانو يعتزون بذكرى نابليون ويشنون على منجزاته في الداخل والخارج ، وقد ازدروا بصفة خاصة من رغبة الملكية البرجوازية في « السلام بأي ثمن » ومن خضوعها لانكلترا وعدم اهتمامها بالمجد القومي .

ثورة باريس في شباط ١٨٤٨ :

في أواخر ايام حكم لويس فليب لجأ رئيس وزرائه كيزو إلى أساليب غير حرة للمحافظة على الملكية الحرة ضد خصومها العديدين فزور الانتخابات واستخدم الرشوة للحصول على الاكثرية في البرلمان ،وفرض الرقابة على الصحافة وقيد حق الاجتماعات الحرة . ولما حلت سنة ١٨٤٨ اتخذ منصبه صبغة الدكتاتورية أكثر منه وزارة برلمانية .

في سنة ١٨٤٧ شرع دعاة الاصلاح الديمقراطي ، حين اوقفت الرقابة دعايتهم في الصحف ، بالتعبير على مطاليبهم عن طريق اقامة مآدب كبيرة في باريس اعطى الجمهوريون والاشتراكيون الذين حضروا تلك المآدب صبغة ثورية للخطب التي القيت . ولما خشيت الحكومة العاقبة منعت اقامة مآدبة كبرى كان طلاب الاصلاح قد قرروا اقامتها في ٢٢ شباط ١٨٤٨ . فعجل هذا المنع بنشوب الثورة .

في اليوم المحدد لاقامة المأدبة تجمع العمال الغاضبون والطلاب المندفعون في ساحة الوفاق وهم يهتفون مطالبين بالاصلاح . وفي اليوم التالي استمر الهياج وانتشر ، فأمر كيزو رجال الحرس الوطني باعادة النظام والهدوء ولكن رجال الحرس انحازوا إلى الشعب بدلا من اطاعة الاوامر وهتفوا

مع الهاتفين « يسقط كيزو» فاستقال كيزو من الوزارة . وكان من الممكن ان ينتهي الاضطراب لولا ان مفرزة من الجنود الذين كانوا يحرسون مسكن كيزو اطلقوا النار على جمع من المتظاهرين فقتلوا ثلاثة وعشرين وجرحوا ثلاثين . وفي اليوم التالي شوهدت شوارع باريس مسدودة بالمتاريس التي وضعها العمال وملأى باللافتات التي تقول « اقام لويس فيليب فينا المذابح كما فعل شارل العاشر فليذهب ويلتحق بشارل العاشر». وبعد فترة من التردد تنازل لويس فليب لصالح حفيده كونت باريس ولجأ إلى انكلترا .

الاحرار في بريطانيا ١٨٣٠ – ١٨٥٠

قبل سنة ١٨٣٠ كانت حكومة بريطانيا المحافظة (حكومة التوري Tory) تساند التسوية التي تمت في بريطانيا سنة ١٦٨٩ (اى لائحة الحقوق وسيادة البرلمان) ، ولكنها اتبعت سياسة محافظة في الامور الداخلية وقاومت كل مطلب في اصلاح البرلمان . قويت هذه المطالب تدريجياً بعد ١٨١٥ ونادى بها بعض الرادكاليين من امثال الفيلسوف جرمي بنشم والاقتصادي جيمس مل تعود قوة النزعات الحرة البريطانية الفعالة الى تزايد عدد اصحاب المصانع من الطبقة الوسطى وتزايد ثروتهم بصورة سريعة وهم من أمثال رجارد كوبدن Cobden وجون برايت Bright الذين كانوا يجمعون الثروات من المكائن الصناعية الحديثة ، ويزداد نفوذهم على العمال في المدن الصناعية مثل مانجستر وبرمنكهام وشفليد وليدز التي اصبحت مدنا كبيرة ولكنها لاتزال محرومة من التمثيل في البرلمان . ولكن حزب المحافظين عارض اى اصلاح برلماني .

في سنة ١٨٣٠ حدثت في باريس ثورة تموز التي قضت على حكم شارل العاشر وأقامت حكومة لويس فليب البرجوازى . وكان لذلك صدى مباشر في بريطانيا . ففي خارج البرلمان اشتدت المطالبة بالاصلاح ، وفي داخل البرلمان اظهر بعض المحافظين امارات الخوف . هدد ولنكتن وتوعد ثم استقال من

رئاسة الوزاره . والف لورد كرى Grey وزارة حرة (لبرالية) وقدم لائحة اصلاح برلماني إلى مجلس العموم . وقد هزمت الاكثرية المحافظة تلك اللائحة في اوائل ١٨٣١. حل البرلمان واجريت انتخابات جديدة نال بها لورد كرى وحزبه حزب الاحرار (الويك) Whigl اكثرية في مجلس العموم ، ثم قدم لائحة ثانية للاصلاح إلى مجلس العموم ، ولكل اكثرية المحافظين في مجلس اللوردات هزمتها ورفض الملك وليم الرابع (١٨٣٠ — ١٨٣٧) تعيين عدد كاف من اللوردات الاحرار لتغيير الاكثرية في مجلس اللوردات فاستقال كرى ، واخذ دوق ولنكتن على عاتقه مهمة تأليف وزارة محافظة (توري) .

قام الرادكاليون واصحاب المصانع بتنظيم المظاهرات في المدن الصناعية واثاروا الجماهير ضد الحكومة . في تلك الظروف المضطربة تخلى دوق ولنكتن عن محاولة تأليف وزارة معادية للاكثرية اذ كان المحافظون اقلية في مجلس العموم . ولذلك عاد كرى والاحرار إلى السلطة في مايس ١٨٣٢ ووعد الملك وليم الرابع ، وهو كاره ، بانه عند الضرورة سيعين عدداً كافياً من اللوردات الاحرار الجدد لكي تضمن الحكومة تشريع لائحة الاصلاح في مجلس اللوردات ولكن لم تحدث تلك الضرورة لان اللوردات المحافظين خضعوا ، ووقع الملك على لائحة الاصلاح في حزيران ١٨٣٢.

قانون الاصلاح البرلماني لسنة ١٨٣٢ Reform Act of 1832

بقانون الاصلاح لسنة ١٨٣٢ ، حدثت تغييرات في نظام الانتخابات في بريطانيا :

١ — جردت بعض المناطق الانتخابية في المدن التي تقل نفوسها عن (٢٠٠٠) نسمة من حق تمثيلها في مجلس العموم ، ويطلق عليها اسم الدوائر الانتخابية البالية Rotten ، أما الدوائر التي يتراوح عدد سكانها بين (٢٠٠٠) و (٤٠٠٠) نسمة فقد جردت من احد مقعديها في البرلمان . اعطى بعض المقاعد

التي اخذت بهذه الطريقة إلى مناطق انتخابية ريفية ، واعطى البعض الاخر إلى المدن الصناعية الكبيرة مثل مانجستر وبرمنكهام وشفيلد وليدز .

٢ ــ جعلت شروط التصويت موحدة ومبسطة في جميع مناطق الانتخاب الريفية والمدنية ، وهذا لايعني التصويت العام . وقد خفضت الشروط المالية للانتخاب قليلا اذ منح حق التصويت من كان يملك دكاناً او بيتاً ايراده او ايجاره السنوى عشرة جنيهات .

الحركة الميثاقية (الجارتية) Chartist Movement

كان هناك عدد قليل من الرادكاليين في البرلمان وعدد من عمال المدن خارج البرلمان غير راضين عن قانون الاصلاح لسنة ١٨٣٢ ، بل اعتبروه مجرد خطوة اولى يجب ان تتبعها خطوات اخرى في الطريق الديمقراطية اكتشف عمال المدن ان الاصلاح المذكور لم يزد من اجورهم ولم يخفض من ساعات عملهم بصورة ملموسة ولم يضمن لهم العمل ، ولذلك اعتقدوا انه يمكن الحصول على هذه المكاسب إذا توسع الاصلاح توسعاً جدرياً واذا صارت للجماهير وللطبقات العاملة كلمة مسموعة في البرلمان .

في سنة ١٨٣٨ طالبت جماعة من العمال ، ويؤيدهم رادكاليو الطبقة الوسطى ، بتحقيق ميثاق شعبي People's Charter يضمن لهم :

١ ــ التصويت العام للذكور .

٢ ــ الانتخابات السنوية للبرلمان .

٣ ــ المناطق الانتخابية المتساوية .

٤ ــ التصويت السرى .

٥ ــ الغاء الشروط المالية للانتخابات البرلمانية .

٦ ــ دفع المرتبات لاعضاء البرلمان .

قام دعاة الميثاق هؤلاء بحملة دعائية شديدة بعض الوقت في المدن الصناعية في انكلترا وعقدت الاجتماعات الجماهيرية ، واعدوا العرائض لتقديمها

إلى البرلمان . في البرلمان وقف الاحرار والمحافظون متحدين في رفض العرائض وفي الموافقة على استعدادات الوزارة العسكرية للقضاء على الثورة .

استمر الصخب حتى ١٨٤٨. وفي ذلك الوقت صارت جماهير العمال البريطانيين تهتم بحرية التجارة وبالحركة النقابية اكثر من اهتمامها بالحركة الميثاقية ، ولم يعودوا للمطالبة بالمطاليب الديمقراطية الا بعد عشرين سنة .

الغاء قوانين الحبوب :

طالبت الطبقة الوسطى بالغاء القيود المفروضة على التجارة ، ولا سيما الغاء قوانين الحبوب Corn Laws . في سنة ١٨٣٨ الف اصحاب المصانع « العصبة المناهضة لقوانين الحبوب Anti- Corn-Law League » لاقناع الصناعيين بأن قوانين الحبوب تعرقل نمو التجارة ، ولاقناع الشعب بانها ترفع الأثمان ، ولافهام الزراعيين بانها لاتستطيع تثبيت اثمان الحبوب. تزعم العصبة رجارد كوبدن وجون برايت ، وساعدها مالياً الصناعيون أصحاب المصالح . قامت العصبة بدعاية قوية في جميع انحاء البلاد . وعقدت اجتماعات جماهيرية في جميع المدن ، ووزعت المناشير بكميات كبيرة واعدت العرائض وقدمت إلى البرلمان .

ساعدت الطبيعة دعاة الحرية . ففي ١٨٤٥ اتلفت الامطار محصول القمح في انكلترا ، ودمرت الآفات الزراعية محصول البطاطا في ارلندا . وقد مات الفلاحون الارلنديون جوعا بعشرات الالوف ، واضطر العمال الانكليز إلى دفع اعلى الأثمان للحصول على ضروريات الحياة وحدها . كان هناك بعض أعضاء البرلمان الذين اصغوا الى مطالب العصبة .

منذ ١٨٤١ كان المحافظون الاكثرية في مجلس العموم ، وكان زعيمهم سير روبرت بيل Peel رئيسا للوزراء. لم يكن بيل ملاكا زراعيا بل من رجال الصناعة . وفي سنة ١٨٤٦ ، بالرغم من احتجاجات اكثرية حزبه ، ولكن بمساعدة اصوات الاحرار ، حمل البرلمان على تشريع لائحة بالغاء قوانين واقامة حرية تجارة الحبوب .

انشق حزب المحافظين ، بسبب هذا القانون ، إلى جماعتين : اكثرية زراعية واقلية صناعية (الصناعية جماعة بيل) . وعاد الاحرار إلى السلطة وأعطوا الحرية للصناعة .

ثورات ١٨٤٨ الحرة

بالرغم من تعاون روسيا وبروسيا والنمسا ضد الحريات ، وبالرغم من حذر مترنيخ ، زاد عدد الاحرار في اوربا الوسطى وزادت فعالياتهم السرية.

كان بعض الاحرار متأثرين بفلسفة التنوير المعروفة في القرن الثامن عشر، وايد بعضهم الثورة الفرنسية ، وبعضهم استفاد من اعمال نابليون بونابرت ، وتأثر البعض الآخر بما كان يجري في بريطانيا ، وتأثر آخرون بالثورات الوطنية ضد نابليون، وتأثر آخرون بروح التجدد او بالعداء الشخصي للتقاليد. وكان أكثر الأحرار من مثقفي الطبقة الوسطى ، ولكنهم وجدوا حلفاء لهم بين الملاكين الانسانيين ورجال الدين التقدميين وبين أصحاب الحرف وسكان المدن بوجه عام .

انتشر تيار الثورة الذى بدأ في فرنسا في شباط ١٨٤٨ حتى شمل جميع أوربا الوسطى . فبعد أسبوعين من ثورة شباط ١٨٤٨ المذكورة فر مترنيخ من وجه عاصفة مشابهة في فينا . بعد أكثر من شهر بقليل اجتاحت الثورات الحرة النمسا وهنكاريا وبوهيما وايطاليا والمانيا والدانمرك وهولندا .

سارت الاتجاهات الحرة جنباً إلى جنب مع الشعور القومي . فلما انتصرت المبادىء الحرة في جميع انحاء اوربا الوسطى وسيطر الاحرار على النمسا وبروسيا والدويلات الالمانية الاخرى كان من الطبيعي ان تتخذ الخطوات لتحويل الاتحاد الالماني غير الوثيق Confederation ، الذى اقامه في ١٨١٥ حكام المانيا ثم صار اداة لتنفيذ سياسة مترنيخ الرجعية ، إلى اتحاد وثيق Union حر وقومي .

في النصف الثاني من سنة ١٨٤٨ انحسرت الثورات في اوربا الوسطى . ومع ذلك تركت موجة المد الثورى لسنة ١٨٤٨ بعض الرواسب الحرة في اوربا ففي الامبراطورية النمساوية الغيت القنانة ، وبقي نظام حكم دستورى في سردانيا وسويسرا وهولندا والدانمرك وبروسيا . كان الحكم في سويسرا

وحدها ديمقراطياً . والقليل من البقية الباقية حراً حقاً في سردنيا بقى الدستور الذى أصدره الملك شارل البرت في آذار ١٨٤٨ ، وقد تمسك به فكتور عما نوئيل الثاني بالرغم من احتجاجات النمسا ، وبقيت سردنيا الدولة الايطالية الدستورية الحرة الوحيدة خلال خمسينات القرن التاسع عشر .

كان الدستور الهولندى الذى منحه الملك وليم الثاني في ١٨٤٨ والدستور الدانمركي الذى نشره فردرك السابع ملك الدانمرك ١٨٤٩ أقل حرية من دستور سردنيا لم يجعلا الوزارة مسئولة أمام البرلمان . ومن جهة ثانية اتفقت هذه الدساتير مع الدستور البريطاني بوضعها شروطاً مالية لاجل ممارسة حتى التصويت ، وبذلك أصبحت البرلمانات في هذه الدول تمثل الطبقات العليا والوسطى .

بهذا المعنى كان الدستور البروسي الذى أصدره فردرك وليم الرابع في ١٨٥٠ حراً أيضاً . فقد تظاهر باقامة انتخابات مجلس النواب في البرلمان البروسي على اساس مبدأ التصويت العام للذكور ، ولكن باتباع نظام الثلاث طبقات في الانتخاب غير المباشر . نظام الثلاث طبقات في الانتخاب قسم المنتخبين إلى ثلاثة أقسام : القسم الاول الذى يدفع ثلث الضرائب يمثله ثلث اعضاء مجلس النواب وعدد هذا القسم قليل جداً لانه يمثل اغنى الاغنياء والقسم الثاني هو الذى يدفع الثلث الثاني من الضرائب ويمثله اعضاء مجلس النواب وعدد هذا القسم متوسط نسبياً لأ نه يمثل الاغنياء الاخرين والقسم الثالث هو الذى يدفع الثلث من الضرائب ويمثله الثلث الثالث من اعضاء مجلس النواب وعدد هذا القسم كبير نسبياً لأ نه يمثل بقية الذين يحق لهم التصويت.

استمر العمل بهذا الدستور البروسي خلال فترة ١٨٥٠ — ١٩١٨.

المبحث الثالث

القومية Nationlism

القومية هي الشعور بالانتماء إلى جماعة من الناس يجمع بينهم الوطن واللغة والتاريخ والمصالح . نشرت الثورة الفرنسية ونابليون في فرنسا واوربا والعالم مبدأ القومية القائل : ان الدولة القومية أعلى شكل من اشكال التنظيم السياسي والاجتماعي ولها وحدها يعود ولاء واخلاص جميع المواطنين في نظر الثوار الفرنسيين صارت المصالح القومية فوق مصالح الاسر المالكة وجميع المصالح الاخرى. وقد دخل المواطنون في الجيوش القومية والمدارس القومية وحل العلم القومي والنشيد القومي محل العلم والنشيد الملكيين .

كانت القومية الجديدة المبدأ الثوري الذي رسخ في اوربا خلال العاصفة من ١٧٨٩الى١٨١٥ . وقد عمل هذا المبدأ على توحيد وتقوية كل شعب من الشعوب العديدة في اوربا الغربية والوسطى على الاقل انتشرت الفكرة القائلة بان : كل شعب يجب ان يحصل على دولة قوية قومية على اساس السيادة الشعبية .

خلال القرن التاسع عشر عملت المبادىء القومية على سعى القوميين في كل مكان لاقامة الدولة القومية الخاصة بكل جماعة من الناس يطلق عليها اسم القومية Nation او Nationality . وقد صارت القومية سبباً في حدوث حركات قومية تحررية انفصالية عن الامبراطوريات التي تضم قوميات متعددة كالامبراطورية النمساوية والروسية والعثمانية . كما ظهرت القومية في الوقت نفسه بشكل حركات قومية وحدوية تعمل على جمع الجماعات القومية المتفرقة في دولة قومية واحدة كما حدث في المانيا وايطاليا .

المبدأ القومي بهذا المعنى مبد تقدمي يعمل على خدمة مصالح الاكثرية من الناس الذين يربطهم ببعضهم رباط القومية . وقد ارتبطت القومية في الغالب بمبادىء وحركات الاحرار الذين عارضوا الاتجاهات المحافظة

والرجعية . ومن جهة ثانية ارتبطت القومية بالرومانتيكية باعتبارها اندفاعاً عاطفياً حماسياً يمجد تاريخ القومية او الامة ويعمل على تحقيق مستقبل زاهر للجماعة القومية .

القومية الحرة في المانيا

لم يواجه مترنخ في علاقاته مع الدول الالمانية صعوبات كانت للنمسا رئاسة الاتحاد الالماني الجديدة ، وتستطيع الاعماد على تأييد امراء الدويلات الصغيرة الذين يغارون من بروسيا . بهذه الوسيلة استطاع مترنخ منع تحقيق المحاولات المتكررة لتنفيذ الوعد المذكور في المادة الثالثة عشرة من دستور الاتحاد الألماني التي جاء فيها وجوب إقامة نظام حكم تمثيلي في الدول اعضاء الأتحاد .

في عدة دول المانية حليفة فرنسا النابليونية كانت المبادىء الحرة لا تزال نشيطة ، وقد رأى حكامها ان المصلحة تقضي بان يمنحوها دساتير تشبه الدستور الذي منحه لويس التامن عشر لفرنسا وبان يحتفظوا بمجموعة قوانين نابليون ، ولكنهم أبقوا القيود المفروضة على الصحافة والبرلمان ، وبقي نشاط الشرطة التعسفي ، ولذلك تذمر الاحرار واستعمل مترنخ نفوذه لمنع القيام باصلاحات اخرى .

اما في شمال المانيا ووسطها فقد كانت الرجعية اشد . فانه ، باستثناء غراندوق ساكس ـ فايمار ، كان كل حاكم يتهرب من تحقيق ما وعد بالحكم الدستوري اثناء فترة حرب التحرير . كان فردرك ووليم الثالث ملك بروسيا ميالا لمنح شعبة دستورا ولكنه كان جبانا يخشى اقل الصعوبات والمتاعب وكان يرى شرفا له الانقياد لآراء مترنيخ والامبراطور النمساوي ، ويضاف الى ذلك انه كان على بروسيا ان تحسن وضعها المالي ونظامها العسكري وتدمج الاراضي التي نالتها بموجب معاهدة فينا وقد قامت فعلا باصلاح اقتصادي كبير سنة ١٨١٨ حين الغت التعرفة واقامت التجارة الحرة في داخل بروسيا .

ومع ذلك فان روح المبادىء الحرة التي نشرتها الثورة الفرنسية ونشرها نابليون لا تزال حية في جميع الدول الالمانية . كانت اكثرية البرجوازية ترغب بالمساهمة بالحكم . وارادت بعض الطبقات الدنيا تحقيق الاصلاح الاجتماعي .وفي جميع الطبقات كان هناك الوطنيون الذين ارادوا تحقيق الوحدة الالمانية لم ينجح الضغط والارهاب في القضاء على اسباب التذمر .وقد انتشرت المبادىء الحرة بصورة خاصة في الجامعات . فألف الطلاب الجمعيات السرية ومنها عصبة الفضيلة وجمعية الصداقة التي قامت بالمظاهرات الصاخبة فاشاعت القلق في برلين لوفينا على السواء .

في تشرين الاول ١٨١٧ اقيم احتفال في مدينة فارتبرك بمناسبة مرور(٣٠٠) عام على نشر مقالات لوثر ضد البابوية ومرور اربع سنوات على حرب التحرير ،حضره طلاب الجامعات واحرقوا فيه شعارات ورموز النظام القديم . اعتبر مترنيخ ذلك عصيانا وفتنة ولام غراندوق ساكس ــ فايمار ، وحمل الدول الالمانية الرجعية على تقديم احتجاج مشترك اليه . ولما ضمن مترنيخ تأييد بروسيا عقد اجتماعاً خاصاً للساسة الالمان في مدينة كارلسباد للقيام بعمل منسق ضد المبادىء الحرة .

كانت نتيجة الاجتماع نشر مراسيم كارلسباد من قبل مجلس الاتحاد الالماني في ايلول ١٨١٩ . احتوت هذه المراسيم على مواد مفصلة للسيطرة على الاساتذة والطلاب ، وتقييد الصحافة ، ومنع اعطاء اي دستور يناقض المبدأ الملكي المطلق . واقامة لجنة مركزية في مدينة مينتز للتحقيق في «اصل وتشعبات المؤامرات الثورية والجمعيات الغوغائية الموجهة ضد الدستور القائم والسلام الداخلي في الاتحاد الالماني وفي الدول المكونة له » كما جاء في قرارات اجتماع كارلسباد .

لم يكن نفوذ مترنيخ في الدويلات الايطالية باقل من نفوذه في المانيا . كانت البندقية ولمبارديا تحكمان بصفتهما جزءين من امبراطورية هابسبرغ . وكان الامراء النمساويون يحكمون دوقيات تسكانيا وبارميا ومودنيا ، وكان المستشار النمسوى مترنيخ على علاقات ودية مع البابوية .

عاد فرديناند الاول ملك الصقليتين البوربوني إلى عرشه في نابولي بقوة سلاح الجيش النمساوي وقطع على نفسه عهداً في مادة سرية من معاهدة فينا بان لايتبع اساليب حكم مناقضة لاساليب حكم النمسا في ممتلكاتها الايطالية . شعر السكان الايطاليون في تلك الممتلكات بشدة وطأة ذلك الحكم ولا سيما الايطاليين تذوقوا طعم الحرية المستوردة من فرنسا .

كان فيكتور عمانوئيل الأول ملك سردنيا الحاكم الوحيد في شبه الجزيرة الإيطالية الذي يهتم بالمصالح الإيطالية وحدها، ولكنه سرعان ماخضع لتهديدات ميترنخ وتخلى عن الإصلاحات الفرنسية وأعاد حالة الحكم في بلاده ، قدر المستطاع ، إلى ماكانت عليه قبل سنة ١٧٨٩ .

ومع ذلك كانت المبادىء الحرة تغلي في ايطاليا بعكس ماهو ظاهر للعيان. كانت جماهير الفلاحين بوجه عام لاتبالي بالأمور العامة ، ولكن في صفوف الطبقات الوسطى المثقفة ورجال المهن ورجال التجارة والصناعة انتشرت تدريجياً وتوسعت المطابة بالحكم الدستوري والاستقلال القومي .

استعمل الإيطاليون ، مثل غيرهم، أساليب للدعاية والفوا الجمعيات السرية مثل الفحامين والبنائين الأحرار التي قامت بنشر الدعاية الثورية.

استعمل مترنيخ الشرطة والجنود النمساويين ضد آمال هؤلاء الإيطاليين القومية والحرة ، وكان تاريخ حكمه للممتلكات الإيطالية يلخص بسلسلة من الانتفاضات الشعبية والقمع العسكري .

في سنة ١٨٢٠ قامت ثورة في نابولي ضد حكم فرديناند الأول الاستبدادي . ولما تخلى عنه جنوده وافق على منح بلاده دستوراً حراً، ولكن ماكاد يقسم يمين الولاء للدستور حتى جمع مترنيخ مؤتمر تروباو ، يؤيده في ذلك ملك بروسيا وقيصر روسيا ، فهاجم المؤتمر الثورات وأقر مبدأ التدخل. وقرر عقد مؤتمر آخر يحضره فرديناند ولذلك عقد مؤتمر ليباخ في السنة التالية ، وفيه نقض فرديناند قسمه وطلب من الجيش النمساوي أن يتقدم نحو نابولي لاعادة النظام. وقد نجحت الحملة وقضى على المعارضة في نابولي والغى الدستور . وقام فرديناند، تحت حماية الحراب النمساوية ، بأعمال انتقامية .

بعد ثورة نابولي مباشرة قامت ثورة في بيدمونت . ففي ١٨٢١ قام الجنود بثورة واستولوا على تورينو ، وتنازل الملك فكتور عمانوئيل الأول عن العرش إلى أخيه شارل فليكس ، وعين الأمير شارل البرت (ولي العهد التالي) وصياً على العرش . كان شارل البرت يعطف على النزعات الحرة ويعادي النمسا ولذلك أعطى البلاد دستوراً حراً. ولكن تدخل الجيوش النمساوية السريع مكن شال فليكس من طرد الوصي الحر واقامة الحكم المطلق . في مؤتمر فيرونا (١٨٢٢) اقترح مترنيخ معاقبة شارل البرت بتجريده من حقه في عرش سردنيا وبيدمونت، ولكن شارل فليكس تمسك بمبدأ «الشرعية».ثم أظهر شارل البرت ميله للنزعات المحافظة .

المبحث الرابع
الرومانتيكية Romanticism

الرومانتيكية أو الرومانسية حركة ثقافية ظهرت في القسم الأخير من القرن الثامن عشر والعقود الأولى من القرن التاسع عشر وبلغت أوج عزها في منتصف القرن التاسع عشر كانت الرومانتيكية شيئاً جديداً يأتي في المرتبة الثانية في أكثر الفنون بعد تيار الكلاسيكية. ثم صارت نموذج الثقافة الأوربية والايحاء الرئيسي للآداب وجميع الفنون (ربما باستثناء في العمارة).
الرومانسية أو الرومانتيكية حركة متعددة الجوانب وملائمة بصورة خاصة لتطور الحرية الشخصية والقومية. أتفق جميع الرومانتيكيين على شيئين هما:

١ ـ وجوب تبجيل الشعور والعاطفة كدليلين لما هو صحيح.

٢ ـ وجوب البحث عن «الجميل» بعيداً عن النماذج الكلاسكية.

وفيما عدا هذين الامرين كان هناك اختلاف واسع: فبعض الرومانتيكيين مالوا إلى «الطبيعي» باعتباره صحيحاً وإلى «البدائي» باعتباره جميلا. ومال بعضهم إلى «التاريخي» وعلى الأغلب إلى العصر الوسيط. وبعضهم وجد الوحي في مجتمع أمثل خيالي «يوتوبيا» أو في طلب «الحرية». وقليل منهم نزع إلى ممارسة «الفن من أجل الفن». واظهر عدد كبير منهم ولعهم «بالثورة من أجل الثورة» أو «بالإصلاح من أجل التغيير» وأخيراً دخلت العواطف الوطنية إلى المجموعة.

الاداب

كانت أكثرية أدبيات الفترة (١٨١٥ ـ ١٨٥٠) رومانسية بشكل أو بآخر. كان أبرز شاعر أنكليزي هو الفريد تنسن Tennyson الذي أنشد أمجاد الصناعة الجديدة، والسلام القادم الدائم في أعقاب حرية التجارة، وفضائل الوطنية الانكليزية. قرأت الطبقات والجماهير شعره بشغف، واعجبت به الملكة فيكتوريا وزوجها الامير البرت وجعلته شاعر الملكية.

من معاصري تنسن قاصون رومانسيون مثل ثاكريه Thackeray وجارلس ريد Reade وجورج اليوت Eliot ودكنز Dickens . وفي فرنسا فكتور هوغو Hugo وجورج ساند Sand والكساندر دوماس Dumas وبلزاك Balzac .

في هذا المضمار يستحق الذكر بصفة خاصة جارلس دكنز ، فقد كان المصور الفكه الميال للطبقة الوسطى الدنيا كلها في انكلترة زمانه . وكان رادكاليا إلى حد كبير في حماسته لاصلاح المحاكم والتربية وفي ادانته لاضطهاد الأغنياء للفقراء وظلم الأقوياء للضعفاء .

كذلك يستحق الذكر فكتور هوغو . بدأ حياته الأدبية (في ظل شاتوبريان) ناظماً شعراً رومانسياً وكاتباً رواية تمثيلية عن كروموبل . وفي سنة ١٨٣٠ أخرج روايته الشهيرة « هرناني Hernani » . ونال شهرته من قصصه التي عالجت أشخاص وأعمال عامة الشعب . كان هوغو مثقفاً حراً وديمقراطياً سياسياً ، ولم يحب ملكية لويس فليب البرجوازية الفرنسية . وبالرغم من تبجيله الحماسي لنابليون الأول كان يحتقر الأمير لويس نابليون وقد نفي من فرنسا خلال فترة حكمه .

بدأ بلزاك حياته الادبية كمعجب ومقلد للسير ولتر سكوت ، ولكن ملكاته في الملاحظة كانت اعظم وميوله مختلفة ، ثم سرعان ما اظهر نبوغه الخاص في تصوير جميع أنواع الاشخاص من الدرجة الثانية بين برجوازية زمانه . تؤلف مجلدات بلزاك العديدة من « المهزلة البشرية Human Comedy » منظرا عاما من الرذائل والوهن والحماقات والعيوب التي تميزت بها الطبقة الوسطى في اربعينات القرن التاسع عشر حين تغلغلت الصناعة الميكانيكية في فرنسا واثرت على السياسة العامة التي اتبعتها ملكية لويس فليب الحرة . في روسيا ظهرت الرومانسية في قاصين كبيرين :

١ — ترغنيف Turgeniev المعاصر لدكنز وهوغو . كان مكتئبا ومتشائما كتب بطريقة عاطفية عن سيئات المجتمع الروسي ، وكان اعظم ما كتب

«الاباء والابناء Fathers and chiidern » (١٨٦٢) تحدث فيها عن الدعوة الثورية التي كانت منتشرة حينئذ في روسيا .

٢ ـ دستوفسكي Dostoievsky وهو اكثر رومانسية من ترغنيف احب عامة الشعب واحس بوجود الكثير من الطيبة وسط الفقر والشرور . ظهرت قصته المشهورة « الجريمة والعقاب Crime and Punishment » في ١٨٦٦ .

الرسم

وكان الرسم من بين الفنون الزخرفية التي وصلت اعلى مرتبة من الكمال واظهرت رومانتيكية شديدة الانسجام . خرج ديلاكروا Delacroix الرسام الفرنسي وكونستابل وترنر الرسامان الانكليزيان قبل سنة ١٨٣٠ ، على التقاليد الكلاسكية واسسوا انماطا جديدة في الموضوع والشكل . ولكن التقاليد الكلاسكية بقيت واستخدمها الرسامون الفرنسيون الاخرون للربط بين عصر لويس نابليون وعصر نابليون الكبير وعصر لويس الرابع عشر . ومع ذلك منذ ١٨٣٠ صار ديلاكروا رمز العنصر المتفوق في الرسم الفرنسي وكذلك في رسم الاقطار الاخرى .

صار رسم المناظر التاريخية بالوان زاهية مع الكثير من العاطفة والعمل احد مظاهر الرسم الرومانتيكي . ان معظم المناظر التاريخية التي رسمت هكذا كانت ذات اهمية وطنية ، بعضها يمثل تقدم الشعب نحو الحرية السياسية والكثير منها يمثل قصصا عن حياة الابطال الوطنيين او حكايات عن قوة الشعب العسكرية . وقد اشتد الطلب على مثل هذه الصور . فبنايات البرلمانات والبنايات الحكومية والمتاحف ملئت بلوحات تصور الاعمال العظيمة والمجيدة في ماضي البلاد .

وهناك مظهر خاص من مظاهر الرسم الرومانتيكي هو الرسم الشعري للطبيعية ، وكان سيده الرسام الفرنسي كورو Corot . كانت رسوم مناظره

الطبيعية فاتنة في التركيب وفي تفاصيلها الشبيهة بالحلم . وقد الهم مدرسة بارزة من رسامي المناظر الطبيعية المسماة مدرسة باربيزون Barbizon .

كان اونوريه دوميه Daumier نوعا مختلفا من الفنان ، يبحث عن المضحكات واحيانا عن الاشياء السامية في شوارع المدينة ومحطات السكك ومثاوى الجماهير . اتخذت بعض أعمال دوميه شكل الكاريكاتور ، وكان في فن الكاريكاتور ابرز استاذ ، وقد فعل في الكاريكاتور ما فعل دكنز وبلزاك في القصص . رسم نقاط ضعف البرجوازية وفساد المحاكم وعجز حكومة الطبقة الوسطى .

كانت فرنسا موطن الرسم الافضل الأكثر تميزا في ذلك العصر (١٨٣٠ – ١٨٧٠) ، ولم يكن هناك رسم ممتاز خلال العصر في ايطاليا واسبانيا والمانيا وهولندا .

في انكلترا وحدها كانت هناك مدرسة للرسم ذات تفوق مستقل ، وكانت اكثر رومانتيكية من الرسامين الفرنسيين المعاصرين ، وتضم برن جونز Burne–Jones وروزيتي Rosetti وهولمان هنت Hunt .

تقدم في الكاريكاتور في انكلترا ، كما في فرنسا ، تقدما كبيرا . ربما كان اعظم رسام كاريكاتوري انكليزي في هذا العصر هو جورج كروكشانك Cruikshank . جاءه مصدر قوته في النقد والهجاء من كل حادثة عامة ومن ملاحظاته الواسعة من الجيش والمحكمة والبرلمان والكنيسة والحياة الواطئة والحياة العالية ومن دعابات عامة الشعب وحماقات الطبقات الحاكمة .

الموسيقى

كانت الموسيقى في فترة (١٨٣٠ – ١٨٧٠) رومانتيكية تماما . فقد عزفت في كل مكان لحنا وطنيا كتبت الاناشيد الوطنية واكتشفت واخترعت الاغاني الشعبية وتضمنتها الالحان التي تعزف بمصاحبة الاوركسترا . لم تعد الاوبرات واكثر الاشكال الموسيقيـــة الاخرى تعتبر اوربية كما كانت تعتبر موسيقى

موتزارت باخ وحتى بيتهوفن بل صارت تعتبر المانية او فرنسية او ايطالية . كان المنتظر من المؤلفين الموسيقيين الفرنسيين مثلاً ان يعبروا عن الصفة الفرنسية او يعالجوا مواضيع فرنسية ، او اذا استخدموا المواضيع الاخرى ان يعالجوها باسلوب فرنسي . وصارت الاوبرا خاصة مؤسسة وطنية وصار حجم دور الاوبرا وفخامتها موضوع منافسة بين الحكومات الوطنية .

كان ابرز المؤلفين الموسيقيين في هذه الفترة شوبان Chopin في بولندا وكونو Gounod وبرليوز Berlioz وبيزيه Bizet في فرنسا ، ولست Liszt ورجارد فاغنر Wagner في المانيا ، وفردى Verdi في ايطاليا .

ان قطعة تروفا تورى Trova Tore لفردى (١٨٥٣) اكسبته شهرة كموسيقار مسرحي . و «عائدة» اكثر اوبراته فخامة مليئة باللون المحلى العميق كتبها بطلب من الخديوي اسماعيل واخرجت في القاهرة للمرة الاولى سنة ١٨٧١ ، بعد فتح قناة السويس بقليل .

المبحث الخامس

الاشتراكية Socialism

كانت الثورة الفرنسية في جوهرها ثورة برجوازية قدست التملك الخاص. نال الفلاحون مكاسب مهمة من الثورة اي الأرض ، ولكن العمال لم يكسبوا شيئاً مهماً . ولكن مكنت الحرية بعض المفكرين والساسة من مناقشة موضوع التملك الخاص . وكانت الحرية والمساواة أمام القانون اللتان بشرت بهما الثورة الفرنسية أهم ركيزتين للعدالة في العصر الحديث .

الاشتراكية مدينة للثورة الفرنسية ببعض من الصفات المميزة التي احتفظت بها طويــــلا :

– نزعة المساواة كحافز للأشتراكية .

٢ – الروح الثورية التي اظهرت أن بمقدور النوع البشري أن يعبر بقفزة واحدة من نظام حكم إلى نظام حكم اخر.

٣ – النزعة العقلية .

٤ – النزعة الاممية التي لم تعد تهتم بقضية المدينة أو الأمة ، وإنما بقضية الجنس البشري كلــه .

وكان من آثار الثورة الصناعية ان زادت في ثروة البرجوازيين الرأسماليين وعددهم وقوتهم ، كما زادت في عدد العمال وفي استغلال البرجوازية لهم فزادت بذلك تعاستهم وفقرهم . ظهر من بين الطبقة الوسطى بعض الإنسانيين الذين تعاطفوا مع العمال في محنتهم . ولذلك يمكن أن يقال أن الثورة الصناعية ومارافقها من بؤس الطبقة العاملة كانت مصدر الاشتراكية تدعى الاشتراكية حل المفارقة القائمة في العصر الحديث : الفقر الذي نشأ من انتشار الآله .

كلمة الاشتراكية كلمة حديثة ، ولدت في فرنسا وانكلترا بين ١٨٣٠و ١٨٤٠ . ففي فرنسا يبدو أن بيير لورو Leroux من اتباع سان سيمون كان

أول من أعطى لهذه اللفظة معنى دقيقاً وأول من أتخذها أسماً لمذهب ، وكان يعني بها النظرية التي تلحق الفرد الحاقاً بالمجتمع بعكس أتجاه المذهب الفردي (١٨٣٣) . وكانت هذه الكلمة تستعمل للإشارة إلى اتجاه عند روبرت أوون Owen يقول بأن من الممكن التوصل إلى بناء عالم اقتصادي وأخلاقي جديد بدون مساعدة الدولة ، وذلك بتكتيل الناس بصورة حرة في جمعيات تعاونية . تؤكد الاشتراكية الحديثة أن بالإمكان أن يستبدل عمل الجماعة المشتركة في انتاج الثروات وتوزيعها بمبادرة الأفراد الحرة .

اشهر الاشتراكيين

١ – روبرت اوون ١٧٧١ – ١٨٥٨ :

ولد روبرت أوون في ويلز . بدا مستخدماً صغيراً ، وجنى بعد ذلك ثروته في مصانع لانكشير ثم كلاسكو ، حيث تزوج من ابنة رب عمله . وأصبح بفضل مصانعه في نيولانارك أحد كبار الصناعيين الانكليز في صناعة القطن.

في عام ١٨١٣ نشر كتابه الأول نظرة جديدة للمجتمع .

A New View of Society قال فيه أنه في سبيل تحسين الوضع الانساني يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الإنسان ليس حراً وانه النتاج المطلق لبيئته ، ولرفع مستوى الانسان يجب البدء بتبديل وسطه الذي يعيش فيه.

صار روبرت أوون رب عمل كبيراً يطالب بتحسين حال العمال . قام في معامل نيولانارك بتجربة اجتماعية واسعة . فقد انشأ مؤسسة تعاونية ملحقة بالمصانع ليشتري العمال حاجاتهم منها . وجعل يوم العمال عشر ساعات ونصف (في حين كانت ساعات العمل في المصانع الأخرى تتراوح بين ١٢ و ١٦ ساعة) كما ثبت الأجور ، ونظم مدارس والعاباً للأطفال بعد أن وفر لهم الوقت اللازم والامكانيات للدراسة.

وضع آوون منهاج عمل جديداً شبه اشتراكي على الرغم من كونه رجل عمل أكثر منه رجل مذهب . قدم أوون تفسيراً للازمات التي أدى اليها

انتشار الآلة وما يسببه من فيض بالإنتاج : ان أصحاب الصناعات يشغلون مصانعهم ليبيعوا المنتوجات التي تصنعها ، ولكن يتعذر تصريفها لأن الأغنياء قليلون جداً ولأن العمال فقراء جداً . في سبيل معالجة حالة الأزمة هذه عزم أوون على العمل على الصعيدين القومي والأممي . فعلى الصعيد الامي طلب أوون من الدول العظمى المجتمعة في مؤتمر ايكس لاشابيل (١٨١٨) أن تنظم تشريعاً أممياً لحماية العمل وتحديد مدته . أما على الصعيد القومي فقد توصل إلى دفع روبرت بيل للتقدم بمشروع يحدد عمل الأولاد في مصانع القطن (١٨١٩) ، وطالب أوون بإجراء تجارب اشتراكية في تنظيم مستوطنات زراعية يعمل فيها سكانها لسد حاجاتهم الخاصة سماها « قرى التعاون والصداقة » . وهكذا كان أوون أول من نادى بنوع من اشتراكية الدولة . ولكنه في عام ١٨٢٠ وجه نداء إلى العمال قال فيه أن عليهم عدم الاتكال على أحد في سبيل تحسين ظروفهم، وكان يريد أن يعمد العمال إلى البدء بإقامة مستوطنات لهم بأنفسهم .

في ١٨٢٤ سافر روبرت أوون إلى أميركا ، وأسس على سبيل التجربة مستوطنات في نيوهارموني في ولاية انديانا . وقد فشلت التجربة وعاد إلى انكلترا سنة ١٨٢٩. وفي أثناء ذلك سن قانون في انكلترا سمح فيه للعمال بحرية التكتل (تنظيم أنفسهم) Combination (١٨٢٤) .

وفي سنة ١٨٢٦ أسس أتباع أوون تعاونيات في مدينة برايتن بادئين بالتعاونيات الاستهلاكية ، ومن ثم الانتاجية . وكان المشتركون يدفعون ٥ ٪ زيادة عن سعر الجملة وهذه تؤلف وفراً يساعدهم على أفتتاح مصانع . وتكاثرت هذه التعاونيات الصغيرة. ثم مالبثت أن طرحت مشكلة تصريف منتوجاتها فأوجدوا «السوق التعاونية» وفيها كان يتم تبادل المنتوجات. استهان أوون في البداية بهذه الحركة التي كانت تبدو تافهة ولكنه مالبث أن تبناها. وتألفت في لندن عام ١٨٣٢ مؤسسة العدالة القومية ومؤسسة تبادل العمل حيث

كان يتم تبادل المنتوجات فعلياً لما يتطلب انتاج كل منها من ساعات عمل. والغى تبادل العملة وابدلت ببطاقات العمل وهي عبارة عن بطاقات تبين عدد ساعات العمل. في سنة ١٨٣٠ كان عدد الدكاكين التعاونية (١٧٠)، وارتفع عددها عام ١٨٣٢ إلى مابين (٤٠٠) و (٥٠٠) على شكل مخازن تعاونية الغى فيها الربح الغاء تاماً وأصبح المنتجون يبيعون فيها مباشرة للمستهلكين ولكنهم يحتفظون فيها بتبادل العملة.

نمت الأفكار الاقتصادية في أوساط العمال بفضل هذه الحركة التي سماها روبرت أوون حركة «اجتماعية» ثم سماها «اشتراكية». ولما عادت هذه الحركة من جديد حوالي سنة ١٨٤٠ سارت في اتجاه اشتراكية. ديمقراطية.

۲ ـ سان سيمون Saint Simon ١٧٦٠ ـ ١٨٢٥ :

هو الكونت كلود هنري دي رو فروا Rouvroy الشهير بسان سيمون نال في شبابه شهرة حين تطوع مع لافاييت في حرب الاستقلال الاميركية. عاد إلى فرنسا (١٧٨٣) وأيد الثورة الفرنسية وتنازل عن لقبه.

جمع ثروة عن طريق المضاربة بالأملاك وأنفقها بسخاء على صالون للعلماء. أمضى سنوات عمره الأخيرة في فاقة، وعزاؤه أن له رسالة يؤديها للبشر.

أظهر منذ البداية اهتماماً كبيراً بالتقدم الصناعي الفني، وأعد مشروعاً لشق قناة بناما.

اتخذ اوغستين تييرى Thierry بين عام ١٨١٤و ١٨١٨ ، واوغست كونت بين ١٨١٨ و ١٨٢٢ مساعدين له. الف كتابا بالتعاون مع تييرى بعنوان حول التنظيم الجديد للمجتمع الاوربي (١٨١٤). وكانت فلسفة كونت الوضعية ثمرة طبيعية لأفكار سان سيمون، بل كان أول مؤلف من مؤلفات كونت كتب باشراف سان سيمون.

على الرغم من الحاحه على ضرورة اقامة مجتمع منظم على اساس جماعي فان سان سيمون لم يفكر بالاشتراكية كحركة تنطوي على صراع طبقي بين أرباب العمل والرأسماليين وبين العمال ، بل اعتبر ان لهاتين الطبقتين كنهما ، وقد جمعهما معا تحت اسم الصناعيين ، مصلحة ضد المتبطلين والعسكريين . قال ان العهد الجديد يتضمن قبل كل شيء الغاء كل فارق طبقي فلا تبقى حاجة للاسياد والبرجوازيين ورجال الدين بل تبقى في المجتمع طبقتان : عمال وعاطلون . وفي المجتمع الجديد سيحكم على الطبقة الثانية بالفناء لانه لايوجد مجال للعيش الا للطبقة الاولى التي تشمل ، عدا العمال اليدويين ، والحرفيين والصناع وأصحاب البنوك والعلماء والفنانين .

كان سان سيمون وفورييه ملهمين لكثير من الافكار الاشتراكية التي نشأت بعدهما .

وجد سان سيمون أن القوى المسيطرة في المجتمع هي في ميدان الصناعة والعلم . ورأى ان على قادة الصناعة والعلم ان يعيدوا تنظيم الدولة ويوجهوها حتى يقيموا نظاماً اجتماعياً افضل . وفي كتابه المسيحية الجديدة (١٨٢٥) اعلن ان مفهوم الاخاء بين البشر يجب ان يصاحب التنظيم العلمي . وكانت غايته تحسين حياة اكبر عدد من الشعب معنوياً واخلاقياً ومادياً باسرع واعظم ما يمكن .

اشتهر بعد سان سيمون عدة تلاميذ له . انتقد السان سيمونيون بعده التملك الخاص . وجهوا انتقادهم من نقطتين هما التوزيع وانتاج الثروة او العدالة والمنفعة .إن الاستغلال نقص أساس في نظامنا الاجتماعي وهو كائن في التملك الخاص ولا يفارقه أبداً ، وليس هو نقصا عارضا بل هو الصفة البارزة في النظام كله ، لان الصفة الاساسية في كل تملك خاص هي حق الاستمتاع بثمرات العمل دون مكايدة مشقات الانتاج .

كانت جميع جهود السان سيمونيين مركزة حول الميراث . فكل انواع فوضى الانتاج سواء كانت ظاهرية ام حقيقية ناتجة في نظرهم عن تبذير الثروة حسب صدف الحياة والموت . وعن الميراث تنشأ الشرور الناتجة عن وضع وسائل الانتاج في ايدي جاهلين بحاجات الصناعة وبحاجات عمالهم وبوسائل متعتهم .

٣ ــ شارل فورييه Fourier ١٧٧٢ ــ ١٨٣٧ :

ولد فرانسوا ماري شارل فورييه في بيزانسون في فرنسا من اسرة تجارية من اسر الطبقة المتوسطة خسرت معظم ممتلكاتها في اثناء الثورة الفرنسية .

وهو احد الاشتراكيين الطوباويين . كتب عن الانسجام الاجتماعي وانتقد النظام الرأسمالي . وكتب عن معسكرات تقوم فيها مجتمعات اشتراكية (كتائب Phalansteres) : عدد من الناس يعيشون تحت سقف واحد ويأكلون حول مائدة واحدة ، ويسيرون في حياتهم اليومية على نمط واحد .

اعتبر فورييه الزراعة عمل الناس الرئيسي : البستنة وتربية الماشية والدواجن .

يعطي فورييه أهمية كبيرة لطراز العيش ، وذلك لاعتقاده ، الذي يشاركه فيه أوون ، بانه لايوجد حل لمشكلة المجتمع حتى يتم تغيير المحيط بحيث يمكن الحصول منه على طراز جديد للانسان .

ان عدداً كبيراً من الكلمات التي دخلت مفردات التفكير الاشتراكي يعدد الفضل فيها إلى كتابات فورييه . اشهر كتبه العالم الصناعي والمجتمعي الجديد (١٨٢٩)

كان لفورييه تلاميذ وحواريون في فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة.

٤ ــ بيير برودون Proudhon ١٨٠٩ ــ ١٨٦٥ :

ينتمي بيير جوزيف برودون إلى الطبقة الاكثر عددا والاشد فقراً في ريف بيزانسون في فرنسا . كان بردون ديمقراطيا مع ميول فوضوية وكان مثله الاعلى الحرية والعدالة . اراد مجتمعا يتمتع فيه جميع الناس بالحرية على

اساس متبادل يعني شرط منح الاخرين حرية متكافئة . والعدالة والحرية هما اساس النظام الاجتماعي ، ويجب ان لايفرضا من جانب اي سلطة متحكمة في مصائر الافراد . ان التنظيم الاجتماعي الذي تحتاج اليه البشرية يجب أن يكون خادم الانسان لاسيده . وفي رأيه ان الجمهورية المثالية هي فوضى حقيقية . هذه اللغة اقرب إلى لغة الفوضوية منها إلى لغة الاشتراكية . وكان برودون اول من احدث لفظة « فوضوية Anarchism » في المعجم السياسي .

كانت الثورة الفرنسية قد اعلنت سيادة جمعية وطنية منتخبة تمثل الامة كلها . وكان دستور ١٧٩٣ الجمهوري الذي لم ينفذ قد خول حق الاقتراع لهيئة كبيرة من المنتخبين اي منح حق الاقتراع لجميع الذكور البالغين . بعد ذلك صار الناس ينظرون إلى الدولة في الاعم الاغلب نظرتهم إلى قوة قسرية يرزح الشعب تحتها ، وان يطالبوا بنوع من جمعية تأسيسية جديدة للتعبير مباشرة عن حقوق الشعب ولوضع دستور يجسد الاعتراف بتلك الحقوق.

كان برودون غير مطمئن إلى أي نوع من انواع التنظيم التي تحد من حرية الفرد الى أبعد مما هو ضروري . في رأى برودون تحتل الاسرة المركز الرئيسي ، والمجتمع الذي ميزة برودون عن الدولة او الحكومة تمييزاً قاطعاً كان في جوهره تجمع اسر . والمجتمع الاوسع انما يتألف من أسر كان بينها انسجام طبيعي وتناقض طبيعي في آن معا . ولكن لم يكن ثمة ما يحول دون ايقاع الانسجام إلى حد كاف بين المصالح المتنافرة ضمن اطار اجتماعي مرن قائم على اساس العدالة المتبادلة .

كان برودون يفكر بالمجتمع ومشكلاته في الاعم الاغلب بلغة النشاط الاقتصادي ذي النطاق الضيق والزمر الاجتماعية الصغيرة ، وكان يفكر بالاسر الفلاحية التي تحرث مزارعها الصغيرة . او بالصناع الفرديين الذين ينتجون على نطاق ضيق . ودعا برودون إلى التسليف المجاني ، يعنى وضع

رأس المال في متناول جميع المنتجين القادرين على انتاج السلع والخدمات.

في ١٨٤٠ قدم برودون دراسة شهيرة عنوانها مقالة في التملك ، وصف فيها الملكية وصفا عاما بانها سرقة « الملكية هي السرقة » واكد انها منتزعة كلها من ثمرات العمل . وهناك قوة اجتماعية تفوق القوة الفردية ولابد ان يحسب حسابها ، فتعاون العمال وتواقت حركاتهم وتلاقيها عوامل خلاقة للقيمة . فتصور برودون على ان الملكية نوع من السرقة لانها تتضمن استيلاء فرديا على ثمار عمل لمشترك . فرب العمل لم يدفع اجر كامل العمل الذي يجنى منه ربحا . وبما ان كل انتاج جماعي بالضرورة فان كل رأس مال متراكم هو ملكية جماعية . وفي سنة ١٨٤٦ نشر برودون كتاباً آخر عنوانه فلسفة البؤس الذي يوضح اشتراكية البرجوازية .

كان برودون مفكراً اصيلا وكانت آراؤه في الاعم الاغلب مستمدة من خبرته الشخصية ورؤيته الشخصية للمجتمع لا من بعض الباحثين النظريين الآخرين .

كان نفوذ برودون في فرنسا عميقاً وباقياً وكان غامراً في أوساط العمال الباريسيين خلال العقدين السادس والسابع من القرن التاسع عشر . ولقد سيطر على الشعبة الفرنسية من « رابطة العمال الدولية» (الامية الاولى ١٨٦٤) خلال السنوات الاولى من وجود تلك الهيئة .

٥ ــ لويس بلان Blanc ١١٨١ ــ ١٨٨٢ :

ولد لويس بلان في اسبانيا من اب فرنسي وام اسبانية . اشتغل في بداية حياته بالمحاماة والصحافة . وفي سنة ١٨٣٩ نشر كتابه الذي اكسبه الشهرة : تنظيم العمل ، وتضمن معظم افكاره الاساسية . واسهم مع آخرين في اصدار جريدة الاصلاح ، ونشر كثيرا من المؤلفات بعضها عن تاريخ فرنسا بين ١٧٨٩ و١٨٤٨ وبعضها عن تاريخ انكلترا .

كان بلان اشهر شخصية في الحركة العمالية في فرنسا خلال سنوات ١٨٤٠ – ١٨٤٨ . ويعتبر رائداً من رواد الاشتراكية الديمقراطية . كان مؤمنا بالديمقراطية النيابية القائمة على اساس حق الاقتراع الشامل الذي اعتقد بلان انه كفيل بتحويل الدولة إلى اداة تقدم ورفاهية . اعتبر الدولة المركز الرئيسي في التخطيط الاقتصادي وفي تطوير الخدمات الهادفة إلى تحقيق الرفاهية . وبالرغم من انه شديد القسوة في حملاته على الرأسمالية والتنافس وفي كشفه عما يقاسيه العمال من البؤس في ظل النظام القائم كان في الوقت نفسه خصما عنيداً لمبدأ الحرب الطبقية .

لم يكن من القائلين باشتراكية الدولة ولم يرد من الدولة ان تدير الصناعة بل اراد منها ان تساعد على انشاء هيئات متمتعة باستقلال ذاتي يستطيع العمال بواسطتها ان يديروا شئون الصناعة بانفسهم . واعتقد ان جمعيات العمال التي تساعدها الدولة ستكون قادرة . عن طريق اجتذاب افضل العمال . على ان تطرد الرأسماليين من ميدان العمل بفضل قدرتها على المنافسة أي انه دعا إلى تقوية المنافشة لاجل التخلص من المنافسة .

قال لويس بلان ان على الدولة ان تقدم رأس المال الضروري لانشاء « المصانع الوطنية » (وهي مصانع اجتماعية زراعية وصناعية) وان تعين لها مديرين يتولون امورها سنة واحدة . اما بعد ذلك فيختار العمال مديريهم بانفسهم . وقال يجب ان تتمتع هذه المصانع بالاستقلال الذاتي . كانت الغاية النهائية انشاء مجتمع تسود فيه المساواة الاقتصادية والمساواة الاجتماعية.
قال بلان ان الاستقلال الاقتصادي الذاتي سيحمل جميل العمال الممتازين على التقاطر إلى المصانع الوطنية بحيث يضطر الرأسماليون ، حين يفقدون افضل عمالهم ، إلى تحويل صناعاتهم إلى النظام الجديد . واعتقد ان في الامكان تنظيم الزراعة تدريجيا على اسس مماثلة .

في عام ١٨٤٨ بدا كان لويس بلان قد وجد الفرصة التي كان يترقبها

فقد دخل مع الزعيم العمالي البير الحكومة المؤقتة بوصفه الممثل المعتمد للجناح اليساري من الجمهوريين . شرع في الحال بالضغط من اجل اقناع زملائه بان يقبلوا افكاره الاجتماعية ، ولكن الحكومة لم تبد أي عطف على مشروعاته ولم تتحمل اشتراكه في الحكم الا لكي يحمل نفوذه العمال على التزام السكينة.

وجدت الحكومة سبيل الخلاص مؤقتا في تأليف لجنة لكسمبرك برئاسة بلان ، وفيها البير عضواً ، للقيام بدراسة دقيقة للمسائل العمالية ولابداء الرأي فيما يجب ان يعمل . كانت هذه اللجنة وسيلة لالهاء بلان ولاغراء الجماعات الاكثر اعتدالا بالاحجام عن القيام باي عمل. ضمت اللجنة في عضويتها ممثلين عن ارباب العمل بالاضافة إلى عدد من علماء الاقتصاد ومن الباحثين في المسائل الاجتماعية . نظم خصما بلان (مارى واميل توماس) خطة مصانع حكومية وطنية كانت مجرد وكالات غوث تستقبل العمال العاطلين وتشغلهم كيفما اتفق او تكتفي بدفع الاجور لهم من غير ان يأتوا عملا ما ، ابتغاء اقصائهم عن الشارع .

لما زال خطر قيام الطبقة العاملة بمحاولات ثورية بعد ان قضى عليها الجنرال كافانياك سارعت الحكومة إلى إغلاق تلك المصانع ، ثم فر بلان إلى انكلترا حين أتهم بالإشتراك في اضطربات حزيران ١٨٤٨.

اشتهر بلان بترويج الشعار القائل «من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجاته». بقي بلان حتى النهاية أشتراكياً ديمقراطياً اصلاحياً ينادى باشتراكية أخلاقية. حين عاد من انكلترا في ١٨٧٠ عارض كومونة باريس ونادى بالإصلاح الاجتماعي .

المصادر :

AF.B. Artz. Reaction and Revolution, 1814–1832, New York, 1934.

R.C.Binckley, Realism and Nationalism. New York, 1934.

H.J.Laski the Rise of European Liberalism, London, 1971.

J.P.T.Burry, France 1814–1940, London 1949.

A.J.P.Taylor, The Coure of German History, London 1945.

D.Thompson, England in the Nineteenth Century, London 1950.

N–Mackenzi, Socialisum, London, 1949.

E.L. Woodwand, The Age of Reform, 1815–1870, Lomdpm, 1938.

الفصل الرابع
الثورة الصناعية

شاع في العصر الحديث في اوربا استعمال كلمة الثورة للدلالة عن التغير السريع الاساس الواسع النطاق في عالم التجارة والزراعة والسياسة والصناعة وغيرها . اطلق على التوسع الكبير ، خلال العصر الحديث ، في انكلترا ، في عالم التجارة اسم «الثورة التجارية» حين اتسعت العلاقات التجارية بين انكلترا والعالم ، وادى الى ذلك زيادة الثروة وتراكمها . كما اطلق على التوسع الكبير ، خلال العصر الحديث ، في انكلترا ايضا في عالم الزراعة اسم «الثورة الزراعية» حين اتسع الانتاج الزراعي بتأثير استعمال الالة والاسمدة والاساليب العلمية فادى ذلك بدوره إلى زيادة الثروة وتراكمها كان تراكم رأس المال بسبب الثورتين التجارية والزراعية سببا مهما في حدوث الثورة الصناعية بعد ذلك ، في انكلترا ثم في اوربا وفي العالم .

استعملت كلمة ثورة في عالم السياسة على ما حدث في انكلترا سنة ١٦٨٨ واطلق عليه اسم «الثورة المجيدة» ، وبها صارت انكلترا ملكية مقيدة . ثم قامت ثورة الاستقلال الاميركية (١٧٧٦) وبها تحررت المستعمرات الاميركية التابعة لانكلترا وكونت دولة الولايات المتحدة الاميركية . ثم جاءت الثورة الفرنسية التي حولت الملكية الفرنسية المطلقة إلى ملكية مقيدة ثم إلى الجمهورية وقضت على بقايا النظام الاقطاعي وادت الى وصول البرجوازية إلى الحكم فكانت ثورة سياسية واجتماعية .

مثل الثورة الفرنسية العليا هي الحرية الفردية والسيادة الشعبية والقومية وقد انتشرت انتشاراً واسعا في انحاء القارة الاوربية في عهد نابليون ومترنيخ واصبحت هدفا لمجهود سياسي واجتماعي وفكري في اوربا وفي انحاء العالم ولذلك كانت الثورة الفرنسية مصدراً مهما من مصادر الحضارة الاوربية الحديثة . اما المصدر الاخر الاكثر اهمية لهذه الحضارة الاوربية فهو الثورة الصناعية . كان لابد من ثورة في الفنون الصناعية . لتكوين المعالم الاقتصادية والاجتماعية للحضارة الحديثة .

المبحث الاول

مفهوم الثورة الصناعية

يمكن تعريف الثورة الصناعية بانها تغيير اساس او سلسلة من التغييرات الاساس في طريق الصناعة نقلت الجماهير من الحرف الصناعية الموروثة الى اساليب جديدة في العمل والسفر والمعيشة .

الاصل ان يكون التغيير سريعا ، ولكن التحول الصناعي لم يكن سريعا جدا كما يفهم من كلمة ثورة بل كان سريعاً نسبياً بالقياس الى ما كان عليه التحول وكميته والانتاج الصناعي خلال القرون الطويلة السابقة للثورة الصناعية .

كان التحول الصناعي في القرن الثامن عشر واضحاً في بعض النواحي خلال الستين سنة (١٧٧٠ – ١٨٣٠) ثم تقدم كثيرا في الاربعين سنة التالية (١٨٣٠ – ١٨٧٠). الا انه لم يأت بنتائج مدهشة تعم العالم الا بعد سنة (١٨٧٠) . فان المكائن التي اعتمد عليها في نمو الانتاج لم تظهر فجأة ولم يأت بها اشخاص مرموقون بل كانت على الاكثر من عمل رجال مغمورين نسبياً او نتيجة التحسن المستمر لمخترعات سابقة ، اذ كان يمر عليها بعد اختراعها وتسجيل امتيازها وقت طويل قبل ان تصبح مفيدة وصالحة للاستعمال العام .

المبحث الثاني

اسباب ظهور الثورة الصناعية

في انكترا

يعزى حدوث التغيير المعروف بالثورة الصناعية في انكلترا اولا قبل غيرها الى حقيقة ان بعض الشروط اللازمة للتغير قد تحققت تماماً في انكلترا قبل اي قطر آخر . ويمكن درج هذه الشروط تحت ستة مواضيع :
رأس المال ، والعمل ، والتكنيك ، والموارد ، والنقل ، والأسواق :

١ – رأس المال :

من اجل التصنيع الواسع النطاق ، يكون **رأس المال ، بكميات كبيرة،** ضرورياً لبناء المعامل والمكائن وتشغيل العمال **وشراء المواد الخام**

توفر رأس المال في انكلترا كأرباح من التجارة البريطانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ومن الزراعة ذات الطابع الرأسمالي التي انتشرت بصفة خاصة بعد١٧٤٠ كنتيجة لحركة التسييج (كان النزاع يحدث بين صحاب الأراضي من النبلاء وصغار المزارعين حول ملكية تلك الأراضي وقد صدرت عدة قوانين لتحديد ملكية الأراضي وتسييجها . بين القرن السادس عشر والتاسع عشر اصدر البرلمان البريطاني مئات القوانين لتقرير ملكية الأراضي الزراعيةبعد درس المستندات والوثائق التي يحملها اصحابها) .
عجل بنك انكلترا باستعمال رأس المال وظهرت سوق المال حيث تخصم الحوالات والكمبيالات وتباع وتشترى الأسهم .ولما اشتدت الحاجة لتمويل الصناعة سمح قانونياً بظهور البنوك المساهمة (١٨٢٦) . وفي خلال السنوات التالية صار ظهور الشركات المساهمة الصناعية والتجارية والمالية بسيطاً وسهلا. ان اكثرية رأسمال انكلترا الصناعي أوجد نفسه بنفسه أي أن رجل الصناعة مثلا يبدأ مثلا برأسمال صغير ثم يوسع معمله باضافة القسم الأكبر من أرباحه إلى عمله المذكور.

٢ ـ العمل :

خلال القرن التاسع عشر جهزت الصناعات الانكليزية الجديدة بالعمال من المصادر عديدة :

أ ـ تكاثر سكان بريطانيا بسرعة، وتضاعف تقريباً خلال القرن الثامن عشر، كما تضاعف خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر مرة أخرى بالرغم من الهجرة الكبيرة إلى خارج البلاد.

ب ـ كانت هناك هجرة الى داخل انكلترا من عمال القارة الاوربية خلال القرن الثامن عشر، ومن عمال ارلندا خلال القرن التاسع عشر.

ج ـ توفر العمل في انتاج المعامل عن طريق انقراض زراعة الفلاحين القديمة التدريجي كنتيجة لحركة التسييج.

٣ ـ التكنيك (المهارة الفنية) :

في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر تقدمت انكلترا في مضامير التكنيك والاساليب والمكائن الضرورية للصناعة الواسعة النطاق. فقبل نهاية القرن الثامن عشر كانت قد تقدمت مخترعات نسيج القطن، منها :

أ ـ المكوك الطائر الذي اخترعه جون كي Kay في ١٧٣٣.

ب ـ جهاز الغزل (جني Jenny) الذي اخترعه جيمس هاركر يفز Hargreaves حوالي سنة ١٧٦٧.

ج ـ الجهاز المائي الذي اخترعه رجارد اركرايت Arkwright في ١٧٦٩.

د ـ جهاز الغزل (البغل Mule) الذي اخترعه كرومتن Crompton في ١٧٧٩.

هـ ـ النول الآلي الذي اخترعه ادموند كارترايت Cartwright في ١٧٨٥.

و ـ ماكنة حلج القطن التي اخترعها ايلي وتني Whintey في ١٧٩٢ (في الولايات المتحدة).

ز ــ ماكنة بصم القماش القطني الاسطوانية التي اخترعها توماس بيل Bell في ١٧٨٥ .

ح ــ قصر الاقمشة الكيمياوي والاصباغ الكيمياوية .

تم تجميع هذه المخترعات وتنسيقها بنجاح في معامل تدار بالماء او حتى بقوة البخار . سبب الانتاج الواسع النطاق في المعامل خروج انتاج الدكاكين الصغيرة والانتاج البيتي لخيوط القطن من الميدان .

وفي أوائل القرن التاسع عشر نمت وتقدمت صناعة قطن المعامل بقفزات كبيرة. ولما حلت سنة ١٨٣٥ كان في الجزر البريطانية نحو (١٠٦) آلاف نول آلي .

انعشت صناعة الحديد الانكليزية بعد منتصف القرن الثامن عشر باستعمال أساليب دربي (تحويل الفحم الحجري إلى فحم الكوك ثم استعمال تيار قوى من الهواء في عملية الإذابة) وباستعمال سلسلة من الاختراعات والتحسينات الأخرى :

أ ــ مضخة جون سميتن Smeaton الهوائية .

ب ــ الفرن العاكس (فرن تم فيه عملية الصهر بانعكاس الحرارة من سقفه على المعدن المعالج) وتحريك الحديد الذائب لتنقيته .

ج ــ الطاحونة الدوارة .

كل هذه طورها هنري كورت Cort وبيتر أونيونز Onions في حوالي ١٧٨٣ .

د ــ مطرقة جيمس واط Watt البخارية .

هـ ــ طريقة هنتسمن Huntsman في صنع الفولاذ حوالي ١٧٤٠ .

و ــ التيار الحار ــ نيلسن Nielson في ١٨٢٨ ؛

وفي أوائل القرن التاسع عشر صار انتاج الحديد بكميات متزايدة وسريعة . ومن الحديد صنعت المكائن الجديدة . خلال القرن التاسع عشر كانت القوة الشائعة الاستعمال هي قوة الانسان أو البغال أو الريح أو الماء . كان المحرك البخاري نيوكومن Newcomen قد اخترع في أوائل القرن الثامن عشر ولكن استعماله كان محصوراً في ضخ الماء من المناجم .

وادخل جيمس واط تحسينات كبيرة على المحرك وسجل اختراع محركه سنة ١٧٦٩ واستعمل في الصناعة لاول مرة سنة ١٧٧٦ . وفي العقد الاول من القرن التاسع عشر صار البخار قوة محركة كبيرة .

استعملت المحركات البخارية في البواخر ، وكانت باخرة روبرت فلتن Fulton كلير مونت Clermont احدى البواخر الاولى في ١٨٠٧. وكانت اول قاطرة ناجحة نوعا ما صنعها جورج ستيفنسن Stephenson في ١٨١٤ . وواجه جيمس واط بعض الصعوبات في صنع محركاته الاولى لعدم وجود الات ميكانيكية صالحة ، ولكن تغلب عليها تدريجيا بتطوير واستعمال المثاقب والمخارط والمسند المتحرك والمكابس الضاغطة .

٤ ـ الموارد :

حبت الطبيعة انكلترا بالموارد التي تحتاجها للتصنيع . كان مناخها رطبا لدرجة كافية يلائم الغزل والنسيج الآليين . وكانت قوتها المائية وافرة . واهم من هذا وهبت الطبيعة انكلترا بمقادير كبيرة من الفحم والحديد .

٥ ـ النقل :

كانت انكلترا مهيأة للنقل البحري بموانيها الكثيرة وشحن السفن الواسع عندما حل القرن الثامن عشر . وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر جددت انكلترا مواصلاتها الداخلية ببناء شبكة من الطرق والقنوات . وبما انه لايوجد جزء من انكلترا يبعد عن المياه باكثر من ستين او سبعين ميلا فقد جعلت

هذه الطرق والقنوات كثيرا من المدن الداخلية في وضع تسهم به بصورة مباشرة بالتجارة البريطانية المتنامية .

٦ ـ الأسواق :

بموجب قانون الاتحاد لسنة ١٧٠٧ كونت انكلترا وسكوتلاندا سوقاً مفتوحاً متماسكة حرة من التعرفة الكمركية . ثم أنضمت اليهما أرلندا في ١٨٠٠ فاعطت للصناعة سوقاً محلية واسعة .

كان التجار الانكليز قد فتحوا المسالك التجارية إلى جميع أوربا وإلى شمال اميركا وافريقيا واسيا . وزادت الولايات المتحدة بعد استقلالها من مقادير مشترياتها . وكانت الهند تشتري مقادير متزايدة من البضائع البريطانية ولا سيما المنسوجات القطنية الجديدة والرخيصة. وفتحت أسواق المستعمرات الاسبانية والاميركية للتجارة البريطانية في فترة الثورة الفرنسية ونابليون . وزادت بريطانيا تجارتها معها عندما استقلت في عشرينات القرن التاسع عشر .

ولما حلت سنة ١٨٣٠ كان لدى انكلترا جميع مستلزمات النمو السريع لإنتاج المعامل على نطاق واسع .وفي هذا الوقت كانت انكلترا قد تقدمت في مكننة بعض الصناعات الرئيسة مثل نسيج القطن والمعادن .

انتقال الثورة الصناعية إلى اوربا الغربية ١٨٣٠ ـ ١٨٧٠ :

أثر تصنيع بريطانيا على أوربا. فقد تم ادخال المكائن مثل الجهاز المائي الذي اخترعه أركرايت إلى فرنسا وبلجيكا وهولندا في القسم الأخير من القرن الثامن عشر. فمنذ سنة ١٧٨١ قام رجل انكليزي يعمل في الحديد بأعمال انتاج المعادن والاعتدة في كروزو شمال ليون ونصب محركاً بخارياً هناك. استعمل فحم الكوك في اذابة الحديد في كروزو سنة ١٨١٠ ، ولكن هذا المشروع تدهور عندما قل الطلب على الأعتدة بعد حروب نابليون . ثم أنعشت أسرة شنايدر وصار عملها واحداً من أشهر أعمال المعادن في أوربا. وبعد التسوية السلمية (١٨١٥) زادت سرعة انتاج المكائن وتوسع :

١ ــ بلجيكا :

بالرغم من أن عملية تصنيع بلجيكا بدأت قبل ١٨٣٠ بوقت طويل، فإن السنوات التالية لهذا التاريخ شهدت انتصار عملية التصنيع .ولما حلت سنة ١٨٧٠ أصبحت بلجيكا، التي ساعدتها الاستثمارات البريطانية والمهندسون البريطانيون، بلد المسابك والمصانع والمناجم وصارت أشد البلدان الأوربية أزدحاماً بالسكان. عاشت أكثرية سكانها في المدن وحصلت على معيشتها من الصناعة والتجارة. ومنذ سنة ١٨٣٤ وافق البرلمان البلجيكي على مشروع وضعه جورج ستيفنسن لبناء شبكة سكك حديد وطنية تبدأ من لييج وبروكسل. وقد تم تنفيذ المشروع سريعاً عن طريق قروض عقدت في انكلترا .

٢ ــ فرنسا :

كانت فرنسا أبطأ في التصنيع وأقل شمولا. تركزت تقاليدها في المصنوعات اليدوية والمصنوعات الكمالية وتعززت بشدة قبل ثورة ١٧٨٩ السياسية. أكدت تلك الثورة على نظام الزراعة الصغير النطاق. خسرت فرنسا خلال حروبها الطويلة المستعمرات والاسواق. وكانت تحتاج كثيراً إلى فحم الكوك، وأما حديدها الخام فيحتوي على كثير من الكبريت، ولم يمكن استعماله قبل اختراع طريقة توماس ــ كلكرايست Thomas — Gilchrist سنة ١٨٧٨. ومع ذلك فإن الثورة الصناعية دخلت فرنسا بصورة تدريجية، فأثرت أولا في ميدان التعدين وصنع المعادن. ارتفع منتوج الفحم والحديد الصلب وزاد عدد المحركات البخارية .

بعد سنة ١٨٣٠، وبمساندة حكومة لويس فليب ذات الذهنية الصناعية وبمساعدة نابليون الثالث، تقدمت وتطورت الصناعات الفرنسية خلف جدار عال من التعريفات حافظت على مستواها العالي حتى سنة ١٨٦٠. ومما زاد في حيوية الصناعة بناء السكك الحديد الذي بدأ في ١٨٤٢ بخط يمتد من باريس إلى روان ومن هناك إلى لوهافر (بنته شركة انكليزية برأسمال أنكليزي

ومهندسين وعمال أنكليز). ولما حلت سنة ١٨٧٠ أمتدت شبكة واسعة من باريس إلى جميع الجهات شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً .

بعد سنة ١٨٤٠ بدأت المكائن العاملة بالقوة البخارية تتنافس مع الأعمال اليدوية في صناعة النسيج. وقد تركزت أكثر المعامل الجديدة في شمال البلاد وفي الالزاس واللورين أو قرب ليل وروان وباريس. ولما حلت سنة ١٨٧٠ صار العديد من الفرنسيين من سكان المدن ملازمين للمكائن في المصانع، هذا بالرغم من أن الدكاكين الصغيرة وطريقة استخدام عمال غير نظاميين (كالفلاحين) بعمل مقطوع لاتزال قائمة وان أكثرية السكان لاتزال زراعية.

٣ ـ المانيا :

بالرغم من توفر موارد الحديد في المانيا فقد كانت أكثر تخلفاً من فرنسا؛ وبالرغم من أن بعض المكائن جلبت في انكلترا وأن عدداً قليلاً من المصانع أقيم قبل سنة ١٨٣٠، فلم تكن هناك بداية للتصنيع حتى بعد ذلك التاريخ .

أزاح الاتحاد الكمركي. الذي أقيم سنة ١٨٣٣، بين أكثر الدول الالمانية (عدا النمسا)، كثيراً من الحواجز التجارية . أقيم ذلك الاتحاد مبدئياً لمساعدة الملاكين بتوسيع أسواق البضائع الزراعية ولكن ساعد أيضاً على تنشيط التجارة وايجاد رغبة في تحسين وسائل المواصلات. وفي ١٨٣٩ بنيت أول سكة حديد المانية مهمة من درزدن إلى لايبتزك بمساعدة رأس المال البريطاني. وفي ١٨٤٨ كان هناك نحو (٤) آلاف ميل من السكك الحديد تربط برلين مع هامبرك والراين وبراك وفينا.

حدث في المانيا ، بخلاف انكلترا وبلجيكا وفرنسا ، ان تيار السكك الحديد سبق البدايات الحقيقية للتصنيع . ولذلك يقال ان السكك التي عجلت بتأسيس المسابك والمصانع في تلك الاقطار انما ساعدت على ايجادها في المانيا .

ارتفع انتاج الفحم والحديد الصب في المانيا . وفي اثناء ذلك استعملت المكائن البخارية في غزل القطن وظهرت معامل النسيج في سكسونيا وسلزيا

وويستفاليا وبلاد الراين . ولكن نسيج القطن وانتاج المنسوجات الاخرى كانت حتى سنة ١٨٧٠ لاتزال صناعات يدوية على الاغلب ، وكان نحو ثلثي سكان المانيا يصنفون كريفيين وزراعيين . ولكن المانيا بدأت تمارس الثورة الصناعية ولم تظهر نتائجها الا بعد ١٨٧٠.

٤ ــ الاماكن الاخرى :

ظهرت الصناعات الواسعة النطاق ونظام المعامل والرأسمالية الصناعية في الاماكن الاخرى من القارة الاوربية وفي أماكن متفرقة قبيل ١٨٧٠. كانت هناك امثلة قليلة في هولندا والسويد واسبانيا ، وكانت امثلة اكثر بكثير في روسيا وبولندا ولاسيما قرب وارشو . وكان اسهام بوهيميا (ولاسيما براك) والنمسا الالمانية (ولاسيما فينا) قليلا بالصناعة الميكانيكية الجديدة. في خمسينات القرن التاسع عشر جلبت محركات بخارية قليلة إلى شمال ايطاليا (بيدمونت) وحصل كافور على شهرته الاولى بكونه مشجعا للتصنيع على العموم كانت القارة الاوربية باستثناء بلجيكا وفرنسا والمانيا زراعية سنة ١٨٧٠.

اما فيما وراء البحار فان المنطقة الوحيدة التي تأثرت قبل ١٨٧٠ بالتصنيع هي القسم الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة . كان هناك مقدار كبير من استيراد المكائن وراس المال من بريطانيا . ظهرت مصانع الانتاج الواسع النطاق في النسيج والاحذية في انكلترا الجديدة (نيوانكلاند)، وادى بناء السكك الواسع وتشغيلها إلى توسعات كبيرة في استخراج الفحم وصناعة الحديد في بنسلفانيا . ولما حلت سنة ١٨٧٠ دلت الولايات المتحدة على انها ستصبح دولة صناعية تقارن مع بريطانيا او فرنسا او المانيا .

المبحث الثالث

الاختراعات ونظام المعامل

توسعت الصناعات التي تطورت وتقدمت في بريطانيا بسرعة مدهشة بعد ١٨٣٠. مثال ذلك ارتفاع أثمان صادرات بريطانيا من .
البضائع القطنية . وقد سار التقدم في صناعة الحديد وزاد انتاج الفحم :

تصنيع بريطانيا قبل ١٨٧٠ :

١ ــ في صناعة المعادن حصل اكبر التقدم في تحسين اساليب تحويل الحديد إلى فولاذ بصورة واسعة النطاق (والفولاذ اقوى من الحديد واكثر دواما). كانت طريقة بسمر Bessemer التي استخدمت في ١٫٥٦ سريعة وقليلة التكاليف نسبيا . جعلت الفولاذ متيسرا للمكائن وللسكك الحديد والبواخر ثم اضيفت إلى طريقة بسمر طريقة سيمنز ــ مارتن Siemens - Martin الموقد المكشوف خلال ستينات القرن التاسع عشر . وفي خلال السبعينات جعلت تطويرات وتحسينات توماس ــ كلكرايست Gilchrist ــ Thomeas من الممكن استعمال خامات الحديد التي تحتوى على كميات كبيرة من الفسفور . وفي خلال فترة ١٨٥٦ ــ ١٨٧٠ إنخفض ثمن الفولاذ إلى النصف في بريطانيا .

٢ ــ وفي الفترة نفسها استخدم تنظيم المصانع والانتاج الميكانيكي في الصناعات القديمة الصغيرة النطاق مثل صنع الاحذية والبيرة والطحين والمفروشات . كما حدثت ثورة في صناعة الاسلحة والاعتدة بادخال المكائن والاختراعات الجديدة فيها مثل كبسولة البندقية او الزناد وتحشية البندقية من قاعدتها بدلا من الفوهة . في سنة ١٨٦٢ إخترع رجل اميركي اسمه رجارد كتلنك Gatling مدفعاً رشاشا يطلق (٣٥٠) اطلاقة في الدقيقة . وعن طريق رشاش كتلنك دخلت الثورة الصناعية إلى عالم الحرب .

٣ ــ **الاغذية :** في اربعينات القرن التاسع عشر ساعد الطلب المتزايد في المدن وزيادة المعرفة العلمية وتحسن اساليب صنع القناني الزجاجية واواني

الصفيح على صنع الأغدية المعلبة . وفي الستينات جرى تعليب الفواكه والسمك والخضروات بكميات كبيرة . واخترع العالم الالماني ليبك Liebig صناعة خلاصة لحم البقر الذي نال شعبية . وسجل كيل بوردن Borden في اميركا حق اختراع صناعة الحليب المكثف. وثم صنع الحليب المجفف في انكلترا لاول مرة في ١٨٥٥.

٤ — فحم الكوك : يستعمل في اذابة الحديد . ظهرت صناعة جديدة وهي صناعة غاز الفحم . انشئت شركة الاضاءة بالغاز في لندن سنة ١٨١٢، واستعمل الغاز بالطبخ لاول مرة سنة ١٨٣٢. ولما انتصف القرن التاسع عشر أضيئت شوارع كثيرة وبيوت عديدة بالغاز .

٥ — الكهرباء : جعل اختراع ضوء القوس والمولدات المحسنة الاضاءة بالكهرباء عملية سنة ١٨٧٠، وجعل اختراع المصباح الوهاج سنة ١٨٧٨ استعماله في كل مكان شائعاً .

نشر البرق شبكة من الاسلاك في بريطانيا واوربا والولايات المتحدة . ومدت الاسلاك تحت مياه البحر بنجاح تام من بريطانيا إلى اميركا سنة ١٨٦٦. وجعل البرق من الممكن نقل الاخبار بسرعة لم يسبق لها مثيل وشجع الصحافة التي استخدمت المطابع البخارية الميكانيكية والورق الرخيص .

٦ — التصوير : صنعت أول صورة بدائية سنة ١٨٢٢، ولكن المصور الفرنسي داكير Daguerre هو الذي جعل هذه الصناعة عملية. ففي ١٨٣٩ استطاع أخذ الصور في ثلاثين دقيقة. وفي ١٨٤١ طور صناعة التصوير رجل انكليزي اسمه فوكس تالبوت Talbot فجعلها عملية أسرع .

٧ — المطاط : في ١٨٣٩ اخترع جارلس كوديير الاميركي Doodyear طريقة تنقية المطاط بالكبريت لجعله أقوى وأكثر مطاطية. في خلال الستينات زادت المصانع زيادة ملحوظة لإنتاج الأدوات المطاطية.

٨ ــ **البترول :** في خمسينات القرن التاسع عشر اكتشف كيمياوي سكوتلاندى اسمه جيمس يونك young كيفية صنع النفط ودهون التزييت والبارافين والكيروسين وذلك بتكرير الزيت الخام .

التوسع الصناعي بعد ١٨٧٠ :

شهدت الأربعون سنة من ١٨٣٠ إلى ١٨٧٠ «ثورة صناعية» حقيقية في بريطانيا، وشهدت المرحلة الإعدادية لثورة صناعية في أوربا الغربية والوسطى وفي شرق أميركا الشمالية. وتميزت الأربعون سنة التالية من ١٨٧٠ إلى ١٩١٠ بانتاج متزايد في الصناعات التي سبق وأن دخلتها المكائن إلى حد كبير، وبتطور سريع في الصناعات الحديثة ، وبتحول سريع في السكان من زراعي إلى صناعي . لم تكن هذه التطورات مقصورة على بريطانيا وبلجيكا، فقد اتسمت بها الآن المانيا والولايات المتحدة كما اتسمت بها، بدرجة أقل، جميع أقطار أوربا تقريباً. تغلغلت تلك الصناعات في الامبراطورية الروسية وأحدثت ثورة في اليابان البعيدة .

١ــ **الفحم والحديد والفولاذ :** زادت سرعة انتاج الفحم والحديد وهما الاساسان للصناعات الميكانيكية وذلك لارتفاع الطلب عليهما .

حدث تقدم مستمر في تحسين واستخدام طريقتي بسمر وسيمنز ــ مارتن في انتاج الصلب. وحدث تحسن ملموس في المحركات البخارية، وفي جميع ملحقات النقل بالسكك الحديد وتوسع ملحوظ في طول السكك الحديد. لم يقتصر العمل على تحسين شبكات السكك الحديد في أوربا الغربية والوسطى بل توسعت إلى وربا الشرقية .واستمر بناء السكك الحديد حديثاً خارج أوربا.

وحدثت تطورات مماثلة في السفن البخارية في العدد والحجم والسرعة. وتضاعفت الخدمات المنتظمة للمسافرين والبضائع.

٢ ــ **النسيج :** تزايد نمو صناعة القطن التي كان ادخال المكائن فيها مظهراً مهماً في التطورات الصناعية الاولى في بريطانيا. وحدث الشئ نفسه في

صناعات نسيج الصوف والكتان. وأدخلت المكائن في صناعة الحرير في فرنسا وايطاليا وتوسعت، ثم ظهرت صناعة الحرير الصناعي. وحدث تقدم مستمر في استخدام الكيمياء في صبغ الأقمشة.

٣ — كانت هناك صناعات مهمة تقارن مع تقدم صناعة النسيج ، وقد عجل بانتاجها بواسطة المكائن والمصانع. فبتحسين المكائن وتوسيع المصانع وزيادة الأسواق زاد في بريطانيا والقارة الأوربية والولايات المتحدة انتاج أدوات التقطيع وأدوات تناول الطعام والخزف الصيني وأواني الصفيح والأحذية والورق والمفروشات والآلات والأسلحة النارية وآلات الحربية الأخرى.

أدخلت التحسينات على المدفع الرشاش الذي اخترعه كتلنك في أميركا سنة ١٨٦٢ وجعل أوتوماتيكاً سنة ١٨٨٩ من قبل السير هيرام مكسيم Maxnim وهو أميركي نال لقباً بريطانياً. واخترع سير هيرام أيضاً سنة ١٩٠٨ كاتم الصوت (مكسيم) لاسكات الصوت الذي يحدث عند اطلاق الأسلحة النارية. وأدخل أخوه هدسن مكسيم تحسيناً على البارود عديم الدخان. وأدخلت تحسينات كبيرة على البنادق ،وانتجت كميات كبيرة من مصانع فيكرز Vickers وارمسترونغ Armstrong المتوسعة دوماً في بريطانيا. ومعامل كروب Krupp في المانيا ومصانع شنايدر Schneider في فرنسا ومصانع دوبون Du Ponts ، ورمنكتن Remington في الولايات المتحدة. اشتهر بالمواد الشديدة الانفجار المخترع الفريد نوبل Nobel وهو كيمياوي ومهندس سويدي أوجد الديناميت سنة ١٨٦٧ وجمع ثروة طائلة من صناعته (ترك نوبل أكثرية ثروته وقفاً لتقديم جوائز نوبل التي صارت تعطى منذ ١٩٠١ للأعمال الممتازة في الفيزياء والكيمياء والطب والآداب والسلام العالمي). واخترع أول غواصة رجل أميركي اسمه جون هولاند Holland سنة ١٨٧٥.

٤ — **الكهرباء** : منذ سنة ١٨٧٠ صارت الكهرباء واستعمالاتها تحتل مركزاً صناعياً رئيسياً مماثلاً لما احتله المحرك البخاري من قبل . أدخلت تحسينات سريعة على المولدات والمحركات الكهربائية وزاد عددها.

في ١٨٧٦ اخترع غراهام بيل Bell التلفون، وفي ١٨٧٨ اخترع توماس أديسون Edison المصباح الكهربائي. ثم أقيمت مؤسسة للبرق والتلفون اللاسلكي من قبل علماء فيزياويين بريطانيين وألمان . وفي سنة ١٨٩٥ اخترع شاب ايطالي اسمه ماركوني Marconi جهازاً علمياً للبرق اللاسلكي.

عندما انتهى القرن التاسع عشر وبدأ القرن العشرون زادت استعمالات الكهرباء ولا سيما للأغراض البيتية زيادة كبيرة .

٥ – **وسائل الراحة الشخصية :** حدث تقدم مماثل في الوسائل الميكانيكية . الخاصة براحة الناس في بيوتهم وفي الدكاكين أو المكاتب كالتسخين الاصطناعي والحمامات والمراحيض، والتبريد بالثلج والكهرباء وحفظ الأطعمة المعلبة والمخللة.

٦ – **التصوير :** حدث تقدم ملحوظ في التصوير بعد ١٨٧٠. ففي سنة ١٨٨٥ عرضت شركة ايستمان في الاسواق اول كاميرة كوداك. وفي سنة ١٨٩٥ سجل الاخوان لوميير Lumiere في مدينة ليون في فرنسا اختراع السينما توغراف وهذه سجلت البداية الحقيقية لصناعة الصور المتحركة.

٧ – المحرك ذو الاحتراق الداخلي Internal Combustion Engine :

كان احد مظاهر العصر المهمة بصورة خاصة من ١٨٧٠ إلى ١٩١٠ ظهور اختراع المحرك البخاري الطربيني (الطربين : مروحة مضخة الماء البخارية) والمحركات ذات الاحتراق الداخلي واستخدام هذه المحركات في السيارة والباخرة والطيارة. ثم بعد ذلك ظهور صناعة البترول والمطاط والسمنت بصورة كبيرة.

اما الطربين Turbine فهو محرك دوار فيه المحور (Shaft) يدور باستمرار في مسانده bearings بدون استعمال المحاور الدوارة Cranks كما كان الحال في المحرك الترددي (البطحي reciprovating) السابق (محرك يترد كباسه الى الامام وإلى الوراء) وذلك بصورة

مباشرة باستعمال تيار الماء او الهواء او البخار. كان مبدأ الطربين قد تضمنته منذ زمن طويل الطواحين الهوائية. ولكن استعماله في المحرك البخاري كان اختراعا ممتازا قام به مهندس بريطاني اسمه السير جارلس بارسنز Parsons الذي سجل اختراع الطربين البخاري سنة ١٨٨٤ وعمل كثيراً لتحسينه سنوات عديدة بعد ذلك.

ان المحرك ذا الاحتراق الداخلي هو آلة لتحويل الطاقة بصورة مباشرة إلى قوة ميكانيكية بواسطة انفجار الغاز خلف مكبس Piston يضع الفرن في داخل الاسطوانة Cylinder .. لقد أجريت تجارب عديدة على محركات الغاز خلال القرن التاسع عشر. ولكن حتى الربع الاخير من ذلك القرن أنتجت هذه التجارب نتائج عملية في محرك احتراق الزيت قدمها رجل الماني اسمه رودولف ديزل Diesel . سجل محرك ديزل كاختراع سنة ١٨٩٢ وجرب بصورة علنية للمرة الاولى سنة ١٨٩٨.

اخترع مهندس الماني آخر في ١٨٨٥ – ١٨٨٦ اسمه ديملر Daimler محركا ذا اختراق داخلي صغير، وقوده زيت خفيف وقادر على تسيير السيارات والبواخر، وهذا هو محرك الكازولين، وقدر له ان ينافس محرك جيمس واط البخاري سريعا في احداث ثورة في النقل وتشجيع الصناعة.

٨ – السيارات :

خلال العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر كان الميكانيكيون ومؤسسو الشركات ينتجون أنواعا مختلفة من السيارات في فرنسا والمانيا وانكلترا والولايات المتحدة. في بداية الامر كان الانتاج مقصوراً على فرنسا، ولكن لما حلت سنة ١٩١٠ كان ثلاثة ارباع الانتاج العالمي يصنع في الولايات المتحدة. وربما كان هنري فورد اشهر من اشاع السيارة، وهو ميكانيكي اميركي اسس شركة في ديترويت سنة ١٩٠٢ وشرع في انتاج سيارات فورد الرخيصة انتاجا واسع النطاق سنة ١٩٠٩.

٩ — الطيران :

صار الطيران عمليا باستعمال محرك الكازولين. في العقد الاخير من القرن التاسع عشر استعمل محرك ديملر في سفن الهواء . كان الرواد رجل الماني متقدم بالعمر اسمه كونت فرديناند تزبلن Zepplin وشاب برازيلي اسمه سانتوس — دومون Santos- Dumont . بنى اول منطاد تزبلن سنة ١٩٠٠ وحدث اول طيران ناجح بمنطاد تزبلن سنة ١٩٠٦.

بينما كان تزبلن وسانتوس — دومون يبنيان سفن الهواء ذات محركات اخف من الهواء كان العديد من الميكانيكيين والمهندسين يبتكرون الطائرات ذات محركات اثقل من الهواء. كان بين الرواد في هذا المضمار واكثرهم نجاحا الاخوان رايت Wright الاميركيان. تمت اول تجربة طيران ناجحة لهما سنة ١٩٠٣.

١٠ — البترول والمطاط :

ظهرت صناعة البترول الكبيرة والجديدة من اختراع محرك الاحتراق الداخلي وتوسع استخدامه السريع للسيارات والزوارق البخارية والطيارات. وكذلك عن طريق محرك ديزل واستخدمه في المولدات والبواخر عابرة المحيط والقاطرات .

حدث تطور مناظر في صناعة المطاط بسبب الانتاج المتنامي المستمر للبضائع المطاطية المختلفة، وبصورة خاصة بسبب زيادة الطلب على اطارات السيارات المطاطية.

كانت السيارة عاملا مهماً في تشجيع صناعات المطاط والبترول وبناء الطرق بالسمنت. في حوالي ١٨٢٥ اخترع نوع جيد من السمنت في بريطانيا خاصة اطلق عليه اسم سمنت بورتلاند بسبب مشابهته في اللون لحجر كلس منطقة بورتلاند.

١١ — تقدم الزراعة :

ظهر تأثير الصناعة والعلم والنقل الرخيص على الزراعة الانكليزية . انه بسبب حركة التسييج وأساليب القرن الثامن عشر الفنية تحولت الزراعة البريطانية إلى مشروع واسع النطاق كثير الربح. وفي خلال ١٨٤٠ — ١٨٧٠ صارت الزراعة مربحة جداً. فان المكائن التي استعملت في الزراعة خفضت تكاليف العمل كثيراً . وفي سنة ١٨٥٣ تم تحسين حاصدة كروسكل Crosskill في انكلترا . وفي الوقت نفسه تقريباً بدأ استيراد حاصدة مكرونيك Mc Cornick من اميركا.

بين ١٨٧٠ و ١٩١٠ حدثت مكننة وتصنيع في الزراعة بصورة مستمرة . استمر التحسين في المكائن الزراعية التي ظهرت في عقود السنوات السابقة وتضاعف عددها. ربطت آلات محركات الكازولين إلى أكبر وأفضل المثاقب وآلات البذر والمحاريث والحاصدات .وإلى المعرفة المتزايدة دوماً واستعمال الاسمدة الكيمياوية التي زادت انتاج المحاصيل زيادة كبيرة أضيفت الآن وسائل جديدة لتسويقها إلى المسافات البعيدة وكأنها إلى مسافات قريبة. فهذه التطورات دلت على أن أقطار أوربا الغربية والوسطى والجزء الشرقي من الولايات المتحدة معتمدة في مواردها الغذائية والكثير من المواد الخام على مناطق العالم الزراعية بنطاق واسع : روسيا والأرجنتين وكندا والوسط الغربي والجنوب من الولايات المتحدة .

في ١٨٧٠ كانت انكلترا وبلجيكا القطرين الوحيدين في العالم فيهما من يشتغل بالصناعة والتعدين من السكان أكثر مما بالزراعة. وفي سنة ١٩١٠ صار من الممكن وضع المانيا والولايات المتحدةفي مرتبة انكلترا وبلجيكا إلى هذا المضمار. وفي جميع الأقطار المذكورة حدث انخفاض ملحوظ في نسبة المزارعين وارتفاع مناظر له في نسبة العمال المشتغلين باليومية.

١٢ــالهندسة :

يمكن اعتبار المهندسين حلقة بين الصناعة والعلم. وكان الكثيرون منهم علماء قديرين .

١٣ــالنقل الميكانيكي :

ربما كانت التحسينات المذهلة في النقل بين ١٨٣٠ و ١٨٧٠ أكثر ثورية من تقدم الصناعة . بنيت أول سكة حديد بخارية بين ستوكتن ودارلنكتن في انكلترا ودشنت في ١٨٢٥ واستعملت فيها محركات ثابتة. وفي سنة ١٨٣٠ دشن خط لفربول ــ مانجستر وفيه سارت قاطرة جورج ستفنسن (الصاروخ (Rocket) .

أما الثورة في النقل البحري فكانت أبطأ قليلا. في سنة ١٨٣٨ عبرت المحيط الأطلسي سفينتان ذات قوة بخارية. وبعد سنتين دشن أول خط منتظم لسير البواخر عبر الأطلسي. ثم حدث نمو كبير في الاسطول التجاري .

١٤ــماكنة الخياطة :

اخترع الياس هاو Howe الاميركي سنة ١٨٤٦ التصميم العملي الأول لماكنة الخياطة. أما أول استغلال تجاري لها. بعد ادخال بعض التعديلات، فقد قام به اسحاق سنكر Singer الاميركي في خمسينات القرن التاسع عشر

الطابعة :

وكانت أول طابعة ناجحة قام بصنعها بصورة مشتركة ثلاثة من الاميركيين (١٨٦٧ ــ ١٨٧٢). وبدأ انتاجها التجاري على يد شركة منكتن.

الدراجة الهوائية :

تطور صنع الدراجة الهوائية بعد ١٨٧٠ .

عجائن الخشب : استعملت عجائن الخشب، منذ ثمانينات القرن التاسع عشر ، لورق الطباعـــة .

نظام العمل Factory System

خلال القرن الثامن عشر حدث نمو ملحوظ في نوع من الرأسمالية بشكل نظام القطعة (أي استخدام عمال غير نظاميين كالفلاحين للقيام بعمل مقطوع) والانتاج البيتي، وفيها كان صاحب العمل يجهز المواد الخام كالصوف مثلا إلى الفلاحين الذين يعملون مقابل أجور ثم يبيع الانتاج المنجز ليحصل على الربح لنفسه. كان الفلاحون يصنعون الانتاج في بيوتهم الخاصة إلى جانب عملهم في الزراعة.

بيد أن تطور الآلات الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر غيّر الأوضاع تغييراً كبيراً. وكانت أكثر الآلات غالية الثمن كثيراً فلم يستطع الفلاحون أو أصحاب الحرف تملكها وكانت ثقيلة ومعقدة كثيراً فلم يمكن وضعها في أكواخهم أو تشغيلها دون اشراف، ولذلك كان يشتريها الأغنياء أو مؤسسو الشركات بمساندة الأغنياء. وكانت توضع وتشغل في بنايات خاصة. معامل أو مسابك، يقيمها الأغنياء أنفسهم ويستطيعون أن يجلبوا اليها العديد من العمال تحت ارشاد الخبراء.

وهكذا جاء المعمل مع الآلات الصناعية. ولم يصبح المعمل مركزاً شائعاً أو اعتيادياً للانتاج الصناعي إلاّ بظهور الآلات الكثيرة في نهاية القرن الثامن عشر. وصار بامكاننا بعد ذلك أن نتكلم عن نظام للمعامل سائداً في الصناعات الكبيرة، وتستمر بالمعمل فيه آلات معامل الرأسماليين.

يختلف نظام العمل عن النظام البيتي Domestic System في الصناعة الصغيرة القديمة التي كانت لاتزال موجودة وتديرها الأيدي أو الآلات البسيطة في بيوت العمال. ولكن بما أن الصناعة قد دخلتها الآلات كثيراً فإن نظام المعامل اتجه نحو التفوق على النظام البيتي ثم الحلول محله.

كان مالكو الآلات والمعامل في وضع يساعدهم على الحصول على أرباح أكبر مما يستطيع الحصول عليها التجار والوسطاء الذين انتفعوا من الاشغال اليدوية والاشغال البيتية لاصحاب الحرف والفلاحين.

يشتغل العامل البيّتي عادة عملا شاقاً للحصول على أجرة صغيرة جداً ولكن صاحب العمل لايحصل منه إلاّ ماانجز هو فعلا بيديه وأدواته. وكثيراً مايناوب عمله مع صاحب المعمل الصناعي بعمل زراعي لنفسه. وبعبارة أخرى يفصل عامل المعامل عادة عن الأرض ويجرد من أي ايراد من ذلك المصدر بل يعمل لصاحب العمل الصناعي فقط .ويعمل بطريقة يستطيع صاحب العمل أن يحصل منه أكثر بكثير مما يستطيع انتاجه بيديه. ففي المعمل تقوم الماكنة بالعمل الحقيقي وتنجز مقداراً من العمل لم يستطع أن ينجزه، قبل اختراعها، سوى عشرة أو مئة أو ألف من المخلوقات البشرية. والمكائن مخلوقات من الحديد لأنها آلات وهي عبيد من حديد عند صاحب المعمل لأنه يمتلك الآلة.وعامل المعمل ماهو إلا مشرف على مجموعة عبيد من الحديد. انتاج الآلة يعود بالربح إلى الرأسماليين الذين يمتلكونها أكثر مما يعود بالربح للعامل نفسه.

كان الرأسماليون مالكو الآلات في البداية نوعين : كان بعضهم من الأشخاص الذين جمعوا الثروة من الرأسمالية التجارية السابقة وينتسبون إلى الطبقة الوسطى العليا أو طبقة الملاكين النبلاء. وقد استطاع هؤلاء عن طريق تملكهم الأملاك الشاسعة وكذلك عن طريق علاقاتهم بالبنوك وصلتهم الحسنة مع الشركات المساهمة ، من استخدام الآلات الحديثة في استخراج الفحم وصناعة الحديد.

والجماعة الثانية من الرأسماليين مالكي الآلات كانوا عصاميين ظهروا من بين الطبقات الدنيا ودون اسم أو شهرة سابقين. وقد برزوا بصفة خاصة في صناعة النسيج بسبب نبوغهم بالاختراع وقابليتهم بتأسيس المشاريع. وفي حالات عديدة شارك الرجل العصامي بأرباح انتاج المعامل مع الرأسماليين الراسخين . وفي أحيان كثيرة أصبح هو نفسه رأسمالياً بارزاً .

كان الرأسماليون الصناعيون الأوائل على علاقة وثيقة ومباشرة ،بمشاريعهم الصناعية. ولكن بمرور الزمان وحين أصبح نظام المعامل أكثر تعقيداً ولاسيما حين قامت المشاريع الكبرى مثل السكك الحديد صار الرأسمالي يلعب دوراً

بأقل فعالية. تحولت ملكية الصناعة الواسعة النطاق من الأفراد الشركاء إلى الشركات المساهمة والهيئات التي أعطت الاشراف والبيع والشرا وحتى التنظيم والتأسيس إلى مستخدمين مأجورين ، واكتفوا هم بعقد القروض الضرورية بشكل أسهم أوسندات وتوزيع الأرباح الناتجة بشكل أسهم أو فائدة بين كبار المشرفين وبين المستثمرين من خارج المشروع . وبهذ الطريقة لم تبق للكثيرين من الرأسماليين الصناعيين علاقة شخصية مع العمل أو المشروع الذي يحصلون منه على أرباحهم .

المبحث الرابع

نتائج الثورة الصناعية

كان للثورة الصناعية نتائج ايجابية وأخرى سلبية في المجتمعات الصناعة فقد زادت الثروة ونما السكان وزاد عدد عمال المدن وتحسنت أحوالهم المعاشية أو ساءت حسب الظروف وصار لهم دور سياسي، وانتشرت بينهم المبادىء الاشتراكية. كما زادت الطبقة البرجوازية ثروة وقوة سياسية فأدى ذلك إلى الاحتكار واستغلال العمال ومحاولة الحصول على مستعمرات خارج أوربا.

١ — زيادة الثروة :

بسبب الآلات ونظام المعامل زادت الثروة الرأسمالية البريطانية زيادة كبيرة خلال القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين. وحدثت زيادات مماثلة صحبت انتشار التصنيع في الأقطار الأخرى . بعد سنة ١٨٧٠ نجد أن ظهور الصناعات الجديدة الكبيرة والتوسع الكبير في الصناعات القديمة والتوسع السريع في الصناعة والتجارة، قد وسع كثيراً الحقول التي يستطيع الاشخاص الأغنياء استثمار أموالهم فيها استثمار مربحا .

وفي الوقت نفسه مكن ذلك الكثيرين من الافراد الجريئين والنوابغ وأحياناً عديمي الضمير من البروز من خمول الذكر الاقتصادي والاجتماعي إلى التملك الاحتكاري للمناجم وآبار البترول والاعمال الكهربائية ومعامل السيارات ، ثم الطفرة إلى المرتبة الامامية بين أقطاب العالم في الصناعة.

من الثروة المتوسعة كانت هناك نسبة متزايدة، وخاصة في المانيا والولايات المتحدة، كانت تملكها أو تسيطر عليها اتحادات صناعية كبيرة: الكارتيلات في المانيا والترسنات في الولايات المتحدة. وهي تمثل اتحادات تضم مشاريع متنافسة سابقاً في صناعة معينة وذلك لأجل تخفيض المصاريف الدائمية الثابتة وضمان الاحتكار الفعلي وبذلك تزداد الأرباح للمنظمين وحاملي الأسهم.

كانت هناك ترستات أو كارتيلات قومية انضمت اليها ترستات أو كارتيلات دولية في صناعة الفولاذ والبترول والنحاس والسكر والاعمال الكهربائية والصناعات الكيمياوية ... الخ .

وكان مديرو هذه الاتحادات وكبار المساهمين فيها هم البارونات الكبار في العصر الصناعي الجديد، وفي بعض الحالات يراهم الرأي العام البارونات السارقين .

٢ — نمو السكان :

صاحب مكننة الصناعة وتقدم الرأسمالية نمو ملحوظ في عدد السكان. كان عدد سكان انكلترا ٩ ملايين سنة ١٨٠٠ ثم صار (١٤) مليون سنة ١٨٣٠ ثم (٢٢) مليون سنة ١٨٧٠ ثم (٣٦) مليون سنة ١٩٠٠ . وقد زادت نفوس أوربا أيضاً .

ظهرت أكثر الزيادة في النفوس في تنامي المدن . وقد بقيت نسبة الولادة عالية في المناطق الريفية والحضرية. انه بمساعدة الآلات الزراعية والمستوردات الخارجية صار بالإمكان اطعام مجموعة أكبر من الناس، ولذلك فإن الزيادة بالأشخاص المولودين في الريف تسعى للحصول على العمل في مدن المعامل ومراكز المناجم، وكانت تحصل عليه عادة .

حدثت هجرة كبيرة من المناطق المزدحمة بالسكان في أوربا إلى الأماكن الخفيفة السكان في أميركا، كما كانت هناك هجرة في داخل الأقطار الأوربية الصناعية من المزارع إلى المدن .

في بريطانيا توسعت لندن إلى مدينة حضرية ضخمة جداً، وتوسعت المدن القديمة مثل برستول وكلاسكو. وصارت المدن الجديدة التي كانت مجرد قرى في القرن الثامن عشر مراكز كثيفة السكان ومنهمكة بالعمل كما هو الحال مع لفربول أو ليدز أو شفليد أو مانجستر أوبرمنكهام. وحدثت تبدلات

مماثلة في القارة إذ حدث نمو مثير في بعض المدن مثل بروكسل وباريس وليل وميلانو وبرلين .

يرمز النمو السريع في المدن الصناعية إلى تغيير مهم في كيان المجتمع فقد استمر الانقسام المألوف بين ملاكين وفلاحين وتجار وأصحاب حرف، ولكن أضيف اليه انقسام آخر بين رأسماليين صناعيين (ويتبعهم المنظمون ورؤساء العمل والمهندسون والمحامون) وعمال صناعيين. إن النوع الاكثر عدداً من هؤلاء العمال هم (اليد العاملة في المعامل) الذين لايملكون شيئاً ويعيشون من عملهم اليومي بواسطة نوع من أنواع الآلات ،وهذا هو النوع الذي ترك الزراعة على الأكثر وجاء إلى المدن ليضخم عدد سكانها.

٣ ـ عمال المدن :

في المراحل الاولى للتصنيع لم يكن نصيب العامل حسنا . لم يتمتع العامل في المعمل او المسبك او المنجم في منتصف القرن التاسع عشر بمزايا الا قليلا بل كان يشتغل اثنتي عشرة او اربع عشرة ساعة في اليوم حول آلة في معامل موحشة وغير صحية وخطرة . واذا كان عامل منجم فانه يشتغل تحت الارض وقلما يرى ضوء النهار . كان يذهب إلى العمل عندما يسمع صوت الصافرة، وكان يغرم عن الغياب او التاخير . وكان يلبس ملابس بالية او رثة، ويأكل طعاما غير صحي، ويعيش في غرفة مستأجرة في مسكن يشبه جحر الارانب كثير الوساخة قليل الصحة او عديمها . كان عمله رتيبا جداً وليس لديه الا القليل من المتعة او التسلية . وكثيراً ما كان يبقى عاطلا لان صاحب العمل يجد تشغيل زوجة العامل واولاده اقل نفقة منه. وحتى الاطفال الذين يبلغون السادسة من العمر امكن الاستفادة منهم بسبب كون اصابعهم خفيفة الحركة.

ظهر سوء العيش واحوال العمل السيئة للعمال الصناعيين في مدن المعامل الوسخة في بريطانيا في بداية الامر. ولكن ذلك تكرر في القارة الاوربية حينما ظهرت الآلة الصناعية.

في الحياة الصناعية الجديدة كان غالبا ما يوجد عدد كبير من الاشخاص بدون عمل، وهم العاطلون. وكلما مرت فترة سنوات قليلة كان يتكرر حدوث أزمة تؤدى إلى بطالة واسعة النطاق يقاسي منها عمال المدن التعساء الامرين.

ولكن بمرور الزمان، ولا سيما بعد ١٨٧٠ حين تعمق الصنع وتوسع، حدث تحسن في ظروف عمل ومعيشة العمال، وذلك ناتج عن وجود عامل المدنية نفسه وإلى تأييد وعطف الانسانيين بين الطبقات الوسطى والعليا. واخيراً صارت (السياسة الاجتماعية) و(الاصلاح الاجتماعي) المهمات الرئيسة للحكومة في كل بلد صناعي.

٤ ـ التقدم المادي :

لم يقتصر تطور اوربا واميركا على تقدم الرأسمالية وتكوين الطبقة العاملة بل ساعد كثيراً جهود الانسان لاخضاع الطبيعة وجعلها تخدم اغراضه. استطاع الانسان بعد ذلك ايجاد سلسلة واسعة من الكماليات والضروريات واستطاع انتاجها في جزء من الوقت الذي كان يتطلبه العمل اليدوي السابق واستطاع السفر باسرع وارخص مما كان سابقا، واستطاع العيش براحة اكبر بوساطة النور الكهربائي والحرارة البخارية والوسائل الآلية الوافرة. واستطاع ان يأكل من المنتوجات المختلفة للعالم كله. واستطاع ان يعرف سريعا مايحدث في انحاء العالم. واستطاع ان يوفر من وقت عمله فراغا للتسلية وتهذيب النفس. وسع التقدم للجماهير بدرجة لا تقل عما وسعه للطبقات الاخرى.

يضاف إلى ذلك ان التقدم المادي كان قوي التأثير بطبيعته ونتائجه بصورة مدهشة. فطالما عاشت الجماهير على التربة واشتغلت بالزراعة فان عادات وتقاليد وافكار السلف تتأصل فيها. ولكن هذه العادات والتقاليد اقتلعت منها إلى حد بعيد عندما هاجرت إلى المدينة وعملت في المعمل او المسبك او

الدكان. وعلى العكس من النظام البيتي الذي جعل العمال الصناعيين متباعدين، جمعهم نظام المعامل وقادهم إلى تأليف النقابات للنهوض بمصالحهم المشتركة. وكانت طبقة عمال المدن قوة اكبر تعبيراً واثراً من العمال الريفيين في فضح التعسف والمطالبة بالاصلاح.

سيطرت روح المدينة على الحياة الريفية والمحلية فانتجت الحركات الجماهيرية والقومية الجماهيرية والديمقراطية والتربية الجماهيرية والاشتراكية الجماهيرية.

٥ ـ الاتجاهات الحرة والديمقراطية :

لما حلت ١٨٧٠ ظهر الصراع الذي احتدم في أوربا الغربية والوسطى بين المحافظين والأحرار وكأنه انتهى بانتصار الاحرار. فالمبادىء الحرة الفردية وتطبيقاتها والحكم الدستوري وتقرير المصير القومي سيطرت الآن في بريطانيا وفرنسا والأقطار الغربية الأخرى وكذلك في ايطاليا والمانيا . وتفسير ذلك يمكن على الأكثر في حقيقة كون الطبقات الوسطى التي كانت منذ البداية المؤيدة الرئيسة للاتجاهات الحرة قويت الآن كثيراً بعددها ونفوذها عن طريق عملية التصنيع التي صاحبت نمو المدن وظهور الرأسماليين الصناعيين. وقد صاحبت للديمقراطية السياسية التقدم في التصنيع .

مع ظهور الديمقراطية السياسية اتخذت حركه التعليم اتجاها جديداً وصارت أكثر ضرورة. فقد طالب النقابيون وجماعة الطبقة العاملة عموماً بتوسيع التعليم الرسمي توسيعاً رادكالياً. وقد ايدت الطبقات العليا والوسطى هذا الطلب. وهكذا ازدادت وتوسعت واجبات الدولة، فقد بدأ العمل بمجموعات كبيرة من المدارس التي تصرف عليها الدولة والتي تديرها. ثم لم يعد الدوام في المدارس اختيارياً بل جعل اجبارياً، وكان هذا استجابة من جانب الاحرار كمطالب عصر الآلة الملحة لتدريب الجماهير وتثقيفهم.

وشبيه بزيادة سلطة الدولة في التعليم كان التوسع المشابه في سيطرة الدولة على شئون الصحة. وكلما زاد الشعب تصنيعاً زادت ممارساته للسلطة سعة

وقوة على سلوك الفرد وحتى على حقوقه في التملك إذا أثرت على صحة ورفاهية المجتمع المادية. وقد شرع قانون بعد آخر في قطر بعد آخر لتنظيم معالجة الأمراض وتنظيم المجاري والصحة العامة والتهوية واضاءة المعامل والدكاكين والمساكن الخاصة . وفي الوقت نفسه زادت زيادة كبيرة الاستملاكات الحكومية من أجل انشاء المستشفيات والمصحات العامة والصرف عليها وكذلك السجون والاصلاحيات .

صارت الدولة في القرن العشرين دولة الرفاهية. وفي هذا الاتجاه ساهمت الاشتراكية .

٦ – نقابات العمال الاشتراكية :

تزايد عدد العمال في المدن ، وقد جمعهم نظام المعامل على صعيد واحد . شرع العمال بتنظيم انفسهم في نقابات لتحقيق أهدافهم في تخفيض ساعات العمل وزيادة الاجور وتحسين شروط العمل. ثم ألفوا جمعيات تعاونية استهلاكية للاقتصاد في تكاليف المعيشة .

وفي الوقت نفسه سعى بعض ذوي المشاعر الانسانية من الطبقات الوسطى بضرورة مساعدة العمال ، فافلحوا في اقناع البرلمان البريطاني بتشريع بعض القوانين المفيدة للعمال مثل الاعتراف الجزئي بحقهم بالتنظيم النقابي. في النصف الاول من القرن التاسع عشر ظهر بعض المفكرين الاشتراكيين مثل روبرت اوون في انكلترا وسان سيمون وفورييه وبرودون ولويس بلان في فرنسا ونشروا المبادىء الاشتراكية في صفوف العمال .

٧ – الاحتكارات والاستعمار :

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر اشتدت المنافسة بين اصحاب المشاريع الكبيرة والصغيرة ، فتمكنت المشاريع الكبيرة من القضاء على المشاريع الصغيرة . واتفق اصحاب المشاريع الكبيرة في انكلترا والولايات المتحدة و المانيا

وغيرها على نبذ المنافسة فيما بينهم والاندماج في شركات كبيرة احتكارية سيطرت على الايدي العاملة والاسواق التجارية والمواد الخام .

بعدان استغلت رؤوس الاموال في المشاريع داخل الدول الاوربية او الاميركية فاضت بعض رؤوس الاموال عن الحاجة المحلية ، فصار الرأسماليون يبحثون عن مجالات جديدة للاستثمار خارج تلك الدول. وفي الوقت نفسه اشتدت حاجة اصحاب المشاريع الى المواد الخام والموادالغذائية التي امكن الحصول على القسم الاكبر منهامن خارج اوربا . ثم زادت بعض البضائع المنتجة عن حاجة الاسواق المحلية فصار المنتجون يبحثون عن أسواق خارجية لتصريف بضائعهم. كل هذه الامور نتجت عن الثورة الصناعية فأدت الى البحث عن مستعمرات . وقد حصلت فعلا الدول الصناعية المتقدمة على مستعمرات لها في آسيا وافريقيا .

المصادر

T. S. Ashton, An Economic History of England, London 1955.

T. S. Ashton, The Industrial Eevolution, 1760 - 1830, London, 1948.

A. Goodwin, The European Nability in the Eighteenth Century, London, 1955.

P.Mantoux, The Industrial Revolution in the Eighteenth Century, 1937.

A.P. Usher, A History of Mechnical Invention. 1954.

الفصل الخامس

الحركة الاستعمارية

المبحث الاول : مفهوم الاستعمار الحديث

ليس من السهولة بمكان تقديم مفهوم للاستعمار الحديث ينطوى على الواقع الذي يعني المفهوم وعلى الافكار والتصورات المقرونة به . فالمفاهيم تميل في غالب الامر الى التجريد من جهة وبذلك لاتوفق في تشخيص مقومات الموضوع الذي يتعرض اليه المفهوم . ومن جهة اخرى قد يشدد المفهوم على ركن واحد او اكثر ويسقط ما تبقى لسبب او آخر . وعليه فان مفاهيم الاستعمار تعددت وتفرعت وتناقضت منذ ان استدعت حقيقة الاستعمار انتباه المؤرخين والسياسيين والمنظرين والمصلحين ومهما تعددت أسباب الاستعمار خلال التاريخ وفي راى الباحثين ، فإن مفهوم الاستعمار يستند الى عنصرين متداخلين متفاعلين في كل زمان ومكان : وهما المقومات الاقتصادية والمقومات غير الاقتصادية وليس منطقياً ان تستثنى مجموعة مقومات ما مقومات أخرى ، سوى ان بعضها قد يسود ويظهر دون البقية .

وعليه فان المفاهيم المتعددة تشدد على جانب او عنصر دون آخر .

وينبغي علينا ان نتثبت من ان الاستيطان (Settlment) يختلف من حيث الفحوى والغاية والاسلوب عن الاستعمار والامبريالية (imperiaism) فالاستيطان لايستهدف الهيمنة والاستعباد والاعراب عن شعور بالتفوق تعززه قناعات شخصية وثقافية وسياسية ودينية وعرقية : والاستيطان هو نزوع الى الخلاص من أوضاع لاتطاق بالبحث عن مخارج لازمات حياتية او دينية يتعذر حسمها من جانب المتطلع الى الاستيطان . والاستيطان لايلجأ الى العنف والقوة بصورة عامة وما يغيب في الاستيطان يحضر في الاستعمار اى العلاقة . فالاستعمار علاقة بين «دولة» او «امة» «او» شعب» ودولة او أمة او شعب آخر من زاوية الهيمنة والاخضاع عن سبيل «القوة» (وللقوة اشكال)

من أجل التوسع والمجد والاستغلال. وليس العلاقة محض ظاهرة فكرية كما يراد لها ان تكون عليه عند الكتاب الليبراليين.انها ليست وهم او احساس في اذهان الامم التي عاث وتعاني من الاستعمار . انها حقيقة تعيش بل وتعبث تركتها في اوساطهم . انها علاقة متجذرة في انماط وحنايا ودقائق الحياة الاقتصادية سواء على النطاق المحلي او العالمي . فالاستعمار ليست علاقة بين أو ب (اى كان أو ب) فحسب وانما تبسط نفسها فتشكل نسقاً عالمياً بلغته الرأسمالية في مرحلة من تطورها .

ان الاستعمار الحديث الذي نعيش مخلفاته الآن تعود جذوره الى سبعينات القرن التاسع عشر . وعليه فهو يتميز عن سياسة التوسع التي نهجتها الدول الاوربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . من حيث انه تصاحب مع نهوض واستقرار الثورة الصناعية في المجتمع الاوربي . فالثورة الصناعية قادت الدول الاوربية الى سياسة الحماية والاستغلال وتعزيز المواقف في نظام دولي سياسي هو نظام توازن القوى المعروف . ولكن هذا لايعني ان المستعمرات قد تحددت ملكيتها ودمجت في امبراطوريات الدول الاوربية بصورة نهائية وانما على العكس من ذلك فان المستعمرات كانت من اسباب الصراعات الرئيسة بين تلك الدول . وقد كانت السياسات الخارجية لمعظم الدول الاوربية الكبرى تحرص على تأمين سيادتها على مستعمراتها والاستئثار باستغلالها وجعلها خاضعة للمركز المتمثل بالصناعة .

وهكذا فان الاستغلال بمعناه الاقتصادي والاخضاع القسري بمعناه الانساني والحضاري هما السمتان الرئيستان للاستعمار الحديث . اما السمات الاخرى التي يحاول الكتاب الليبراليون اسباغها على المفهوم فهي محض تبريرات سياسية وفلسفية ونصف علمية .فالزعم بان الرجل الابيض وجد نفسه امام اختبار حضاري فاندفع ليبسط ما حققه من تقدم على بقية اجزاء العالم وبذلك ناء بعبء أرهق كاهله وتطلب منه التضحيات انما هو تغليف لنزعة توسعية تبحث عن المجد في ساحات لاتتناسب فيها فرص المجابهة وعن الذهب حيث الاستغلال

لايعرف القيود . ولكي يطلق الرجل الابيض توسعه العدواني الاستغلالي كان لابد ان يؤطر سلوكه في نواميس اخلاقية تدفع عنه الشبهات وتضفي على سلوكه قيمة عليا تكون بحد ذاتها مدعاة لتوسع واستغلال أكبر .

وعلينا ان لانغفل البطولات والانجازات عبر القرون التي يرى الاستعماريون الاوربيون انها تشكل بعضاً لاينفصل عن تاريخ دولهم واممهم . ومن أجل تلك البطولات والانجازات ينبغي ان تسود سياسة الاستغلال في المستعمرات. فالاقاليم الافريقية والمناطق الاسيوية اصبحت مصالح قومية للدول الاوربية وكانت على استعداد لخوض حرب من اجلها . وبدون شك ان الاستعمار الحديث فاق على الاستعمار القديم الاستيطاني . فان الاخير لم يوضع في نطاق ايديولوجية المصالح القومية . فالتوسع الاستعماري كان في الاغلب نشاط لم تشترك فيه جميع مؤسسات الدولة وعامة الناس . من حيث ان الاستعمار الحديث اودعت فيه معايير مادية . بل والاكثر من هذا ان رخاء تلك الدول كان يستند إلى ماتملكه من مستعمرات فيما وراء البحار .

وينظر إلى الاستعمار الحديث في بعض الاحايين على انه في طبيعة الاشياء. اى انه موجود في المجتمع الدولي وممارسته الامم . وعليه فانه يكتسب الشرعية . فالامريكيون ينظرون إلى الاقاليم المحيطة بهم بأنها ذات ثروات طبيعية وهبها الله وعليه فلا بد من استغلالها . وهكذا تتحول علاقة الاستغلال إلى علاقة الافادة او الانتماء الى نمط الحياة الجديدة . ولكن عندما نتفحص سجل الاستعمار الحديث في افريقيا وآسيا فسنرى ان الادارة الاستعمارية كانت مهتمة في الاساس بتلك النواحي التي تجعل المستعمرات تدر اكثر وتخضع إلى المركز .

لم يكن الاستعمار الحديث من دون أرضيات فكرية . فالسياسات الاستعمارية للدول الاوربية استرشدت بافكار بلورها الكتاب والسياسيون الغربيون . وكان الاتجاه العام واحد على الرغم من تعدد الطروحات الفكرية وبالتالي السياسات المتبعة ايضاً . فعندما يتكلم البريطانيون عن الحكم غير المباشر

في الهند فانهم لايختلفون كثيراً عن روسيا القيصرية التي حاولت ان توكل إلى الحكام والمتنفذين المسلمين في المناطق الاسيوية ادواراً معينة . وكذلك شأن فرنسا التي حاولت ان تفرنس العرب المسلمين في الجزائر . والفكر الغربي في الجانب الاستعماري ينطوي على ابعاد عريقة واخرى من ماهية قانون الامم وحق السيادة ، وكذلك بعضها يتكلم عن المهمة التاريخية والانسانية .

يتلازم الاستعمار مع الرأسمالية تلازماً وثيقاً . ويقر انصار الاستعمار ومنتقدوهم بان الجوانب الاقتصادية وعلى الاخص الربح هي الحوافز الرئيسة للحركة الاستعمارية . ولاريب ان الاستعمار اشبع احتياجات الاقتصاد الرأسمالي ، سواء اكان سياسة كما رأى كاوتسكي وهيلفردنك تتبعها الدول الامبريالية ام عصراً متميزاً لمرحلة الاحتكار الراسمالي والرأسمالية المالية . وعليه فان الاستعمار يرتبط بنمط الانتاج وينجم عن تفاعل علاقات معينة تاريخياً . واذا كانت الرأسمالية شر فان الاستعمار هو دالة ذلك الشر حيث تتنافس الدول الصناعية الكبرى بل وتلجأ إلى الحرب من اجل تقاسم العالم فيما بينها. وعندما تتصادم المصالح وتختل التوازنات يصار إلى توسع جديد واستغلال ابشع .

لقد شوهت الحركة الاستعمارية الوجه الاخلاقي للقومية .فالقومية الاوربية في القرن التاسع عشر عبرت عن نفسها ، في الواقع ان البرجوازية الحاكمة هي التي عبرت عن القومية ، بالتوسع الاستعماري . فتظافرت مصالح المصارف الكبرى والصناعات الجائعة للمواد الاولية والاسواق مع الدعوة إلى الاعتزاز القومي والتعصب احيانا والحكومة لتسيطر على اقاليم وتتمكن من مستعمرات .

وهكذا فالاستعمار الحديث يقترن بصورة وثيقة مع مرحلة من تطور الرأسمالية الغربية حيث يسود الاحتكار العالمي . وقد تستر خلف واجهات سياسية وعسكرية واستيراتيجية وحضارية ودينية .

المبحث الثاني

اسباب الاستعمار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

ان الربح والسعي من اجل زيادته يشكلان سببا رئيسا للتوسع الاستعماري. وعندما تتقلص فرص تحقيق الربح في السوق الداخلية او القومية فان الاستثمارات تتوجه نحو المستعمرات. وهناك سبل عديدة لجني الأرباح. فالحماية والاحتكار والاستغلال وانخفاض الأجور كلها شروط ضرورية للمستويات العالية من الأرباح . وقد افادت بريطانيا وفرنسا من تيسر الأموال ونظام المصارف ونشاط المتضاربين والمستثمرين وربما الاعتقاد السائد بأن المستعمرات فرص بكر للارباح شجعت الكثير من المستثمرين على الأندفاع إلى الاستثمار في المستعمرات . وقد احتمت هذه الاستثمارات بسياسة الحكومات الاستعمارية ونظام توازن القوى.

وللتجارة دور في الاستعمار. فحيث ما يرفع العلم تقام التجارة. هكذا كان الاستعماريون ينظرون إلى التوسع الأستعماري .وقد دللت السجلات الدبلوماسية على ان التجار والشركات (شركة الهند الشرقية مثلا) كانوا يطالبون حكوماتهم ان توفر للمصالح التجارية حماية دبلوماسية وعسكرية فمن مستلزمات التجارة المربحة ان تكون لها حرية لا تتمتع بها بقية التجارات. ولعل الصراع على السوق الصيني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وسياسة تجارة الباب المفتوح دليل على حرص الحكومات الاوربية على تأمين اوضاع تخدم التجارة الأوربية لأن اليابان كانت تنافسها من زاوية خاصة. كما ان تلك السياسة كانت تمويها لبقية الدول الصناعية. فروسيا القيصرية ذات المصالح الجغرافية في الصين لم تكن قادرة على منافسة التجارة البريطانية والفرنسية والامريكية ولكي لا يسمح لروسيا في فرض شروط استئثارية على الصين تمسكت الدول الاوربية بسياسة الباب المفتوح.

ومع تقدم الصناعة والانتاج الكبير وتوسع السوق بدأت مسألة المواد الاولية تظهر بصورة حادة. والقضية لم تكن قضية تيسيرها فحسب وانما

احتكارها دون بقية الدول الصناعية. ولهذا نجد ان الاستثمارات في المستعمرات اهتمت في بادىء الامر بالمواد الزراعية ومنذ الحرب الاولى توجهت المراكز الصناعية الاستعمارية إلى الخامات والتعدين. وقد حرصت الادارة الاستعمارية على استغلال المستعمرات بصورة لا تعرف العقلانية. فكان اسلوب النهب، كما كان عليه الحال في غرب افريقيا والكونغو، ومن ثم التجارة وبعد ذلك الصناعات. وفي جميع المراحل كان العامل الاقتصادي هو المحرك الرئيسي لتعزيز السلطة الاستعمارية في المستعمرات. ولم يكن السعي وراء المواد الاولية من غير اعتبارات استراتيجية. فالمطاط والوقود والقطن خير نماذج للصراعات الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة. وكان الاستعمار الياباني اكثر تحسسا بالحاجة إلى المواد الاولية فجهد عسكريا وسياسيا لتحويل الصين وآسيا الى مصدر للمواد الاولية ولكي تعيش من دون مزاحمة خارجية.

وعلى الرغم من الارباح التي جنتها الدول الاستعمارية من المستعمرات كانت هائلة فان المدافعين عن الاستعمار يزعمون بان الادارات الاستعمارية كانت تدير المستعمرات من اموالها وبجهدها. ولكن نظرة موضوعية إلى تاريخ الاستغلال في افريقيا وآسيا يكشف عن المغانم التي كانت تحققها الادارات والمراكز الاستعمارية. فبلجيكا الدولة الصغيرة والاقل تصنيعا تمكنت بفضل مستعمراتها ان تزدهر اقتصاديا وماليا . ولو كانت ادارة المستعمرات تنفذ بخسارة لأعلنت بريطانيا وفرنسا عن افلاسيهما .

اننا نرى ان الربح بسبيل او بآخر كان وراء الحركة الاستعمارية بالاضافة إلى عوامل اخرى نشطت الحركة. ومن بين تلك العوامل الاعتبارات الاجتماعية.

ويأتي من مجال الدوافع الاجتماعية موضوع الحضارة. وكثيراً مايتغنى المفكرون الاستعماريون بالمهمة الحضارية التي اوكلت إلى الحضارة الاوربية والرجل الابيض . ويتغافل اولئك ان الحضارات تتزاوج وكل تقدم ما عندها وليست هناك حضارة لديها الوصاية وتمنح المبايعة من قبل شعوب العالم .

ان الزعم بان بريطانيا كما كان ينادي جوزيف تشمبرلن ولبعض الشيء ايضا هوبسن . كانت تنتشل شعوب المستعمرات من الهمجية وان من صالح الهند ان تحرص على امن الحكم البريطاني في الهند محض افتراء وتبرير واهن. فلا التعليم والتقدم في المستعمرات كانا غايتين لدى المستعمرين وانما وسيلة لاعداد مؤهلين وسطيين يحتلون المراتب الدنيا في نظام اداري انشأ من اجل استغلالهم .

ولا يرى ج .آ. هوبسن في تدخل واستغلال «الشعوب البيضاء» في حياة « العرق المتدني» امراً ينم على عدم الشرعية . وانما كان يريد من الحكومات البريطانية ان لاتتيح للشركات والمصالح الاقتصادية استغلال المستعمرات من دون ضوابط .

ان هذا الموقف ينجم عن اعتقاد المستعمرين بان شعوب الامم المستعمرة لاذات لها . وعليه فهي غير مؤهلة لان تكون عند نفس المقام الذي تكون عنده شعوب الدول المستعمرة (بالكسر) . ومن مهمة المستعمرين ومسؤوليتهم ان يعملوا ويثقفوا ويستعمروا تلك الامم . بل والاكثر من هذا على تلك الامم ان لاتعارض ذلك . فكيف يمكنها ان تعارض طالما هي لا ذات لها او قل لا حضارة لها . وكأن المستعمرين اغفلوا ان شعوب آسيا وافريقيا هي الاخرى قد مرت في طورها الحضاري الخاص بها وكانت لها ذات وكل ما احتاجت اليه بث الوعي فيها .

ومما لاريب فيه ان هذا المنطلق الاجتماعي للاستعمار هو داروينية من صنف آخر . فلكي يبرر الاستعمار ولكي يخدر ابناء المستعمرات ترجمت الداروينية الممسوخة الى حق وحق على آخر .ان الرجل الابيض يجب ان يعرب عن ذاته ولا يمكن لذلك ان يحدث الا من مختبر الشعوب .وهل هناك من مختبر اوسع واكثر ملاءمة من شعوب افريقيا وآسيا . فالاوربي بآلته ونظامه الاداري وقسوته واستغلاله تمكن من ان يقنع نفسه اولا ومن استعمره ثانيا بانه متفوق . ولكي لاتصبح «انجازات » التفوق فردية فقد اطرت في خصائل الامة . وهكذا أصبحت مهمة الامة ان تستعمر غيرها .

وهذا من دون ادنى شك وجه غير صحيح للقومية . فكما كشفت قومية الشعوب الافريقية والاسيوية ان من افدح الاخطاء التي ارتكبتها القومية الاقتصادية الاوربية هو تخليها عن انسانيتها .

ان الحافز الاجتماعي .. الديني للاستعمار ليس غاية بحد ذاته فحسب وانما هو وسيلة ايضا . فبفضله يترنح الوجود الاستعماري الاقتصادي والسياسي العسكري اذا كان الدافع والسبيل العسكري للاستعمـــار يعطيان مردودات مباشرة فلا بد من وسيلة لتعزيز تلك المردودات . وعليه فان الاستعمار الاجتماعي الفكري هو من اكثر الاشكال خطورة .

والاستعمار ايضا قد يكون لاسباب تقع في نطاق الدفاع القومي بمعناه العريض . فسياسيا نشدت بعض الدول الاوربية ان تكون في مصافي الدول العظمى وذلك لما لهذه المنزلة من امتيازات لاتتاح لغيرها . وقد تحسست ايطاليا وروسيا هذا الامر . فالممتلكات الايطالية والروسية فيما وراء البحار كانت محدودة جداً فافتقرنا الى سياسة عالمية . بل وان وجود الدول العظمى في اغلب بقاع العالم اعاق سياسيا تحرك المانيا وايطاليا في البحث عن مكان تحت الشمس واستخدمت المستعمرات في الصفقات الدبلوماسية لحسم الخلافات السياسية كمسألة الحبشة وتوزيع الوطن العربي بين الحلفاء .

وثمة حجة تدور في حلقة مفرغة وهي قضية القوة . فالدولة القومية قوية عندما تكون لها مستعمرات . فالمستعمرات هي في الاصل قوة . ومما لاريب فيه ان السياسيين والعسكريين نظروا الى المستعمرات من هذه الزاوية .

فالسياسيون يحبذون التعامل في السياسة الدولية من موقع القوة . وعند عقد المقارنة بين المقومات الحربية الذاتية المحتملة لالمانيا ولبريطانيا نجد ان الفارق سيكون لصالح المانيا ، ولكن بممتلكاتها الاستعمارية تمكنت بريطانيا من تضييق الخناق على القوى الاوربية سياسيا وعسكريا . فتوسع بريطانيا في البحر المتوسط بعد حرب القرم واحتلالها مصر في ١٨٨٢ جعلها قادرة على مزاحمة جهود فرنسا وايطاليا وروسيا في تلك المنطقة .

وكان العسكريون يروجون ويجدون الاعذار للتوسع الاستعماري وتعزيزه . فالاستيلاء على مصر كان يعني اكمال الحلقة بين جبل طارق والسويس وعدن والهند واستراليا . ولكن من دون قدم لبريطانيا في شرق البحر المتوسط والخليج العربي وافغانستان ستكون تلك الحلقة في وضع غير امن .

وعليه اندفعت بريطانيا لتحتل وتستعمر شرق البحر المتوسط وتنافس فرنسا عليه ، ولتحتكر الخليج العربي وتجعل افغانستان منطقة عازلة بين روسيا وبين ممتلكاتها في الهند .

المبحث الثالث

انتشار الاستعمار في القارة الافريقية

ان اول من امتلك اراضي افريقية هم البرتغاليون الذين اندفعوا في القرن السادس عشر في حملات استكشاف جغرافي . وكانوا قد استقروا عند الساحل فاحتلوا مدنا ساحلية في موزامبيق واتخذوها راس حربة للتوسع نحو وديان نلركوانزا . واصبحت فيما بعد بؤرة لتوسع اكبر انتهى بالسيطرة على موزمبيق اما على الساحل الاطلسي فقد استقروا عند لواندا ونهر الزامبيزى واسسوا مستعمرة انغولا ، وانتعشت تجارة الرقيق على ايدى البرتغاليين ، مما شجع بقية الدول البحرية الاوربية على ايجاد مواضع اقدام لها عند الساحل الافريقي . فشهد القرن السابع عشر قدوم الهولنديين والانكليز والفرنسيين. واستقر لهولنديون في راس الرجاء الصالح التي كانت لها اهمية استيراتيجية في خطوط المواصلات البحرية إلى الهند الشرقية وقد انطلق الهولنديون من رأس الرجاء الصالح إلى افريقيا الجنوبية اما البريطانيون فقد استقروا في غامبيا في حين توقف الفرنسيون في مدينتي سنت لويس وغوريه فاصبحتا حلقة التوسع لتشمل السنغال .

لم تكن افريقيا الداخلية مشجعة على التوسع الاوربي في القرن الثامن عشر وذلك للاوضاع الجغرافية والمناخية والقبلية . فاقتصرت نشاطات الاوربيين على التجارة . وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت حملة استعمارية جديد تزعمها العسكريون وأيدها التجار والسياسيون . فاستطاع الفرنسيون في اربعينيات القرن على التوسع في مناطق تعرف اليوم بغينيا وساحل العاج وجمهورية مالغاسيا . وبعدها بعقدين اندفعوا صعوداً مع نهر السنغال في المناطق الداخلية لغرب افريقيا وقد اعتمد الفرنسيون القوة العسكرية بصورة ساخرة وجندوا السنغاليين للتوسع نحو مستعمرات ساودان وموريتانيا وفولتا العليا والنيجر وغينيا وساحل العاج وداهومي . ولم يكن درب التوسع الفرنسي

منبسطاً بل كان على الفرنسيين ان يهزموا المقاومة في مملكة داهومي ودويلات الموسي . وقد قاوم الحاج عمر وأحمد وسيفو والساموري حتى ١٨٩٨. ولكن المقاومة لم تصد الزحف الفرنسي ، فاحتل الفرنسيون تمبكتو في ١٨٩٤ وساي في ١٨٩٦. وبعد ذلك اصطدمت المصالح التوسعية مع المصالح التوسعية البريطانية في الهاوزلاند .

وتوسع البريطانيون في نايجيريا من ثلاث اتجاهات وتبنتها مصالح تجارية مختلفة. اولا في لاغوس التي امتدت إلى مناطق مجاورة وأصبحت محمية بريطانية ، ثم من جهة أنهر الزيت حيث مصالح شركة ليفيربول . والمنطلق الثالث كان من النوبية حيث تشكلت هناك الشركة الملكية للنيجر.

ان الصراع على شمال ـ شرقي أفريقيا (مصر ـ السودان والحبشة) كان بين بريطانيا وفرنسا ،الذي انتهى باحتلال البريطانين لمصر والسودان في ١٨٨٢. ومابين ١٨٣٠ ـ ١٨٩٠ تمكنت فرنسا وايطاليا من استعمار شمال أفريقيا وشمال غربها . وكان احتلال الجزائر مابين ١٨٣٠ ـ ١٨٧٩ اسلوبا في التوسع تظافرت عدة عوامل على اخراجه .فتسترت الحكومة الفرنسية وراء حجج واهية فانزلت قواتها عند الساحل . لكن لم تكن عملية الاحتلال سهلة اذ كان على الفرنسيين أن يخضوا المقاومة العنيدة من جانب عبدالقادر. وفي سنة ١٨٤١. بدأ الجيش الفرنسي في غزو أقاليم عبدالقادر حتى ١٨٤٧.

وقد استهدفت فرنسا مراكش بعد الجزائر. وفي ١٨٤٥ وقعت معركة حربية بين الجيش الفرنسي والمغربي. وفي ١٨٥٩ اشتبك المغاربة مع الاسبانيين وفرض على السلطان فدية اتاحت بعد ذلك للدول الاوربية سبيل التدخل عن طريق القروض. وقد تمكنت المغرب من الحفاظ على استقلالها حتى ١٩١٢.

في عام ١٨٨١ احتلت القوات الفرنسية بنزرت وتونس وكان هذا الاحتلال بداية تقاسم جديد لافريقيا جرى على الورق . ففي ١٨٨٢ احتلت بريطانيا مصر والسودان.

ان شرق – وسط افريقيا يشمل على الدول الحديثة التكوين (كينيا، اوغندا، تنزانيا، شمال موزمبيق، ملاوى، وبورندى – دواندا) . وقد كان للعرب المسلمين السبق في بلوغ هذه المناطق. وقد تحرك الغربيون نحوها في القرن التاسع عشر للاغراض التجارية.

لقد بدأ تقاسم افريقيا بين الدول الاوربية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وجرت العملية بسرعة وضمن تراتيب دبلوماسية وسياسية وعسكرية. وكانت نتائج التقاسم متأثرة بالاوضاع الاوربية مباشرة. وكانت في صدارة قائمة الدول المتنافسة بريطانيا وفرنسا. ففي خلال تلك الفترة تقلصت المصالح الهولندية والدينماركية وكانت كل من المانيا وايطاليا تتطلع إلى امتلاك مستعمرات في افريقيا. وقد كان لدور بريطانيا الاثر البارز في اخراج صيغة التوزيعات الاقليمية الاستعمارية. فعلى العكس من بريطانيا كانت فرنسا ضعيفة صناعيا وبحريا ولذلك لم تتمكن من مجاراة بريطانيا ، فحاولت الذود عن مصالحها الاستعمارية بتحريم التجارة على غير الفرنسية

وفي السبعينات جرت محاولات دبلوماسية لتقسيم غرب افريقيا بين بريطانيا وفرنسا ، بان تأخذ فرنسا النيجر الاعلى حتى غينيا العليا، في حين تأخذ بريطانيا النيجر الاسفل وغينيا السفلى. ولكن المشروع تعثر لان منافسين جدد دخلوا إلى اللعبة. فليوبلد الثاني ملك بلجيكا استهدف اقامة احتكار تجاري في الكونغو وذلك عن طريق غير شرعي. فقد تعهد باقامة مناطق تجارة حرة في حوض الكونغو. ولكن بعدما تحسنت سوق المطاط حولها إلى منطقة احتكار. والمنافس الآخر كانت ألمانيا التي انصاع فيها بسمارك مابين ١٨٨٣ – ١٨٨٥ إلى نداءات العسكريين والسياسين والرأسماليين الالمان فتولى الدفاع عن المصالح التوسعية. واستطاعت المانيا بزعامة بسمارك ان تهدد المصالح البريطانية. وكان غرض بسمارك تصريف الاهتمامات الفرنسية بعيداً عن اوربا ولذلك ايدها في شمال افريقيا وفي الكونغو وغرب افريقيا.

وفي مؤتمر برلين (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) اتفقت الدول الاوربية على بناء امبراطوريات استعمارية رسمية بعدما كانت بريطانيا تتزعم اسلوب بناء الامبراطوريات غير الرسمية. فقد توجب على الدول التي تنوي ان تنشأ لها محميات في افريقيا ان تخطر بقية الدول وان تكون المناطق خاضعة لسلطة تلك الدول. بالاضافة إلى حق الملاحة في نهري الكونغو والنيجر. وبذلك اعيقت جهود بريطانيا في صد النفوذ الفرنسي والالماني. كما ان مجال نفوذ بريطانيا في غينيا السفلى قد قسم إلى محمية فرنسية في داهومي ومحميتين المانيتين في توغولاند والكاميرون. كما نالت فرنسا وبلجيكا مواقع في المناطق الساحلية في جنوب افريقيا. وحصلت المانيا مجال نفوذ في دار السلام.

ومنذ مؤتمر برلين وحتى ١٨٩١ تمكنت بريطانيا من التوسع في جنوب افريقيا فقد اعلن سالسبرى، رئيس وزراء انكلترا (١٨٨٥ ـ ١٨٩٢) ان بيجولاند (وتعرف الان بوستوانا) محمية بريطانية. ومن ثم دعا سيسل رودس صاحب مناجم الالماس إلى التوسع شمالا بحثا عن الذهب. وفي ١٨٩٠ استقر البريطانيون عند جنوب رودسيا. وفي ١٨٩٠ تقاسمت المانيا وبريطانيا عن سبيل الدبلوماسية شرق افريقيا. فاعطت بريطانيا جزر بحر الشمال مقابل اعتراف المانيا بحق بريطانيا في زنجبار وكينيا واوغندا وشمال رودسيا (الان زامبيا) وبيجيولاند وشرق نيجيريا. وفي نفس السنة اتفقت بريطانيا مع فرنسا بصدد حدود نيجيريا الغربية مقابل اعتراف بريطانيا بحماية فرنسا على مدغشقر. وهكذا يبدو ان اتجاه التوسع البريطاني كان يستهدف اقامة محور من المستعمرات يمتد من رأس الرجاء الصالح إلى القاهرة.

المبحث الرابع
اثر الاستعمار الحديث في السياسة الدولية

لقد سبق وان اشرنا إلى الحركة الاستعمارية الحديثة ١٨٧٠ — ١٩١٤ كانت تعبيراً خارجيا لصراعات داخلية في المجتمعات الاوربية من جهة ،ولمنافسات بين الدول الاوربية الكبرى من جهة أخرى . وعليه فان من اسباب الصراعات الكبرى بين الدول الاوربية هو التنافس المسلح من أجل تعزيز المواقع في المستعمرات والتوسع على حساب الدول الاخرى . وكان التنافس البريطاني — الفرنسي من أشد اشكال المزاحمة وان لم يأخذ صيغة الحرب بين الطرفين في الساحة الاوربية. ولكن الاحتراس من التصادم المسلح كان نتيجة اوضاع اوربية — الخطر الالماني على أمن فرنسا —كما أنه لم يمنع من الاشتباكات في المناطق المستعمرة . فقد تجابهت القوة المسلحة الفرنسية والبريطانية في السودان عند فاشودا في ١٨٩٨.

وإلى جانب الصراعات المسلحة فان الاستعمار شجع الفئات الاستعمارية على تبني سياسة المغامرة . وكما تدلل المصادر الرسمية للحكومات والشركات والكتاب فان الدعوة إلى التوسع وجدت لها مؤيدين من جهات مختلفة ولتبريرات عديدة. فالالمان أرادوا مكاناً لهم تحت الشمس في حين حرص البريطانيون على تصريف المطالب الالمانية بالطرق الدبلوماسية . وكان الفرنسيون يتدافعون من أجل التوسع في غرب أفريقيا بعد ١٨٧٠ . وبتشجيع من ألمانيا ، كي يعوضوا عن خسارتهم في حرب ١٨٧٠ ، ومما لاريب فيه أن تيارات متعددة على النطاق الداخلي ومنافسات على النطاق الدولي خلقت أزمات دولية على النطاق الداخلي ومنافسات على النطاق الدولي خلقت أزمات دولية ساعدت التعجيل في قيام الحرب العالمية الاولى . فازمة أغادير ، والمنافسة الفرنسية — البريطانية على مصر ، وازمة سكة حديد برلين — بغداد ، والصراعات على المصالح الاستعمارية في الصين ، كلها مقدمات إلى الحرب .

ولما كانت التوسعات الاستعمارية دالة على العظمة والقوة في السياسة الدولية فان الرأى الذي كان سائداً هو ان القوة والعظمة سبيل الى اكتساب

مستعمرات جديدة . وعليه فان التسليح والنزعة العسكرية وجدت لها مبررات في الحاجة الى مستعمرات جديدة . وبدوره فإن التسلح كان من العوامل الهامة في الحرب . فعندما كانت تحقق الدبلوماسية في حسم الخلافات بصدد المستعمرات كان يروج إلى استخدام القوة العسكرية او التهديد بها . ولعل ملابسات ازمة أغادير في مراكش خير دليل على التظاهر العسكري الذي كاد ان يقود الى اشتباكات مسلحة .

لقد كانت اقتصاديات افريقا وآسيا قبل الحركة الاستعمارية الحديثة متأثرة بواقعها الاقليمي . فلم يكن الانتاج فيها يشكل حلقة متينة ومربوطة رباطاً وثيقاً مع حلقة الرأسمالية العالمية . وبالتالي فان البنى الاجتماعية والسياسية كانت ملازمة لتاريخها الخاص بها . ولكن عندما بدأت المصالح الاستعمارية تعجل في استغلال اقتصاديات المستعمرات وجعلها تابعة لاقتصاديات المراكز فإن اقتصاديات المستعمرات دخلت الى حلقة الراسمالية العالمية وكان لابد ان تتأثر بها . وجاءت صيغ التأثير متباينة من مكان الى مكان ومن حقبة الى حقبة . وعلى الجملة يمكن القول بان التبعية تعمقت مع مرور الزمن وتعقيد الاقتصاديات العالمية . ومما يعيق تحرر اقتصاديات شعوب المستعمرات الحديثة الاستقلال هو تجذر تلك التبعية بالاضافة إلى انها اخذت اشكالا جديدة تعتمد الصيغة غير المباشرة . وعليه فان بعض نشاطات النضال القومي لشعوب المستعمرات هو في الواقع من اجل التخلص من قيود التبعية الاقتصادية .

يغالي انصار الاستعمار عندما يشيرون إلى سجل تاريخ الحركة الاستعمارية الحديثة في المزايا التي تركها الاستعمار بعد ان انحسر رسميا من افريقيا واسيا . فيشيرون إلى البعثات التبشيرية واعمالها، والى الادارة وإلى التعليم والمؤسسات الصحية والسكك والطرق وغيرها .

ولكن دراسة دقيقة لجهود الادارة الاستعمارية في تلك الاقاليم تدلل على عقم هذا الزعم . فلقد جرت كل هذه النشاطات من اجل غاية واحدة لاغير الا وهي الاستغلال بأبشع صوره . فالادارة هي من اجل تسهيل جمع الضرائب

والاشراف على المزارع والعمالة . والسكك الحديدية هي من أجل احكام التبعية والتعليم والتبشير هو من اجل استعمار فكري وحضاري .

فلقد احتاج الاداريون من الناحية الاقتصادية الى كوادر تحتية فكان التعليم هو السبيل الوحيد الى ذلك .

ليس للعاطفة واللاموضوعية مكان عندما نقول ان اثر الاستعمار على السياسة الدولية كان التخلف . وما نعيشه اليوم هو تركة الحركة الاستعمارية .

فالتخلف يعيق التقدم – وهذه حقيقة – ويعزز التبعية ، ويحبط العزم .

فالتخلف بمعناه العام – الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي – هو من افدح الآثار . فباسمه تتقدم الدول الاستعمارية التقليدية والجديدة بحلولها لشعوب افريقيا وآسيا ، وباسمه تبرر سياسات النقود والقواعد والارتباعات .

لقد كان للحركة الاستعمارية دور في النهوض التحرري والقومي لشعوب المستعمرات . من المفيد الاشارة الى جملة اشكال من ذلك النهوض ففي معظم اقاليم افريقيا غير العربية كن الاستعمار من المحفزات الرئيسة في حركة التحرير الوطني . فمعظم التنظيمات السياسية استهدفت التخلص من الاستعمار وجندت نفسها لذلك وقادت شعوبها الى الاستقلال . بالاضافة الى ذلك فان هذه العملية النضالية اوجدت ارضية مشتركة لبزوغ قوميات افريقية . اما الصيغة الثالثة فهي في المستعمرات التي كانت لها قوميات فجاءت السيطرة الاستعمارية وعجلت في بعثها ونهوضها السياسي .

وعليه فان النظام الدولي الحالي الذي يتشكل من الدول القومية ذات السيادة انما هو حصيلة استمرار لنظام سابق مضافا اليه متغيرات جديدة تولدت في رحاب الاستعمار الحديث .

ان غياب الاستعمار بشكله التقليدي – السيطرة الكولينالية المباشرة – لايعني باي حال بان فعله قد تلاشي . الواقع ان السياسة الدولية منذ ١٩٤٥ تشهد صيغا من السيطرة لاتختلف من حيث المضمون عن الاستعمار سوى

بالاسم او ظاهرياً . فالغزو الحضاري والثقافي الذي تتعرض له شعوب افريقيا وآسيا هو نمط من الاستعمار ، وكذلك التطويق الاقتصادي المتمثل بالمؤسسات ذات الجنسيات المتعددة . كما ان تحركات الدول الاستعمارية التقليدية من اجل الرجوع الى مستعمراتها يدلل على ان تلك الدول ما تزال تتمتع بنفوذ سياسي قتصادي في الدول الحديثة الاستقلال .

المصادر

دراسات في الامبريالية ، روجراون وبوب ستكلف ، لندن ، ١٩٧٢ ، ترجمة د. كاظم هاشم نعمة ود. وميض جمال نظمي ، منشورات جامعة بغداد (يحتوي قائمة مراجع غنية جداً) .

M. Barrat Brown, After Inperialism, London, 1963 R. F.Betts, Europe Overseas, Phases of Inperialism, London, 1968.

Po. Curtin, Inperialism, London, 1971. M. Edwardes, the West in Asia, 1950 - 1914, London, 1967.

D. K. Fieldhouse, the Colonial Empires, London, 1966.

B. Fetter, Colonial Rule in Africa London, 1979.

R. Hallett, Africa to 1875, Nichigan, 1970.

W. L. Langer the Diplomacy of Imperialism 1890 - 1902, New york, 1965.

V. I. Lenin, Imperialism the Highest stage of Capitalism Moscow 1966.

G. Lichtheim, Imperialism, Harmondsworth, 1971.

P. J. M. Mc Edwan, Nineteenth Century Africa, 1968.

R. Oliver, Africa Since 1800, Camlorige. 1972.

J. D. Omer - Cooper (ed) the Making of Modern Africa, London 1978.

A. P. Thornton, Doctrines of Imperialism, London, 1965.

E. M. Winslow, the Pattern of Inperialism, New York, 1950.

الفصل السادس

الحرب العالمية الاولى

خلال الأربعين سنة السابقة لنشوب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ ساد بعض لاوساط العالمية تفاؤل بسيادة السلام ومنع الحروب فقد نما التعاون والتضامن بين الشعوب ولا سيما في الناحية العلمية والاقتصادية . وقويت حركة دعاة السلام وانتشرت جمعيات السلام في مختلف الدول الغربية . ونشأت بعض المنظمات والاتحادات الدولية مثل اتحاد البرق العالمي واتحاد البريد العالمي. وعقدت مؤتمرات للكنائس المختلفة . واسس الاتحاد البرلماني العالمي . وقامت الاممية الثانية (١٨٩٩) . وعقد مؤتمر لاهاي للسلام (١٨٩٩) ادى إلى تأسيس محكمة التحكيم الدائمة.

ولكن بالرغم من التفاؤل نشبت في الوقت نفسه الحرب الروسية – اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) والحرب الايطالية – التركية (١٩١١ – ١٩١٢) وحروب البلقان (١٩١٢ – ١٩١٣).

المبحث الاول

أسباب الحرب العالمية الاولى

مما كتب عن أسباب الحرب العالمية الاولى غير المباشرة يمكن تلخيصها في أربعة اسباب :

١ — القومية العدوانية

٢ — الامبريالية

٣ — التسلح

٤ — المحالفات الدولية

١ — الحركات القومية :

في سنة ١٩١٤ كان في اوربا نحو خمس وعشرين دولة ذات سيادة ، كل دولة منها مساوية للاخرى نظرياً . دعيت بالدول ذات السيادة لان كل واحدة منها رفضت ان تعترف باية سلطة فوق سلطتها وفوق مصالحها. وكل واحدة ادعت بحقها في اتخاذ قرارتها الخاصة بها ورفضت الموافقة على اى اجراء او اتخاذ اى اجراء بدا لها انه ينتقض من استقلالها التام، اى استقلالها في دخول المحالفات وفي شن الحرب وعقد السلام كما تشاء. ورفضت كل دولة حق أية سلطة دولية في اصدار قرارات ملزمة لها، ولم تعترف اية دولة بالتزامها باللجوء الى التحكيم عدا اللجوء الى القوة حين يكون الموضوع موضوع الشرف القومي او الكيان الاقليمي.

في هذه الظروف كان من المحتمل نشوب الحرب حين تظن الدولة الطموح ذات السيادة بإن الوضع ملائم لها في الوصول إلى هدفها الذي كانت تتنافس مع غيرها من الدول في الوصول اليه .

هذا وقد تتمثل القومية بشكل اخر كسبب من اسباب الحرب : أى الرغبة المتزايدة لبعض الجماعات ، المنتسبة إلى عنصر واحد وتتكلم لغة او لهجة واحدة ولهم العادات والتقاليد نفسها وتسكن في اراض متجاورة، في الاتحاد فيما بينها تحت ظل دولة واحدة مستقلة عن السيطرة الاجنبية. شهدت سنوات

ماقبل ١٩١٤ تقدماً متزايداً نحوهذا المثل الأعلى القومي في ايجاد الامبراطورية الالمانية والممالك الايطالية واليونانية والبلجيكية والصربية والرومانية والبلغارية. ولما حلت سنة ١٩١٤ لم تحقق الدول القومية تحققاً تاما او تحققت جزئياً في اوربا. وكانت النمسا والمجر وروسيا العقبتين الرئيسين.

بالرغم من تحقق الوحدة الايطالية، فان الدولة الايطالية الجديدة كانت تنظر الى تريستة وترنتينو في النمسا – والمجر حيث كان يسكن ايطاليون غير مسترجعين. وكانت فرنسا ترغب رغبة قوية باسترداد الالزاس واللورين. في البلقان تحققت إلى حد كبير دول قومية ولكن كل دولة كان لها احلامها القومية تسعى لتحقيقها . أرادت اليونان الحصول على تراقيات وبعض الجزر الايجية واجزاء من آسيا الصغرى لاعادة بناء الامبراطورية البيزنطية القديمة. وفي الوقت نفسه أملت بلغاريا في الحصول على اكثرية مكدونيا وتراقيا والحصول على منفذ على بحر ايجة . واملت رومانيا في استرجاع الرومانيين الساكنين في ترانسلفانيا وبوكوفنا واجزاء من بسارابيا . وطمحت صربيا في تحرر الصربيين المقيمين في داخل امبراطورية هابسبرك ، وفي الحصول على موطيء قدم على البحر الأدرياتي . وفي الوقت نفسه كانت روسيا والنمسا – والمجر تسعيان لجعل المطامح البلقانية في مصلحتهما ، ولذلك فان محاولة بعض الجماعات البلقانية لاستكمال توحيدها قد يؤدي إلى التعجيل بالحرب وباشتراك الدول الكبرى فيها .

كان ساسة اية دولة كبيرة او صغيرة واثقين في حالة قيام الحرب ، من تأييد أكثرية مواطنيهم الحماسي لهم . وكانت هناك بعض الصحف التي تستغل الفرصة لاثارة الرأي العام ضد مواقف الدول الاخرى وجعل الناس يعتقدون ان الدول الأخرى هي المعتدية .

٢ – الامبريالية (الاستعمار) :

كان أهم سبب للدافع الاستعماري (الامبريالي) بعد سنة ١٨٧٠ هو انتشار الثورة الصناعية . كانت بريطانيا منذ زمن طويل نسبيا الدولة الصناعية والتجارية المتفوقة في العالم . ولكن بعد ١٨٧٠ تقدمت اقطار اخرى صناعياً

وصارت تنافسها . بسبب انتشار الثورة الصناعية وما تلاها من تنافس اقتصادي شديد بين الدول اشتد الطلب على المستعمرات ، وذلك للاسباب التالية :

(١) سهولة الحصول على المواد الخام ثم تصنيعها في الاقطار المتقدمة .

(٢) الاسواق الاحتكارية من اجل استهلاك البضائع المنتجة في تلك الاقطار المتقدمة .

(٣) استثمار رؤوس الاموال الفائضة التي جمعها الرأسماليون في الاقطار المتقدمة المذكورة .

(٤) امكانية الحصول على مواد الطعام من أجل تغذية الملايين المتزايدة في تلك الاقطار ، وهذه الملايين من الناس لم تعد تعمل في انتاج المواد الغذائية بل انصرفت الى انتاج البضائع المصنوعة .

ولذلك ظهر تنافس بين دول العالم ولا سيما بين الدول الكبرى من اجل الاستيلاء على المناطق التي لم يستول عليها احد في جميع انحاء العالم . ولما حل القرن العشرون لم تبق بقعة قابلة للسكنى لم تستدل عليها احدى الدول .

يضاف الى ذلك شعور قادة الاقطار التي ليس لها منفذ الى البحار بضرورة الاستيلاء على الاراضي التي تقع بين بلادهم والبحار الكبيرة ، وبذلك يحققون الاتصال ببقية اجزاء العالم في حالة جحدوث الازمات . وقد شعر هؤلاء ان المستعمرات تجهزهم بالقوة البشرية والقواعد البحرية لاستعمالها في الحروب المقبلة في الدفاع عن اوعانهم كما عملوا على ارضاء غرورهم حين يشيرون الى خارطة العالم وفيها الاراضي التي تسيطر عليها أوطانهم .

ولكن بحلول سنة ١٩١٤ كانت هناك مشاريع استعمارية (امبريالية) لم تتحقق تماما وكانت عنصراً مقلقاً للعلاقات الدولية . كانت النمسا — المجر (الدولة الثنائية) تحاول التغلغل في البلقان لاجل القضاء على الدعاية التي تبنتها صربيا . وكانت المانيا ميالة لتأييد مشاريع النمسا — والمجر في البلقان ، لانها (اى المانيا) كانت تخطط لاستغلال مرافق آسيا الصغرى الغنية ، ولذلك احتاجت الى سكة حديد تمر في اراضي صديقة في البلقان وإلى السيطرة في

استانبول . وكان من الواضح ان خطط المانيا والنمسا في الزحف نحو الشرق اصطدمت برغبة روسيا في الحصول على استانبول والمضايق وعلى الهيمنة على البلقان . ولكن مطامح هاتين الدولتين وقفت حجر عثرة ضد تحقيق آمال ايطاليا في التوسع الاقليمي لان ايطاليا ارادت السيطرة على الساحل الشرقي للبحر الادرياني من اجل جعل هذا البحر بحيرة ايطالية .

أما بريطانيا وفرنسا فبالرغم من مستعمراتهما الواسعة فيما وراء البحار شعرتا بالقلق من محاولة دولة مافي الحصول على «مكان في الشمس» على حسابهما .

وهكذا سببت الامبريالية تصادماً في المطامح القومية ومخاوف وشكوكاً متبادلة وأوجدت مناخاً جعل قيام حرب كبرى ممكناً.

٣ – المحالفات الدولية :

بحلول سنة ١٩١٤ كانت أوربا مقسمة بوجه عام إلى جماعتين متنافستين من الدول الطامحة المسلحة. كان هناك نظام المحالفات الدفاعية بزعامة المانيا: ضمت المانيا الالزاس واللورين بعد الحرب الالمانية – الفرنسية (١٨٧٠ – ١٨٧١) فخشي بسمارك من رغبة فرنسا من الانتقام فيؤدي ذلك إلى قيام تحالف بين الدول المعادية لالمانيا ثم مهاجمتها. ولأجل ضمان سلامة الامبراطورية الالمانية شرع بسمارك في ايجاد محالفات بزعامة المانيا تجعل فرنسا معزولة في أوربا. ولذلك أقام بسمارك تحالفاً ثنائياً مع النمسا – والمجر (١٨٧٩) وتحالفاً ثلاثياً مع إيطاليا والنمسا – والمجر (١٨٨٢).

اتفق بالتحالف الثنائي على أنه إذا هاجمت روسيا المانيا أو النمسا والمجر أو هاجمتها دولة ثالثة تساندها روسيا فعلى الحليف مساعدة حليفه. وإذا قامت الحرب بين احداهما وأية دولة أخرى عدا روسيا فعلى الحليف أن يقف موقف الحياد الودي ونص التحالف الثلاثي على أنه :

(١) اذا هاجمت فرنسا المانيا فعلى ايطاليا مساعدة المانيا .

(٢) اذا هاجمت فرنسا ايطاليا فعلى المانيا والنمسا والمجر مساعدة ايطاليا.
(٣) اذا قامت الحرب بين اى عضو في الحلف الثلاثي وبين دولتين او اكثر فعلي الحليفين الآخرين مساعدة حليفهما .

وقد اضاف بسمارك محالفات اخرى إلى هذين الحلفين . ففي (١٨٨٣) عقدت معاهدة بين المانيا والنمسا - والمجر من جهة وبين رومانيا من جهة اخرى جاء فيها انه اذا هاجمت روسيا النمسا - والمجر او رومانيا فعلى الحليف الاخر ان يساعد. وفي (١٨٨٧) عقدت معاهدة اعادة الضمان بين المانيا وروسيا جاء فيها انه اذا قامت الحرب بين احداهما وبين دولة ثالثة فعلى الحليف ان يبقى محايداً الا اذا هاجمت روسيا النمسا - والمجر او اذا هاجمت المانيا فرنسا . بهذه المعاهدات ضمن بسمارك لالمانيا الحماية ضد فرنسا وروسيا وعزل فرنسا عزلا تاما .

بعد سقوط بسمارك رفض وليم الثاني قيصر المانيا تجديد اعادة الضمان مع روسيا حين انتهت في ١٨٩٠ ، ولذلك ابتعدت روسيا عن المانيا وصارت منعزلة مثل فرنسا . خشيت روسيا وفرنسا قوة المانيا المتزايدة ولذلك دخلتا في وفاق (١٨٩١)ادى بعد ذلك إلى اتفاق عسكرى بينهما وإلى تحالفهما (١٨٩٤). وبهذا الاتفاق ذكر انه اذا هاجمت المانيا فرنسا او اذا هاجمت ايطاليا (تساندها المانيا) فرنسا فتساعد روسيا فرنسا واذا هاجمت المانيا روسيا او اذا هاجمت النمسا (تساندها المانيا) روسيا فتساعد فرنسا روسيا.

وفي اثناء ذلك تقدمت المانيا سريعاً في الصناعة والتجارة واتخذت سياسة توسع بحرى قوية وزادت في مطالبتها « بمكان في الشمس» كل هذه الامور أرعبت بريطانيا ولا سيما بعد ان عرضت تحالفا على المانيا فرفضت ، وكذلك حين وقفت المانيا موقفاً غير ودى عند نشوب حرب البور في جنوب افريقيا. لذلك تخلت بريطانيا عن موقفها غير الودى من فرنسا فأدى ذلك إلى قيام الوفاق الودى بينهما (١٩٠٤) . وقد سويت بعض القضايا التي كانت قد عكرت العلاقات البريطانية الفرنسية وذلك بعقد معاهدة بينهما في ذلك

الوقت نفسه ، وكان من أهم بنود الاتفاق ان تطلق يد بريطانيا في مصر ويد فرنسا في مراكش . ولكن لم يعقد تحالف ولا اتفاق عسكري بينهما ، بل بدأ بينهما شعور طيب وهذا ادى إلى تعاون في الشؤون الدولية زاد مع الايام.

وبعد أن قام التحالف بين فرنسا وروسيا في ١٨٩٤ وقام الوفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا، رغبت فرنسا في قيام علاقات ودية بين بريطانيا وروسيا. بدا للوهلة الأولى أن تلك العلاقات الودية المرغوبة بعيدة التحقيق لأن بريطانيا كانت زمناً طويلا العدوة التقليدية لروسيا ، لأن توسع روسيا جنوباً ومؤامراتها في الشرق الأدنى وايران وأفغانستان ظهر كعامل تهديد لأمن الهند وطريق بريطانيا إلى الهند. وفي الوقت نفسه كان نشاط روسيا في الشرق الأقصى تحدياً لمركز بريطانيا التجاري هناك .

ومع ذلك سعت فرنسا لتحقيق تفاهم ودي بين روسيا وبريطانيا وساعدتها بعض الظروف. فقد انهزمت روسيا أمام اليابان (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) فأدى ذلك إلى تقليل مخاوف بريطانيا من تهديد روسيا للهند، وفي الوقت نفسه أخل ذلك بالتوازن في أوربا لصالح الحلف الثلاثي. يضاف إلى ذلك تزايد نفوذ المانيا في تركيا ومحاولة بناء سكة حديد من برلين إلى بغداد. صارت بريطانيا تخشى التهديد الألماني لمصالح بريطانيا في الشرق الأدنى والأوسط وهو تهديد حل محل التهديد الروسي. ثم أن دخول المانيا بالمنافسة البحرية مع بريطانيا أقنع ساسة بريطانيا بأن المصالح البريطانية تقضي بتغيير سياستها الخارجية. وقد تم ذلك حين وقعت بريطانيا وروسيا أتفاق (١٩٠٧) وبه سويت خلافاتهما في الشرق الأوسط وقسمتا ايران بينهما، ولكن لم توقعا تحالفاً ملزماً بل أن الشعور الطيب والتفاهم الوثيق أدى إلى تسمية بريطانيا وروسيا وفرنسا بدول الوفاق الثلاثي. وهكذا تم في ١٩٠٧ تقسيم دول أوربا الكبرى إلى مجموعتين : التحالف الثلاثي والوفاق الثلاثي .

كان انتظام ايطاليا والنمسا في صف واحد غير طبيعي، فإن أراضي ايطاليا غير المستردة تقع ضمن حدود النمسا ـ والمجر السياسية، كما تضاربت مصالح

الطرفين في البلقان والبحر الأدرياتي. في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر انحسر الشعور السيء بين ايطالياو فرنسا، وصارت ايطاليا تنجذب نحو التحالف الثلاثي. وفي سنة ١٩٠٠ وافقت ايطاليا على اطلاق يد فرنسا في مراكش بينما اطلقت فرنسا يد ايطاليا في ليبيا. وبعد سنتين اتفقت الدولتان على انه إذا صارت احداهما هدفاً لعدوان مباشر أو غير مباشر من جانب دولة أو أكثر، أو إذا وجدت احداهما نفسها مضطرة، دفاعاً عن شرفها أو عن أمنها، لأخذ المبادأة في اعلان الحرب وذلك بسبب استفزاز مباشر، فعلى الدولة الأخرى أن تقف موقف الحياد المطلق أي إذا هاجمت المانيا فرنسا أو إذا أعلنت فرنسا الحرب على المانيا دفاعاً عن شرفها أو أمنها فتبقى ايطاليا محايدة. وبعد سنوات قليلة اقتربت ايطاليا من الوفاق الثلاثي. ففي ١٩٠٩ اتفقت ايطاليا مع روسيا على المحافظة على الوضع الراهن في البلقان ضد الهيمنة الأجنبية وذلك في مقابل وقوف روسيا موقفاً ودياً من المصالح الايطالية في ليبيا، ووعدت ايطاليا أيضاً بالوقوف موقفاً ودياً من المصالح الروسية في قضية المضائق في استانبول. وهكذا بالرغم من ظهور التحالف الثلاثي أشد تماسكاً على الورق من الوفاق الثلاثي غير أن الحقيقة خلاف ذلك.

ان هذه الوفاقات والمحالفات المضادة، بالرغم من كونها دفاعية في سمتها الأصلية، لكنها في نهاية الأمر أوجدت جواً صالحاً للحرب. وقد زادت نقاط الخطر التي قد تورط كل أوربا في حرب عالمية خطيرة بسبب تورط كل دولة في خطط ومطامح حلفائها. ويضاف إلى ذلك اعتقاد كل دولة بأنها إذا هوجمت فستحصل على مساعدة حلفائها. ولذلك مالت كل دولة إلى عدم التسامح عند حدوث المصادمات الدبلوماسية. وعندما أصبح الوضع الدولي أكثر توتراً. صار أعضاء كل حلف كارهاً للتنازل عن أي شيء لأعضاء الحلف الآخر لئلا يفسر تنازله على أنه ضعف فينقص ذلك من هيبة جماعته.

٤ - التسلح :

بعد الحرب البروسية النمسوية والحرب الألمانية الفرنسية، تبنت الدول الأوروبية الأخرى سريعاً نظام التجنيد الألزامي الذي مكن بروسيامن الحصول على نصر سهل في الحالتين. أعيد تنظيم الجيوش الوطنية الأوروبية على غرار النظام البروسي. زاد عدد الشبان المجندين الذين خدموا في الجيوش الوطنية حتى صارت أوروبا فعلا معسكراً مسلحاً. كل هذه الترتيبات اتخذت باسم السلام، فقد قيل أن أفضل ضمان ضد الحرب هو الاستعداد والتسلح. تذمر دافعو الضرائب من الضرائب المتزايدة المفروضةعليهم لأن التسلح لن يضمن السلام بل قد يؤدي إلى الحرب .

في نهاية القرن التاسع عشر جرت محاولة لتحديد التسلح باتفاق دولي. ففي ١٨٩٨ دعا قيصر روسيا نقولا الثاني دول أوروبا للاجتماع في لاهاي لبحث امكانية التوصل إلى اتفاق كهذا. ولم يعرف بالضبط ماإذا كان الدافع للقيصر رغبته الشخصية المخلصة لدعم قضية السلام أم لأن الأعباء المالية التي يقتضيها التسلح صارت لاتطيقها روسيا. سرعان ماظهر أن بعض ساسة الدول الكبرى عارض تحديد التسلح دولياً. ولما اجتمع مؤتمر لاهاي للسلام في١٨٩٩ وحضره مندوبو ستة وعشرين دولة لم يتوصل المؤتمرون إلى اتفاق .وقد وقفت المانيا ضد التسلح البري بينما عارضت بريطانيا أية خطوة قدتضعف هيمنتها على البحار. وفي ١٩٠٧ عقد مؤتمر ثان للسلام في لاهاي وحضره ممثلو أربع وأربعين دولة ولكنهم لم يتفقوا على تحديد التسلح، بل اتفقوا على بعض القواعد لتنظيم سير الحرب وجعلها أكثر إنسانية. ولكن هذه القواعد تجوهلت أثناء الحرب العالمية الأولى. جرت محاولات لتحديد التسلح البحري بمفاوضات مباشرة بين بريطانيا والمانيا ولكن عبثاً. وهكذا استمر السباق على التسلح بصورة جنونية. وفي سنة ١٩١٤ كان للدول الخمس الكبرى ملايين من الجنود في الخدمة الفعلية عدا عن ملايين الاحتياط.

هذا الوضع انتج مناخاً ملائماً للحرب ، فقد سبب خوفاً وشكاً دولتين . وبالرغم من أن كل دولة تظاهرت بأنها تستعد للدفاع عن نفسها ضد العدوان صارت كل دولة تشك بأن الأخريات تستعد للعدوان. ثم أن الساسة الذين كانوا يعلمون أن مؤسسات عسكرية كبيرة تسندهم زادوا من معارضتهم للتساهل الذي قد يظهر وكأنه هزيمة دبلوماسية ولذلك زادوا من تصميمهم على الضغط من أجل الحصول على مكسب يبدو كأنه نصر دبلوماسي وطني . أضف إلى ذلك ماظهر في بعض الدول، ولا سيما في المانيا، مايسمى بالروح العسكرية. وكذلك أدى تعاظم الأجهزة العسكرية إلى ظهور ضباط أركان وخبراء كان همهم الأول منع جيش أية دولة من الوثوب عليهم عند حدوث أزمة دولية، فهؤلاء الضباط والخبراء وضعوا خططاً مفصلة عما سيقومون به إذا نشبت الحرب. وعند حدوث أية أزمة دولية كان هنالك خطر من محاولة تنفيذ رئيس الأركان لخطته فيجبر حكومته على إصدار أمر بالتعبئة وبذلك يعجل بنشوب الحرب . ثم أن وجود مؤسسات عسكرية كبيرة أدى إلى ظهور مانعي السلاح في جميع الأقطار المهمة. فهؤلاء ميالون لنشر الآراء الداعية للحرب كوسيلة لزيادة أرباحهم .

السبب المباشر للحرب العالمية الاولى :

قام الارشيدوق فرنسيس فرديناند ابن أخي امبراطور هابسبرك وولي عهد النمسا والمجر بزيارة سراييفو عاصمة البوسنة صباح يوم ٢٨ حزيران ١٩١٤ قبيل الساعة العاشرة، وبعد دقائق حين توجه نحو قاعة البلدية القى عليه أحد ثلاثة متآمرين من الصرب قنبلة فاخطأته . ولما عاد من القاعة اغتال المتآمر الثاني ولي العهد وزوجته .

استغل برختولد وزير خارجية النمسا هذه الحادثة لتصفية الحساب مع صربيا . ادعت حكومة النمسا ــ والمجر ان الدعاية الصربية، التي كانت تهدف إلى توحيد جميع اليوغوسلاف تحت العلم الصربي ، شجعت مثل هذه الجرائم وعرضت الاسرة المالكة والامبراطورية النمساوية للخطر فيجب ايقافها

وان تتجه جهود النمسا ــ والمجر نحو عزل صربيا وتقليص حجمها . استشارت النمسا ــ والمجر حليفتها ألمانيا وعلمت منها أنها ستؤيدها في كل عمل صممت على اتخاذه. هذا الوعد جاء بعد حادث الاغتيال بوقت قصير (٦ تموز ١٩١٤)، وكانت ألمانيا متلهفة لان ترى حليفتها الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها واثقة بها تحافظ على قوتها غير منقوصة واعتقدت أن الموقف يقتضي القيام بعمل عسكري ضد صربيا . وكانت النمسا ــ والمجر ترغب بشن حرب محلية بين النمسا وصربيا ، ولذلك حثت ألمانيا حليفتها على القيام بعمل سريع لمنع التدخل الروسي إلى جانب صربيا.

شرع برختولد بتمهيدا لسبيل للعمل العسكري المطلوب ، ففي ٧ تموز اقترح هذا الوزير على مجلس وزراء الامبراطورية النمساوية القيام بهجوم مباغت على صربيا ، ولكن عارض وزير خارجية المجر فأجل الموضوع .بعد اسبوع حصل الاتفاق على ارسال انذار قصير الاجل قاسي اللهجة بحيث ترفضه صربيا فتقوم الحرب.

قال الانذار أن صربيا أخلفت وعدها في العيش مع النمسا ــ والمجر ضمن شروط حسن الجوار ، وذلك بتشجيعها الدعاية ضد الدولة الثنائية ، ولذلك اضطرت هذه الامبراطورية الى التخلي عن موقفها الودي الحليم لكي تضع حداً للمؤامرات التي تشكل تهديداً متواصلا لسلامها وأمنها ، ثم قدم الانذار عدة مطاليب حاسمة أهمها :

(١) ان تدين الحكومة الصربية رسميا الدعاية المعادية للنمسا التي يبثها مواطنوها .

(٢) ان تقضي على جميع المنشورات والجمعيات التي تبث الكراهية والتحقير للملكية الثنائية .

(٣) أن يبعد كل المعلمين والكتب المعادية للنمسا من المدارس العامة .
(٤) أن يطرد جميع الموظفين العامين الذين لهم علاقة بالدعاية المعادية للنمسا.
(٥) اعتقال اثنين من كبار الضباط الصربيين ذكراً بالاسم .

(٦) ان توافق صربيا على تعاون موظفين نمساويين في القضاء على الدعاية المعادية للنمسا ضمن حدودها .

(٧) ان تقبل صربيا بمساعدة موظفين نمساويين في التحقيق مع اولئك الذين لهم علاقة بجريمة سرايفو .

في يوم ٢٣ تموز ١٩١٤ قدم الانذار إلى صربياً مع طلب الجواب عليه خلال ثمان واربعين ساعة. طلبت دول الوفاق الثلاثي (بريطانيا وفرنسا وروسيا) من النمسا ــ المجر تمديد مدة الانذار فرفضت ذلك . ثم قدمت صربياً جوابها خلال المدة المحددة فعرضت ان توافق على جميع طلبات الانذار عدا الطلبات التي تشير الى مشاركة الموظفين النمساويين في القضاء على الدعاية المعادية للنمسا وفي التحقيق في جريمة سرايفو لان هذه الطلبات تنتهك حقوق سيادة دولة صربيا ، وعرضت صربيا احالة الموضوع برمته الى محكمة لاهاى او الى الدول الكبرى لاصدار قرار بشأنه اذا ارتأت النمسا ان جوابها (جواب صربيا) غير مرض . اعتبرت كل الدول الكبرى الاخرى الجواب مرضياً وصالحاً كقاعدة للمفاوضات . وحتى قيصر المانيا نفسه اعتقد ان ذلك الجواب ازال كل سبب للحرب ، ولكن النمسا ــ والمجر اعتبرته غير مرض وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع صربيا ، وامرت بتعبئة جزئية لجيشها ضد صربيا التي كانت قد عبأت جيشها .

عرضت الدول الكبرى خططاً مختلفة وقدمت مقترحات مختلفة من أجل للتسوية السلمية. ففي اليوم التالي لارسال الانذار اقترح غراي وزير خارجية بريطانيا أن تبذل بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا جودها المهدئة في وقت واحد لدى النمسا وروسيا ولكن عبثاً، وذلك بسبب مطالبة فرنسا وروسيا بالضغط على النمسا ــ والمجر.

صممت روسيا على تأييد صربيا وأكدت أنها ستوافق على التسوية التي لاتتضمن إذلالاً لصربيا كدولة مستقلة. في ٢٥ تموز أصدرت روسيا أوامرها بالاستعداد للحرب، وأعلمت النمسا بأنها إذا عبرت قواتها حدود صربيا

فإن الجيش الروسي سيعبأ ضدها. وفي الوقت نفسه رجا سازونوف وزير خارجية روسيا من برختولد أن يبحث الامر معه، وطلب من بريطانيا أن تتضامن مع فرنسا وروسيا. وفي ٢٦ تموز اقترح غراي أن تطلب الدول الكبرى فرنسا وألمانيا وايطاليا من سفرائها في لندن أن يعقدوا مؤتمراً معه لإيجاد طريقة تمنع التعقيدات. وافقت فرنسا وإيطاليا فوراً، ولكن ألمانيا قالت إنها تشترك في مؤتمر كهذا إذا رغبت به النمسا والمجر، ولذلك فشل الاقتراح.

دعت ألمانيا إلى إجراء مفاوضات مباشرة بين روسيا والنمسا ــ والمجر. ففي ٢٦ تموز جرت محادثات بين السفير النمساوي ووزير خارجية روسيا في سان بطرسبرك، وقد رجا الوزير أن يخول السفير بإعادة صياغة بعض نقاط انذار النمسا لصربيا بحيث يستجيب إلى مطاليبها الرئيسة وفي الوقت نفسه يكون مقبولا من صربيا. رفض برختولد ذلك بحجة أن الحرب كانت قد أعلنت فعلا ضد صربيا في ٢٨ تموز وبدأ قصف بلغراد في اليوم التالي .

في ٢٩ تموز أعلنت روسيا التعبئة ضد الملكية الثنائية، وأيدت فرنسا سياسة روسيا. وفي اليوم نفسه طلبت روسيا من بريطانيا أن تعمل على التوسط لتأجيل العمليات العسكرية. فاقترحت بريطانيا على ألمانيا قاعدة طيبة للتوسط وهي أن تحتل النمسا عاصمة صربيا بلغراد أو مدناً أخرى كرهائن وضمانات، وفي الوقت نفسه يقدم الوسطاء الترضية الممكنة للنمسا. وكانت المانيا قد اقترحت مثل هذه الخطة وسميت «بخطة الارتهان» ولذلك أنذرت المانيا النمسا ــ والمجر بأنها إذا رفضت تبادل الآراء مع سان بطرسبرك فسيكون ذلك خطأ جسيماً. وفي اليوم التالي وافق برختولد وزير خارجية النمسا على اجراء محادثات في سان بطرسبرك تكون مقصورة على توضيح الانذار ومناقشة العلاقات النمساوية ــ الروسية لا النمساوية ــ الصربية.

في ٣٠ تموز قدم السفير الألماني في فينا إلى برختولد خطة الارتهان التي قدمتها بريطانيا مع الحاح مستشار المانيا بقبولها. وفي اليوم نفسه أرسل قيصر المانيا برقية بالمعنى نفسه إلى امبراطور النمسا فرنسيس جوزيف، ولكن

مولتكه رئيس أركان الجيش الألماني حين علم برفض روسيا الغاء استعدادات جيشها نصح النمسا بتعبئة جيشها ضد روسيا ووعد بالمساعدة الألمانية. وفي اليوم التالي عقد مجلس وزراء الامبراطورية النمساوية ورفض مقترحات الوساطة وأعلنت النمسا التعبئة ضد روسيا بعد ساعات قليلة من تعبئة روسيا لجيوشها ضد ألمانيا والنمسا، وذلك بالرغم من نصائح فرنسا وبريطانيا وألمانيا.

عندما علمت ألمانيا بالتعبئة الروسية أعلنت حالة التهديد بالحرب. ثم أنذرت روسيا، بطلب من مولتكه، بوجوب ايقاف كل تدابير الحرب ضد ألمانيا والنمسا ـ والمجر خلال اثنتي عشرة ساعة والا فستعلن ألمانيا التعبئة . ولما لم تجب روسيا على الانذار أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في ١ آب ١٩١٤.

بدأ نظام المحالفات الدولية عمله الان . ففي ١ آب بدأت فرنسا بتعبئة جيوشها ، في ٣ آب اعلنت المانيا الحرب على فرنسا ، اما بريطانيا فكانت في ٣١ تموز قد طالبت المانيا وفرنسا باحترام حياد بلجيكا فاستجابت فرنسا، ورفضت المانيا بيان موقفها . وفي ١ آب احتلت الجيوش الالمانية لكسمبرك، وفي اليوم نفسه قدمت المانيا انذاراً إلى بلجيكا طالبة منها الموافقة خلال اثنتى عشرة ساعة على مرور جيوشها منها إلى فرنسا فرفضت بلجيكا وطلبت من بريطانيا معونتها الدبلوماسية للحفاظ على حيادها . في ٤ آب اخترقت الجيوش الالمانية الحدود البلجيكية .

وفي ٤ آب نفسه ارسلت بريطانيا انذارا إلى المانيا طالبة منها الجواب حتى منتصف الليل باحترام حياد بلجيكا (التي تعتبرها بريطانيا خط الدفاع الأول عنها) . رفضت المانيا واتهمت بريطانيا بانها تشن الحرب من أجل قصاصة ورق (أي معاهدة احترام حياد بلجيكا) . وفي اليوم التالي اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا .

في ٢٤ آب ١٩١٤ اعلنت النمسا ـ والمجر الحرب على روسيا وبلجيكا . واعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على النمسا . واعلنت صربيا الحرب على المانيا

وتضامنت دولة الجبل الأسود مع صربيا ضد المانيا والنمسا . وفي اوائل أيلول وقعت روسيا وفرنسا وبريطانيا ميثاق لندن وحولت الوفاق الثلاثي إلى تحالف عسكري .

مسئولية الحرب :

منذ قيام الحرب العالمية الأولى حتى الآن يتساءل الناس ولاسيما المؤرخون منهم عن الدولة التي كانت مسئولة قبل غيرها عن نشوب الحرب العالمية الاولى . في الواقع ان كل الساسة وكل الدول الكبرى فعلوا ما كان يتوقع منهم تحت تلك الظروف ، ولذلك لايمكن وضع المسئولية على عاتق شخص واحد او دولة واحدة لانهم جميعا ساروا إلى هاوية الحرب مدفوعين بقوى اساسية . بعد انتهاء الحرب وضع الحلفاء المنتصرون مسئولية الحرب على عاتق المانيا وحدها ، وهو حكم من جانب واحد وتعسفي ، ولذلك فرضوا عليها شروطا قاسية في معاهدة الصلح .

انقسام الدول المتحاربة في ١٩١٤ :

قبل انتهاء سنة ١٩١٤ انضمت دولة كبرى الى المانيا والنمسا — والمجر ودولة كبرى إلى جانب دول الوفاق الثلاثي . ففي اوائل آب طلبت بريطانيا من اليابان مساعدتها بموجب معاهدة التحالف بينهما التي عقدت منذ ١٩٠٢ ، ولذلك ارسلت اليابان في ١٥ آب انذاراً إلى المانيا تطالبها بسحب بواخرها الحربية من المياه اليابانية والصينية والتخلي عن اراضي كياو جاو المستأجرة قبل ١٥ أيلول ، ولما رفضت المانيا اعلنت عليها اليابان الحرب في ٢٣ آب ١٩١٤.

وكانت الدولة الاخرى التي انضمت إلى الدول المتحاربة هي تركيا وكان من المتوقع انضمامها إلى جانب المانيا لان روسيا عدوتها التقليدية وقفت إلى الجانب الآخر . في ٢ آب عقدت معاهدة تحالف سرية بين تركيا والمانيا وفيها تعهدت تركيا بدخول الحرب إلى جانب المانيا اذا تدخلت روسيا . ولما وقعت الحرب لجأ طرادان المانيان كانا في البحر المتوسط إلى ميناء استانبول.

ثم اغلقت تركيا مضائق الدردنيل فقطعت روسيا عن البحر المتوسط . وفي ٢٩ تشرين الاول قصف احد الطرادين الالمانيين ، متنكراً بصفة بارجة حربية تركية ، المدن الروسية في البحر الاسود ، وهاجم ثلاثة زوارق طوربيد تركية ميناء اوديا الروسي ولذلك اعلنت روسيا الحرب على تركيا في ٣ تشرين الثاني ، ثم اعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على تركيا في ٥ تشرين الثاني ١٩١٤ — وهكذا انقسم المتحاربون إلى فريقين في نهاية سنة ١٩١٤ : الجانب الاول ضم المانيا والنمسا — والمجر وتركيا ، وضم الجانب الثاني روسيا وفرنسا وبريطانيا واليابان وبلجيكا وصربيا والجبل الاسود (مونتنكرو) وقد دعي الجانب الاول بدول الوسط او الدول المركزية او دول الاعداء ودعي الجانب الثاني بالحلفاء .

المبحث الثاني

مراحل الحرب العالمية لاولى

في ١٩٠٥ وضع الكونت شليفن Schliffen خطة للهجوم على باريس اقرت رسميا في ١٩١٣ . في نظر شليفن كانت الحدود الفرنسية الالمانية ، كما كانت في ١٨٧١ بعد انتهاء الحرب الفرنسية — الالمانية عائقاً كبيراً امام الجيوش الالمانية ولذلك ارتأى شليفن ان تهاجم القوات الالمانيةالمناطق المحايدة في بلجيكا ولكسمبرغ .

كانت الحدود الفرنسية — الالمانية تشكل خطاً حربياً منيعاً من الغابات والتلال ، واقام الفرنسيون خطا ثانيا للدفاع مؤلفا من حصون ، ولم يكن بينهما مجال لانتشار القوات الالمانية . اما في بلجيكا ولكسمبرف فكان هناك مجال فسيح وكانت التحصينات الفرنسية خلفها أضعف تحصينات الحدود الفرنسية — الالمانية. وقد ترك شليفن لرجال السياسة معالجة الناحية الاخلاقية في خرق حياد بلجيكا ولكسمبرك ولم تهتم بسوى الناحية العسكرية . واذا اخترقت الجيوش الالمانية بلجيكا صار لها من السهل ان تقوم بالمناورات في دائرة كبيرة وان تتدفق عبر بلجيكا ولكسمبرك إلى شمال فرنسا ، ثم تستطيع التقدم إلى باريس ، ومن الممكن حينئذ ان تسقط باريس وتنتهى الحرب بعد ستة اسابيع من بدايتها.

ولما تولى مولتكه الشاب رئاسة اركان الجيش الالمانية ادخل على خطة شليفن تعديلات خطيرة فقد اضعف الجناح الايمن وقوى الجناح الايسر من الجيوش الالمانية المهاجمة .

كان من المفهوم ، في حالة قيام الحرب بين فرنسا وروسيا من جهة وألمانيا من جهة ثانية أن تركز ألمانيا جهودها في الجبهة الغربية، وتترك ألمانيا قسماً من جيوشها لمشاغلة الروس إلى أن تنتهي الحرب مع فرنسا بالنصر ثم توجه ألمانيا قواتها إلى روسيا وتنتصر عليها، أي أن ألمانيا كانت قد وضعت خططها بأن لاتحارب على جبهتين في آن واحد.

ولكن هجوم القوات الروسية في الجبهة الشرقية كان من القوة بحيث اضطر ألمانيا إلى تخصيص أعداد كبيرة من جيوشها سحبتها من الجبهة الغربية لمواجهة الجيوش الروسية وكان ذلك على حساب الجبهة الغربية مع فرنسا.

أدى خرق ألمانيا لحياد بلجيكا إلى دخول بريطانيا الحرب إلى جانب فرنسا ضد ألمانيا. ثم فوجيء الألمان بشدة مقاومة الفرنسيين في تول ونانسي وفردان. كان لتعديل خطة شليفن وشدة الهجوم الروسي وثبات الفرنسيين وخرق حياد بلجيكا ودخول بريطانيا الحرب إلى جانب فرنسا الأثر الأكبر في سير الحرب العالمية الأولى.

معارك سنة ١٩١٤

تمكن جيش صربيا الصغير من صد جيش النمسا ـ والمجر. وتكبد الروس خسائر فادحة في ألمانيا الشرقية، ولكنهم دحروا النمسا ـ والمجر واحتلوا معظم غاليسيا. وأنقذت باريس. وهكذا أثر في مجرى الحرب معركة في الغرب ومعركة في الشرق ودام هذا الأثر إلى نهاية الحرب.

كان الألمان يخططون لوضع حامية صغيرة في ألمانيا الشرقية أملاً في ثبات النمسا ـ والمجر أمام روسيا لمدة ستة أسابيع آملين أن تسقط باريس خلالها، وبذلك يستطيعون إرسال الإمدادات الألمانية إلى الجبهة الشرقية.

كان القائد العام الروسي هو الغراندوق نقولا وكان يحتفظ في جيبه بمخطط الحرب النمساوية ـ المجرية التي دس اليه بها ضباط سلافيون في خدمة الامبراطور النمساوي فرانسيس جوزيف. أنجزت المراحل الأولى من التعبئة الروسية بخطى أسرع مما كان متوقعاً واستطاعت القوات الروسية اغراق بولندا النمساوية وألمانيا الشرقية. ثم عينت ألمانيا هندنبرك، يساعده لودندورف، قائداً للجبهة الشرقية، فكبد الروس خسائر فادحة في تانبرك Tanneberg في أواخر آب ١٩١٤. ولكن الغزو الروسي سبب استدعاء جيشين ألمانيين إلى الجبهة الشرقية أثناء التقدم نحو باريس في أواخر آب أيضاً فكان ذلك أحد

أسباب هزيمة الألمان في معركة مارن Marne في الغرب. سبب انتصار الألمان في تانبرك شهرة كبيرة لهندنبرك Hindenburg ولودندورف Ludendorff ووصلا إلى أعلى القيادات العسكرية وأصبح هندنبرك بطل ألمانيا .

أما في غاليسيا فقد تغلغل الروس وأحرزوا انتصارات كبيرة على النمسا — والمجر، ثم استطاع هندنبرك انقاذ الموقف في الجبهة النمساوية، وتوقف تقدم الروس. ولكن الألمانيين والنمساويين لم ينتصروا انتصاراً حاسماً بل استطاع الروس تجميد قوات الألمان والنمساويين والمجريين في أواخر ١٩١٤ وطال أمد النزاع .

وفي الغرب حدث أول التحام عند حصن لييج Liege على الحدود البلجيكية وقد قاتلت الحامية البلجيكية ببسالة وعطلت تقدم الجيش الألماني لمدة يومين أو ثلاثة أيام. وكان لهذا التعطيل أهمية كبيرة. ثم توجه الألمان نحو باريس . كان الجنرال جوفر Joffre رئيس هيئة أركان الجيش الفرنسي الذي وضع خطة المقاومة الفرنسية أمام تول ونانسي وفردان. وكان التقدم الألماني كاسحاً في كل مكان. وكان الجيش الألماني الأول بقيادة فون كلوك Kluck وقائد الجيش الألماني الثاني بيلوف Bulow . أما حاكم باريس وقائد الجيش الفرنسي السادس فكان غالييني Gallieni . ثم شكل جيش فرنسي جديد هو الجيش التاسع بقيادة فوش Foch . استطاع الفرنسيون والانكليز إحباط الخطة الألمانية وانسحبت الجيوش الألمانية إلى نهر الاين Aisne . ثم لجأ الفريقان إلى الخنادق حتى سنة ١٩١٧.

معارك سنة ١٩١٥

جبهة الدردنيل :

في أوائل تشرين الثاني الثاني ١٩١٤ ضربت المدمرات البريطانية بالقنابل قلاع الدردنيل العثمانية . واستقر رأي الحلفاء على ارسال حملة حليفة في كانون الثاني ١٩١٥.

كان الحلفاء يرغبون بالاتصال بروسيا عن طريق البحر المتوسط وتخفيف ضغط الدولة العثمانية على روسيا في جبهة القفقاس ،وتقليص خطر قيام تركيا بالهجوم عن طريق قناة السويس ومصر ، وقطع اتصال تركيا بحلفائها دول الوسط (الدول المركزية)، وربما أيضاً ساعد هجوم الحلفاء وانتصارهم على تركيا على انحياز اليونان ورومانيا وبلغاريا إلى جانب الحلفاء .

في ١٩ شباط ١٩١٥ قصف الحلفاء قلاع مدخل الدردنيل . وفي ١٨ آذار حاول اسطول الحلفاء الانكليز والفرنسيين اقتحام المضائق ، ولكن الحلفاء خسروا ثلاث بواخر حربية ونحو الفي جندي، وبينما كانت مقاومة الاتراك على وشك الانهيار صدرت أوامر اميرال البحرية الحليف بالتراجع بسبب الخسائر الفادحة التي تكبدها الحلفاء.

ثم قرر الحلفاء فتح المضائق بالقوات البرية ، فجاؤوا بقوات استرالية ونيوزيلاندية وهندية وقوات فرنسية من مستعمرات فرنسا .وفي ٢٥ نيسان ١٩١٥ بدأت حملة غاليبولي وإنزال الحلفاء قواتهم في شبه الجزيرة وتكبدوا خسائر فادحة. كان قائد القوات العثمانية الجنرال الألماني فون ساندرس. وكان المفروض أن تساهم روسيا بإرسال مئة ألف جندي لإنزالهم في مدخل البسفور لكنها لم تستطع بسبب هجوم ألماني – نمساوي عليها. حاول الحلفاء الغربيون ثلاث مرات الاستيلاء على شبه الجزيرة فلم يفلحوا وخسروا نحو (٥٥) ألف جندي، وبقيت المضائق مغلقة حتى نهاية الحرب .

جبهة ايطاليا :

كانت ايطاليا قبل نشوب الحرب عضواً في التحالف الثلاثي الألماني – النمساوي – الإيطالي. ولما نشبت الحرب أعلنت إيطاليا حيادها متذرعة بأن ألمانيا والنمسا شنتا حرباً هجومية، وأن ألمانيا لم تنفذ المادة السابعة من التحالف الثلاثي لأن إيطاليا طالبت باستيراد بعض الأراضي التي اعتبرتها إيطالية من النمسا (وفقاً للمادة السابعة) ولكن النمسا رفضت مناقشة القضية. وفي ٢١ شباط ١٩١٥

منعت ايطاليا العمليات الحربية النمساوية في البلقان إلى أن يتوصل الطرفان إلى اتفاق. وفي ٩ آذار اعلنت النمسا استعدادها لإعطاء إيطاليا بعض الأراضي.
وفي الوقت نفسه كان الحلفاء يغرون إيطاليا ببعض العروض من أجل الإنضمام إليهم وكانوا مستعدين لإعطائهم أراضي نمساوية أكبر من التي عرضتها النمسا.

وفي ٢٦ نيسان ١٩١٥ وقع الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا معاهدة سرية في لندن وعدوا إيطاليا بها بالكثير مثل تقديم ترنتينو وجنوب التيرول حتى ممر برنر وتريسته وشمال دلماسيا والجزر المقابلة له وجزر الدوديكانيز في بحر ايجة ومنطقة نفوذ في اضاليا في تركيا إذا قسمت تركيا وتوسيع ممتلكاتها في أريتريا والصومال وليبيا إذا حصلت بريطانيا وفرنسا على ممتلكات ألمانيا في أفريقيا وغير ذلك من المناطق . ووعد الحلفاء إيطاليا بقرض وبسهم من تعويضات الحرب . وفي ٢٣ مايس اعلنت ايطاليا الحرب على النمسا . وفي ٥ ايلول ١٩١٥ وقعت ايطالياعلى ميثاق لندن وتعهدت بان لاتعقد صلحاً منفردا الا بالاتفاق مع الحلفاء .

اما من الوجهة الحربية فلقد خابت آمال الحلفاء بايطاليا سنة ١٩١٥ . فلم ترسل ايطاليا قوات في حملة غاليبولي ولم تفلح قواتها في تخفيف ضغط دول الوسط على روسيا .

جبهة روسيا :

كانت روسيا قد احتلت خلال الاشهر الاخيرة من ١٩١٤ جميع غاليسيا تقريبا . وفي ٢٢ آذار ١٩١٥ استولت على احدى قلاع النمسا الحصينة التي كانت محاصرة منذ تشرين الثاني ١٩١٤ . ولكن في سنة ١٩١٥ تناقصت كمية العتاد عندها لان عدد مصانعها الحربية قليل ، ووسائلها لاستيراد ونقل المواد الحربية غير كافية . ومن جهة ثانية كانت اسلحة الدول المركزية ولا سيما المدافع الثقيلة والبنادق والقنابل وافرة .

ولما بدأت حرب الخنادق في الغرب استطاع الالمان نقل الاف الجنود الى الجبهة الشرقية . ولما حل شهر نيسان ١٩١٥ بلغ عدد جنود الجيش الالماني – النمساوي مليونين ومعه (١٥٠٠) مدفع ثقيل على الاقل ، وجعل قائدها الجنرال ماكنزن . وفي الاول من مايس هاجموا روسيا ، ولم يستطع الروس ايقاف الهجوم في منطقة غورليس في غاليسيا ، ولما احتلت غورليس انهار دفاع الروس . وفي خلال شهرين استعادت الدول المركزية جميع غاليسيا تقريباً مع آبار زيتها ومناجمها ومواردها الاخرى . وفي هذا الوقت تخلت رومانيا عن الانضمام إلى الحلفاء .

اصبحت الجيوش الروسية معرضة للهجوم من الشمال والجنوب . وفي ٤آب١٩١٥ اخلت روسيا وارشو وابفانغورود ، ثم استولت جيوش الدول المركزية على مدن كثيرة اخرى منها بريست – لتوفسك وفلنا . ولما اقترب شتاء ١٩١٥ – ١٩١٦ اوقفت تقدمها لئلا يصيبها ما اصاب نابليون في ١٨١٢ .

وهكذا عندما انتهت الحملة كان الروس قد تخلوا عن القسم الاكبر من غاليسيا وجميع بولاندا وكورلاند وجزء من لتوانيا . وبفضل تراجع القائد الروسي الغراندوق نقولا تراجعا بارعا لم تفلح الجيوش التيوتونية) (الالمانية والنمساوية)في اسر او تدمير الجيوش الروسية ولكنها دفعتها إلى مسافات بعيدة واوقعت بها خسائر فادحة . وكانت هذه الاراضي التي استولت عليها الجيوش التيوتونية مناطق صناعية روسية مهمة . ولذلك لم يعد بمقدور روسيا شن حرب واسعة النطاق .

االنضمام بلغاريا إلى دول الوسط وهزيمة صربيا :

خلال سنة ١٩١٤ هزم جيش صربيا الصغير جيش النمسا – والمجر . وفي ١٩١٥ طلبت القيادة التيوتونية العليا اجراء مفاوضات مع بلغاريا لضمها إلى جبهة الدول المركزية واسهامها في الهجوم على صربيا . لم يكن من الصعب كسب هذه الدولة لان الدول المركزية كانت تبدو في ١٩١٥ هي

المنتصرة في الحرب ، وان الاراضي التي كانت بلغاريا تطمح بالحصول عليها تقع في مكدونيا ضمن الحدود الصربية . في ٣ ايلول ١٩١٥ وقع اتفاق عسكري بين الدول المركزية وبلغاريا وبه استعدت تلك الدول للهجوم على الحدود الصربية في تشرين الاول ١٩١٥ . وقد عين الجنرال ماكنزن قائدا عاما لجميع الجيوش اليتوتونية في تلك الجبهات ، ووافقت بلغاريا على مرور الجيوش والاسلحة من تركيا واليها حالمايفتح طريق صربيا ، ووافقت المانيا على منح بلغاريا قرضاً وعلى تجهيزها بالسلاح .

واتفق على ان تحصل على مكدونيا الصربية ، وفي حالة انضمام اليونان إلى الحلفاء تحصل بلغاريا على سلانيك وابيروس، واذا هاجمت رومانيا بلغاريا تحصل بلغاريا على جزء كبير من دوبروجا ، واجبرت دول الوسط تركيا على ان تعد بلغاريا ببعض الاراضي في تراقيا .

في ٧ تشرين الأول ١٩١٥ عبرت قوات الدول المركزية نهر الدانوب متجهة إلى صربيا، وبعد أربعة أيام اجتازت قوات بلغارية الحدود الشرقية وهاجمة الصربيين. وفي خلال شهرين استولت هذه القوات على بلغراد والمدن الصربية الكبيرة الأخرى، وتبعثر الجيش الصربي وهرب إلى البانيا والجبل الأسود، ولكن القوات النمساوية والبلغارية تعقبته. وفي شباط ١٩١٦ طردت قوات صربيا والجبل الأسود المندحرة من شمال البانيا حتى لجأت أخيراً إلى جزيرة كورفو اليونانية تحت حماية البحرية الحليفة.

جبهة اليونان :

كان الحلفاء يتوقعون أن تبادر اليونان إلى تنفيذ اتفاقها العسكري الذي عقدته مع صربيا في ١٩١٣ حين تنضم بلغاريا إلى دول الوسط.

فلما عبأت بلغاريا جيشها عبأت اليونان أيضاً وطلب فنزيلوس رئيس وزراء اليونان قوة حليفة قدرها (١٥٠) الف جندي تتعاون مع اليونان في مساعدة صربيا. ولكن ملك اليونان اقال رئيس وزرائه وتمسك بالحياد وارفض دخول

الحرب . وفي ٥ تشرين الأول ١٩١٥ نزلت قوات حليفة صغيرة في سلانيك، ثم نقل الحلفاء قواتهم من منطقة غاليبولي إلى سلانيك.

الحرب في البحر :

استخدم الحلفاء تفوقهم البحري لمنع الدول المركزية من استيراد المواد الحربية، وكانت سفن هذه الدول قد طردت من البحر . كانت بريطانيا تستولي على سفن المحايدين التي تحمل المواد الحربيةالممنوعة . وكانت الولايات المتحدة أكبر دولة محايدة مهتمة بالمحافظة على الطرق المفتوحة إلى أوربا المحايدة وعلى سوق مفتوحة للمواد غير الممنوعة في أوربا، ولذلك اقترحت احترام اعلان لندن لسنة ١٩٠٩ الخاص بالمواد الممنوعة، وهذا يسمح بتصدير المواد الغذائية إلى المانيا، ولكن بريطانيا التي لم تكن قد ابرمت اعلان لندن رفضت الاقتراح الاميركي .

في أوائل ١٩١٥ قررت ألمانيا استخدام الغواصات ضد بواخر الأقطار الحليفة. ففي ٤ شباط ١٩١٥ اعتبرت ألمانيا المياه المحيطة بالجزر البريطانية منطقة حربية ولها أن تغرق بواخر العدو فيها ويمكن أن تلاقي السفن المحايدة المصير نفسه ، واعتبرت ذلك رداً على حرب التجويع التي شنتها بريطانيا ضد السكان غير المحاربين في ألمانيا وذلك حين اعتبرت المواد الغذائية مواد ممنوعة.

قدمت الولايات المتحدة مذكرة إلى ألمانيا حول حرب الغواصات ، فأجابت ألمانيا انه إذا سمحت بريطانيا لألمانيا بإستيراد المواد الغذائية والمواد الخام فإنها (أي ألمانيا) ستتخلى عن حرب الغواصات. وكانت بريطانيا مستعدة للسماح باستيراد المواد الغذائية إلى ألمانيا في مقابل رفع حصار الغواصات الألمانية ولكنها رفضت السماح باستيراد المواد الخام، وأذاعت في الأول من آذار ١٩١٥ عازمة على ايقاف التجارة البحرية مع ألمانيا وحجز جميع البضائع وجلب سفن المحايدين إلى الموانيء البريطانية لتفتيشها. ثم اغرقت الغواصات الألمانية الباخرة «لوزيتانيا» وغرق معها (١٢٠٠) شخص بينهم أكثر من مئة

شخص أميركي، ولذلك هاجت المشاعر الاميركية ضد ألمانيا. خلال أسبوع طالبت الولايات المتحدة بأن تقدم ألمانيا تعويضات عن الحادث وأن تتخذ خطوات سريعة لمنع تكرر مثل هذا العمل. وقد اقتنع مستشار ألمانيا بيتمان ـ هولفيك بأن الولايات المتحدة مصممة على مقاومة حرب الغواصات. ولكن حرب الغواصات لم تؤثر على العمليات الحربية البريطانية، ولذلك طلبت ألمانيا من قادة حرب الغواصات الامتناع عن مهاجمة سفن المسافرين. وفي أيلول وعد السفير الألماني في الولايات المتحدة بعدم اغراق السفن قبل أن تنذرها الغواصات الألمانية بشرط عدم محاولة السفن الهرب أو المقاومة. وبالرغم من أن حرب الغواصات أفلحت في منع استعمال الف سفينة حليفة ومحايدة فإن حرب الغواصات خلال ١٩١٥ كانت فاشلة باعتراف القيادة الألمانية.

الجبهة الغربية :

استمرت حرب الخنادق . وكان الجيش الفرنسي سليما لم يمس ، وكان الجيش الانكليزي يزداد قوة وكفاية ، وكانت البحرية الانكليزية ذات أثر فعال في اختفاء الراية الالمانية التجارية من البحار ، وتضييق الخناق على الاسطول الالماني في قناة كييل . وتم غزو المستعمرات الالمانية جميعها فيما وراء البحار ما عدا تنجانيقا . وبدا الاحساس بالحصار الانكليزي المضروب على المانيا واشتد تضييق الخناق . وكان مفعول القوة البحرية والحصار بطيئا ولكنه أكيد .

المعارك عام ١٩١٦

الجبهة الغربية:

خلال شتاء ١٩١٥ ـ ١٩١٦ قررت الدول التيوتونية (المانيا والنمسا) ان تكون الجبهة الغربية هي الجبهة التي يجب ان تهاجم وان تكون فردان هي الهدف. واعتقدت الدول التيوتونية ان فرنسا من اجل الاحتفاظ بفردان والدفاع عنها ، ستضطر الى ان ترمي بجميع جنودها في جبهتها وهكذا يمكن

القضاء على خيرة جنود فرنسا واستنزاف قواها ، واذا استولى الالمان على فردان فسيكون تأثير ذلك على معنويات الفرنسيين بمثابة كارثة .

وفي ٢١ شباط ١٩١٦ بدأ الهجوم الألماني بقصف شديد لم يسبق له مثيل ، ثم تقدم الألمان قليلا متوقعين الإستيلاء على فردان خلال أربعة أيام . عين الفرنسيون بيتان قائداً للجبهة وعززوها بجنود اضافيين ، واستمر القتال سجالا خلال آذار ونيسان ومايس . وفي حزيران صار الألمان على بعد أربعة أميال عن فردان . ولكن الفرنسيين بقيادة نيفل Nivelle ، هاجموا ، وفي ٣٠ حزيران استعادوا ماخسروه أخيراً . وفي اليوم التالي (١ تموز) هجم البريطانيون على منطقة سوم Somme ووقف الألمان موقف المدافعين . واستمر القتال في منطقة فردان خلال الصيف والخريف ، ولكن معركة فردان انتهت لصالح الحلفاء . ونقل الألمان فالكنهاين Falkenhayn إلى جبهة المجر وأعطوا القيادة العامة إلى هندنبرك يساعده لودندورف .

الحرب في البحر :

في ٣٠ مايس ١٩١٦ أعطى البريطانيون الأوامر لأسطولهم بأن يتمركز في بحر الشمال . وفي اليوم التالي بعد الظهر تهيأ الطرفان البريطاني والألماني للمعركة الفاصلة بين اسطوليهما . وكان عدد بواخر الطرفين (٢٥٠) في معركة جتلاند Jutlanq . في تلك الليلة خسر البريطانيون أربع عشرة باخرة وخسر الألمان إحدى عشرة . ثم تمكن الأسطول الألماني خلال الليل من شق طريقه من خلال نقطة ضعيفة في خط الأسطول البريطاني وعاد إلى قاعدته . بعد ذلك سيطر البريطانيون على البحر ولم يترك الاسطول الألماني قاعدته بعد ذلك سوى مرة واحدة ، ولما انذر بتقدم الأسطول البريطاني عاد فوراً إلى قاعدته .

الجبهة الايطاليـة :

قرر النمساويون أن يهاجموا ايطاليا وحدهم، وحشدوا (٤٠٠) الف جندي تحت قيادة الارشيدوق شارل ولي العهد الثاني . بدأ القصف التمهيدي في منطقة ترنتينو في ١٤ مايس ١٩١٦ . تقدم النمساويون خلال الأسابيع التالية ولكنهم يحققوا النصر. ففي ٤ حزيران ١٩١٦ بدأ الهجوم الروسي في الجبهة الشرقية تقدم الإيطاليون في منطقة ترنتينو ثم نقلوا مدافعهم إلى جبهة ايسونزو وهجموا في ٤ آب وتقدموا ولكنهم لم يصلوا إلى تريسته.

الجبهة الشرقية :

كانت الخطوط النمساوية في الجبهة الشرقية قد أضعفت بسبب سحب القوات النمساوية والمدفعية منها الى الجبهة الايطالية . تقدم الروس حتى وصلوا حدود غاليسيا وغنموا آلاف الأسرى والمدافع والمواد الحربية . ولذلك سحبت القوات الالمانية والنمساوية من الجبهات الفرنسية والايطالية والبلقانية . ولذلك ضعف الهجوم الروسي حتى توقف في أواخر آب بسبب قلة المواد الحربية . ولكن شعر الحلفاء بفائدة وتأثير الهجوم الروسي في جبهات فدان وسوم وترنتينو وايسونزو .

الجبهة الغربية :

عندما أفلح الايطاليون في ايقاف النمساويين في منطقة ترنتينو ، وعندما اضطر الروس النمساويين الى سحب نحو نصف مليون جندي لملاقاتهم في الجبهة الشرقية ، شرع الحلفاء بالهجوم في منطقة سوم . كان الحلفاء يهدفون الى تخفيف الضغط عن فردان والى منع الالمان من سحب جيوشهم من الجبهة العربية لانجاد النمساويين في الجبهة الشرقية والى استنزاف قواتهم في الغرب . وفي الاسبوع الاخير من حزيران ١٩١٦ قصفوا الخطوط الالمانية في وادي سوم قصفا شديداً . وفي الاول من تموز هجمت القوات الحليفة البرية واستمرت المعركة حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩١٦ .

أفلح الحلفاء في تخفيف الضغط عن فردان وفي نقل الهجوم في الغرب من الالمان الى الحلفاء واشغلوا الجيش الالماني الرئيسي في الجبهة الغربية وانهكوا القوات الالمانية كثيراً . وتكبد الالمان ٤٤٥٣٢٢ اصابة ، وتكبد البريطانيون ٥١٩٦٥٤ اصابة . وكان الهدف الأهم الذي تحقق هو انهاك القوات الالمانية .

جبهة رومانيا :

بعد فشل الالمان في فردان وفشل النمساويين في ترنتينو وتقدم الروس في غاليسيا وبوكوفيتا وهجوم الحلفاء في سوم واستيلاء الايطاليين على كوريزيا، وجه الحلفاء اهتمامهم الى رومانيا التي بقيت محايدة حتى ذلك الوقت . وفي صيف ١٩١٦ تفاوض الساسة الحلفاء مع رومانيا لكسبها، وأخيراً تم توقيع معاهدة سرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا من جهة ورومانيا من جهة أخرى وغدت رومانيا بالحصول على منطقة بانات وترانسلفانيا وبوكوفينا وبمساعدة عسكرية. وفي ٢٧ آب ١٩١٦ أعلنت رومانيا الحرب على النمسا ، وفي ٢٨ آب عبرت جيوشها الى ترانسلفانيا، ولم يتمكن الحلفاء من مساعدتها . استولت رومانيا خلال ثلاثة أسابيع على نحو ربع ترانسلفانيا. ولكن الألمان أرسلوا الجنرال ماكنزن للهجوم على الحدود الجنوبية من رومانيا، وأرسلوا فالكنهاني لمجابهة رومانيا في ترانسلفانيا. وفي منتصف تشرين الأول حررت الدول المركزية ترانسلفانيا وبدأ غزو رومانيا نفسها، وسقطت بخارست في ٦ كانون الأول ١٩١٦ ولما حل منتصف الشهر التالي كانت الدول المركزية قد احتلت جميع رومانيا وولاكيا وجزءاً من مولدافيا وأجبرت حكومة رومانيا على الهرب إلى ياسي .

عروض الدول المركزية للسلام :

حاولت الدول المركزية انتهاز فرصة نجاحها في رومانيا للتقدم بعرض للسلام. وكانت المانيا تتوقع أن يتقدم ولسن رئيس الولايات المتحدة بالتوسط.

وكان ولسن بالفعل يفكر منذ بداية الحرب بالتوسط .وفي كانون الثاني ١٩١٥ أرسل الكولونيل هوس ممثلا شخصياً عنه لكي يكشف ،عن طريق محادثات مع أشخاص ذوي سلطة كبيرة في الأقطار المتحاربة، عن امكانيات التوسط . وجد هوس في ١٩١٥ انه بالرغم من أن كل شخص يريد السلام ولكن لايوجد بين المتحاربين من هو مستعد للتنازل عن شيء من مطامحه ، وأن فرنسا وألمانيا، بصفة خاصة ، ترغبان في ضم بلدان اليهما، وان الحلفاء والدول المركزية يتوقعون النصر وفرض شروطهم، وان الامهات والزوجات والآباء والإخوان يرغبون حقاً بالسلام بينما لاترغب به الجماعات الحاكمة .

وبعد سنة عاد هوس يجس النبض في برلين ولندن وباريس ولكن لم يجد بين القادة في هذه العواصم من هو مستعد لقبول سلام توفيقي وفي شباط ١٩١٦ أخبر هوس الحكومة البريطانية سراً أن الرئيس ولسن مستعد ، إذا قالت بريطانيا وفرنسا أن الفرصة مواتية، لكي يقترح عقد مؤتمر لوضع حد للحرب وإنه إذا وافق الحلفاء على عرض رئيس الولايات المتحدة ورفضت المانيا فإن الولايات المتحدة مستعدة لدخول الحرب ضد ألمانيا . وبما أن الولايات المتحدة لم تقدم المساعدة للحلفاء لمجرد تحقيق مطامحهم الوطنية وتدمير ألمانيا سياسياً وأقتصادياً فإن الكولونيل هوس لخص شروط السلام المعقولة: اعادة بلجيكا وصربيا إلى ماكانتا عليه، وعودة الالزاس واللورين إلى فرنسا . واعطاء القسطنطينية إلى روسيا ، وأستعادة الأراضي الايطالية غير المستردة إلى ايطاليا، وايجاد دولة بولندا المستقلة ، وتعويض ألمانيا عما تفقده من مناطق في خارج أوربا، والغاء سباق التسلح، وضمانات ضد العدوان العسكري. ولكن الحلفاء كانوا مصممين على القتال حتى انهيار المانيا التام وكانوا واثقين من النصر النهائي وأعلنوا انه لم يحن الوقت للتوسط .

كانت الدول المركزية ميالة لقبول عروض السلام، ولما لم يتقدم ولسن بعروضه قررت تلك الدول أن تتقدم هي نفسها بعروضها. كانت الدول المركزية، بعد انتصارها على رومانيا، لاترى مايخل بمكانتها ولا ان تظهر

بمظهر الضعف إذا تقدمت بذلك. فإذا رفض الحلفاء عروضها فسيقع عار استمرار الحرب على عاتقهم. ولذلك ففي ١٢ كانون الاول ١٩١٦ بعد ستة أيام من سقوط بوخارست، أرسلت ألمانيا مذكرة إلى فرنسا وبريطانيا وروسيا واليابان وصربيا ورومانيا، مدفوعة برغبتها في إيقاف اراقة الدماء وانهاء ويلات الحرب، مقترحة اجراء مفاوضات السلام تكون قاعدة لعودة السلام الدائم. إذا رفض الحلفاء مقترحات ألمانيا فإنها تبرىء نفسها من المسؤولية أمام الجنس البشري والتاريخ. ولكن مذكرة ألمانيا لم تحتوي على شروط محددة للسلام. وفي ٣٠ كانون الأول قدم الجواب إلى ألمانيا باسم الحلفاء روسيا وفرنسا وبريطانيا واليابان وايطاليا وصربيا وبلجيكا والجبل الأسود والبرتغال ورومانيا قالوا فيه إن مجرد اقتراح السلام دون ذكر الشروط يعتبر مناورة حربية يقصد بها التأثير على سير الحرب وانهائها بفرض السلام الألماني، وان ألمانيا قصدت أحداث انشقاق في الرأي العام في الاقطار الحليفة، ولذلك رفضوا الاقتراح باعتباره عقيماً ومرائياً .

تطورات سنة١٩١٧

في كانون الأول ١٩١٦ دعا الرئيس ولسن الدول المتحاربة أن توضح وجهات نظرها في الشروط التي يمكن انهاء الحرب وفقها. فاقترحت الدول المركزية عقد اجتماع سريع بين مندوبي الدول المتحاربة في مكان محايد. أما الدول الحليفة فذكرت أن أهداف الحرب في نظرها تتضمن:

(١) اعادة بلجيكا وصربيا والجبل الأسود مع دفع تعويضات لها.

(٢) الجلاء عن الأراضي المحتلة في فرنسا وروسيا ورومانيا مع تعويضات عادلة .

(٣) اعادة المقاطعات التي اخذت سابقا من الحلفاء بالقوة او ضد رغبات سكانها .

(٤) تحرير الايطاليين والسلاف والرومانيين والجيكوسلوفاك من السيطرة الاجنبية .

(٥) تحرير السكان الخاضعين للطغيان الدموي التركي .

(٦) طرد الدولة العثمانية من اوربا باعتبارها غريبة عن الحضارة الغربية .

بناء على ذلك اتخـــذت الحكومة الالمانية قراراً جديداً . كان هندنبرك ولودندورف يحضان على العودة إلى حرب الغواصات غير المقيدة ، والان وصلا الى الاعتقاد بانه بهذه الحرب وحدها يمكن اجبار الحلفاء على قبول السلام.

وفي اواخر كانون الاول ١٩١٦ اصر هندنبرك على ان وضع المانيا الاقتصادي والعسكري جعل حرب الغواصات الشاملة ضرورية جداً . وقد وافق مستشار المانيا بيتمان – هولفيك على ذلك . وفي ٩ كانون الثاني ١٩١٧ انعقد مجلس التاج الالماني وقرر ضرورة العودة الى حرب الغواصات منذ الاول من شباط . وقد اعتقد مجلس التاج ان هذه الحرب ستضطر الولايات المتحدة الى دخول الحرب إلى جانب الحلفاء ، ولكنه قال ان الحرب ستنتهي قبل ان تتمكن الولايات المتحدة من تدريب وتجهيز وارسال اعداد كبيرة من الجيوش الى اوربا .

وفي الوقت نفسه طلب وزير خارجية المانيا زمرمان Zimmermann من وزير المانيا المفوض في المكسيك ان يقترح عقد تحالف مع المكسيك عند التيقن من وقوع الحرب بين المانيا والولايات المتحدة ، واقترح وزير الخارجية ان تقدم المانيا مساعدة مالية الى المكسيك ، وعلى دولة المكسيك ان تستعيد الاراضي التي أخذتها الولايات المتحدة منها سابقاً : نيومكسيكو وتكساس واريزونا .

في ٣١ كانون الثاني ١٩١٧ أعلنت المانيا انه اعتبار من اليوم التالي ستمنع جميع المواصلات البحرية ضمن بعض المناطق المحيطة ببريطانيا وفرنسا وايطاليا وشرقي البحر المتوسط ، وذلك باستخدام جميع الاسلحة دون انذار سابق . وستغرق جميع السفن المحايدة والمتحاربة بالغواصات الالمانية .

حاولت الجماعتان المتحاربتان التأثير على الرأي العام الاميركي بمختلف الاساليب . وفي ٣ شباط قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا . وفي خلال الاسبوع التالي لم تغادر اية سفينة اميركية نيويورك الى منطقة الحرب . وفي ٢٦ شباط شرح الرئيس ولسن للكونكريس الاميركي هذا الخطر العملي على الشحن الاميركي وطلب تخويلا للحفاظ على حياد اميركا المسلح من اجل حماية البواخر والشعب في اعمالهم المشروعة والسلمية في البحار . وفي اليوم نفسه اغرق الالمان سفينة بريطانية دون انذار وكان من بين الغرقى ثمانية أميركيين . وبعد ثلاثة ايام اذيع في الولايات المتحدة نص مذكرة زمرمان التي حصلت عليها الحكومة البريطانية وفكت رموزها. وفي ١٢ آذار قررت الحكومة الاميركية تسليح بواخرها التجارية .

وتلا ذلك اغراق ثلاث سفن اميركية متجهة الى الولايات المتحدة تضمنت خسائر في الارواح الاميركية. ولما حل الاول من نيسان بلغ عدد السفن الاميركية الاخرى المغرقة خمسا وثلاثين سفينة . ولذلك ازدادت حدة الشعور الاميركي ضد الالمان .

دخول الولايات المتحدة الحرب :

في ٢ نيسان ١٩١٧ طلب الرئيس ولسن من الكونكريس الاميركي ان يعلن ان مسلك الحكومة الالمانية الاخير لايقل عن اعلان الحرب على حكومة وشعب الولايات المتحدة . وفي خلال اليومين التاليين وافق الكونكريس على اعلان الحرب . وفي ٦ نيسان ١٩١٧ اعلن الرئيس ولسن قيام حالة الحرب بين الولايات المتحدة والمانيا .

ثم شرعت الولايات المتحدة في الاستعداد لمساعدة الحلفاء ودحر المانيا . وقد ذكرت البعثات الدبلوماسية البريطانية والفرنسية في الولايات المتحدة ان أفضل ما يمكن ان تقدمه الولايات المتحدة من مساعدة يتضمن :

(١) النقود (٢) الطعام والسفن التي تنقله .

(٣) المساعدة ضد الغواصات (٤) الرجال .

وقد استولت الولايات المتحدة على بواخر الاعداء التجارية وشرعت بتجنيد الاعداد الكبيرة من الجنود .

الهجوم الحليف في ١٩١٧ :

منذ تشرين الثاني ١٩١٦ قررت المانيا الشروع بالانسحاب من بعض الاراضي الفرنسية . فقد هجم الحلفاء في منطقة سوم وتقدموا . واذا كسب الحلفاء اراض اخرى فقد يشمل الخطر الجبهة التيوتونية الغربية كلها . وقد تفوق الحلفاء بجيوشهم البرية بنحو ثلاثين او اربعين فرقة ، فاذا تراجعت قوات الدول المركزية إلى خط أقصر يمكن الدفاع عنه فهذا يساعد الدول المركزية على مجابهة الموقف بطريقة افضل .

وفي الشتاء اقام التيوتونيون نظاما جديداً للخنادق دعى باسم «خط سيغفريد Siegfried » ولكن الحلفاء سموه «بخط هندنبرك» في آذار شرع الالمان بالانسحاب إلى هذا الخط الجديد .

وفي ٩ نيسان هجم البريطانيون على النهاية الشمالية للخط الجديد على طول خمسة واربعين ميلا بالقرب من مدينة آراس Arras . في الايام الثلاثة الاولى تقدم البريطانيون سريعاً واستولوا على مراكز مراقبة المانية مهمة وعلى جزر من خط هندنبرك نفسه . ثم أخذ التقدم بالتباطؤ في وجه المقاومة الالمانية الشديدة . ولما انتهت المعركة كان البريطانيون قد كسبوا نحو سبعين ميلا مربعا واسروا اكثر من (٧٠) الف اسير واستولوا على المدافع الثقيلة والرشاشات ومدافع المورتار . ولكن البريطانيون خسروا (٣٠) الف جندي قتيل و(٧٥) الف جريح .

وفي الوقت نفسه حدثت معركة الايسن Aisne قام فيها الفرنسيون بتجربة جديدة، ومنذ١٦ كانون الاول ١٩١٦عين قائد جديد هو نيفل Nivelle بطل فردان بدلا من جوفر ، وقد ارتأى انهاء حرب الخنادق والهجوم سريعا. وفي خلال خمسة ايام أسر الفرنسيون (٢١) الف اسير الماني و استولوا على (١٨٣) مدفعا ، ولكن الفرنسيين انفسهم اصيبوا به (٧٥) الف اصابة منهم

(١٥) الف قتيل . ولذلك عين بيتان Petain بدلا من نيفل قائدا عاما للقوات الفرنسية وصار فوش رئيس الاركان . وادت التضحيات الفرنسية الكبيرة في ٢٠ مايس إلى تمرد في عشر فرق ، ولذلك عاد بيتان إلى حرب الانهاك البطيئة لاضعاف الالمان بالقوة البشرية والمواد الحربية والقوة المعنوية .

خلال صيف وخريف ١٩١٧ قام البريطانيون بعمليات حربية في الفلاندرز Flanders واستولوا على مركز مراقبة الماني . وفي اواخر تشرين الثاني استعملوا دبابات كبيرة واستولوا على بعض القرى . ثم قام الالمان بهجوم مضاد استعادوا به نحو ثلثي الاراضي التي خسروها . وقد انهت معركة كامبرية Cambrai حملة ١٩١٧ في الجبهة الغربية ربح الحلفاء اراضي قليلة خلالها واوقعوا خسائر كبيرة على الجيوش التيوتونية التي وقفت موقف المدافع في فرنسا خلال السنة كلها تقريبا .

وفي هذا الوقت انتصر الحلفاء في العراق والحجاز وفلسطين . ولكن الحلفاء عجزوا عن القيام بعمل عسكري في سلانيك خوفا من تهديد اليونان لمؤخرتهم . وفي ١٢ حزيران ١٩١٧ اجبر الحلفاء الملك قسطنطين على التنازل عن العرش وحرمان ولي العهد من الوصول إلى العرش ، بل تولى ابنه الاسكندر العرش وعين فنزيلوس صديق الحلفاء رئيسا للوزراء وفي تموز انضمت اليونان إلى الحلفاء .

الملل والجزع من الحرب :

في نيسان ١٩١٧ اخبر وزير خارجية النمسا امبراطوره شارل بسوء الوضع في الامبراطورية وبان قوتها العسكرية على وشك النضوب ، وان من الواجب وضع حد للحرب مهما كلف الامر ، وعلى الامبراطورية ان تشرع بمحادثات السلام قبل ان يشعر الحلفاء بمدى ضعفها . وفي فترة آذار – مايس عرض امبراطور النمسا على فرنسا بصورة سرية عقد صلح منفرد حتى ولو اقتضى الأمر منح صربيا ممرا إلى البحر .

في المانيا زاد عدد الاشتراكيين الذين عارضوا الحرب ، واظهر امير بافاريا رغبته في السلام — وطالب زعيم حزب الوسط بسلام دون ضم اراضي ، ونشرت في لندن وباريس بيانات غير رسمية تقول بميل قيصر المانيا إلى السلام . وفي ١٩ تموز قرر الرايشتاغ ان المانيا تكافح من اجل سلاح تفاهم ومصالحة دائمة بين الشعوب .

وكذلك ظهر التعب من الحرب في صفوف الحلفاء خلال سنة ١٩١٧ . اذ ظهرت حركة انهزامية تقول ان السلام لايمكن تحقيقه عن طريق النصر بل عن طريق المفاوضات : سلام دون نصر . وقد انضم إلى هذه الحركة الاشتراكيون المعادون للاستعمار واصحاب المصارف والرأسماليون (وهؤلاء خشوا تأثير الحرب التي لاتنتهي على الكيان المالي) وقادة رجال الدين ودعاة السلام وحتى بعض الارستقراطيين . وقد ظهر هذا الاتجاه واضحا بصفة خاصة في فرنسا وايطاليا ، مثال ذلك التمرد الذي حدث في الجيش الفرنسي . ثم جاء رد الفعل بزعامة جورج كلمضو الذي اصر على السلام عن طريق النصر ، وقد تولى رئاسة الوزارة الفرنسية ووزارة الحربية في ١٦ من تشرين الثاني ١٩١٧ . وفي اوائل تشرين الثاني قرر الحلفاء تكوين مجلس الحرب الاعلى في فرساى .

تزايد الاضطراب في روسيا :

في اثناء ذلك اوهنت التطورات الداخلية في روسيا من عزائم الحلفاء. في خلال شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ كان الجيش الروسي في طريقه إلى الانحلال فقد سادت عدم الرغبة في القتال وتردى النظام والضبط ،وانتشرت عدم الثقة والشكوك بالضباط وانتشر الهروب من الجيش . ومما زاد من حدة الوضع سوء الاحوال الاقتصادية وقلة المواد الغذائية .

في ٨ آذار ١٩١٧ حدثت اضطرابات في بتروغراد العاصمة ، وفي الوقت نفسه اضرب نحو (٨٠ — ٩٠) الف عامل عن العمل واسهموا بمظاهرات الشوارع . ثم ظهرت الاعلام الحمراء والمناشير الثورية . وفي يوم الاحد

١١ آذار تمردت احدى كتائب حامية بتروغراد حين امرت باطلاق النار على الشعب . ثم اقام المضربون مجالس مندوبي العمال والجنود (سوفييتات Soviets) وشرعوا بتنظيم الجماهير وكسب الجنود الى جانبهم ثم انتشر التمرد بين الجنود فانضم (٢٥) الف جندي الى جانب العمال .

ولما حل مساء اليوم التالي كل العمال والفلاحون يسيطرون على العاصمة . ثم تألفت حكومة مؤقتة ضمت في عضويتها الكساندر كرنسكي Krensky عضو الدوما (البرلمان) وهو اشتراكي ثوري . في ١٤ آذار حاول القيصر نقولا الثاني الاستيلاء على العاصمة ولكن اكثر جنوده انحازوا الى الثورة وفي اليوم التالي حاول القيصر تأليف وزارة مسئولة ولكن بعد فوات الاوان ، لان الثوار طالبوا بتنازله عن العرش فوافق على التنازل لاخيه ميخائيل .

ولكن الثوار ارادوها جمهورية فوافق الغراندوق ميخائيل وطلب من الروس اطاعة الحكومة المؤقتة الى ان تنعقد جمعية تأسيسية .

تألفت الحكومة المؤقتة البرجوازية برئاسة الامير جورج لفوف Lvov زعيم اتحاد الزمستفوات Zemestvos وصار وزير خارجيته بول مليكوف Milsvkov (مؤرخ وزعيم الديمقراطيين الدستوريين) وصار وزير الحربية الكسلندر غوجكوف زعيم الاكتوبريين وصار كرنسكي وزير العدل. كان هدف الحكومة المؤقتة اقامة حكم دستوري وديمقراطي وبرلماني، ومتابعة الحرب الى جانب الحلفاء وحماية حق التملك الخاص وتسوية مشكلة الاراضي من قبل جمعية تأسيسية، ولكن لا يجوز نزع الارض بدون تعويض، وتبديل النظم عن طريق جمعية تأسيسية منتخبة. اعترف دول الحلفاء بهذه الحكومة الروسية المؤقتة سريعا.

في اول مايس ١٩١٧ ارسل مليوكوف وزير الخارجية مذكرة الى الحلفاء يخبرهم بان الحكومة الروسية لن تعقد صلحا منفردا بل تستمر بالحرب حتى النصر. ولكن الديمقراطيين الاشتراكيين (البلشفيك) اعلنوا منهاجهم الذي

نضمن : (١) عقد الصلح (٢) مصادرة الاراضي دون تعويض.
(٣) استيلاء العمال على المعامل وادارتها (٤) السيطرة العامة الوطنية على الانتاج والتوزيع (٥) احلال سوفييتات العمال والفلاحين والجنود محل اجهزة الحكم
(٦) تجريد الطبقات ذات الاملاك من الحقوق السياسية.

في ١٦ تموز ١٩١٧ حاول البلشفيك القيام بانتفاضة في بتروغراد ورفعوا الاعلام الحمراء ولكنهم فشلوا. ثم قام الجنرال كورنيلوف Kornilov في اوائل ايلول بمحاولة انقلاب يميني وفشل.

ثورة اكتوبر والصلح المنفرد :

ثم قامت ثورة البلاشفة يوم ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ حسب التقويم الشرقي القديم الموافق ليوم ٧ تشرين الثاني حسب التقويم الغربي بزعامة فلادمير ايليج اوليانوف (لنين). ثم اجرى البلاشفة مفاوضات مع الالمان لعقد صلح منفرد، فعقدت معاهدة بريست — لتوفسك Brest Litovsk في ٣ آذار ١٩١٨، وبها وافقت روسيا على :

(١) التخلي عن بولندا وكورلاند ولتوانيا.
(٢) الجلاء عن ليفونيا واستونيا وفنلندا وجزر الاند .
(٣) الجلاء عن اكرانيا .
(٤) تسليم اردهان وقارص وباطوم إلى تركيا .
(٥) ايقاف الدعاية البلشفية في اراضي الدول المركزية والاراضي التي تنازلت عنها روسيا .

احداث عام ١٩١٨

انهيار الدول المركزية :

في ١٩١٨ ظهرت اهمية موارد الحلفاء واثرها على الدول المركزية التي ضعفت بتأثير الحصار البحري والدعاية القومية داخل امبراطورية النمسا —

المجر والدعاية الرادكالية في المانيا . سبب اندحار ايطاليا في خريف ١٩١٧ وانسحاب روسيا خلال الشتاء تجدد امل الالمان بالنصر في ١٩١٨. وفي ٧ مايس ١٩١٨ عقدت رومانيا صلحا مذلا . هذه التطورات جعلت النمسا والمجر تتفرغ لمهاجمة ايطاليا . وفي الوقت نفسه سمحت لالمانيا لان تركز جهودها على الجبهة الغربية آملة باجبار فرنسا على طلب الصلح . ومن جهة اخرى كان تزايد القوات البريطانية والاميركية في الجبهة الغربية بطيئا ، بينما ظهر تفوق الدول المركزية بالقوة البشرية واضحا ولذلك املت هذه الدول بالنصر خلال ١٩١٨ ولم تعط أهمية كبيرة لاهداف الحرب التي اعلنها الحلفاء .

وفي سنة ١٩١٨ اوضح قادة الحلفاء اهدافهم عن الحرب . ففي ٥ كانون الثاني ١٩١٨ خطب لويد جورج رئيس وزير بريطانيا امام نقابات العمال البريطانية ، وفي ٨ كانون الثاني خطب وودروولسن رئيس الولايات المتحدة امام الكونكريس الاميريكي واعلن نقاطه الاربع عشر عن اهداف الحرب. نالت نقاط ولسن الاربع عشرة شهرة واهمية عالمية وخلاصتها :

١ ــ اتفاقيات علنية للسلام.
٢ ــ حرية الملاحة في زمن الحرب والسلام.
٣ ــ ازاحة الحواجز الاقتصادية .
٤ ــ تقليص التسلح الوطني.
٥ ــ تسوية قضايا المستعمرات ،بحيث تكون لمصالح السكان الذين يعنيهم الامر وزن يساوي مطالب الحكومات .
٦ ــ الجلاء عن الاراضي الروسية .
٧ ــ الجلاء عن بلجيكا واعادة كيانها .
٨ ــ الجلاء عن الاراضي الفرنسية واصلاح الخطأ الذي ارتكبته بروسيا سنة ١٨٧١ فيما يخص الالزاس واللورين .
٩ ــ اعادة الحدود الايطالية وفق المصالح القومية.

١٠ — اعطاء الفرصة لتطور شعوب النمسا — والمجر نحو الحكم الذاتي.
١١ — الجلاء عن رومانية وصربيا والجبل الاسود واعادة كيانها .ومنح صربيا ممرا إلى البحر .
١٢ — ضمان سيادة القسم التركي في الامبراطورية العثمانية، مع ضمان تطور الشعوب الاخرى نحو الحكم الذاتي، وفتح الدردنيل بصورة دائمة تحت ضمانات دولية.
١٣ — اقامة دولة بولندية مستقلة مع ممر إلى البحر وضمان استقلالها وكيانها السياسي والاقتصادي .
١٤ — تأسيس منظمة امية لضمان الاستقلال السياسي والكيان الاقليمي لجميع الدول كبيرها وصغيرها .

لم يثر ماأذاعه الحلفاء عن اهداف الحرب حماسة لدى قادة الدول المركزية. ففي ٢٤ كانون الثاني خطب هرتلنك مستشار المانيا ، كما خطب وزير خارجية النمسا معلقين على تلك الاهداف، وكان موقفها ايجابيا من فكرة تأسيس عصبة امم؛ ولكنهما على العموم كان يظنان ان الدول المركزية ستنتصر.

مجهود المانيا الحربي الاخير :

في ٢١ آذار ١٩١٨ شن الالمان هجوما كبيرا بقوة تزيد عن نصف مليون جندي على قاطع طوله خمسون ميلا بين آراس ولافير lafere وقدتقهقر البريطانيون وفقدوا الاتصال بالفرنسيين ولكن بعد ٢٦يوماً من القتال عاد الاتصال مع الفرنسيين ،وبالرغم من تقهقر البريطانيين فانهم لم يصلوا إلى البحر ولما انتهت المعركة في القسم الاخير من نيسان بلغ تقهقر البريطانيين نحو (٣٥) ميلا وخسروا (٣٠٠) الف جندي بين قتيل وجريح. وقد شعر الحلفاء بعدها بضرورة توحيد قيادة القوات الحليفة، فقرر الحلفاء تعيين الجنرال فوش الفرنسي قائدا عاما لجميع القوات الحليفة . وسعت بريطانيا التجنيد الاجباري فشمل (١٨ — ٥٥) من العمر. وبعد شهر ارسلت (٣٥٥) الف جندي عبر

مضيق المانش .وفي خلال مايس وحزيران وتموز ارسل اكثر من (٦٧٥) الف جندي اميركي إلى فرنسا فاسهموا بالقتال منذ ٢٨ نيسان.

في ٩نيسان شن الالمان هجومهم الكبير الثاني على البريطانيين محاولين الوصول إلى البحر، وبالرغم من تراجع البريطانيين (١٥ — ٢٠) ميلا في بعض الاماكن فانهم اوقفوا الهجوم وحافظوا على وحدة خطوطهم. خسر الالمان حتى ذلك الوقت اكثر من نصف مليون جندي بين قتيل وجريح. وفي ٢٥ مايس قام لودندرف بالهجوم الثالث ضد الفرنسيين بين سواسون وريز، وفي خلال يومين استولوا على سواسون ،وفي خلال (٣١) يوما وصلوا إلى وادي مارن املين التقدم نحو باريس .ثم بدأ الاميركيون يلعبون دورهم الحاسم فاوقفوا الزحف الالماني بل استعادوا بعض المواقع.

وفي ٩ — ١٥ حزيران شن الالمان هجومهم الرابع على جبهة فرنسيةطولها (٢٢)ميلا، وبعد ان تقدموا ستة اميال اوقفهم الفرنسيون بمساعدةالاميركيين

ثم شرع النمساويون بالهجوم من الجبهة الايطالية في ١٥ حزيران، ولكن القائد الإيطالي علم بتفاصيل خطتهم. عبر النمساويون نهر بياف بقوة مقدارها (١٠٠) الف، وقد خسرت النمسا (٢٠) الف أسير كما خسرت (١٥٠) الف بين قتيل وجريح وكان هذا الهجوم آخر هجوم نمساوي كبير. وقد هبطت معنويات النمسا وشعر أكثر الشعب بالمجاعة، وانتشر التمرد والهرب بين الجنود ، وهددت الحركات القومية الأمبراطورية النمساوية. ولذلك يمكن أن يقال أن على ألمانيا أن تحارب وحدها تقريباً.

استعد الألمان للقيام بهجوم كبير (هو هجوم السلام) لضرب الفرنسين في شرقي وغربي ريمس للإستيلاء على المدينة، وشق الجبهة الفرنسية وقطع سكة الحديد بين باريس ونانسي ، وبذلك يستطيع الألمان الإستيلاء على وادي مارن ثم باريس. وفي منتصف ليل ١٤ تموز بدأ الهجوم. وقد ساعد الإيطاليون والاميركيون الفرنسيين في صد الهجوم. وفي خلال ثلاثة أيام استطاع الألمان

التقدم نحو ستة أميال ،ولكن باريس انقذت، وانتقلت مبادأة الهجوم إلى الحلفاء. تفوق الحلفاء بمساعدة الاميركيين خاصة. ثم قام الحلفاء بسلسلة هجمات أرجعت الألمان إلى الوراء، وأستمروا بالتراجع حتى نهاية الحرب واستسلامهم في تشرين الثاني ١٩١٨. في خلال ستة أسابيع أسر الحلفاء (١٣٠) الف أسير ألماني وغنموا (٢٠٠٠) مدفع ثقيل و (١٤) الف رشاش. وفي ٨ آب شن البريطانيون هجوماً شديداً اقنع لودندورف بعدم امكانية كسب الحرب. وبعد خمسة أيام طلب لودندورف الشروع بالإتصال بالحلفاء من أجل الصلح. وفي أوائل أيلول أخبر القادة الألمان المستشار هرتلنك بضرورة الوصول إلى السلام بأسرع مايمكن. وفي ١٥ أيلول دعت النمسا المتحاربين إلى إرسال وفود لمناقشة مبادىء السلام وقد رفض ذلك ولسن.

جبهة العراق ١٩١٤ — ١٩١٨ :

انزل البريطانيون قوات الحملة الهندية في الفاو يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ واحتلوها. ثم احتلوا البصرة في الثاني والعشرين من الشهر نفسه. وفي اليوم التاسع من كانون الاول ١٩١٤ احتلوا القرنة. كان قائد الحملة البريطاني باريت يساعده ديلامين، ورافق الحملة رئيس الضباط السياسيين برسي كوكس وكان قائد القوات العثمانية جاويد بك يساعده صبحي بك ثم عين سليمان عسكري بك قائدا. وفي السنة التالية ١٩١٥ جرت معركة الشعيبة (١٢ — ١٤) نيسان، انتصر بها البريطانيون وانتحر القائد العثماني سليمان العسكري. وفي هذه السنة عين تاونزند قائدا عاما للحملة الهندية يساعده نكسن فشن يوم ٣١ ايار ١٩١٥ حملة للاستيلاء على العمارة، وهذه سلمت يوم ٣ حزيران. ثم احتل البريطانيون سوق الشيوخ في ٦ تموز والناصرية في ٢٥ تموز نفسه، وبذلك تم احتلال ولاية البصرة.

ثم تقدمت الحملة الهندية لاحتلال العراق متابعة نهر دجلة حتى اقتربت من بغداد، ولكن الجيش العثماني بقيادة محمد فاضل الداغستاني (ومعه القائد

الالماني ديرغولتز) اوقف زحفها عند المدائن (سلمان باك) ثم تراجعت القوات الهندية نحو الكوت فحاصرتها القوات العثمانية في المدينة المذكورة منذ ٧ كانون الاول ١٩١٥ واستمر الحصار حتى ٢٩ نيسان ١٩١٦ لاقت خلاله الحملة الهندية المحاصرة المتاعب والمجاعة وعجزت بريطانيا عن انجادها وفك الحصار، وقدمت فدية مالية كبيرة رفضها القائد العام العثماني خليل باشا، فاضطربت القوة المحاصرة إلى التسليم مع القائد تاونزند وعددها (١٣٣٠٩) بين ضابط وجندي.

ثم عينت بريطانيا السير ستانلي مود قائدا جديدا تمكن في ١١ آذار ١٩١٧ من احتلال بغداد. ثم اذاع البيان البريطاني في ١٨ آذار جاء فيه ان البريطانيين جاؤا محررين لا فاتحين. في خريف ١٩١٧ توفي مود في بغداد وعين مكانه السير وليم مارشال قائدا عاما. ثم واصلت القوات البريطانية تقدمها مع نهر دجلة، وسارت قوة اخرى نحو كركوك. ولما عقدت هدنة مودروس بين الدولة العثمانية والحلفاء في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ كانت القوات البريطانية قد وصلت إلى مدينة القيارة جنوبي الموصل، ووصلت القوة الاخرى إلى مدينة التون كوبري على الزاب الصغير. وبموجب شروط الهدنة احتلت القوات البريطانية بقية الاراضي العراقية دون حرب، وغادر آخر قائد عثماني على احسان باشا الاراضي العراقية في ١٣ تشرين الثاني ١٩١٨.

جبهة الحجاز وسوريا ١٩١٦ – ١٩١٨ :

في ١٤ تموز ١٩١٥ بدأت مراسلات بين الحسين بن علي شريف مكة والسير هنرى ماكماهون المعتمد البريطاني في مصر، وانتهت باتفاق الطرفين على انضمام العرب في الحجاز ومن ناصرهم من العراقيين والسوريين والمصريين إلى جانب الحلفاء بشرط ان ينال العرب استقلالهم في الجزيرة العربية والعراق وسوريا (اى سوريا الحالية ولبنان والاردن وفلسطين) عدا عدن.

في ١٠ كانون الثاني ١٩١٥ زحفت قوات عثمانية لاحتلال قناة السويس فهاجمتها في ٣ شباط وفشل الهجوم، واعادت القوات العثمانية الكرة في السنة التالية (نيسان – آب ١٩١٦) وفشلت ايضا.

في ٩ شعبان ١٣٣٤ هجرية (١٠ حزيران ١٩١٦) اعلن الحسين بن علي الثورة على الدولة العثمانية. اشهر قادة العرب الامير فيصل بن الحسين ويساعده لورنس البريطاني. اما القائد العام البريطاني فقد عين اللوردااللنبي بعد ذلك. تمكن العرب والبريطانيون (يساعدهم بعض الضباط الفرنسيين) من أحتلال الحجاز، وبقيت المدينة المنورة وفيها حامية تركية بقيادة فخري باشا محاصرة حتى نهاية الحرب. اشهر القادة العثمانيين احمد جمال باشا ومصطفى كمال (يساعدهم القائد الالماني فالكنهاين).

احتلت القوات البريطانية بقيادة اللورد اللنبي مدينة القدس في ٩ — ١١ كانون الاول ١٩١٧. واحتلت القوات الحليفة العربية والبريطانية دمشق في ١تشرين الاول ١٩١٨ ، واحتلت القوات العربية حلب في ٢٩ تشرين الاول ،وفي اليوم التالي اعلنت هدنة مودروس بين الدولة العثمانية والحلفاء.

انحلال النمسا والمجر :

كان آل هابسبرك يشنون حرباً خارجية في الوقت الذي كانوا يعانون من الانحلال الداخلي . في كانون الثاني ١٩١٨ طالب الجيكيون والبولنديون واليوغسلافيون باقامة جمعيات تأسيسية للقوميات المختلفة. وبعد ثلاثة اشهر اجتمع الجيكيون واليوغسلافيون في براك واقسموا على الاستمرار بالكفاح من اجل الاستقلال حتى النهاية ومهما كانت الظروف. وفي الوقت نفسه قام زعماء هذه القوميات في الخارج باعمال مماثلة. رفضت النمسا مطاليب هؤلاء . وكان لابد من اندحارها في الحرب . ولذلك اسهم الجيكيون واليوغوسلافيون والبولنديون بالقتال إلى جانب الحلفاء .كما قاموا باعمال تخريبية في الداخل فنسفوا معامل السلاح وانتشر التمرد بين الجنود البرية والبحرية وكثر هروب الجنود .واذاع الحلفاء تأييدهم لمطالب هؤلاء بالحرية.

في ١٥ايلول ١٩١٨ تقدمت القوات الحليفة في جبهة سلانيك ،وهاجم الجنود الصربيون والفرنسيون والبريطانيون واليونانيون القوات البلغارية التي تراجعت متكبدة خسائر كبيرة .ولما شرع الحلفاء بغزو الاراضي البلغارية

طلبت الحكومة البلغارية عقد الهدنة .وفي ٣٠ ايلول خرجت بلغاريا من الحرب وتبعت تركيا خطى بلغاريا .

وضع خروج بلغاريا من الحرب عبء الدفاع عن جبهة البلقان على القوات النمساوية - الالمانية . وفي اوائل تشرين الاول جعل النواب النمساويون الالمان في الرايشدات (برلمان النمسا) من انفسهم جمعية وطنية مؤقتة واعلنوا تأسيس دولة نمساوية جديدة. وفي ٥تشرين الاول اجتمع مندوبون من جميع الاراضي اليوغوسلافية في زغرب وانتخبوا مجلسا وطنيا يوغوسلافيا للدفاع عن مصالحهم .وبعد يومين اصدر مندبون بولنديون بيانا باقامة حكومة وطنية وانتخاب برلمان (دايت) انتخابا حراً لدولة بولندية موحدة .وفي ١٤ تشرين الاول اخبر بنش Benes الحكومات الحليفة ان المجلس الوطني الجيكوسلوفاكي في باريس قد حول الى حكومة مؤقتة برئاسة ماساريكMasaryk.

حاول الامبراطور شارل انقاذ امبراطوريته من الانحلال التام، فاصدر بيانا في ١٦تشرين الاول ١٩١٨ يعلن فيه اتباع سياسة فدرالية، وبه اعترف بامكان تأسيس دولة بولندية موحدة وتحويل بقية البلاد إلى دولة اتحادية فدرالية . اعتبر المجريون بيان الامبراطورشارل انهاء للوفاق Ausgleich بين النمسا والمجر واعلنوا حل الملكية الثنائية . وتلا ذلك اعلان الرومانيين والسلوفاك في المملكة المجرية (الهنكارية) تأكيدهم على حقهم في تقرير مصيرهم .

لم يقنع السلافيون بالدولة الفيدرالية بل ارادوا الاستقلال التام. وحلت حكومات وطنية شعبية اكرانية ويوغوسلافية وجيكيةوالمانية ومجرية ورمانية محل اسرة هابسبرك المالكة .

على الجبهة الحربية توالت هزائم قوات آل هابسبرك ثم تحطيمها . في اول تشرين الثاني استعاد الصربيون بلغراد، وبعد يومين دخل الايطاليون تربسته ،وفي هذا اليوم (٣تشرين الثاني ١٩١٨) وقع آل هابسبرك الهدنة، وبعد ثمانية ايام تخلى الامبراطور شارل عن عرشه.

سقوط الامبراطوريةالالمانية :

لما حل شهر ايلول ١٩١٨ كان الالمان قد تراجعوا إلى خط هندنبرك بعد ان تكبدوا مليونا ونصف مليون بين قتيل وجريح، وذلك خلال ستة الاشهر السابقة، ولكن الحلفاء استمروا بهجومهم. وفي منتصف ايلول استطاع مايزيد عن نصف مليون جندي اميركي ازالة النتوء في خط الدفاع الالماني. وفي الغرب حطمت القوات الحليفة جزءاً من خط هندنبرك. ولما حل يوم ٢٨ أيلول اعتقد لودندورف انهم خسروا كل شيء. وفي اليوم التالي اخبر القيصر الالماني بذلك. وفي يوم ٣٠ أيلول استقال المستشار هرتلنك. وفي اليوم الاول من تشرين الاول اصر هندنبرك على ضرورة طلب الصلح فوراً.

عين القيصر الامير ماكس من بادن مستشاراً مع وزارة ائتلافية ضمت زعيمين اشتراكيين لاول مرة في تاريخ الامبراطورية الالمانية، وفي اليوم التالي ارسلت هذه الوزارة مذكرة إلى الرئيس ولسن طالبة ايقاف القتال ومعلنة قبولها لنقاط ولسن الاربع عشرة. حاول المستشار ايضا الحفاظ على امبراطورية آل هوهنز لرن.

واجه المستشار ماكس معارضة الاشتراكيين والشيوعيين والاحرار الوطنيين وحزب الوسط. فحاول قلب الامبراطورية الاوتوقراطية إلى ملكية برلمانية، وادخال الديمقراطية إلى الدستور لعله بذلك ينقذ القيصر واسرة هوهنزلرن المالكة. اقيمت المسئولية الوزارية ووضع مصير الحرب والسلام بيد الرايشتاغ (البرلمان) وجعل العسكريون تحت سلطة المدنيين ومنح السجناء السياسيون عفوا واقيمت حرية الصحافة والاجتماع وترك القيصر مجرد رئيس يمثل الوحدة الالمانية.

رفض الرئيس ولسن التفاوض مع القيصر او العسكريين. في اوائل تشرين الاول صار الشعب الالماني يناقش مسألة تنازل القيصر. وفي ٢٩ تشرين الاول غادر القيصر وليم الثاني برلين وذهب إلى مقر القيادة العليا.

رفضت القوات البحرية الالمانية مهاجمة البريطانيين، وهذه مقدمة الثورة. وفي ٤ تشرين الثاني صارت ثورة القوات البحرية عامة، وانتخبت مجالس للجنود ورفعت الاعلام الحمراء. وهتف المعارضون «تعيش الجمهورية». وفي ٥ تشرين الثاني انضم العمال إلى الثورة وانتخبوا مجالس العمال. ثم انتشرت الثورة في مدن الساحل والمدن الداخلية.

اعتقد ماكس ان الطريقة الوحيدة لانقاذ الملكية واسرة هوهنزلرن هي تنازل الامبراطور وولي عهده لحفيده. ولكن القيصر رفض. وفي اليوم التاسع من تشرين الثاني تجمع العمال في وسط برلين مطالبين بايقاف القتال واعلان الجمهورية. وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم نفسه اعلن القيصر موافقته المبدئية على التنازل. ولما تأخر ذلك طالب الاشتراكيون بخلعه . ولكن المستشار ماكس اقترح تعيين ايبرت زعيم الاشتراكيين مستشاراً وجمع جمعية تأسيسية. وفي الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم اعلن الاشتراكيون الجمهورية.

وفي الوقت نفسه اخبر القادة العسكريون القيصر وليم الثاني ان الجيش الالماني لن يحارب في الخارج او الداخل وانه لن يدافع عن القيصر ضد الجمهوريين. ولذلك وافق القيصر على تنازل مشروط اى يتنازل كامبراطور لالمانيا لا كملك لبروسيا. ولكن في تلك الليلة غادر المانيا بالقطار إلى هولندا.

نهاية الحرب :

خلال تشرين الاول ١٩١٨ توالت انتصارات الحلفاء وهزائم الالمان. وقد اشترك في المعارك الاخيرة مليون ومئتا الف اميركي. ثم اخبر الرئيس ولسن المانيا ان بامكانها طلب الهدنة من المارشال فوش . وفي ٨تشرين الثاني قدم فوش شروط الهدنة للمندوبين الالمان ، وعليهم اما قبولها اورفضها دون تعديل خلال (٧٢) ساعة.

كانت وثيقة الهدنة مؤلفة من (٣٥) نقطة وتتضمن الجلاء عن بلجيكا ولكسمبرك وفرنسا والالزاس واللورين خلال اسبوعين ،ومن جميع الاراضي الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الراين خلال شهر ، وتقوم القوات الحليفة باحتلال هذه الاراضي ورؤوس الجسور على نهر الراين في مينتز وكوبلنتز وكولون بعمق ثلاثين كيلو مترا على الضفة اليمنى من نهر الراين ،وتقام منطقة محايدة بعرض عشرة كيلو مترات على طول الضفة اليمنى من نهر الراين من هولندا إلى الحدود السويسرية ، وعلى انسحاب جميع الجيوش الالمانية من روسيا ورومانية وتركيا، وفي خلال اسبوعين تسلم إلى الحلفاء (٥) الاف قاطرة و(١٥٠) الف عربة سكة حديد و(٥) الاف سيارة شحن كلها بحالة جيدة، وعلى تسليم عدد معين من الغواصات والسفن الحربية وعلى نزع سلاح البقية ، وعلى تسليم اسرى الحلفاء فورا، وعلى استمرار الحصاو البحري لالمانيا .

في الساعة الخامسة من صباح يوم ١١تشرين الثاني ١٩١٨ اعلن المندوبون الالمان موافقتهم على شروط الهدنة، وتكون نافذة في الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم.

تكاليف الحرب:

كان عدد الجنود الذين عبئوا للحرب (٦٥) مليون ،منهم (٩) ملايين قتلوا ونحو (٢٢) مليون جرحوا. وكانت الخسائر بين المدنيين مساوية لخسائر العسكريين .من نتائج الحرب المجاعة والاوبئة.

بلغت تكاليف الحرب المالية نحو (١٨٦) مليار دولار، واذا اضيفت الخسائر الاخرى مثل دمار الممتلكات وتناقص قيمة رؤوس الاموال والخسائر في الانتاج وانقطاع التجارة فتقدر الخسائر ب(٢٧٠) مليار دولار. واذا قدرت النفوس التي هلكت بالمال فتبلغ حنيئذ (٣٣٧) مليار دولار.

الدول المركزية :

هي المانيا والنمسا والمجر وبلغاريا والدولة العثمانية، وعددها خمس .

دول الحلفاء :

هي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وايطاليا واليابان ،وبلجيكا والبرازيل وصربيا واستراليا وكندا والصين وجيكوسلافاكيا واليونان والحجاز والهند ونيوزيلاندا وبولندا والبرتغال ورومانيا وسيام واتحاد جنوب افريقيا، وبوليفيا وكوبا والاكوادور وغواتيمالا وهايتي وهندوراس ولايبريا ونيكاراغوا وبناما وبيرو واورغواي، وعددها اثنتان وثلاثون،عدا روسيا التي لم تحضر مؤتمر الصلح .

المبحث الثالث

نتائج الحرب العالمية الاولى

تغيرت خارطة اوربا بعد الحرب العالمية الاولى وتغيرت بعض الاوضاع السياسية والاجتماعية وقامت دول على انقاض دول، وانظمة على انقاض انظمة . كما تغيرت خارطة العالم إلى حد كبير ، وتغيرت العلاقات الدولية والسياسية والاقتصادية وقد ظهر التغير واضحا في الامور والامثلة الاتية:

١ – زالت من الوجود امبراطوريات هي الامبراطورية الالمانية والنمساوية والروسية والعثمانية . فقد سقطت اسرة هوهنز لرن الالمانية المالكة واصبحت المانيا دولة جمهورية تضم القسم الاكبر من الشعب الالماني، واستعادت فرنسا منها الالزاس واللورين ، وبقى بعض الالمان خارج المانيا في النمسا الالمانية وفي جمهورية جيكوسلوفاكيا. وسقطت اسرة هابسبرك المالكة النمساوية وقامت جمهورية النمسا الالمانية الصغيرة، وانفصلت مملكة المجر وانفصلت عنها قوميات يوغوسلافية وجيكية وسلوفاكية ورومانية وبولندية وسقطت اسرة رومانوف الروسية المالكة، وقام نظام سياسي واجتماعي جديد على انقاض الامبراطورية الروسية. وسقطت اسرة ال عثمان التركية المالكة، وقامت جمهورية تركيا بعد ذلك، وانفصلت عنها جميع البلاد العربية وبعض الاراضي في اوربا والجزر في بحر ايجة.

٢ – وظهرت إلى عالم الوجود دول جديدة : جمهورية النمسا وجمهورية بولندا وجمهورية جيكوسلوفاكيا ودولة تركيا التي استمرت ملكية لبضع سنوات ثم صارت جمهورية ومملكة يوغوسلافيا ومملكة المجر. واقتصرت النمسا على مساحة صغيرة من الارض حول العاصمة فينا وقليل من السكان ومنعت من الاتحاد مع المانيا . وعادت إلى الوجود دولة بولندا القديمة واقيمت جمهورية جديدة في منطقة بوهيما وماجاورها في اوربا هي جيكوسلوفاكيا تضم قوميات مختلفة كالجيكيين والسلوفاكيين والالمان.

واقتصرت تركيا على منطقة الاناضول تقريبا مع استانبول وما جاورهما في اوربا .

وضمت يوغسلافيا عناصر سلافية جنوبية مختلفة كالصربيين والكروات والسلوفينيين .

وصارت المجر دولة ملكية مضطربة دون ملك وتحت وصاية الاميرال هورتي

٣ ـ زادت رقعة بعض الدول كفرنسا وصربيا ورومانيا : عادت الالزاس واللورين إلى فرنسا ، وصارت صربيا دولة يوغسلافيا الحديثة ، وضمت الى رومانيا مناطق من المجر كترانسلفانيا ومن روسيا كبسارابيا .

٤ ـ انفصلت البلاد العربية عن تركيا مثل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر والسودان والحجاز واليمن وعسير وليبيا وتونس ، وخضعت سوريا ولبنان للانتداب الفرنسي وفلسطين والعراق للانتداب البريطاني ، وبقيت مصر تحت الحماية البريطانية ولها وضعها الخاص ، واستقلت الحجاز واليمن وبقي السودان خاضعا لبريطانيا ، وبقيت ليبيا تابعة لايطاليا وتونس تابعة لفرنسا .

٥ ـ عقد مؤتمر للصلح في باريس لتحقيق تسوية جديدة واقامة نظام عالمي جديدة والمحافظة على السلام :

٦ ـ اقيمت منظمة امية جديدة هي عصبة الامم تضم ، بصفة خاصة الدول الحليفة المنتصرة من اجل الحفاظ على النظام العالمي الجديد والسلام العالمي . ولكن لم تنضم اليها الولايات المتحدة بسبب فوز الحزب الجمهوري في الانتخابات وهذا عارض الانضمام الى العصبة ، ولكن اسهمت الولايات المتحدة في بعض اعمال العصبة ، وصار لها مكانة عالمية كبيرة كدولة قوية وغنية .

٧ ـ استحدث نظام جديد ليحل محل الاستعمار القديم وهو نظام الانتداب خضعت له بعض الاقطار العربية كسوريا ولبنان وفلسطين والعراق ، وبعض

مستعمرات المانيا السابقة في افريقيا والمحيط الهادي . خصصت المادة الثانية والعشرون من ميثاق عصبة الامم لنظام الانتداب ، ذكر فيها ان الغرض منه مساعدة الدول المتقدمة للبلاد التي فصلت عن تركيا والمانيا الى ان تنال استقلالها التام . واقيمت لجنة الانتدابات الدائمة لتلقي تقارير سنوية من الدول التي عهد اليها بالانتداب عن سير الامور في البلاد التي وضعت تحت انتدابها .

٨ — قام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية على انقاض الامبراطورية الروسية ، فيه نظام سياسي واجتماعي جديد وسيطر فيه الحزب الشيوعي الروسي (البلشفكي) . حاولت بعض الدول الغربية كانكلترا اسقاط النظام الجديد ، وشجعت نشوب حرب اهلية وتدخلت فيها ولكن المحاولات فشلت .

L. Albertini, The Origins of the war of 1914, London, 1957.
J. E. Edmonds, A short History of World war, London. 1951.
A. J. May, The Habsburg Monarchy, Masschusehs 1961.
R Graves, Lawrences and the Arabian Adventuse, London 1928.
W. S. Churchill, The World Crsis, 5 vols, London 1923 29.
D. Lloyed George, The War Memoirs of David LLoyd George, London, 1936.

الفصل السابع

مؤتمر الصلح في باريس

اعترافاً بالدور الكبير الذي قامت به فرنسا في الحرب العالمية الاولى اختيرت باريس لتكون مقرا لمؤتمر الصلح . في اوائل سنة ١٩١٩ بدأت الوفود بالوصول اليها . ضمت بعض الوفود اعداداً كبيرة من دبلوماسيين وعسكريين واداريين وقانونيين وخبراء ماليين واقتصاديين ورجال صناعة وممثلين عن العمال والوزراء والنواب والصحفيين .

من بين قادة العالم الذين حضروا كان رئيس الولايات المتحدة واحد عشر رئيس وزراء واثنا عشر وزير خارجية من الشخصيات التاريخية وودرد ولسن رئيس الولايات المتحدة وجورج كلمنصو رئيس وزراء فرنسا وديفيد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا مثلوا بلادهم . هذا ولم يدع مندوب عن الاتحاد السوفيتي إلى المؤتمر . ولم تحضر المؤتمر الدول المندحرة ، بل كان عليها ان توقع على الوثائق بعد اعدادها ، لأن السلام فرض فرضا ولم يكن نتيجة مفاوضات .

المبحث الاول

جو المؤتمر والصراع بين الدول المنتصرة

في ١٢ كانون الثاني ١٩١٩ عقدت وفود الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليا اجتماعا رسمياً وقررت ان يقتصر التمثيل في المؤتمر على الدول التي اعلنت الحرب على المانيا او قطعت علاقاتها معها . وتقرر ان يضم الاجتماع الكامل للمؤتمر جميع ممثلي الدول ، ولكن سيكون هناك «مجلس العشرة » يضم مندوبين اثنين من كل من الدول الخمس الكبرى :
الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان . ومجلس العشرة هذا هو الذي يقرر الامور التي تحال الى المؤتمر العام . وتقرر ان تكون الدول الخمس الكبرى ممثلة في جميع اللجان ، ويحدد تمثيل الدول الاخرى في اللجان التي تبحث امورا تخص تلك الدول بصورة مباشرة . عقدت ست جلسات عامة فقط قبل الانتهاء من وضع مشروع معاهدة الصلح مع المانيا .
ولذلك يمكن ان يقال ان مجلس العشرة هو مؤتمر الصلح عمليا خلال الشهرين الاولين ، وكانت اجتماعاته سرية . فسح المجال امام ممثلي الدول الاخرى لكي يحضروا مجلس العشرة لتقديم مطاليبهم . وقد عين مجلس العشرة لجاناً خاصة تحال اليها المسائل العويصة لدراستها وتقديم تقارير عنها قبل الانتهاء من اعداد مشروع معاهدت الصلح مع المانيا كانت قد عينت اثنتان وخمسون لجنة لمعالجة مختلف المشكلات .

ادت الرغبة بالاسراع في وضع المعاهدة مع الحاجة الى السرية خلال فترة التوفيق بين الدول الكبرى الى تغيير تنظيم المؤتمر ، ففي ٢٥ آذار اذيع انه ستعقد مؤتمرات غير رسمية للمندوبين الرئيسيين تحل محل اجتماعات مجلس العشرة . ثم حل «مجلس الخمسة» محل مجلس العشرة وصار بمثابة لجنة رئيسة . وصار مجلس الخمسة يدرس تقارير اللجان ثم يحيلها إلى «الاربعة الكبار Big Four » . وكان هؤلاء الاربعة يجرون محادثات شخصية وغير

رسمية ثم الفوا ماسمي (بمجلس الاربعة Council of the Four » وهم رؤساء وفود الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليا ، وهو الذي انجز كل قرارات المؤتمر المهمة المتعلقة بمعاهدة الصلح مع المانيا .

كان من المحتم ظهور تصادم وخلافات بين الساسة الاربعة حين عرضت المناهج الشخصية والوطنية المختلفة لكي تنفذ ، ولكي تحول نقاط ولسن الاربع عشرة إلى مواد معاهدة . انمطاطية النقاط وغموضها جعلت من السهل على الدول ان تقبل بعض النقاط من حيث المبدأ ، ولكن صار من المحتم ظهور اختلافات في التفسير عندما درست وفحصت من وجهات النظر القومية المتباينة والمتضاربة .

في الواقع حتى قبل اجتماع مؤتمر الصلح كان الحلفاء قد ابدوا عددا من التحفظات. وكانت المشكلة الرئيسية امام الساسة في باريس هي وضع النصوص التي توفق بين وجهات النظر المتعارضة للدول الحليفة . ولم يكن من الممكن ان يسيطر رجل واحد على جماعة كالاربعة الكبار . ولذلك كان الاتفاق ممكنا عن طريق التوفيق والحل الوسط ، ولكن حدث مرارا ان وصلت الامور إلى حد الازمة الحقيقية قبل التوصل الى تسوية . حدث مرة ان أمر ولسن باحضار الباخرة جورج واشنطن لاخذه إلى اميركا وفي مرة اخرى انسحب اورلاندو مندوب ايطاليا مع وفده من المؤتمر وذهبوا الى روما . وبالرغم من كل ذلك استمر المؤتمر على العمل سوية حتى انجز اعماله .

في بداية المؤتمر حدث خلاف في الرأي حول ماذا سيكون ميثاق عصبة الامم جزءا من معاهدة السلام مع المانيا ، او سيكون بشكل وثيقة مستقلة . قال ولسن ان ميثاق العصبة يجب ان يكون جزءا لا يتجزأ من معاهدة السلام مع المانيا ، بينما اراد الساسة الاخرون عقد معاهدة السلام بسرعة ولا حاجة للانتظار حتى يوضع الميثاق ، بينما قال ولسن ان معاهدة السلام مع المانيا هي المعاهدة الرئيسية واذا تركنا الميثاق خارجها فان هذا سيضعف العصبة

او ربما يؤجل تكوينها إلى مالا نهاية، وان تأسيس العصبة يعود بالفائدة على جميع الشعوب.

وعندما شرع بوضع مشروع الميثاق اصرت الولايات المتحدة على ضمان مبدأ مونرو. طالب الفرنسيون بتحديد مبدأ مونرو ولذلك عارضوا ذكره في الميثاق. وقد وقف البريطانيون والايطاليون إلى جانب ولسن، وتم وضع المادة (٢١) من الميثاق وفيها ذكر مبدأ مونرو.

المبحث الثاني

معاهدة الصلح مع المانيا : معاهدة فرساى

كانت معاهدة فرساى التي فرضها الحلفاء المنتصرون على المانيا المندحرة اهم معاهدة انجزها مؤتمر الصلح في باريس . اصر الرئيس ولسن على ان يكون ميثاق عصبة الامم جزءا لا يتجزأ من معاهدة الصلح مع المانيا. وقد وافق المؤتمر على ذلك في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٩.

الف المؤتمر لجنة من اربعة عشر عضوا برئاسة ولسن لوضع صيغة الميثاق وبه اعترفت الدول الاوربية بمبدأ مونرو . وفي ٢٨ نيسان وافق اجتماع عام للمؤتمر على الميثاق المكون من ستة وعشرين مادة .

المواد الخاصة بالاراضي والاقاليم :

اتفق الحلفاء المنتصرون على انه من اجل تصحيح الخطأ الذي ارتكبته المانيا في ١٨٧١ ضد حقوق فرنسا ورغبات سكان الالزاس واللورين يجب اعادة هاتين المنطقتين إلى السيادة الفرنسية. اقترح كلمنصو ايجاد دولة محايدة في ارض تفصل عن المانيا مساحتها عشرة الاف ميل مربع تقع على الضفة اليسرى من نهر الراين بين الالزاس وهولندا . عارض لويد جورج ايجاد دولة فاصلة بين دولتين مصرا على القول بانه يجب ان لا توجد الزاس — لورين اخرى .وقد عارض ولسن طلب كلمنصو. وبعد جدل كبير اتفق على ان تحتل قوات حليفة الاراضي الواقعة على الضفة اليسرى من نهر الراين لمدة خمس عشرة سنة على الاقل كضمانة لتنفذ المانيا معاهدة السلام، وعلى ان تكون هذه المنطقة ومنطقة اخرى على الضفة اليمنى بعرض خمسين كيلو مترا منزوعة السلاح بصورة دائمة. وقد وعد لويد جورج وولسن فرنسا بعقد معاهدة لضمان سلامة فرنسا، وبها تتعهد الدولتان بمساعدة فرنسا في حالة هجوم المانيا عليها.

طالب كلمنصو بحوض السار الصناعي الكثيف السكان ومساحته (٧٠٠) ميل مربع ويحتوي على اغنى مناجم الفحم . طالب كلمنصو بضم اجزء السار التي كانت فرنسا تحتلها قبل ١٨١٥ مع تملك مناجمها . وذلك باستثناء السيادة السياسية على بقية حوض السار. عارض لويد جورج وولسن ضم السار سياسيا إلى فرنسا . وبعد مفاوضات اتفق على ان تحتفظ المانيا بالسيادة السياسية على السار ، ولكن تقام لجنة تحت اشراف عصبة الامم لادارتها لمدة خمس عشرة سنة ، وتحصل فرنسا على مناجم الفحم وتكون المنطقة ضمن الحدود الكمركية الفرنسية وبعد خمس عشرة سنة يستفتي سكان المنطقة عن مستقبلهم السياسي فاما الاتحاد مع المانيا او مع فرنسا او البقاء تحت عصبة الامم ، فاذا صوتوا الى جانب المانيا فعلى المانيا شراء المناجم من فرنسا .

تخلت المانيا عن حقوقها في سكك حديد لكسمبرك . وعدلت الحدود الالمانية – البلجيكية تعديلا طفيفا لمصلحة بلجيكا . واتفق على تحديد الحدود بين المانيا والدانمرك وفقاً لرغبات السكان (في ١٩٢٠ قسمت شلزفيك بين الدولتين وفقاً لاستفتاء).

في الشرق نوقش موضوع الاراضي البولندية التي اخذتها المانيا خلال ١٧٧٢ ١٧٩٥ . وناقش المؤتمر اعطاء بولندا ممرا في منطقة بروسيا الغربية يضم ضفتي نهر فستولا الاسفل ، وقد اوصى الخبراء باعطاء بولندا هذا الممر ولكن لويد جورج هاجم هذه التوصية لان ممرا كهذا سيفصل بروسيا الشرقية عن بقية المانيا بينما ايد كلمنصو وولسن البولنديين . ثم وافق المؤتمر على التوصية وعلى جعل مدينة دانتزك (نفوسها ٣٠٠ الف اكثرهم من الالمان) مدينة حرة تحت حماية عصبة الامم ، وتقوم بولاندا بادارة علاقاتها الخارجية وتعين عصبة الامم مندوباً ساميا لادارة المدينة .

وقرر المؤتمر اعطاء خمسة اسداس منطقة بوزن والقسم الاكبر من منطقة بروسيا الغربية الى بولندا . وفي بروسيا الشرقية تقرر اجراء استفتائين حول

ضفتي نهر فستولا وحول سلزيا العليا (في الاستفتاء الاول اعيدت الضفتان الى بروسيا ، وفي الثاني قسمت سلزيا بين بولندا والمانيا .

وتنازلت المانيا عن جزء صغير من سلزيا العليا الى جيكوسلوفاكيا .

تنازلت المانيا عن دانتزك وممل الى الحلفاء ، فجعلت دانتزك مدينة حرة تحت ظل عصبة الامم واعطيت ممل في ١٩٢٣ الى لتوانيا).

اقترح ولسن وضع مستعمرات المانيا تحت انتداب عصبة الامم وفقا للمادة الثانية والعشرين من ميثاقها في حين فضلت الدول الاوربية ضم مستعمرات المانيا اليها. وقد تقرر وضع تلك المستعمرات تحت انتداب بريطانيا وفرنسا وبلجيكا واتحاد جنوب افريقيا واستراليا ونيوزيلاند واليابان

طالب المندوبون الصينيون باعادة كياو جاو إلى الصين، وايدهم ولسن وعارض اعطاء امتيازات وحقوق شبه جزيرة شانتونغ التي كانت لالمانيا إلى اليابان بل طالب باعادتها مباشرة إلى الصين. قال المندوبون اليابانيون انهم لم يعطوا تلك الامتيازات فسيرفضون توقيع المعاهدة او الانضمام إلى العصبة. قال لويدجورج وكلمنصو انهما متمسكان بوعودهما لليابان في ١٩١٧ ولذلك رضخ ولسن فقرر المؤتمر ان تنال اليابان حقوق المانيا في شبه جزيرة شانتونغ في الصين، ولكن اليابان وعدت بارجاعها إلى السيادة الصينية مع الاحتفاظ بالحقوق الاقتصادية التي كانت تتمتع بها المانيا مع الحق باقامة مستوطنة في تسنغتاو (نفذ هذا الوعد في ١٩٢٣).

تحديد التسلح :

لاجل ضمان امن جيران المانيا ولاجل ضمان نزع السلاح العام حاول مؤتمر الصلح اضعاف قوات المانيا البرية والبحرية وتقليص امكانياتها في استخدام القوات الباقية تحت سيطرتها. نصت المعاهدة على ان لا يتجاوز عدد جيش المانيا بعد ٣١ آذار ١٩٢٠ مئة الف جندي وضابط. وتقرر ان لايكون لالمانيا بعد ذلك قوات جوية او بحرية. وان تلغى هيئة الاركان العامة ولابعاد تأسيسها باى شكل من الاشكال. حدد انتاج الاسلحة والعتاد والمواد الحربية ومنع استراد وتصدير المواد ولم يسمح بصنع واستراد الغازات الحربية.

السامة . والغيت الخدمة العسكرية الاجبارية . ولاجل منع التوسع في التدريب العسكري لزيادة عدد المجندين المدربين وذلك عن طريق استبدال الجنود المدربين بسرعة اشترطت المعاهدة ان تكون خدمة الضباط لمدة ٢٥ سنة متوالية وان تكون خدمة الجنود العاديين لمدة (١٢) سنة ، وان لايزيد عدد الضباط والجنود الذين يسرحون عن نسبة ٥ ٪ في السنة .

قيدت المانيا في استخدام قواتها العسكرية حتى ضمن حدودها . ومنعت من الاحتفاظ بالتحصينات او اقامتها في اراضيها الواقعة على الضفة اليسرى من نهر الراين او على ضفته اليمنى الى مسافة خمسين كيلو متراً باتجاه الشرق . ويجب نزع سلاح التحصينات او هدمها . وفي المنطقة المنزوعة السلاح منعت المانيا من الاحتفاظ بقوات مسلحة بصورة مؤقتة او دائمية او القيام باية مناورات عسكرية . ويعتبر نقض المانيا لهذه المواد من المعاهدة عملا عدائياً ضد الدول الموقعة على المعاهدة . وعلى الحدود الجنوبية والشرقية ، على المانيا ان تقيد نظام تحصيناتها كما هو موجود عند توقيع المعاهدة .

حددت البحرية الالمانية بست بواخر حربية وستة طرادات خفيفة واثنتي عشرة مدمرة واثني عشر زورق طوربيد ، ومنعت من بناء أية باخرة حربية او الحصول عليها ما عدا تلك التي تحل محل البواخر الموجودة ولا يجوز ان يكون لدى المانيا اية غواصة حتى ولو كانت لاغراض اخرى تجارية ، ويجب تسليم كل الغواصات الموجودة إلى الحلفاء او تدميرها . وكذلك حدد عدد الجنود البحارة . وامر الحلفاء بتدمير تحصينات ميناء هليغولاند ولا يجوز اعادة بنائها .

نصت المعاهدة على تكوين لجان حليفة للسيطرة لكي تشرف على تنفيذ المواد الخاصة بنزع السلاح . وقد اعطيت تلك اللجان حق ممارسة عملها في برلين وان ترسل وكلاء عنها الي أى جزء من المانيا وان تطالب بمعلومات ومساعدة من الحكومة الالمانية . ستكون تكاليف لجان السيطرة هذه التي تتعلق باعمالها على حساب المانيا

التعويضات :

في ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ طالب الحلفاء المانيا بمذكرة بان تدفع تعويضات عن الاضرار التي الحقت بالمدنيين من الحلفاء وبأموالهم وذلك باعتداء الالمان في البحر والبر والجو . وفي الاسابيع الاولى من افتتاح مؤتمر السلام قال مندوبو بريطانيا وفرنسا بضرورة ادخال تكاليف الحرب ضمن التعويضات التي على المانيا دفعها وبذلك وحده يمكن ان يقال ان التسوية السلمية عادلة حقاً . اما الوفد الاميركي فقال ان مطالبة المانيا بالتعويضات يجب ان تحصر بحدود الاتفاقيات التي تمت قبل عقد الهدنة ولذلك يجب ان تشمل التعويضات الاضرار التي حدثت لا تكاليف الحرب . اكد ولسن بان إدخال تكاليف الحرب ضمن التعويضات لايتفق مع ماجعلنا لعدو يتوقع منا . ولذلك وافق الثلاثة الآخرون من الاربعة الكبار على رأي ولسن بان تكون التعويضات التي تدفعها المانيا مقصورة على ما يمكن ان يعتبر من الاضرار الحقيقية وليس بضمنها تكاليف الحرب .

وهكذا صيغت المادة (٢٣١) من معاهدة فرساي :

«ان حكومات الدول الحليفة والمشاركة تؤكد ، والمانيا توافق ، على مسئولية المانيا وحلفائها في التسبب بالخسائر والاضرار التي تكبدها مواطنوا حكومات الدول الحليفة والمشاركة بسبب الحرب التي فرضت عليهم بعدوان المانيا وحلفائها » .

وحدث خلاف بين الاربعة الكبار حول مقدار ومدة وطريقة جمع التعويضات . ثم اتفق الحلفاء على ان تدفع المانيا في مايس ١٩٢١ مبلغ خمسة مليارات دولار ذهبا أو ما يعادلها . اما ما تدفعه بعد ذلك فقد ترك دون تحديد بل يتفق عليه في حينه . وقد ألفت لجنة خاصة بالتعويضات لمعالجة الموضوع .

مواد‌شتي :

١ — وافقت المانيا على الغاء معاهدات ١٨٣٩ الخاصة بحياد بلجيكا كما وافقت على انهاء نظام حياد لكسمبرك .

٢ — اعترفت باستقلال النمسا واحترامه .

٣ — سعى المؤتمر الى ايجاد حرية الوصول إلى البحر للاقطار الاوربية التي ليس لها سواحل وذلك باقامة اشراف دولي على الانهار التي تجري في اكثر من قطر فاقيمت لجان للاشراف على الراين والاودر والبه ونيمن والدانوب وفي اللجان التي تشرف على الانهار التي تعتبر المانية (الراين والاودر وألبه) جعلت المانيا في مركز اقلية . اعطت المعاهدة مناطق حرة لجيكوسلوفاكيا في مواني هامبرك وشتتن . وتقرر ان تكون قناة كييل حرة ومفتوحة على حد سواء للبواخر التجارية والحربية العائدة لجميع الشعوب التي هي في حالة سلام مع المانيا .

٤ — اتهمت المعاهدة وليم الثاني من آل هوهنزولرن وامبراطور المانيا السابق بتعديه على مبادىء الاخلاق الدولية وقدسية المعاهدات ولذلك يجب اقامة محكمة خاصة لمحاكمة الامبراطور السابق (لما طلب الحلفاء الى هولندا تسليمه رفضت ولم تجر المحاكمة) .

واما مايخص بالفضائح الالمانية ، اعترفت المانيا بحق الحلفاء بالمطالبة بمحاكمة الاشخاص الذين اتهموا باقتراف أعمال مناقضة للقوانين والاعراف الحربية امام محاكم عسكرية ، ووافقت على تسليم الاشخاص الذين يذكرهم الحلفاء ممن ينطبق عليهم هذا القول .

٥ — ذكرت في معاهدة فرساى بعض الضمانات لتنفيذها : يحتل الحلفاء الاراضي الالمانية الواقعة غربي نهر الراين ورؤوس الجسور لمدة خمس عشرة سنة اعتباراً من تنفيذ المعاهدة : فإذا نفذت المانيا شروط المعاهدة باخلاص فسيقلص الاحتلال تدريجياً . وسيتم اخلاء منطقة كولون بعد مضى خمس سنوات ، وبعد عشرة سنوات تخلى منطقة كوبلنتز ، وبعد خمس عشرة

سنة تخلى منطقة ميتتز والمناطق الالمانية المحتلة الاخرى . ولكن في خلال الاحتلال او بعد مضي خمس عشرة سنة المذكورة اذا وجدت لجنة التعويضات ان المانيا ترفض كل التزاماتها المذكورة في هذه المعاهدة او بعضها فيما يخص التعويضات فستعود القوات الحليفة والمشاركة إلى احتلال كل او بعض المناطق المذكورة فورا .

توقيع معاهدة فرساى :

في ٧ مايس ١٩١٩ عرض مشروع المعاهدة على الوفد الالماني ، واعطيت للمندوبين الالمان مهلة ثلاثة اسابيع لكتابة ملاحظاتهم على مواد المعاهدة . ولم يسمح بأي نقاش شفهي مع مندوبي الحلفاء . وقد تسلم مجلس الاربعة الكبار مقترحات الوفد الالماني يوم ٢٩ مايس وعرضت فوراً على عشر لجان حليفة من الخبراء لدراستها . وافق الحلفاء على بعض التنازلات ، ولكن بوجه عام لم يغير مشروع المعاهدة . وكان على المانيا ان تعلن عن رغبتها في توقيع المعاهدة كما عدلت . خلال خمسة ايام والافان الهدنة تلغى ويتخذ الحلفاء الخطوات الضرورية لفرض شروطهم .

كان الشعور السائد في المانيا على اشده من المرارة وفضلت الوزارة الالمانية الاستقالة على توقيع المعاهدة . ثم تألفت وزارة جديدة وافقت على المعاهدة وانتدبت هذه الوزارة وزير الخارجية ووزير المستعمرات لتوقيع المعاهدة بالنيابة عن المانيا .

بالرغم من انه لم يعقد اى اجتماع للمؤتمر في قصر فرساى الكبير، فقد اتخذت الترتيبات لتوقيع المعاهدة مع المانيا في قاعة المرايا في قصر فرساى . وفي هذه القاعة نفسها قبل سنوات عديدة (١٨٧١) اعلن ملك بروسيا امبراطوراً لالمانيا في يوم ٢٨ حزيران ١٩١٩ (الذكرى الخامسة لاغتيال الارشيدوق النمساوي تم التوقيع . فقد جلس مندوبو الدول الحليفة والمشاركة (عدا الصين)وفي الساعة الثالثة ، حضر المندوبون الالمان واجلسوا بالقرب من

المنضدة التي وضع عليها مشروع المعاهدة . ثم طلب كلمنصو من المندوبين الالمان ان يوقعوا فوقعوا .

ثم وقع بعدهم باقي المندوبين حسب الترتيب الهجائي لاسماء اقطارهم باللغة الفرنسية ، وكان اول الموقعين وودورو ولسن عن اميركا الشمالية .

وحين كان التوقيع جاريا بدءأ باطلاق المدافع ، وانتهى التوقيع في الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين بعد الظهر .

أهمية المعاهدة بالنسبة لالمانيا

كانت معاهدة فرساي قاسية ولكنها كانت استجابة للمطالب الشعبية في الاقطار الحليفة . قال ولسن ان بعض موادها على الاغلب مؤقتة بينما ستبقى عصبة الامم وتصحح الاخطاء التي قد تظهر بعد ذلك .

كان اثر المعاهدة على المانيا كبيراً جداً ، فقد اقتطع من اراضيها في اوربا (٢٥) الف ميل مربع ومن سكانها نحو ستة ملايين . وخسرت خسارة اكبر من موادها الخام اذ أنقصت موادها الاقتصادية التي كانت لها قبل الحرب مثل الحديد والفحم والزيت والبوتاس والرصاص والزنك (القصدير) والمواد الغذائية . وخسر مع الالزاس واللورين الحديد والبترول والبوتاس ، ومع السار الفحم . ومع انفصال لكسمبرك من المنظومة الصناعية الالمانية خسرت الحديد ايضا . ومع سلزيا العليا (بعد منطقة الرور) ، وهي اهم منطقة صناعية في المانيا ، خسرت الفحم والزنك والرصاص مع معامل ومسابك كثيرة . ومجمل الخسائر التي اضطرت المانيا لتقديمها كانت ٦٥٪ من احتياطي خامات الحديد و٤٥٪من الفحم و٧٢٪ من خامات الزنك و٥٧٪من خامات الرصاص و١٢ – ١٥٪ من منتوجاتها الزراعية الرئيسة ونحو ١٠٪ من منشآتها الصناعية.

وفي خارج اوربا خسرت المانيا نحو مليون ميل مربع من الاراضي ومايزيد عن (١٢) مليون نسمة . ومع هذه المناطق خسرت المانيا ٢٥٪ من المطاط عدا الزيت والالياف . وانقصت حمولة اسطولها التجاري من ٥,٥ ملايين

طن إلى (٤٠٠) الف طن .وخسرت امتيازاتها في الصين وسيام ومراكش ولايبريا ومصر . وخسرت معاهداتها التجارية مع الدول الحليفة بل كان عليها ان تعطى امتيازات اكثر الامم خطوة للحلفاء لمدة خمس سنوات.

كانت المانيا قبل الحرب تمتلك اقوى جهاز عسكري في العالم. بموجب المعاهدة انقصت قوة مؤسستها العسكرية إلى ثمن ماكانت عليه وبدون احتياط وكانت بحريتها ثانية بعد البحرية البريطانية فانزلت إلى قوة تافهة .وفرض عليها اقامة الجيوش الاجنبية في اراضيها على حسابها (اي حساب المانيا). كما اقيمت لجان حليفة في المانيا وعلى حسابها ايضا، واعطيت تلك اللجان سلطة التدخل في حياة المانيا الاقتصادية والعسكرية. وفوق كل ذلك فرض على المانيا دفع تعويضات لايعرف مقدارها.

المبحث الثالث

معاهدات الصلح الاخرى

بعد توقيع معاهدة فرساى ،وقعت معاهدتان في ١٩١٩ مع النمسا وبلغاريا، ووقعت في ١٩٢٠ معاهدتان اخريان مع المجر (هنكاريا) وتركيا. وضعت هذه المعاهدات على غرار معاهدة فرساى، وقد نقلت بعض موادها بنصها الى المعاهدات التالية، وعدلت بعض مبادئها لكي تكون مناسبة للدول الاخرى .

وبعد توقيع معاهدة فرساى مباشرة غادر باريس ولسن ولويد جورج، وبذلك انحل مجلس الاربعة الكبار. وقد تم وضع مشاريع المعاهدات التالية تحت اشراف مجلس الخمسة الذين صار يعرف باسم «المجلس الاعلى»، وقد استمر على العمل حتى ٢١ كانون الثاني ١٩٢٠، ثم انحل حين استقال كلمنصو من رئاسة الوزارة الفرنسية ،وتلاه مجلس السفراء المؤلف من سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا وايطاليا واليابان في باريس ومن مندوب فرنسي.

معاهدة سان جرمان (معاهدة الصلح مع النمسا):

أخذت معاهدة سان جرمان اسمها من قصر سان جرمان في باريس حيث وقعت .قدم مشروع المعاهدة للنمساويين في ٢ حزيران ١٩١٩، وسمح لهم بكتابة ملاحظاتهم .اكد المندوبون النمساويون ان «النمسا الالمانية» دولة جديدة اوجدت بعد الهدنة ولم تكن في حالة حرب مع الحلفاء ،وانما هي مجرد دولة وريثة لامبراطورية هابسبرك مثل جيكولوسلوفاكيا وبولندا والاخريات ولكنهم لم يفلحوا في اقناع الحلفاء الذين اصروا على ان النمسا دولة قديمة قديمة جردت من بعض مقاطعاتها وصار لها حكومة جديدة، لذلك اضطرت على اسقاط كلمة «المانية» من اسمها واجبرت على قبول مسؤولية الخسائر والاضرار التي تكبدتها الدول الحليفة نتيجة الحرب التي فرضت عليهم بعد وان دولة النمسا — والمجر وحلفائها.

كان احد اسباب اضافة كلمة «المانية» إلى اسم النمسا هو الاشارة إلى رغبتها في الاندماج بالجمهورية الالمانية . بدأ اتحاد الدولتين على أساس عنصري واقتصادي طبيعياً، وقد وافق الوفد الاميركي عليه، ولكن الفرنسيين والجيكوسلفاكيين والايطاليين عارضوا لاسباب مختلفة ضم الاراضي النمساوية إلى المانيا، وافلحوا في التأثير على المؤتمر في هذه النقطة بل نص في المعاهدة على ان استقلال النمسا لايمكن التنازل عنه الا بموافقة مجلس عصبة الامم. ونص بصفة خاصة على انه يجب على النمسا ان تمتنع عن اي عمل يفرط باستقلالها او يعرضه للخطر بصورة مباشرة او غير مباشرة أو بأية طريقة كانت .

عندما عالج مؤتمر السلام قضية اوربا الوسطى وضع نفسه في موضع مصفي او منفذ تصفية املاك آل هابسبرك .وكان الورثة جيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا ويوغوسلافيا والنمسا وهنغاريا وايطاليا .ولما اجتمع المؤتمر في كانون الثاني ١٩١٩ كانوا قد اقتسموا اراضي آل هابسبرك بصورة تقريبية ومؤقتة. ولكن الورثة كانوا في الغالب حريصين وطماعين ومشاكسين، ولذلك القى على عاتق الساسة في باريس واجب ممل ، وكان عليهم ان يسووا المنازعات التي بدأت بين القوميات المختلفة قبل ان تتطور إلى حرب فعلية وكان عليهم ان ينجزوا تقسيم تركة آل هابسبرك تقسيما نهائيا بحيث يكون عادلا وعملياً ومفضيا إلى سلام وامن اوربا.

ليس من السهل رسم الحدود الدولية. فهنالك مبادىء كثيرة يمكن الاعتماد عليها لتحقيق ذلك كالاعتبارات العرقية والاقتصادية والجغرافية والتاريخية والاستراتيجية، وربما كانت السلامة الوطنية اهم عنصر فيها . ولكن هناك قليل من الامثلة حيث نجد حدودا تمنح حدوداً سلامة وطنية كافية، وفي الوقت نفسه تنطبق على الحقوق التاريخية والعرقية. في وسط اوربا نادراً مانجد حدوداً قومية واضحة يمكن ان ترسم وترضى جميع الاطراف، وهناك القليل من قوميات امبراطورية هابسبرك تفصلهم عن جيرانهم حدود

طبيعية واضحة، ولاتقدم الحدود الادارية القديمة اية فائدة لان اكثر المقاطعات تضم قوميتين او اكثراً .من الممكن التفكير ايضا بالسكك الحديد والقنوات والتعلق الاقتصادي. ولذلك فليس من العجيب ان يضطر مؤتمر الصلح إلى ان يعمل كثيرا لحل هذه المعضلة. وفي نهاية المطاف حصل على الانتقاد المر.

هذا ويجب ان نتذكر ان اكثر مواد المعاهدات وضعها ساسة الدول الكبرى بعناية وترو كانت نتيجة تحقيق ودراسة جماعة من الخبراء الذين عينوا لهذا الغرض، وقد مثل هؤلاء الخبراء الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وايطاليا وهم الذين وضعوا الحدود، واذا كان تقرير احدى اللجان قد اتخذ بالإجماع فإن المؤتمر يوافق عليه دون تعديل.

وفي بعض الأحيان حين تكون هناك اعتبارات سياسية، أو إذا أصبح الوضع حاداً وحساساً يأخذ الأربعة الكبار بأيديهم تلك المشكلة لحلها.

ان أكبر أزمة حدثت واستغرقت وقتاً طويلاً كانت توزيع أراضي هابسبرك السابقة .ففي معاهدة لندن السرية كانت إيطاليا قد وعدت في مقابل دخولها الحرب بأن تنال بعض الأراضي حوالي رأس البحر الأدرياتي وعلى الساحل الشرقي وبضمنها تريسته وبولا. ولكن بعد الحرب لم يقنع الإيطاليون بالمكاسب المذكورة في معاهدة لندن بل طالبوا بإضافة مدينة فيومي Fiume وبأراضي ذات أهمية استراتيجية واقتصادية تقع خارج حدود معاهدة لندن. أثيرت عاطفة شعبية قوية في إيطاليا مطالبة بضم فيومي بصفة خاصة، وأكثرية سكانها من أصل إيطالي، وقد أعتقد الكثيرون من الإيطاليون أن فيومي وتريسته وفالونا تمثل رأس جسر ثلاثي للتوسع في المنظومة الدانيوبية والبلقانية التي كانت ترغب بها إيطاليا . يضاف إلى ذلك أن إيطاليا كانت تطمح منذ زمن طويل إلى السيطرة على البحر الأدرياتي ،وكان من أسباب دخول إيطاليا الحرب ضد النمسا. وبالرغم من أن منافس إيطاليا القديم في البحر الأدرياتي قد إختفى الآن، كان يبدو للكثيرين من الإيطاليين أن هناك منافساً جديداً للسيطرة على ذلك البحر قد ظهر وهو يوغوسلافيا. ولم يكن لإيطاليا رغبة بأن يكون لها منافس تجاري

وأبحري قوي. وإذا ضمنت الحصول على فيومي بالإضافة إلى تريستة وبولا وفالونا فتضمن احتكار التجارة البحرية في ساحل دلماسيا وتعرقل التوسع التجاري ليوغوسلافيا. وميناؤها العملي الوحيد هو فيومي ولذلك طالب أورلاندو وسونينو بفيومي .

ومن جهة أخرى أصر الساسة اليوغسلاف على ضرورة إعطاء فيومي وساحل دلماسيا إلى يوغسلافيا .وقد أقاموا مطالبتهم على أساس القومية وتقرير المصير، وذكروا أرقاماً تشير إلى أن أكثرية سكان المنطقة يوغسلافيون، وأكدوا على أن فيومي هي ميناؤهم الوحيد على البحر، وإذا أعطيت فيومي إلى إيطاليا فمعنى ذلك إخضاع اليوغسلافيين لسيطرة أجنبية.

أيد ولسن اليوغسلافيين، ولم يكتف بمعارضته ضم فيومي إلى إيطاليا بل عارض تنفيذ مواد البحر الأدرياتي في معاهدة لندن تنفيذاً كاملاً لأنها تتعارض، في رأيه، مع نقاطه الأربع عشرة، ثم رسم خطاً عرف بخط ولسن إستثنى بعض ماذكر في معاهدة لندن ولكنه أبقى بولا وليسا وفالونا لإيطاليا لأسباب استراتيجية. وقدم ولسن مذكرة إلى الوفد الإيطالي يدافع فيها عن خطه، ولكن لأن هذا الخط لم يعط فيومي لإيطاليا رفض أورلاندو وسونينو ذلك الخط خوفاً من إثارة مشاعر الإيطاليين. وأخيراً شرح ولسن للصحافة الأسباب التي جعلته يعارض مطالبة إيطاليا بفيومي وأكد أن مطالبة إيطاليا بفيومي تتناقض مع المبادىء التي حاربت من أجلها أميركا ومع المبادىء التي يمكن أن توافق عليها في صنع الصلح ومع المبادىء التي أملت وآمنت أميركا بأن الشعب الإيطالي سيطالب بها في صنع الصلح. وقد أدان فوراً أورلاندو تصريح ولسن، ثم أذيع إلى الوفد الإيطالي قرر مغادرة باريس. وقد عاد المندوبون الإيطاليون فعلا إلى روما، ولكن أدركوا أن غيابهم عن باريس سيجرىء إيطاليا من منافع المعاهدة. ولما تأكدوا من تأييد الشعب الإيطالي لهم في معارضتهم لولسن عادوا إلى باريس وعاد أورلاندو إلى مقعده في مجلس الأربعة. ولكن في ١٩ حزيران سقطت وزارته. هذا ولم يفلح مؤتمر الصلح

بحل هذه المشكلة بل ترك حلها إلى مفاوضات مباشرة بين إيطاليا ويوغوسلافيا (في أيلول ١٩١٩ استولى الشاعر الإيطالي الوطني غبرييل دانونتزيو على فيومي بمساعدة بعض المتطوعين. وفي تشرين الثاني ١٩٢٠ عقدت إيطاليا ويوغوسلافيا معاهدة رابالو اعترفتا فيها بفيومي مدينة حرة وأجبرت القوات الإيطالية قوات دانونتزيو على الإنسحاب. وفي ١٩٢٤ عقدت معاهدة أخرى بينهما ضمت بها فيومي إلى إيطاليا، وألحقت شوشاك ضاحيتها الكبرى بيوغوسلافيا).

ثم أفلح الساسة في باريس بمعالجة أراضي الدولة الملكية الثنائية. خسرت النمسا رعاياها وبعض مواطنيها الألمان. نالت إيطاليا ترنتينو وجنوبي التيرول (يضم ربع مليون ألماني) وتريسته وأستريا وجزيرتين قرب ساحل دلماسيا. ونالت جيكوسلوفياكيا جزءاً من النمسا السفلى ومعظم سلزيا النمساوية ومورافيا وبوهيميا مع نحو ثلاثة ملايين ألماني. ونالت بولندا غاليسيا، ونالت رومانيا بوكوفينا. وقسمت دوقية تيشن بين بولندا وجيكوسلوفاكيا. ونالت يوغوسلافيا البوسنة والهرسك مع جزر ساحل دلماسيا. وبذلك تقلصت النمسا من امبراطورية ذات (٣٠) مليون نسمة إلى دولة صغيرة لاساحل لها، نفوسها (٦,٥) ملايين نسمة.

كانت معظم مواد معاهدة سان جرمان الأخرى مشابهة لمعاهدة فرساي. أنقص جيش النمسا إلى (٣٠) الف ووضعوا عليه قيود مختلفة. وصودرت بحريتها وسيكون لها ثلاثة زوارق شرطة في نهر الدانوب. وعلى النمسا أن تدفع تعويضات تحدد مقدارها لجنة التعويضات ،ولكن على الدولة الوريثة أن تسهم في دفع مقدار نسبي من ديون النمسا الوطنية. ولكي يكون للنمسا منفذ إلى البحر الأدرياتي أعطى لها الحق في نقل بضائعها عبر الأراضي والموانى التي كانت في الإمبراطورية سابقاً، وكان عليها أن تسمح لجيكوسلوفاكيا بحق إرسال قطاراتها على السكك الحديد النمساوية الموصلة إلى البحر الأدرياتي.

أحتجت الجمعية الوطنية النمساوية (البرلمان) على اقتطاع الألمان في بوهيميا والتيرول وعلى منع توحيد النمسا مع ألمانيا، ولكنها وافقت على تغيير اسم

الدولة من «النمسا الألمانية» إلى «النمسا». ووافقت على الحدود التي رسمتها المعاهدة وعلى ضمان حقوق الأقليات العرقية والدينية واللغوية في الجمهورية النمساوية.

وقعت معاهدة سان جرمان في ١٠ أيلول ١٩١١.

معاهدة تريانون (معاهدة الصلح مع المجر):

كان في نية الحلفاء أن يفتحوا مفاوضات الصلح مع المجر (هنغاريا) في الوقت نفسه الذي فتحوها مع النمسا. ولكن توقيع معاهدة الصلح مع هنغاريا، تأخر حتى أواخر تشرين الثاني ١٩١٩ تأليف حكومة هنغارية يعترف بها مجلس الحلفاء الأعلى في باريس. وفي كانون الثاني ١٩٢٠ قدم أول مشروع لمعاهدة الصلح إلى الوفد الهنغاري .

أعطيت معظم الأراضي الهنغارية السابقة إلى الدول المجاورة يوغوسلافيا ورومانيا وجيكوسلوفاكيا وحتى النمسا. نالت يوغوسلافيا كرواتيا ـ سلافونيا وجزءاً من بانات، ونالت رومانيا بقية بانات وترانسلفانيا وجزءاً من السهل الهنغاري في الغرب، ونالت جيكوسلوفاكيا سلوفاكيا وبعض الأراضي الواقعة في شرقي وجنوبي الكاريات يسكنها نحو نصف مليون أكراني. ونالت النمسا هنغاريا الغربية الألمانية، وهذه هي الحالة الوحيدة التي نالت بها إحدى الدول المركزية المندحرة أراضٍ إضافية. وأجل النظر في مصير فيومي منفذ هنغاريا إلى البحر إلى مفاوضات تجري بين إيطاليا ويوغوسلافيا أي أن المجريين خسروها.

وقد انقضت هنغاريا من دولة مساحتها أكثر من (١٢٥) ألف ميل مربع ونفوسها أكثر من (٢٠) مليون إلى دولة صغيرة لاساحل لها، مساحتها (٣٥) الف ميل مربع ونفوسها نحو (٨) ملايين. بينما صار يعيش خارج حدودها نحو (٣) ملايين مجري. وكان من الصعب أن يوفق بين ماتم من تسوية في الأراضي وبين أي مبدأ واضح .

أما بقية شروط المعاهدة فمشابهة لشروط معاهدة سان جرمان. وقد اعترضت هنغاريا بصفة خاصة على حدودها دون إجراء استفتاء وعلى منع إعادة أسرة هابسبرك المالكة . أخيراً تم التوقيع على المعاهدة يوم ٤ حزيران ١٩٢٠ في قصر تريانون الكبير المجاور لفرساي.

معاهدة نويي (معاهدة الصلح مع بلغاريا) :

وقعت معاهدة نويي مع بلغاريا في قصر نويي في باريس في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٩. وبالرغم من أن بلغاريا لم تخسر كثيراً من أراضيها كما حدث للدول المغلوبة الأخرى، ولكنها مع ذلك خسرت بعض الشيء. خسرت تراقيا الغربية التي كانت قد حصلت عليها من تركيا في ١٩١٣، وهي تمثل المنفذ الوحيد المباشر إلى بحر ايجة . سلمت تراقيا الغربية إلى الحلفاء وهؤلاء سلموها إلى اليانان. وفي الغرب اضطرت بلغاريا على تسليم ثلاث مناطق استيراتيجية صغيرة إلى يوغوسلافيا . وأجريت تعديلات طفيفة في الحدود البلغارية ــ اليونانية . ولكن الحلفاء ضمنوا لبغاريا منافذها الإقتصادية على بحر ايجة .

حددت مؤسسة بلغاريا العسكرية كما حددت لألمانيا والنمسا وصودرت بحريتها. وأجبرت على دفع تعويضات حدد مقدارها بـ (٤٥٠) مليون دولار تدفع على مدى (٣٧) سنة ابتداء من أول ١٩٢١.

وهكذا أصبحت بلغاريا أصغر دولة بلقانية في المساحة والموارد والنفوس والقوة العسكرية .

معاهدة سيفر (معاهدة الصلح مع تركيا) :

هي آخر معاهدة عقدت في باريس وهي المعاهدة التي لم تبرم . وقعت في سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠.خلال الحرب كانت قد عقدت عدة معاهدات سرية بين الحلفاء من أجل تقسيم الأراضي . اتفق على أن تنال روسيا القسطنطينية وتركيا الأوربية وبعض الجزر في بحر ايجة وكل جزر بحر مرمرة والأراضي التركية الآسيوية المحيطة بمضيق البسفور ومقاطعات أرضروم وطربزون ووان وبتليس وجزءاً من كردستان .

وتسهم دول الوفاق الأخرى في التقسيم فتنال بريطانيا جنوبي العراق وبغداد وميناءين على البحر المتوسط حيفا وعكا. وتنال فرنسا الجزء الساحلي من سوريا وولاية أدنة وبعض الأراضي الداخلية. وتنال إيطاليا جزر الدوديكانيز في بحر ايجة ومساحة في جنوب غربي آسيا الصغرى قرب أداليا وبعض الأراضي الداخلية حتى قونية .

وتضمنت اتفاقيات أخرى تحرير العرب وإقامة دولة عربية مستقلة، ويتم تدويل فلسطين. ولكن هذا المنهاج لم ينفذ تماماً بسبب الثورة البلشفية في روسيا وظهور خلافات في الرأي بين الحلفاء حول مصير الأراضي التي كانت قد خضعت لروسيا.

بموجب معاهدة سيفر تنازلت تركيا عمليا عن جميع السكان غير الأتراك. وبذلك أقيمت دولة مستقلة في الحجاز، ووضعت سوريا ولبنان تحت انتداب فرنسا، وفلسطين والعراق تحت انتداب بريطانيا. وتدير اليونان ازمير لمدة خمس سنوات ثم يجرى استفتاء لتقرير مصيرها. واعطيت جزر الدوديكانيز ورودس إلى ايطاليا (بعد ذلك اعطت ايطاليا جزر الدوديكانيز إلى اليونان) وتنازلت تركيا عن بعض الجزر في بحر ايجة وشرقي ترافيا إلى اليونان. ووافقت تركيا على الاعتراف بدولة ارمينية مستقلة في منطقة ارضروم وطربزون ووان وبتليس ويعين حدودها رئيس الولايات المتحدة. وتصبح كردستان دولة مستقلة او دولة ذات حكم ذاتي اذا تقرر ذلك باستفتاء. واتفق على تدويل المضائق ونزع سلاح الأراضي المجاورة لها. وتبقى القسطنطينية والمنطقة الاوربية تحت السيادة التركية. ووافقت تركيا على حماية الاقليات وعلى تأليف لجنة مالية لمعالجة أمور تعويض الاضرار والدين العام، وعلى اعادة تأسيس نظام الامتيازات الاجنبية، واعادة الصفة الشرعية للمعاهدات والامتيازات والشركات لصالح الحلفاء.

في ٢٤ تموز ١٩٢٣ وقعت تركيا الكمالية والحلفاء على معاهدة لوزان لتحل محل معاهدة سيفر. بمعاهدة لوزان تنازلت تركيا عن جميع حقوقها في الاراضي الواقعة خارج حدودها التي عينت في المعاهدة. وبقي مصير ولاية الموصل معلقا إلى ان تم الاتفاق على اعطائها للعراق في ١٩٢٦.

المصادر

R.S. Baker, Woodrow Wilson and The World Settleweent New York, 1922.

A. Cololoen, National Self-Determination, London, 1944.

R.S.P. Birdsall, Versaittes, Twenty Years After, New York,1940.

F.S. Marston The Peace Conference of 1919 New York.

H. Nicolson, Peacemaking 1919, London 1933.

الفصل الثامن

الدول الكبرى

المبحث الاول : الاتحاد السوفياتي ١٩١٧ ـ ١٩٣٩

لقد تضافرت مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية في مناخ الحرب العالمية الاولى فاججت فتيل الثورة الاجتماعية في المجتمع الروسي في شباط ١٩١٧. ولم تكن ثورة مخطط لها مسبقا بالمعنى الدقيق بل كانت أشبه «بثمرة ناضجة تسقط بفضل ثقلها.. وكانت ثورة بحكم الضرورة التاريخية اذ في امر كهذا تكمن التأكيدية على الاستمرارية»(١) ولعل اداء الجيش الروسي في الحرب والعبء الاقتصادي الثقيل الذي تحمله الفلاح والعامل وعجز النظام السياسي على احتواء الاختناقات التي نجمت عن العمليات العسكرية وقصور النظام الاداري في تصريف مهمات الدولة في احرج فترة من نشاطها وتمزق الجسد السياسي الروسي الذي شاعت فيه الافكار والاتجاهات وتحجر الطبقة الحاكمة من النبلاء ورجال الكنيسة الروسية واخفاق نيقولا الثاني قيصر روسيا في تحمل مسؤولية رجل الدولة في الازمات ووجود احزاب ومنظمات ثورية تعمل بين صفوف العمال والجنود خلال الحرب كل هذه القضايا افرزت الثورة الروسية. اما ترجيح احدها دون الاخر فهذا امر اقرب إلى اصدار حكم منه إلى دراسة موضوعية لحدث هام في التاريخ العالمي المعاصر. «ان ثورة شباط ١٩١٧ التي اطاحت بسلالة رومانوف كانت انفجاراً تلقائيا لجملة عوامل صعدتها الحرب بما سببته من حرمان ولعدم المساواة في توزيع اعبائها» (٢).

---

(١) هكذا وصف احد اعضاء الدوما الثورة الروسية في ١٩١٧.انظر

D.D. Jones, Russia aConcise History, the Stackpde Comp., Pennsylvania, 1955, P.210.

(2) E.H.Carr, the Bolshevik Revolution 1917–1923, Pelican Book 3, 1950, Vol C.P. 81.

في حين يرى الكتاب الروس ان سقوط الارستقراطية في شباط ١٩١٧يعزي إلى تعاضد وتحالف مسلح بين العمال والفلاحين ولان البلاشفة تزعموا الحركة الديمقراطية للعمال والفلاحين والجنود من اجل السلام والخبز والحرية.

فالعبء الاقتصادي للحرب لم يؤثر بصورة متساوية على جميع فئات الشعب، كما انه تفاوت من الريف إلى المدينة ومن الزراعة إلى الصناعة. فالواردات الحكومية انخفضت بشكل واضح اثناء الحرب وذلك لان صادرات روسيامن الحبوب قد تعطلت ،كما ان بضاعات كثيرة أعفيت من الضرائب المباشرة اضافة إلى ان اعدادا كبيرة من الفلاحين والعمال جندوا وبذلك اعفوا من دفع الضرائب، وفي مقابل ذلك ارتفعت نفقات الحكومة على ادامة الحرب. ولكي تواجه الحكومة هذا الوضع المالي والاقتصادي فقد ركنت إلى زيادة العملة الورقية في التداول وبذلك عجلت وساعدت على التضخم النقدي. ومن نتائج سياسة مالية كهذه هو انخفاض معدلات الاجور الفعلية لقطاعات عديدة من العمال، باستثناء عمال الصناعات الحربية. ولكن من جهة اخرى انتفع المزارعون الكبار من ارتفاع اسعار الحبوب وزيادة الطلب عليها في المدن. بالوقت نفسه ساءت اوضاع الفلاحين مع استمرار الحرب. فقد جندت الايادي العاملة وبالتالي انتشر الاستغلال في الريف اضف إلى ذلك ان تدهور قيمة العملة دفع بالريف إلى تقليص تموينه للمدينة(١) .

لقد انعكست الآثار السلبية للحرب في المدن الروسية الصناعية بصورة اكثر حدة ووضوحاً. فاستدعاء العمال إلى الخدمة وازدحام المدن بالايادي العاملة الجديدة وتوجيه الاقتصاد لخدمة الحرب وشحة المواد كلها تراكمت لتجعل العلاقات العمالية مع السلطة عرضة لتأثير عناصر اشتراكية .وقد كانت المدن الروسية على اتصالات بما يجري في الساحة العسكرية التي لم تحقق تقدما يمكن ان يكون فاتحة امل. لذلك فقد كانت الطبقة العاملةفي المدن ناضجة لاستقبال اية دعوة لتغيير الوضع وانقاذ روسيا مما كانت عليه.

(١) حسب احصائيات ١٩١٧ فقد انخفضت نسبة الايدي العاملة في الريف بمعدل ٤٧،٤٪ وانخفض معدل انتاج الحبوب ب٢٦،٢٪واصبح عدد الحيوانات ١٢،٨٠٠،٠٠٠بعدما كان ١٧،٩٠٠،٠٠٠.

Outline History of the USSR, Foreign Language Publishing House, Moscow, 1960, P. 215.

ان الروح المعنوية والحماس بين الجيش أخذ بالتضاءل مع مرور السنين على الحرب وقد شاع بين الضباط والرتب الامتعاض من سياسة الحكومة في بطرس برغ ومن نظرتها إلى غايات دخولها إلى الحرب. وقد ساعدت هذه الاوضاع على انتشار التنظيمات السرية بين الجنود فأصبحت الجبهة العسكرية على دراية باوضاع المدينة ومنذ ١٩١٦ اظهر الجنود تمرداً على الاوامر في استخدامهم لقمع الاضرابات العمالية. والاكثر من هذا فان عصيان بعض القطعات في الجبهات اصبح شيئا متكرراً.

لم يكن الريف الروسي هادئا ومستقرا خلال سنين الحرب وعلى الاخص في المقاطعات غير الروسية. فالاستنزاف الاقتصادي للطاقة البشرية والاقتصادية للريف دفع إلى العصيان . ولعل توترات الحرب أثارت الشعور القومي لدى شعوب الامبراطورية الروسية. فقد حدثت انتفاضات في القرقيز وتركمانية.

لقد تميزت الاشهر الاخيرة من ١٩١٦ بكثرة الاضرابات العمالية وعلى الاخص في العاصمة بطرس برغ وكذلك بمناخ سياسي متوتر على صعيد الحكومة والدوما واسلوب مجابهة العمال (١).فقد رفعت جلسة مجلس الدوما من ٢٥ كانون الثاني ١٩١٧ إلى ٢٧ شباط وذلك بعد ان استقالت حكومة تريبوف وتعيين الامير نيقولا جولتسين. كما القت السلطات القبض على زعماء لجنة الصناعات الحربية الحامية العسكرية (٢) .

(١) عدد الاضرابات السياسية والاقتصادية والمشاركين فيها خلال فترة الحرب

السنة	عدد الاضرابات	عدد المشاركين بالالف
١٩١٤	٩٠٩٤	١٤٤٩
١٩١٥	٩٢٨	٥٤٠
١٩١٦	١٤١٠	١٠٨٦
١٩١٧ (كانون الثاني – شباط)	١٣٣٠	٦٧٦

Outline History of the USSR, Foreign Languages Publishing House, Moscow 1960, P.183.

(2) S.Harcave, Russia A History, Lippincott Coup., New york, 1959 PP. 458–460.

واستمر التوتر في بطرس برغ وفي ٢٢ شباط اضرب اكثر من نصف مليون عامل ورفعت شعارات مناهضة للحكومة وتطالب بالخروج من الحرب والدعوة إلى الثورة . وخلال الايام الاخيرة من شباط اتجهت معظم آراء الفئات السياسية في الدوما إلى تنازل القيصر نيقولا الثاني . وفي ٢ آذار استقال القيصر .

في ٢٧ شباط شكلت الفئات الاشتراكية وقيادة النقابات العمالية والجمعيات التعاونية مجالس السوفيتات لعمال وجنود بطرس برغ . وقد انتشرت هذه السوفيتات في انحاء روسيا واشرفت على تامين تموين المواد الغذائية والخبز للعمال، وادخلت نظام ٨ ساعات عمل وشرعت في بسط السيطرة العمالية على الانتاج ، ولم يكن لهذه السوفيتات هيئة قيادية عامة حتى مايس عندما انتخب المؤتمر الاول لممثلي الفلاحين في عموم روسيا لجنة مركزية عامة . وفي حزيران انتخب المؤتمر الاول ممثلي الفلاحين في عموم روسيا لجنة مركزية عامة. وكانت الزعامة في هذه الحركة بيد المناشفة ممثلي الأقلية في الحزب الدمقراطي الاشتراكي الروسي وممثلي الاحزاب الاشتراكية (١) . وفي نفس الوقت شكل مجلس الدوما لجنة مؤقتة من الفئات الليبرالية. وبعد تفاهم مع سوفيت بطرس برغ تكونت حكومة مؤقتة برئاسة الامير لفوف في ٢ اذار . وهكذا حصلت ثنائية السلطة . فبينما تمتعت حكومة لفوف بالشرعية الا ان السلطة الفعلية كانت في يد سوفيت بطبرس برغ. وقد حاولت الحكومة المؤقتة معالجة مسألة القوميات وعلى الاخص استقلال بولندا، واكدت على ضرورة الدعوة إلى جمعية تأسيسية، واعلنت عن عزمها في حسم مسألة الارض . الا ان الفلاحين والعمال في السوفيتات لم يطمئنوا إلى مشاريع الحكومة (٢). فاستمرت ثنائية السلطة.

---

(1) Outline History of the USSR, Foreign Publisher, Moscow, 1977 part 2, P.7.

(2) Ibid. PP. 8–10

في نيسان وصل لينين إلى بطرس برغ وكان قد طالب قبل وصوله بضرورة اخراج روسيا من الحرب واستلام القيادة الا ان بلاشفة بطرس برغ لم يتجاوبوا مع اطروحته . بعد ذلك تقدم لينين باطروحة نيسان التي فحواها ان روسيا آنذاك اجتازت المرحلة الانتقالية للثورة البرجوازية عندما كانت تنظيمات ووعي الطبقة العاملة قاصرة ، اما الان فلا مفر من الولوج في المرحلة الثانية وهي مرحلة استلام السلطة من قبل العمال والشرائح المعدمة من الفلاحين (١). فرفع شعار جميع السلطة للسوفيت وفي ١٨ نيسان اصدرت الحكومة المؤقتة اعلانا بشأن موقفها من الحرب وشددت فيها على مواصلة جهودها الحربية مع الحلفاء (٢). وقد صادف الاعلان مع مظاهرات الاحتفال بعيد العمال فكانت النتيجة هيجان في بطرس برغ ضد الحكومة المؤقتة. وقد اجتمعت القيادة العسكرية الرسمية وتدبرت الامـــر الا انها لم تتخذ اجراء لاعادة النظام، كما ان وزيرين استقالا لعلاقتهما بالاعلان المذكور . وعلى الرغم من الظروف المواتية لم يستلم سوفيت بطرس برغ السلطة من الحكومة وذلك لان البلاشفة كانوا مقتنعين بموقف الحكومة.

في بداية مايس تشكلت حكومة جديدة برئاسة لفوف وقد اشترك فيها وزراء من المناقشة والاحزاب الاشتراكية . وفي حزيران فتحت روسيا جبهة هجومية ضد ألمانيا والنمسا في غاليسيا وقد نتج عنها هياج عام في بطرس بيرغ رفعت فيها شعارات معادية للحرب وللحكومة المؤقتة . وفي مثل هذا المناخ تنشطت بعض العناصر المتطرفة فيحزب البلاشفة (والحزب الشيوعي الروسي)للقيام بعمل مسلح لاستلام السلطة وحدثت مجابهات الا أن الحكومة صمدت. وقد القي القبض على زعماء البلاشفة واختفى لينين ولجأ إلى فنلندا.

(I) E.H. Carr, OP.cit. P–90

(٢) لقد كان بعض السياسيين الروس يطمعون في مواصلة الحرب وذلك للحصول على الوعود المقطوعة لروسيا بموجب معاهدة لندن ١٩١٥.

M.C.Wren, the course of Russian History, Macmillan, New york, 1958, P–535.

لم تستطع حكومة لفوف الثانية حسم الاوضاع السياسية والاقتصادية المتردية في روسيا ، كما ان اخفاق التعرض العسكري في غاليسيا قاد الى حدوث شقاق في صفوف الحكومة. ففي ٧ تموز استقالت حكومة لفوف وتولى حكومة الائتلاف كيرنسكي وتوزع الليبراليون والاشتراكيون مقاعدهما. ولقد انعكست توجهات زعماء المناشفة والاحزاب الاشتراكية على القاعدة السياسية . ففي الوقت الذي تطابقت فيه آرائهم مع الحكومة المؤقية كانت اعدادا غفيرة تميل إلى البلاشفة . كما ان الحكومة انقسمت على نفسها بسبب مسألتي الاصلاح الزراعي والسياسة الخارجية .

ان تعثر حملة غاليسيا ادى الى تمرد بين الجيش ومنافسة بين حكومة كيرنسكي والقواد العسكريين . وقد عير كورنيلوف قائدا للجيش وحاول في آب استخدام الجيش لكبح اضرابات بطرس برغ ولكن الجنود انضموا إلى السوفييت . ولقد شاعت حالة العصيان والتمرد بين الجيش والبحرية . كما ان الفلاحين استولوا على الاراضي . اما على صعيد التنظيمات فقد افلح البلاشفة خلال الفترة من ايلول إلى تشرين الاول ١٩١٧ في الحصول على أغلبية في سوفييت بطرس برغ وموسكو . «ولعل اهم نتيجة سياسية لازمة ايلول هو الغاء ثنائية السلطة » (١) . وخلال تلك الفترة أعلنت الحكومة المؤقتة ان روسيا جمهورية واعيد تشكيل الوزارة ، لكن الاوضاع ظلت متدهورة . وفي ١٠ تشرين الاول قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاعداد للانتفاضة المسلحة واستلام السلطة وفي ٢٤ تشرين الاول حاولت الحكومة المؤقتة السيطرة على جريدة البلاشفة . وفي اليوم التالي بدأت الانتفاضة في بطرس برغ . وبعد مجابهات بين كيرنسكي والجنرال كراسنوف من جهة والبلاشفة من جهة اندحر كيرنسكي في تشرين الثاني . وبعد ان انتفضت

(1) Outline History of the USSR, op. cit. P.233.

بطرس برغ هبت الانتفاضة في موسكو وغيرها من المدن وانتشرت السوفيتات في المدن الصناعية .

وفي ٢٦ تشرين الاول اعلن لينين مجموعة قرارات بشان السلم الديمقراطي من دون ضم أراضٍ وعقوبات ، وكذلك بخصوص الارض فقد اممت الاقطاعات من دون تعويض ووضعت ارض الكنيسة والعائلة المالكة في ايادي سوفيتات ممثلي الفلاحين . وفي ١٤ تشرين الثاني شرعت سيطرة العمال على الانتاج والتوزيع ، وبعدهـا بشهر اممت المصارف الأهلية . ونظمت العلاقة بين الدولة والكنيسة .

أمـا على الصعيد السياسي فقد انتخبت الهيئة التأسيسية حسب قوائم الاحزاب ولم يكن للبلاشفة اغلبية مما دفع بهم الى التحالف مع الاحزاب الاشتراكية اليسارية . وفي ١٣ كانون الاول روج لينين اطروحة الهيئة التأسيسية ونعتها بأنها اداة للثورة المضادة (١) . ولكن في ١٤ كانون الثاني ١٩١٨ اجتمعت الهيئة التأسيسية لكنها سرعان ما فضت اجتماعها وحلت نفسها .

لقد بذلت الحكومة السوفيتية برئاسة لنين جهود التحقق الصلح ،وكان راي لينين بارزاً في عملية تحقيق الصلح مع المانيا . ففي ضوء تصوراته ان الاغراض الانية التي نشدتها ثورة اكتوبر والعلاقات والتهديدات التي احاطت بها تستدعى انجاز هدنة في الجبهة الغربية الروسية حتى وان تطلب الأمر تقديم تنازلات من جانب روسيا بما فيها أراضٍ روسية . وكان لينين يعتقد ان السلم سيحل لامحال بفضل هبوب ريح الثورة الاشتراكية في العالم منطلقة من المانيا بعد روسيا .

---

(٢) لقد كانت نتائج الانتخابات تدلل على ان الهيئة التأسيسية ستكون مناهضة للبلاشفة. انظر :

E.H. Carr, op.cit, P.122

ولقد حصل البلاشفة على ٢٥٪ من الاصوات في حين حصلت الاحزاب الاشتراكية على ٦٢٪ وكانت حصة الاحزاب المحافظة والليبرالية ١٣٪.

S.Harcave, op.cit, p.494

وقد اعترضت الاحزاب الاشتراكية — بما فيها اليسارية — والليبرالية والمناقشة على خطة لينين .

وفي ٧ تشرين ١٩١٧ امر القائد العام للجيش الروسي الجنرال ن . ن . ديخونين بايقاف العمليات الحربية ضد المانيا ، الا أنه رفض الطاعةفقتل . وفي حلول كانون الاول ١٩١٧ وقعت هدنة امدها ٢٨ يوما ثم بعدها بدات المفاوضات بين الحكومة السوفيتية وبين برلين عند بريست — ليتوفسك . وكانت المانيا بأمس الحاجة إلى عقد صلح مع روسيا السوفيتية كي يتسنى لها تركيز جهودها على الجبهة الغربية . وطالب الوفد السوفيتي بانتجرى المفاوضات على مباديء السلم العادل ، وبلا تعويضات . لكن الطرف الالماني طالب ١٥٠,٠٠٠ كم٢ من الاراضي الروسية بما فيها اوكرانيا، واجزاء من روسيا البيضاء والمناطق الواقعةعلى البلطيق . وامام هذه المطاليب الصعبة لم يكن من بد سوى الموافقة « فقد كانت الدولة السوفيتية في موقف صعب غير عادي .فالجبهة كانت ممزقة وكان الاقتصاد في حالة خراب وكانت الجماهيرفي حالةانهاكقصوى»(١). وفي ٣ آذار ١٩١٨ وقعت معاهدة الصلح التي جعلت من الاقتصاد السوفيتي مجال نفوذ الماني بالاضافة إلى انتزاع الاراضي من البلاشفة.

لقد ظنت الحكومة السوفيتية ان معاهدة بريست ليتوفسك سوف تمنحها فسحة زمنية لاعادة انفاسها . لكن الاشهر التي تلت المعاهدة كانت مشحونة بالاحداث السياسية على الصعيد الداخلي والخارجي. ففي الداخل تجمعت القوى المحافظة والليبرالية ومجموعات القواد العسكريين والضباط وحتى

(1) History of the USSR, Part 2 op.cit, p. 60.

يقدم فصلا تحليليا رائعا حول بريست لتوفسك،

E.H. Carr, op.cit, Vl. 3 PP. 15–68.

ويرى ان هذه الخطورة في السياسة الخارجية كانت محاولة لتحسين ظروف الثورة العالمية التي من خلالها سيعزز الامن القومي السوفيتي (P.67).

الاحزاب الاشتراكية كلها نشطت لمجابهة الحكومة السوفيتية واسقاطها بالقوة. ففي القوقاز تجمعت قوات متطوعة سمحت لها حكومة اكرانيا بالعبور من اراضيها لمضايقة البلاشفة فحدثت معارك بين الجيش الاحمر والاكرانيين، ولكن المانيا تدخلت وابعدت السوفيت وبذلك أصبح من العسير عليهم بلوغ المناطق الجنوبية.

كانت دول الحلفاء تتربص الفرص للتدخل في روسيا السوفيتية، وبعد ان تكونت نواة الجيش الابيض في الداخل شجعت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان فكرة التدخل وتقسيم روسيا. ففي نيسان ١٩١٨ انزلت اليابان قوات لها في فلاديفوستك في الشرق الاقصى ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى ١٩٢٠ كانت روسيا السوفيتية في حالة حرب غير معلنة مع الحلفاء (١) .
وفي نهاية حزيران نزلت قوات التدخل البريطانية في مورمانسك ثم تلتها حملة اخرى بريطانية — فرنسية نزلت في بداية آب عند اركنجل ثم تلتها الولايات المتحدة (٢). وكانت دول الحلفاء قد خططت في مطلع ١٩١٨ لتفكيك روسيا بحيث يستولى الفرنسيون على اوكرانيا والقرم وبسارابيا ، وتستولى بريطانيا على الشمال وفي منطقة الدون والقوقاس ، في حين تتعاضد الولايات المتحدة اليابان في سيبريا (٣).

لقد كان تدخل الحلفاء يعود لجملة اسباب . فالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا اعتبرت خروج روسيا من الحرب عنصراً خطراً على الجبهة الغربية الالمانية اذ سيكون في وسع المانيا والنمسا تركيز جهودها الحربية صوب الحلفاء . ولكن بعد ان اندحرت المانيا لم تتراجع دول الحلفاء من سياسة التدخل وذلك لان سببا رئيسا كان وراء التدخل الا وهو الخشية على انظمة الحكم في الدول الامبريالية . فقد شاعت في مناخ الحرب حركة موالية

(1) E.H. Carr, part3, op.cit, p.67.
(2) Ibid, pp 96–97.
(3) E.H. Carr, Part3, op.cit, p.67.

لروسيا السوفيتية . وقد تستر دعاة التدخل امثال كلمنصو وتشرشل بحجة ان النظام الجديد اطاح بالملكية وافسد البرلمانية الغربية . ثم ان فرنسا كانت تعادي روسيا السوفيتية لان الحكومة السوفيتية رفضت الالتزام بالديون والاستثمارات الاجنبية المؤممة ، وكانت فرنسا قد استثمرت اموالا طائلة في روسيا القيصرية . اما اليابان فهي الاخرى كانت قد ادخلت في حسابها اهمية سيبريا في تكميل ممتلكاتها الخارجية في الشرق الاقصى .

لقد افلح الجيش الاحمر في دحر الجيش الابيض والقوات المتدخلة لان الحلفاء لم يجمعوا على سياسة تدخل واحدة . ففي الوقت الذي كانت فيه فرنسا من المطالبين بتنشيط التدخل كانت السياسة الرسمية البريطانية لاتهرغب في التورط الى الحد الذي سيولدردود فعل داخلية (١) .

وبالفعل حدثت حالات تمرد بين صفوف قوات الحلفاء . ثانيا ان الجيش الاحمر افاد نفسه من التنظيم والانضباط في حين كنت قوات الجيش الابيض مشتتة القيادة وذات ولاءات متعددة . فالحامية الجيكية التي تمردت وكانت عصب الجيش الابيض دحرت لانها لم تتعاون مع غيرها في فرق الجيش الابيض ، وكذلك الحال بشأن الجيش البولندي الذي وصل في زحفه الى كييف في وسط اوكرانيا . ولكن مع ذلك اندحر على يد الجيش الاحمر ولولا مساعدة فرنسا لبلغ وارشوا .

ثالثا ان الجيش الاحمر اعتمد الدعاية والاستعانة بضباط من الجيش الروسي وكسب تأييد الفلاحين لان التدخل بعث الروح القومية في الروس . ويضاف إلى تلك العوامل ان الجيش الاحمر الذي تأسس في كانون الثاني ١٩١٨ كان يشرف عليه تروتسكي الذي اعاد اليه الانضباط والتوجيه المركزي .

في نهاية ١٩١٨ بدأ الجيش الاحمر تعرضه في منطقة وسط الفولكا حيث تجمعت قوات البيض بامرة الادميرال كولجاك وبعد مناورات بين الطرفين

(1) W.P.Hall and W.S.Davis, the course of Europe since Waterloo, Appleton-Century New york 1957, P.548

طردت القوات البيض من الاورال إلى سيبريا في آب ١٩١٩ . في نفس الوقت تحرك الجيش الاحمر في ربيع ١٩١٩ نحو البحر الاسود حيث التقى مع قوات الحلفاء شمال اوديسا ، الا ان قوات الحلفاء المتحدة هناك عجزت عن صد الجيش الاحمر فقد شاع التمرد بين البحرية الفرنسية في البحر الاسود . وعلى الرغم من ان قوات الحلفاء انسحبت من مورمانسك واركانجل والقوقاس الا أن الدول المتحالفة ظلت تمون الجيش الابيض بالمؤن والعتاد اما في سيبريا فإن الجيش الابيض بقيادة دينيكن لم يتحرك نحو الشرق بل توجه عبر اكرانيا صوب موسكو وبذلك اتاح فرصة امام الجيش الاحمر لتصفية كولجاك اولا ثم مجابهة دينيكن الذي هددت طلائع قواته بمساعدة البحرية البريطانية بطرس برغ ، بيد ان زحف دينيكن عرض خطوط مواصلاته إلى مضايقات الجيش الاحمر . وبعد ان صدت قوات دينيكن وحوصرت في شمال القوقاس أصبح موقفه العسكري في نيسان١٩٢٠ غير موات تنازل عن القيادة إلى رانجل . وفي تشرين الثاني قاد فرونز هجوما ضد رانجل في القرم . وقد حملت البحرية الفرنسية رانجل مع ١٥٠,٠٠٠ من الموالين البيض وبذلك يمكن اعتبار ان الحملة في القرم كانت نهاية الحرب الاهلية على الرغم من ان القوات اليابانية استقرت في الشرق الاقصى حتى نهاية ١١٢٢ .

لقد كانت لحكومة السوفيتية تأمل في بناء مجتمع جديد يرتكز إلى قاعدة من العلائق الاقتصادية وفقا للنظرية الماركسية ـ اللينينية، بيد ان اندلاع الحرب الاهلية والتدخل من جانب الحلفاء غير جدول اولويات الحكومة الجديدة. ولذلك فقد وجهت الحكومة مهمة تأمين مستلزمات الحرب الاهلية لتحقيق النصر وتعزيز النظام الجديد، ولكي تنجز ذلك اعتمدت اسلوب «شيوعية الحرب» وهو اتباع سيطرة تامة وصارمة على الزراعة والصناعةو التجارة. ففي مجال الزراعة طلبت المقاطعات الزراعية بتأمين الحبوب للعمال والجيش فوضعت نسباً معينة بصيغة الضريبة. وكان الاتجاه في بادىء الامر الاستيلاء

على فائض الحبوب الا ان الحاجة دعت في اغلب الاحايين إلى الاستيلاء على كميات اكثر. وبصورة عامة انخفض الانتاج الزراعي إلى مستويات دنيا بالمقارنة مع سني ما قبل الحرب.

ولعل من أهم اسباب الانخفاض هو الخراب المادي وعدم الاستقرار الذي اصاب الريف بسبب العمليات العسكرية ضد الجيش الابيض، وكذلك النقص في عدد الحيوانات اللازمة لادامة الزراعة، ولشحة الالات. يضاف إلى ذلك ان اسلوب الزراعة على نظام الوحدات الكبيرة الذي تحول بفضل التشريعات إلى وحدات صغيرة اثر على معدلات الانتاج كما ان وسائل حث الانتاج الزراعي لم تفلح في تنشيط الزراعة. وقد كان امام الحكومة السوفيتية امران، اما ارغام الفلاحين على زيادة الانتاج واما اقناعهم بذلك. ولتعذر فلاح الاسلوب الاول، كان لابد من اعتماد الاسلوب الثاني «فلكي تبث الحياة من جديد في الريف فمن الضروري تموينه بالبضائع من المدن بكميات اعتيادية، ولكن من اجل ان تنتج المدن بدورها ينبغي تزويدها بكميات كافية من المواد الاولية والغذاء» (١).

وهكذا واجهت الحكومة السوفيتية معضلة مستعصية في مجال الزراعة آلت إلى اضطرابات بين الفلاحين (٢).

في ٢٨ حزيران١٩١٨ صدر مرسوم بتأميم اغلب الصناعات الرئيسية، كالصلب والنفط والنسيج.لكن التأميم لم يحسم للحكومة السوفيتية مسألة انخفاض معدل الانتاج والانتاجية.وكانت المعضلات التي واجهت الصناعة هائلة ومتنوعة وصعبة.فالشحة في المواد الاولية كانت معوقة لزيادة الانتاج، ولما كانت بعض المناطق خارج سيطرة الحكومة السوفيتية والاستيراد معطل فان الشحة كانت امراً طبيعيا في اوضاع كهذه. يضاف إلى ذلك ان الريف

(1) E. H. Carr the Bolshevik Revolution Penguin, London 1972, vol, 2P. 175.

(2) History of the USSR op. cit part 2 p. 124.

لم يمد المدينة بالمواد الاولية لفقدان الفلاحين الثقة في العملة الورقيـة. وبتحول التجارة إلى اسلوب المقايضة العينية وليس عن طريق السعر فان الريف امتنع عن تزويد المدن. كما ان تيسر الايدي العاملة المتخصصة تقلص بصورة ملحوظة،وذلك لوجود الحرب الاهلية ويضاف إلى ذلك ان اسلوب ادارة المؤسسات المؤممة اعاق زيادة الانتاج اذ تعثر بين المركزية او الاشراف عن سبيل لجان (١). ولكن في ١٩٢٠ اختير اسلوب الادارة المختصة ..

لقد آل تعثر السياسة الاقتصادية التي اتبعتها الحكومة السوفيتية من١٩١٧ – ١٩٢١ إلى اللجوء إلى سياسة جديدة عرفت بالخطة الاقتصادية الجديدة في آذار ١١٢١.وكانت محاولة تكنيكية لاعادة الثقة إلى الاقتصاد الروسي الذي شلت حركته وتوجيهه صوب مقاصد مرحلية تبعث الاستقرار الداخلي وتعيد الانتاج إلى مستويات ماقبل الحرب ثم الانطلاق به إلى آفاق جديدة. ولقد لخصت اخطاء وهفوات الاسلوب الاول بانه كان «محاولة لاقتحام حصن الرأسمالية باقتحام من الامام». بعبارة اخرى فان الخطة الاقتصادية الجديدة كانت رجوعاً إلى الوراء في العمق لاستعادة التعرض للنظام الاقتصادي الرأسمالي الروسي المتجذر في المجتمع وبذلك فقد كانت خطوة ضرورية. خطوة اثارت لاول مرة «مسألة العلاقة بين اقتصاد اشتراكي وبين السوق والتجارة» (٢).

ففي مجال الزراعة كانت شيوعية الحرب تستعيرمن الفلاحين فائض الانتاج او اخذه ، في حين اتبعت الخطة الاقتصادية الجديدة أسلوب الضريبة العينية . اى ان الفلاح كان يعلم قبل الموسم الزراعي بالنسبة المطلوب منه يدفعها عينا اما ما يفيض عن ذلك فهو حر التصرف به كما ونوعا ومعنى ان الحكومة السوفيتية اشترت أرض الفلاحين من جهة ومن جهة اخرى بث النشاط في الحركة التجارية ، اذ لكي يصرف الفلاح الفائض لابد من

(1) E. H. Carr op. cit p. 197.
(2) History of the USSR op. cit part 2 p.136.

سوق حر للتجارة . ولما كانت الصناعة المؤممة عاجزة عن اشباع طلبات القطاع الفلاحي فان الصناعة الاهلية تنشطت بدورها اى ان التبادل أصبح يعتمد النقود .

لقد اتاحت الخطة الاقتصادية الجديدة، رغم تعثراتها ، الظروف امام الاقتصاد السوفيتي ان يستعيد نشاطه ومعدلات انتاجه بالمستوى الذي كان قبل الحرب .

لقد تعرضنا حتى الآن الى التطورات الداخلية الرئيسة التي ارست النظام السوفيتي . والان نعالج السياسة الخارجية للدولة الجديدة . واول ما يستدعي الانتباه هو ان السياسة السوفيتية كانت تأمل في ان تحدث ثورة في البلدان الصناعية الاوربية تعين النمظام السوفيتي على البقاء . ولكن عندما احبطت الثورات في المانيا والمجر وبفاريا تأكد للقادةالسوفيت أنهم في وضع معزول وبالتالي كل عليهم ان يأخذوا موقف الدفاع في السياسة الخارجية مع استغلال الظروف العالمية اذا اتيحت . فقد نشطوا اعلاميا في آسيا والشرق الاوسط واوربا . فأفادوا انفسهم من الوعي القومي الذي هب على الشرق الاوسط بعد الحرب، كما انهم استندوا إلى الاممية الثالثة التي تأسست في ١٩١٩ كجسر يعبرون منه إلى العالم الاوربي . وكان شيشرين وزير خارجية روسيا السوفيتية يسعى جاهداً لفتح علاقات جديدة مع الدول الغربية، الا ان مسألة ديون روسيا القيصرية وتأميم المصانع الاجنبية من دون تعويض اعاق سبيل التفاهم. وقد اعربت روسيا عن استعدادها لتحقق تسوية اقتصادية، كما ان شيشرين حاول في مؤتمر جنوا في ١٩٢٢ ان يشجع الدول الغربية على التعامل الاقتصادي والتجاري لكنها رفضت. وعلى صعيد الدبلوماسية احرز شيشرين اول كسب للدبلوماسية السوفيتية بعقده اتفاق ربالو مع المانيا. ذلك الاتفاق الذي اثار قلق بريطانيا وفرنسا . فاى تقارب بين المانيا وروسيا، ومن المحتمل ان تنظم لها ايطاليا الفاشية، كان يشكل خطراً على تراتيب مؤتمر فرساى

في شرق اوربا. وقد كسب السوفيت من ربالو الخبرة الصناعية الالمانية من جهة وكسروا الطوق الذي فرضه عليهم الحلفاء. وقد تعززت العلاقات السوفيتية الالمانية في ١٩٢٣ بعد ان احتلت فرنسا منطقة الرور فقد مونت روسيا المانيا بالحبوب. وكانت المانيا ترى في علاقاتها الودية مع الدولة السوفيتية الحديثة مخرجا من قيود فرساي السياسية والاقتصادية والنفسية.

وعلى الرغم من انجازات السياسة الخارجية السوفيتية في مجال العلاقات الاقتصادية مع الحلفاء وعلى الاخص بريطانيا والمانيا، حيث وقعت في ١٢ آذار ١٩٢١ مع الحكومة البريطانية اتفاقية تجارية، فان مساعي الحكومة السوفيتية لكسب اعتراف الحلفاء بها لم يكن مفلحا بادىء الامر. وكانت مسألة الاعتراف بالنظام الجديد هامة للغاية، اذا اعتمدت عليها قضايا عديدة اخرى، أهمها قضية الحصول على القروض والخبرة الصناعية من الدول الرأسمالية، وكذلك قضية تعويض أصحاب الممتلكات والمنشآت الاجانب في روسيا.

في ٢ شباط ١٩٢٤ اعترفت بريطانيا بالدولة السوفيتية الجديدة وذلك نتيجة تولى حزب العمال السلطة وكان الحزب قد تعهد في برنامجه الانتخابي الاعتراف بالحكومة السوفيتية. وبعد ذلك ببضعة ايام اعترفت إيطاليا ثم تلتها مجموعة من الدول من بينها فرنسا واليابان.

لم تقتصر نشاطات السياسة الخارجية السوفيتية على علاقاتها مع دول الحلفاء . بل توجهت الى الدول المتاخمة لها ايضاً والممتدة من فنلندة الى رومانيا . وقد حاولت دول الحلفاء تطويق النظام الجديد عن سبيل هذه الدول فسعت بريطانيا بنشاط في دول البلطيق ، وتعاونت فرنسا مع بولندا ونالت فنلندا تأييداً من الدول الاسكندنافية والولايات المتحدة .

وقد قلقت الحكومة السوفيتية من تحركات بولندا في حوض البلطيق بعد ان عقدت حلف وارشو مع استونيا ولاتفيا وفنلندة واحتضنت فرنسا هذه الخطوة ولكي تصد موسكو هذا التحرك دعت الى عقد اتفاقيات سياسية

ولعدم الاعتداء لكنها لم تجد متجاوبين مع فكرتها . وقد استمرت العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والدول المتاخمة محصورة في نطاق التعامل التجاري . وفي ايلول ١٩٢٦ وقع مع لتوانيا معاهدة صداقة .

في ٢١ كانون الثاني ١٩٢٤ توفي لينين ، وقد انتقلت مقاليد الامور الى زمرة ثلاثية مؤلفة من زينوفيف ووكامينف وستالين . لكن عرى التماسك بين الثلاثة لم تدم طويلا ، فبعد ان أزيلت القضايا الداخلية التي كادت تشق الزعامة السوفيتية بدأت سلطة ستالين تطفو على بقية أعضاء القيادة الجماعية . وفي نها ١٩٢٥ تقدم ستالين بفكرته لتحويل الاتحاد السوفياتي من بلد زراعي الى بلد صناعي وفقاً لنظرته بصدد احتمال بناء الاشتراكية في بلد واحد . وقد وجدت هذه الافكار معارضة تزعمها زينوفيف وكامنيف . واستمرت المشاحنات الفكرية والتكتـلات والمناورات حتى نهاية ١٩٢٧ عندما تفرد ستالين بالسلطة بعد ان طردت الكتلة المعارضة له من الحزب (١) .

لقد انطوى برنامج ستالين الذي طرحه في تشرين الثاني ١٩٢٧ على مهمتين رئيستين أحداهما جعل الريف والفلاحين في جمعيات تعاونية وثانيهما تصنيع الاتحاد السوفياتي. وعلى ضوء هذا التوجه تمت صياغة خطة الخمس سنوات الأولى التي بدأ العمل فيها في ١٩١٩. وقد اندفعت العملية نحو التحول إلى نظام الجمعيات الفلاحية بسرعة فائقة. وكان الكلولخوز وحدة تعاونية تتألف من أراض صغيرة المساحة تزرع بصورة جماعية. وكانت كل ٧٥ عائلة فلاحية تنتمي إلى كولخوز وعليها أن تشتغل مت ١٠٠ ــ ١٥٠ يوم في الحقل الجماعي. وكانت الدولة تستلم كل المنتجات الفائضة.

---

(1) History of the USSR op. cit. pp. 181-186 .

لقد زعم اليمينيون برئاسة بخارين بان الخطة الجديدة سوف لن تحقق لا ن الا تحاد كان يفتقر إلى مواد البناء الصناعي وان صرح التصنيع سينشا بلبنات من الهواء » .

حول الجوانب السياسية للخلافات حول الزعامة انظر :

G. Rauch A History of Soviet Russia Praeger N. Y. 1969, Chapter4.

أما في مجال الصناعة فقد زادت الاستثمارات في المشاريع الرئيسة وقد شيدت ١٥٠٠ منشأة من مختلف الأحجام وزاد الإنتاج بنسبة ١٧٠ ٪ على مستوى ١٩١٣ وأصبحت نسبة الصناعة من الدخل القومي الإجمالي ٧٠ ٪ بعدما كانت ٤٨ ٪ .

في ١٩٣٤شرع في تنفيذ خطة الخمس سنوات الثانية. وكانت تهدف إلى إزالة بقايا آثار التراكيب الرأسمالية في العلائق الإنتاجية. وكذلك شدد على توسيع الإنتاج في الصناعات الثقيلة. فزادت معدلات الإنتاج في الصناعات الهندسية بمعدل الضعف .وفي مجال الزراعة التعاونية شملت الجمعيات ٩٣٪ من القطع الزراعية وتوسعت الأراضي الزراعية بـ ٣٠ مليون هكتار عما كانت عليه في ١٩١٣.وفي الوقت الذي كان الإتحاد السوفياتي يستورد ثلث الآلات في ١٩٢٧ – ١٩٢٨، استورد ١٣ ٪ من الآلات في ١٩٣٢ في حين استورد ٠،٩ ٪ في ١٩٣٧ (١) .

	١٩١٣	١٩٢٨	١٩٣٨
الحديد الخام (مليون طن)	٤,٢	٣,٣	١٤,٦
الصلب (مليون طن)	٤,٢	٤,٣	١٨
الكهرباء (بليون كيلو واط)	٢	٥	٣٩
جرارات زراعية	—	١٢٠٠	٨٠٠٠٠(٢)

في ٥ كانون الأول ١٩٣٦ صادق المؤتمر السابع على الدستور الجديد الذي عدلت بموجبه بعض صفات دستور ١٩٢٤ الدكتاتورية. ففي مجال طريقة الانتخاب أصبح الانتخاب يجري على أساس الاقتراع العام المباشر وسرياً، كما أعطى حق الاقتراع لكل من بلغ سن الثامنة عشرة . كما نص الدستور على حق العمل والراحة والضمان الاجتماعي والتعليم المجاني. وتنتخب الهيئة التشريعية

(1) Outline History of the U. S. R op. cit p. 390.
(2) Harcave Russia a History op.cit p.602.

لكل جمهورية اتحادية عن طريق الاقتراع المباشر. أما السوفيت الأعلى فمؤلف من مجلسين أحدهما مجلس سوفيت يمثل الشعب وفقاً للسكان بحيث ينتخب ممثل واحد لكل ٣٠٠,٠٠٠ ناخب، ومجلس الجمهوريات الاتحادية بنسبة ٢٥ ممثل لكل جمهورية اتحادية، و ١١ ممثلا لكل جمهورية ذات حكم محلي؛ و ٥ ممثلين لكل أقليم يتمتع بحكم محلي وممثل واحد لكل مقاطعة قومية.

في ١٩٢٩ أعيدت العلاقات مع بريطانيا بعدما كانت متعثرة بسبب أزمة ١٩٢٤. وكذلك استمرت العلاقات على أسس من الوفاق مع اليابان في الشرق الاقصى (١). وكانت سياسة موسكو ازاء تركيا والشرق الأوسط امتداداً للفترة السابقة. فقد وقعت تركيا مع الاتحاد السوفياتي اتفاقاً يلزم الطرفين بالحياد (في ١٦ كانون الأول ١٩٢٥). وكانت التوجهات السوفيتية صوب الشرق الأوسط تسترشد بالدعوة ضد الامبريالية والمطالبة بحق تقرير المصير.

لقد شكلت الخطة الانمائية الخمسية الاولى حجر الزاوية في سياسة الاتحاد السوفياتي مع الدول الكبرى، وذلك لسبب بسيط إذ كان لامفر من تأمين ظروف سلام كي يتحقق للسوفيت استيراد أكبر كميات ممكنة من المعدات وتصدير منتجاتهم. فقد صدرت بريطانيا معدات قيمتها ١٥,٠٠٠,٠٠٠ باوند استرليني خلال سني الخطة. في حين كانت حصة ألمانيا من استيرادات الاتحاد السوفياتي ٣٧ ٪ في ١٩٣١، ٤٦ ٪ في ١٩٣٢. أما العلاقات الاقتصادية مع فرنسا فلم تكن نشيطة وذلك لان فرنسا كانت من أكثر الدول الأوربية التي تضررت من استيلاء الحكومة السوفيتية على ممتلكات وديون الاجانب. ففي ١٩٢٨ كانت حصة فرنسا من استيرادات الاتحاد السوفياتي ٤,٣ ٪ وفي ١٩٣٢ ٠,٥ ٪.

---

(١) حول سياسة الاتحاد السوفياتي في الصين واليابان انظر:

D. Dallin, Soviet Russia and the far East,Achon Books 1971.

وكذلك . ن

The Rise of Russia in Asia, Archon Book5, 1971, Chapter 8 9.

لقد تميز الموقف السوفيتي من النظام الدولي ومنظماته في المرحلة الاولى التي سبقت تسلم النازية للسلطة في ألمانيا بأنه كان ينعت الجهود الأوربية لتثبيت الوضع الراهن كما جاءت به فرساي بأنها جهود غير مخلصة. وقد وصف ماكسيم لتفينوف عصبة الأمم بأنها «غطاء للاعداد إلى إجراء عسكري» (١). وفي ١٩٢٨ وسمت العصبة «بأنها محصلة صلح فرساي، ومعاهدة سلب لااستحياء، ووسلية لتمويه الأعمال المتوجهة للحرب»(٢). ولكن الاتحاد السوفياتي لم يكن معزولا كلياً عن نشاطات العصبة، فقد اشترك في أعمال لجنة نزع السلاح واتخذ السوفت موقفاً يناصر دعوة ألمانيا القائلة بضرورة تخفيض الدول المنتصرة في الحرب أسلحتها كما أنهم قدموا مشاريع نزع سلاح عام التي ساندتها المانيا وتركيا في حين رفضتها الدول الأوربية الكبرى (٣).

ولكن كان شأن الاتحاد السوفياتي بعد ١٩٣٢ شأن أية دولة أوربية كبرى إذ خيمت عليها آثار نهوض العسكرية الألمانية في ظل الحكم الهتلري النازي. كما أن موسكو تحسست بالنزعة الألمانية المعادية للأتحاد السوفياتي، وذلك بعد أن تبين أن المانيا الهتلرية لن تواصل نهج جمهورية فايمر في علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي. وقد كانت اقامة العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في تشرين الثاني ١٩٣٣ بداية الطريق في محاولات لترقيع الخلافات مع الدول الرأسمالية في وجه الخطر النازي . وكانت موسكو تهدف إلى تحاشي الصراع مع المانيا أو على الأقل تأجيله إلى أن تنهض البنية الصناعية الثقيلة كما رسمتها الخطة الخماسية الثانية.

لقد كان امام الاتحاد السوفياتي وسيلتان لردع المانيا، احدهما التوسل إلى السبل العالمية لتحقيق الأمن الأوربي واحياء نشاطات عصبة الامم لتطويق

(1) J. Degras, Soviet Documents on Foreign Policy, oxford University Preis, Mew york, 1952, vol.2, P. 66.
(2) Max Bellof, op.cit, p142.
(3) History of the USSR, of.cit, p.247.

المانيا، من هنا جاءت مساعي الاتحاد السوفياتي للانتماء إلى العصبة .وثانيهما أن يحث الاتحاد السوفياتي المانيا على الأخذ بفكرة، اتفاقية لوكارنو لتضمن حدود أوربا الشرقية. بيدأن رفض ألمانيا لهذه الفكرة أرغم السوفييت على اتباع سياسة التقرب الودي من فرنسا ومن حليفاتها في أوربا الشرقية. بيد أن بولندا كانت مدركة للخطر الألماني وقلقة على حدودها لذلك سارعت في عقد اتفاق عدم الاعتداء لمدة عشرة سنوات مع المانيا في كانون الثاني ١٩٣٤. ولذلك سعت موسكو إلى تحسين علاقاتها مع جيكوسلفاكيا.

في مايس ١٩٣٤ اجتمع لتفينوف وبارتو وزير خارجية فرنسا وتباحثا بشأن مشروع أمن لأوربا الشرقية يضم الاتحاد السوفياتي وفرنسا وبولندا وجيكوسلفاكيا ويوغوسلافيا ودول البلطيق. كما أعرب الطرفان عن رغبتهما في عقد ميثاق ثنائي للتعاون والمساعدة العسكرية في حالة تعرض أحدهما إلى العدوان .وقد شددت بريطانيا على ضرورة انتماء بولندا والمانيا بيد أنهما رفضتا. وكان من شروط الميثاق أن يكون مكملاء لانتماء الاتحاد السوفياتي إلى عصبة الأمم. وفي ٢ مارس ١٩٣٥ وقعت الدولتان معاهدة التعاون المتبادل. وبعد اسبوعين وقع الاتحاد السوفياتي وجيكوسلفاكيا معاهدة مماثلة.

في ١٠ أيلول ١٩٣٤ أخذ ممثل الاتحاد السوفياتي مقعده كعضو دائم في مجلس عصبة الامم. وأصبحت العصبة منذ ذلك الوقت «وسيلةاضافية لتحيشد المقاومة في وجه العدوان» (١). وكان للسوفيت موقف واضح في النزاع الإيطالي ــ الأثيوبي، وقد عاب ليتفينوف على الأعضاء عدم تمسكهم بالمادة ١٦ من ميثاق العصبة التي نصت على تنفيذ العقوبات ضد الطرف المعتدي. وعندما احتلت القوات الالمانية منطقة الراين المنزوعة من السلاح لم تتحرك العصبة لمواجهة التحرك الالماني ولم يجد الاتحاد السوفياتي أي مساندة من بقية الأعضاء في حين طالب ممثله بأن تلتزم الدول الكبرى بتعهداتها وأن تتخذ موقفاً مشتركاً في وجه العدوان (٢).

(1) Max Bellof op.cit p.198.
(2) Ibid. p. 203.

لم يكن بناء نظام الامن السوفيتي مرتكزاً إلى اسس متينة . فقد شهدت العلاقات الاوربية مابين ١٩٣٦ – ١٩٣٨ تطورات احدثت فجوات شاخصة في جدار الامن السوفيتي. فالتحالف السوفيتي – الفرنسي لم ينشط لان تحركات فرنسا ضد ألمانيا عن سبيل الاتحاد مقيدة بموقف بريطانيا. اضف إلى ذلك ان حلفاء فرنسا في شرق اوربا ورومانيا وبولندا رفضوا السماح للقوات السوفيتية في العبور في حالة الحرب. كما ان الرأي السائد في اوربا كان يرى الخطر السوفيتي افدح من الخطر الالماني.

وعندما اندلعت الحرب الاهلية الاسبانية في منتصف تموز ١٩٣٦ اندفع السوفيت لمناصرة الجمهوريين ضد مجموعة فرانكو التي كانت قد تلقت المعونات العسكرية من ايطاليا ثم من المانيا. ولكن الدول الليبرالية الاوربية لم تظهر استعدادها لتأييد الجمهوريين، فتحمل السوفيت عبء التدخل (٢). وقد تعزز موقف المعسكر المعادي للسوفيت بعد ان انضمت ايطاليا في نهاية ١٩٣٧ إلى الميثاق الالماني – الياباني المعادي للسوفيت (٣).

لقد كانت هذه التطورات مؤشرات واضحة للدرب الذي ستسلكه العلاقات بين الجبهة الفاشية من جهة والاتحاد السوفياتي من جهة اخرى. وحاولت الحكومة السوفيتية تأمين علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا في وجه تعاظم القوة الالمانية. لكن موقف تلك الدولتين دلل على أنهما غير راغبتين في ايجاد جبهة مضادة لالمانيا. وفسر السوفييت هذا التردد بأنه كان ينشد تشجيع الالمان للتوجه صوب الشرق . في الوقت الذي كانت فيه اليابان تنتهك حرمة الار اضي

---

(١) حول دور السوفيت في الحرب الاسبانية انظر .

Max bellof op. cit vol2, pp. 28-48.

وكذلك .

G. f. Kennan, Soviet foreign ploicy, 1917-1941, Van Nostrand, New york, 1960, p.87.

(3) R.F. Rosser, An Intriduction to Soviet foreign policy, Prentice - Hall No. J., 1969, pp. 169 - 170.

الصينية في الشمال والوسط (١). وتلتها عملية ضم النمسا من قبل المانيا في آذار ١٩٣٨. وفي خريف تلك السنة تلبدت الغيوم في العلاقات الالمانية – الجيكية ،وحاولت حكومة براغ التعرف عن موقف السوفييت من العدوان الالماني على جيكوسلفاكيا وقد جاء رد موسكو في ٢٨ أيلول ١٩٣٨ بأن الاتحاد السوفياتي سيلتزم بتعهداته في نطاق روح الاتفاقية الثنائية اذا تمسكت فرنسا بتعهداتها.

في ٢٩ أيلول ١٩٣٨ تمت صفقت ميونخ بين هتلر وموسليني وتشمبرلن ودلدييه. وفي آذار ١٩٣٩ احتلت القوات الالمانية جيكوسلفاكيا بعد ذلك، وتسلطت الضغوط الألمانية لابتزاز بولندا. ولكي لا يترك السوفييت فرصة تشجع هتلر على الزحف صوب الشرق، نشطوا جهـودهـم بعـد تفكيك جيكوسلفاكيا فطالبوا بعقد مؤتمر يضم الدول المناهضة لالمانيا وكانت مطاليب بريطانيا وفرنسا ان تعطى موسكو ضماناً إلى بولندا. وبدأت المفاوضات. فاقترح السوفييت عقد معاهدة ثلاثية للمساعدات، وعقد ميثاق عسكري، واعطاء ضمان لامن جميع الدول المتآخمة للسوفييت (٢). وفي تموز ١٩٣٩ اقترح السوفييت عقد سلسلة من المباحثات العسكرية. لكن المفاوضات لم تتوصل إلى نهاية وانفضت من دون ان يتفق الاطراف.

لقد كان اخفاق هذه المفاوضات ايذانا بتراتيب جديدة كان كل طرف يرغب في سلوكها في حالة فشل تلك المفاوضات. فالسوفييت حاولوا العزلة والمجابهة الفردية مع ألمانيا خاصة وان اليابان غزت منغوليا في مايس ١٩٣٩ ولم يكن في وسع السوفييت الايفاء بتعهداتهم الثنائية خشية من ان يحبسوا في الجبهة الشرقية فتترك الجبهة الغربية مفتوحة امام غزو الماني تشجعه فرنسا وبريطانيا . من جهة اخرى فانهم كانوا يخشون العزلة بسبب تفاهم بريطاني

(1) Max Bellof, op.cit., vol.2, p. 181.
(2) History of the USSR, op.cit, pp. 261 -162.

الماني او بريطاني فرنسي الماني . لذلك تلقوا ايماءات المانيا في مراجعة الموقف برحابة، علما ان المانيا كانت هي الاخرى غير مستعدة لخوض حرب على جبهتين .

في آب ١٩٣٩ جرت اتصالات بين موسكو وبرلين حول تحسين العلاقات. وأعربت موسكو عن رغبتها في معالجة ثلاث قضايا، عقد اتفاقية عدم اعتداء، هل في وسع المانيا التأثير على اليابان لتخفيف الضغط على الاتحاد السوفياتي وحسم خلافات الحدود؟ وهل من الممكن عقد ضمان مشترك يمنح لدول البلطيق (١). في ٢٣ آب وصل روبنتروب إلى موسكو ووقع معاهدة عدم الاعتداء .

في ١ أيلول ١٩٣٩ هجمت المانيا على بولندا فبدأت الحرب الثانية . في ٣ أيلول أعلنت كل من بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا . في ١٧ أيلول عبرت القوات السوفيتية الحدود البولندية ودخلت إلى عمق ٣٠٠ كم. كان تبرير السوفييت لذلك هو انهم خشوا على غرب اوكرانيا وروسيا البيضاء من هتلر كما انهم حرموا عليه التقرب من القلب السوفيتي (٢). لكن الدلائل الاخرى تعزز الرأى القائل بأن ثمة اتفاق بين المانيا والاتحاد السوفيتي في ضوء معاهدة الاعتداء لتقسيم بولندا . كما ان المانيا اعترفت بمجال نفوذ سوفيتي في استونيا، لاتفيا، فنلندا وبصربيا (٣) .

وفي شهر ايلول فاتحت موسكو دول البلطيق لعقد معاهدات تعاون عسكري متبادل ومنح الاتحاد السوفيتي حق انشاء قواعد بحرية وجوية. وفي تشرين الاول اخفقت المفاوضات مع فنلندا حيث طالب السوفييت بزحف الحدود الفنلندية إلى داخل فنلندة لاعطاء عمق عسكري للينغراد وان يقيم السوفييت قاعدة بحرية عند مدخل خليج فنلندة. وفي ٣٠ تشرين الاول اندلعت الحرب

(1) Max Bellof Op. cit , vol.2 , P. 266.
(2) History of, the USSR, op. cit , pp. 264-265.
(3) Max Bellof op.cit.vol.2 , p. 278.

بين الطرفين وابعد الاتحاد السوفياتي من عصبة الامم، لكن فنلندا خضعت للسيطرة السوفيتية بصورة غير مباشرة وفقا للصلح الذي عقد في آذار ١٩٤٠.

لقد كان اندفاع المانيا في الساحة الغربية ضد النرويج والدانمارك وهولندا والاراضي المنخفضة وفرنسا فسحة زمنية لكسب الوقت كي يعيد السوفييت ترتيب أمورهم الداخلية. واثناء انشغال الالمان في فرنسا تحركت موسكو في حزيران ١٩٤٠ فضمت دول البلطيق اليها. اما من جانب المانيا فقد عززت علاقاتها مع ايطاليا واليابان بتوقيع حلف الثلاثي في ٢٧ أيلول ١٩٤٠. ولكي يزيل السوفييت الاشواك من طريق العلاقات الثنائية زار مولوتوف برلين في تشرين الثاني ١٩٤٠. اتضح من المفاوضات ان الاتحاد السوفياتي كان راغبا في الانتماء إلى الحلف الثلاثي مقابل جملة عطايا منها سحب القوات الالمانية في فنلندا، الاعتراف بحمايتهم على بلغاريا السماح ببناء قواعد بحرية سوفيتية عند مضايق البسفور والدردنيل، ترك السوفييت يتوسعون في منطقة بحر قزوين حتى الخليج العربي (١). لكن المانيا لم تتجاوب.

في كانون الاول ١٩٤٠ صدرت الاوامر من هتلر لاعداد خطة الهجوم على الاتحاد السوفياتي. لكن موسكو أفلحت في عقد اتفاقية الحياد مع اليابان في نيسان ١٩٤١ بموجبها يلتزم كل طرف بالحياد في حالة دخوله في حرب مع طرف ثالث.

لقد عاش الاتحاد السوفيتي في النصف الاول من ١٩٤١ مرحلة حرجة. فالغرب يعرض عليه ايماءات التفاهم ضد المانيا، والمانيا تتستر وراء محاولات التفاهم السطحية، والاتحاد السوفياتي نفسه لا يرغب في اتخاذ موقف غير الحياد وتجنب الحرب. حتى ان القيادة السوفيتية لم تظهر معالم الاستعداد الحربي. وعندما هجمت المانيا على السوفييت في الساعات المبكرة من صبيحة ٢٢ حزيران ١٩٤١ لم تجد امامها قوة منيعة مهيأة.

(1) g. F. Kennen op.cit, pp. 110-111.

المبحث الثاني
الولايات المتحدة بين الحربين

في نيسان ١٩١٧ دخلت الولايات المتحدة الحرب ضد المانيا وحلفائها. وكان الاقتصاد الامريكي قد تأثر بالحرب منذ اندلاعها وذلك بسبب الحصار الذي فرض على الدول المتحاربة والذي أحدث تبدلا في هيكل التجارة العالمية. وقد حثت الحرب الاقتصاد الامريكي في عدة مجال. فالتحول إلى اقتصاد حرب عنى تدخلا اكبر من جانب الحكومة في الشؤون الاقتصادية وهذه حقيقة تعارضت مع الاتجاه التقليدي لفلسفة عدم التدخل المتوارثة. كما ان الانتاج الصناعي وتوسع الصناعات الحربية اثناء الحرب قاد إلى حالة عدم التنسيق بين الصناعات. وقد حاولت الحكومة الامريكية الاشراف على الوضع بتشكيل لجان ومجالس استشارية ففي ١٩١٦ تألف مجلس الدفاع القومي، وله عدة مجالس مؤلفة من الصناعيين ورجال المال من بينها مجلس الذخيرة ومجلس الصناعات الحربية ودائرة الغذاء ودائرة الوقود. وشملت عملية الاشراف الحكومي على شبكة المواصلات وبناء السفن. وفي نطاق العلاقات الصناعية اشرف مجلس العمل الحربي القومي على علاقة العمالة بالصناعة التي هي بدورها خضعت إلى مؤسسة مالية حربية واخرى للقروض من اجل الاستثمار. وكانت نتائج هذه الخطوات قد ظهرت في آخر مرحلة من الحرب واستمرت حتى ١٩١٩.

ففي مجال الزراعة ازداد معدل الايدي العاملة، كما ان مساحات جديدة زرعت بالاضافة إلى قفزة كبيرة في استخدام الالة في الزراعة. وفي الصناعة بلغت قيمة الاستثمارات من ٢٠،٧ بليون دولار في ١٩١٤ الى ٤٠،٢ بليون في ١٩١٩. وتوسع مدى التجارة الامريكية اربعة اضعاف ما كان عليه في ١٩١٠، وبلغ فائض ميزان التجارة ٤ بليون دولار ونقلت السفن الامريكية ٤٠٪ من تجارتها بعدما كانت ١٠٪ .

ان الانتعاش الذي صاحب الحرب تعثر . فحدث ركود في مطلع ١٩١٩ وهبطت العمالة إلى ١٠٪ . ولكن سرعان ماتوسع الاستهلاك في الداخل وزاد الطلب على البضائع الامريكية في أوربا بعد انتهاء الحرب وانتشر الانتعاش في ١٩١٩ إلى البناء واعادة تجديد المعدات وكما كان شأن الدول الأوربية ، فإن الولايات المتحدة تعرضت إلى اضطرابات اجتماعية عجلت الحرب في تأجيجها. فالبطالة ارتفعت من ٢٪ في ١٩١٩ لتبلغ ١٠٪ في ١٩٢٠ — ١٩٢١ إذ تسرح من النفير العسكري حوالي ٤,٥ مليون رجل وكان لابد من استيعابهم في الاقتصاد. فضلا عن هذا فإن ارتفاع الأسعار قاد إلى تحرك اجتماعي متمثلا في أعمال شغب واضطرابات عمالية مطالبة بزيادة الاجور. وبالمقابل فقد نشطت حركات يمينية وعرقية، استهدفت الزنوج .

في ربيع ١٩١٩ بدأت المجادلات بين مراكز القوى في الولايات المتحدة بصدد معاهدة فرساي. وكانت المعاهدة بعيدة في بنودها وفلسفتها عن النقاط الأربع عشرة التي اعتمدت أسساً للصلح والتي اقترنت باسم الرئيس الامريكي وودرو ولسن . وفي الواقع تشتت الأفكار المثالية التي حملها معه إلى باريس لإصلاح المجتمع الدولي على صخرة صلدة من المناورات السياسية الحاذقة لكل من لويد جورج وكليمنصو. ولكي لايرجع وودرو ولسن من دون محصلة اضطر إلى تقديم التنازلات في أكثر من مجال وكسب مقابل ذلك العصبة كمشروع يعرضه على الكونغرس الاميركي. ولكن تبلورت لدى الكونغرس معارضة العصبة بصيغتها التي تقدم بها ولسن . وكان التشديد على اغفالها للاعتراف بمبدأ مونرو، وأن لاتقوم الولايات المتحدة بتنفيذ العقوبات من دون موافقة الكونغرس كما طالب نقاد العصبة بتحديد فترة زمنية لنفاذ العصبة ،ومستوى التسلح . وعندما ناقشت لجنة الشؤون الخارجية الميثاق ومعاهدة الصلح تقدمت بتعديلات واحتراسات. وعندما صوت مجلس الشيوخ اتبع اسلوب الأغلبية على أن يكون التصويت على المعاهدة والميثاق بأغلبية

الثلثين. ووافق مجلس الشيوخ على التعديلات. ورفض المجلس المعاهدة وأعيد التصويت ورفضت المعاهدة مرة أخرى .

في صيف ١٩٢٠ اجتمعت مؤتمرات الأحزاب لانتخاب المرشحين للرئاسة واستقر الديمقراطيون على ترشيح جيمس كوكس وبرز من الجمهوريين وارن هاردنك الذي تقدم ببرنامج يدعو إلى العودة إلى الأوضاع الطبيعية وإلى تجنب الثورة وإلى التعديلات في الحياة السياسية والاستقرار في الاقتصاد . وفي ضوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية مابين ١٩١٨ – ١٩٢٠ وجدت هذه التوجهات ترحيباً لدى العديد من الامريكيين الدين وقفوا عند مفترق الطريق . وكان هاردنك يسير في طريق العزلة وبالوقت نفسه لم يرفض العصبة كلياً وإنما تقدم بفكرة «منتدى الامم» ولكن من دون أن يحدد معالمه . أما الديمقراطيون فإن مرشحهم تمسك بالعصبة مع الأخذ بفكرة التعديلات عليها. والواقع أنه لم يكن أمام الناخبين في تشرين الثاني ١٩٢٠ أية قضايا واضحة ، بل كلها كانت ممسوخة. ولكن الاتجاه العام كان نحو الجمهوريين . فالديمقراطيون حكموا البلاد لمدة ٨ أعوام، كما أنهم شهدوا تطورات الحرب وتحملوا مشاكلها ، أضف إلى ذلك أن ودرو ولسن كان مريضاً وغير قادر على إدارة الرئاسة ،ثم أن الديمقراطين كانوا منقسمين . وعندما فاز هاردنك بنسبة ٦٠,٣٣ ٪ من الأصوات اعتقد الكثيرون أن الناخبين صوتوا ضد العصبة . وبذلك لاحت آفاق التشديد على القومية الامريكية . أمريكا للأمريكيين وحدهم واليهم فقط يعود رخاؤها .

لقد تميزت فترة رئاسة هاردنك ١٩٢١ – ١٩٢٣ في السياسة الداخلية بأن أظهر الرئيس عدم كفاءة على السيطرة على الضغوط المتداخلة في السياسة الأمريكية. فأحاط نفسه في بثلة من زملائه مارسوا أعمال فساد سياسي. وفي السياسة الاقتصادية اعتمد الجمهوريون أسلوب ارخاء السيطرة على الاحتكارات الكبيرة ولم تفرض قيود على الأسعار. وعلى الأخص فإن النظام

الضرائبي ميز بين الدخول العالية واعفائها من القيود وذلك اعتقاداً بالفكرة القائلة بأن مصدر الاستثمار هو تيسير الاموال للصناعات فتشجع على استثمار ها فتتوسع الصناعات فتزداد العمالة فالاستهلاك وهكذا. ولكي تحمي الصناعات الوطنية من الصناعات الأجنبية التي أفادت نفسها من فارق الكلفة ، فشرع قانون فوردني – مكامبر في ١٩٢٢. ولم تكن صورة الحياة الاميركية حياة صناعية هادئة بل اتسمت بالعنف الفئوي في المدن الصناعية على الرغم من محافظة الريف على الحياة التقليدية. وعندما شاعت في التعليم أفكار علمية جديدة تصدت لها المبادىء المسيحية المترسخة في الريف الزراعي. وقد أثار تحرر المرأة في العشرينات بحصولها على حق التصويت واشتغالها في الصناعات نمطاً جديداً في حياة المدينة ويمكن التعرف على مدى تفكك الحياة البيئية بالإستقلالية الفردية وزيادة تناول الكحول وعدد حالات الطلاق واللجوء إلى العنف والابتزاز .

ومع هذا فإن التحسن الاقتصادي تقره الأرقام. فقد ارتفع مستوى الأجور وزاد عدد المقيمين في المدن بنسبة ٢٠ ٪ وفي ١٩٢٠ كان عدد السيارات ٩ مليون، وفي ١٩٢٩، ٢٣مليون. وكان انتاج الطاقة الكهربائية في ١٩٢٠، ٢٨ مليون كيلو واط في حين أصبح في ١٩٢٩، ٩٧ مليون. وفي مجال التعليم تضاعف عدد طلاب الجامعات لنفس الفترة فأصبح ٩٠٠,٠٠٠ وارتفع عدد تلاميذ المدارس من ٢٦ ٪ إلى ٤٤ ٪ .

ان الفترة مابين ١٩٢٢ – ١٩٢٩ فترة ازدهار دائم في الأرباح والأجور والعمالة. فالدخل الاجمالي القومي ارتفع من ٦٧ بليون دولار في ١٩٢٢ إلى ١٠٤ بليون دولار في ١٩٢٩ أي بزيادة ٥ ٪ في السنة الواحدة . وكانت الصناعات المزدهرة متمثلة في صناعة البناء، والسيارات والكهرباء والمكائن وصناعة الأغذية . ولكن ينبغي أن نشير إلى أن هذا التوسع لم يعم جميع القطاعات في فائدته. فهو تمركز في المدن الكبرى وليس في المدن ذات الصناعات الخفيفة. كما أنه أفاد الطبقة الوسطى وسكان الأحياء وليس العمال عموماً .

وفي السنتين الأخيرتين ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ دبت في الاقتصاد الامريكي بوادر الركود التي قادت إلى الأزمة الاقتصادية العالمية.

إنّ التعرض إلى علاقات الولايات المتحدة مع العالم الخارجي مابين ١٩٢٠ — ٩٢٩ يقودنا إلى البحث عن علاقاتها في أوربا وآسيا وأمريكا اللاتينية. والسمة البارزة هنا هي أن الموقف الامريكي كان منازعة بين العزلة المتمثلة بالرؤساء الامريكيين الجمهورين الثلاث (هاردنك وكوليدج وهوفر) والنظرة العالمية التي وجدت لها بعض الانصار في الكونغرس. وقد شاع حتى قريباً بأن العزلة كانت السمة السائدة. الواقع أن العزلة بمعناها الضيق أي استثناء الولايات المتحدة من العلاقات الدولية لم تكن كذلك. فقد أسهمت الولايات المتحدة في مؤتمر نزع السلاح وفي حسم مسألة التعويضات وفي شؤون أمريكا اللاتينية. وعليه فإن خير وصف لتلك الحقبة بأنها تعامل في العلاقات الدولية من دون تعهد بالالتزامات للأمن الأوربي. ولذلك فقد رفض الكونغرس مشروع ولسن — لويد جورج لتقديم ضمان ثنائي لفرنسا ضد حرب محتملة مع المانيا. وكان هذا الرفض ايذاناً بأن الولايات المتحدة لن تشترك في تراتيب الأمن الأوربي عن طريق العصبة (ولم تكن هي عضواً فيها) أو الاتفاقيات الثنائية أو الجماعية. وعندما تهدد الأمن الأوربي باحتلال فرنسا وبلجيكا للرور اقتصر رد فعل الحكومة الامريكية على الاحتجاج الرسمي وسحب جنودها من منطقة الراين. وبما ان الولايات المتحدة قد تخلت عن عصبة الامم ، فإن الاقتراحات التي طرحت على الساحة الأوربية لتعزيز هذه المنظمة لم تستهو الولايات المتحدة. وعليه فإن اقتراحات جنيف لسنة ١٩٢٤ واتفاقيات لوكارنو في ١٩٢٥ لم تجد لها مؤيدين في الإدارة الامريكية لحزب الجمهورين، فالجمهوريون كانوا معقل سياسة العزلة. ولكن هذا لم يكن معوقاً كبيراً لسياسة الاسهام في الشؤون الدولية، وعلى الأخص الأوربية. وربما يكمن تفسير ذلك في أن الولايات المتحدة أصبحت بعد الحرب من

القلاع الاقتصادية في التجارة الدولية فقد كان للولايات المتحدة استثمارات هائلة في الخارج كما ان بضاعتها غزت الاسواق . ثم ان مسألة التعويضات أخذت بيد الولايات المتحدة إلى اوربا . فبعد احتلال الرور أعرب هيوز، وزير خارجية امريكا بان من الضروري دراسة الاوضاع الاقتصادية في المانيا . كان هذا الموقف بداية لمشروع ديوز .

لقد أثار الرور انقساما في الادارة الامريكية وعاد إلى الاذهان التخندق من اجل العزلة او من اجل النظرة العالمية . وقد اعرب بعض انصار العصبة عن قلقهم بان فرنسا بعملها العسكري هذا قد قوضت نظام العصبة . كما ان أنصار العصبة انقسموا على انفسهم فبعضهم ايد موقف بريطانيا في عدم مساندتها للسياسة الفرنسية واخرون دافعوا عن فرنسا . اما الانعزاليون فقد دافعوا عن المانيا وتشكلت لجنة المانية ضد غزو الرور . وفي ضوء هذه التيارات اقتصر رد وزير الخارجية على تجنب تعقيد الامور في وجه الفرنسيين . لكن المحصلة النهاية لاحتلال الرور هو ان الانعزاليين الامريكيين زادوا ايماناً بان مثل هذه الانتهاكات تجرى تحت اعين العصبة .

لم يكن من السهولة بمكان على الادارة الامريكية ان تغفل المصالح الامريكية في المانيا. فالاستثمارات الامريكية في المانيا كانت وراء النهوض الاقتصادى بعد الحرب. وكانت لجنة ديوز قد هيأت الرأسمال العالمي ومعظمه امريكي للحكومة الالمانية كي تقترض لدفع ماعليها من التزامات التعويضات ، وعليه فمن المنطقي ان تولي واشنطن أهمية بارزة للاستقرار السياسي في الرايخ . وكانت دبلوماسية الدولار تحقق غايتين اولهما محاولة لفرض السيطرة الاقتصادية الامريكية على اوربا . وثانياً اقتطاف المنافع الاقتصادية . فالدولار كان يخرج من امريكا إلى المانيا بصيغة قروض فيدفع إلى الدول الاوربية من قبل ألمانيا بصيغة التعويضات ، ثم تدفعه الدول الأوربية الى الولايات المتحدة بصيغة ديون الحرب ومن التيارات الجديدة في السياسة الاميريكية إزاء اوربا هو برتكول بريان ـ كيلوك. وعندما تولى كيلوك وزارة الخارجية بعد هيوز حرص على الاستمرار في سياسة العزلة .

الاستمرار في سياسة العزلة. وقد كانت فكرة تحريم الحرب قد راجت بين الاكاديميين الامريكيين واقترنت باسم شاتويل الذي زار بريان وزير خارجية فرنسا في آذار ١٩٢٧. واقترح شاتويل ان الخطوة الاولى لنبذ الحرب هي معاهدة ثنائية بين فرنسا والولايات المتحدة لتحريم الحرب. وتقدم بريان باقتراحه الى امريكا. وكانت واشنطن مترددة لانها كانت تخشى من ان تكون المعاهدة ذات نفع لفرنسا بحيث تتيح للولايات المتحدة التدخل إلى جانب فرنسا فقط. ولكي تعطى واشنطن للاقتراح أوسع رقعة ممكنة وبالتالي تخفف من اثاره على سياسة العزلة ارتأت لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشيوخ ان تدعى دول اوربية اخرى بما فيها المانيا، إلى الانضمام إلى الميثاق. وتشجع انصار العصبة لاستغلال التوجه الجديد للادارة الامريكية. لكن آمالهم خابت. فقد شدد كيلوك على ان الولايات المتحدة لن تتولى مسؤوليات ناجمة عن اتفاقية لوكارنو او غيرها. كما ان ادارة كولدج أفادت نفسها من هذا الميثاق فأدخلته في حملتها الانتخابية في ١٩٢٨. وفي نهاية ١٩٢٨ وصل الميثاق إلى مجلس الشيوخ. وكان كيلوك قد طمأن الاراء المعارضة. فدعاة القوة البحرية تأكدوا من ان الميثاق لن يقيد تلك القوة وطالب الانعزاليون بادخال تعديلات على الميثاق تؤمن عزلة امريكا عن اوربا. وكانت لجنة الكونغرس قد اوصت بالمصادقة عليه لانه لا يتعارض مع مبدأ مونرو ولا يحرم حرية الدفاع عن النفس وليس فيه التزام يلزم امريكا بفرضه على طرف آخر يخترق بنوده. وصادق مجلس الشيوخ على الميثاق.

لقد كان الشرق الاقصى محط انظار ونشاط الدبلوماسية الامريكية في السنين التالية للحرب مباشرة. وكانت اليابان قد وضعت يدها على الجزر الألمانية في المحيط الهادي وتسلمت شانتونغ في الصين .وتوجست الولايات المتحدة المخاطر من وراء التوسع الياباني في المحيط الهادي. وبالإضافة الى ذلك أن الخلافات دبت بين الجهود التدخلية للدولتين في سيبريا وبين مصالحهما

الاقتصادية في الصين .وقد ظهر الوفد الياباني في مؤتمر الصلح عزم اليابان على تعزيز موقفها في الشرق الاقصى والمحيط الهادي. ومما أثار مخاوف الولايات المتحدة أن اليابان دخلت مباق التسلح البحري. وكانت تعتبر القوة البحرية الثالثة بعد الولايات المتحدة وبريطانيا. وتوقعت واشنطن أن مشروع التسلح الياباني سيفسد التوازن خلال عقد. وبالوقت نفسه كان الاتفاق الانكليزي – الياباني على وشك التجديد. ففي ١٩٠٢ اتفقت الدولتان على أن يقف كل طرف على الحياد في حالة الحرب، ولكن إذا تعرض أي منهما إلى عدوان من طرف ثالث فإن الطرف الثاني يسانده. وكانت انكلترا تخشى من حرب يابانية – أمريكية.

في ٨ تموز ١٩٢١ دعا هيوز إلى مؤتمر. وتوصلت الدول إلى اتفاقية الدول التسع واتفاقية الدول الأربع (الولايات المتحدة، بريطانيا فرنسا، اليابان) وكانت الاتفاقية الأخيرة بديلا للتحالف الانكليزي – الياباني حيث تعهدت الأطراف الأربعة باحترام ممتلكات كل منهما في الشرق الأقصى وعلى أن تحرص على الاستقرار واللجوء إلى دبلوماسية المؤتمر لحسم المنازعات. وبعد أن أكد رئيس الجمهورية ووزير الخارجية بأن الاتفاقية لم تنطو على اتفاقية سرية ولا على تحالف صادق الكونغرس عليها.

لقد تميزت سياسة الولايات المتحدة ازاء دول امريكا اللاتينية بالحفاظ على دبلوما سية مبدأ مونرو. ولكن في العقد الأول من القرن العشرين شرع روز فلت مبدأ جديداً عرف بسياسة «العصا الغليظة» حيث أخذت الحكومة الامريكية باسلوب التدخل السري في شؤون دول أمريكا اللاتينية

وتذرعت الادارة الامريكية بحجة حرصها للحفاظ على الامن والاستقرار. تلك الحالة التي كان لابد منها كي ينتعش التوسع الاستعماري الاقتصادي الاميركي إلى الجنوب. وكانت الادارة الاميركية تزعم بان تدخلها ليس دائماً وانما تمليه الضرورة. وحاولت الادارة الاميركية، تجميع دول

امريكا اللاتينية تحت خيمة زعامتها لكن محاولاتها تعثرت امام شكوك تلك الدول بنوايا امريكا. ومع هذا فقد انصاعت ثمان دول امريكية لسياسة امريكا فأعلنت الحرب على المانيا. وقد سعت الادارة الجمهورية بعد الرئيس ولسن إلى تلطيف العلاقات الامريكية مع الدول الامريكية فعقد مؤتمر عام في ١٩٢٣ في سانتياغو. ثم عقد مؤتمر في هافانا في ١٩٢٨. وفي المناسبتين اظهرت دول امريكا اللاتينية مواقف مناهضة خاصة بسبب تدخل امريكا في الكاريبي وامريكا الوسطى.

وفي مطلع الثلاثينات اولت وزارة الخارجية الاميركية مبدأ مونرو اهمية جديدة ارضاء للدول الامريكية، فقد اعلنت ان المبدأ كان ضد التدخل الاوربي وليس ضد دول امريكا اللاتينية، وان المبدأ لا يسبغ على واشنطن موقفاً متفوقاً. وعليه فقد عقدت مواثيق بصدد حسم الخلافات بالطرق السلمية كالتفاوض والتحكيم.

في تشرين الثاني ١٩٢٨ هزم هيربرت هوفر الجمهوري خصمه الفر دسمث الديمقراطي فاصبح رئيسا للجمهورية وهي الادارة الثالثة للجمهوريين. وتزامنت وقد روج هوفر خلال حملته الانتخابية افكاراً طموحة انطوت على عزمه على اقتلاع جذور الفقر في الولايات المتحدة. لقد حملته دلائل النهوض الاقتصادي ١٩٢٢ — ١١٢٩ بعيداً فأغفل الترسبات في هيكل الاقتصاد في الزراعة والصناعة ونظام المصارف. وكان هوفر من دعاة عدم التدخل في الاقتصاد واعتبر الحافز الفردي العامل الرئيس وراء الرخاء. وعندما انهارت بورصة وول ستريت (Wall street) في خريف ١٩٢٩ تفاقمت البطالة وانخفض الانتاج وعمت المآسي في الحياة الاجتماعية. وامتدت طوابير المعونة وانتشرت بيوت الصفيح عند مشارف المدن وتسكع الكثيرون. فقد انخفض الانتاج خلال الركود بنسبة ٢٨ ٪ وكان الدخل القومي في ١٩٢٩ ١٠٤,٤٠٠ الف مليون دولار وفي ١٩٣٣ ٧٤,٠٠٠ مليون دولار. وكان عدد

البطالة ١,١٠٣,٥٥٧ في ١٩٢٩ وارتفع إلى ١٢,٨٣٠,٠٠٠ في ١٩٣٣ اى بنسبة ٢٤,٩ ٪ من القوة العاملة. وفي بداية الازمة ١٩٣٠، كانت البطالة ٤ ملايين وعند مقارنتها مع ركود ١٩٢١ (٥ملايين) نجد انها تكون ٤ ٪ من القوة العاملة. لكن الفارق هو ان ازمة ١٩٢١ لم تدم طويلا.

وفي تشرين الثاني ١٩٢٩ عقد هوفر لقاء مع رجال الصناعة والمال والعمال. وأوصى بالحفاظ على معدلات الاجور وتنشيط المشاريع العامة بالانفاق الحكومي وكان رجال المال اقل حماسا لهذا الاجراء. ومع ان الانتاج انخفض الا ان المستوى استقر، ولكن الازمة تعاظمت في منتصف ١٩٣١ عندما خرجت بريطانيا من العملة الذهبية لمعالجة ازمة الباوند. فعمت حالة بيع في بورصة لندن وادت إلى خسارة مصارف عديدة (٤٠٠٠ مصرف مابين آذار ١٩٣٢ ـ آذار ١٩٣٣). ثم تلا ذلك تخلى عن قرار الحفاظ على معدلات الاجور. ففي تشرين الاول ١٩٣١ تنصلت شركة الصلب وتبعتها بقية الشركات عن تعهدتها. واقترح اتباع اسلوب الاحتكار لتصفية المشاريع الاقل كفاءة الا ان هوفر رفض ذلك. وكانت اجراءات الحكومة في مكافحة الركود متنوعة. فأنشأت جمعية زراعية تقدمت لشراء المنتجات الزراعية من اجل تثبيت الاسعار، كما ارتفعت الضرائب الكمركية على الاستيراد وقد تسبب هذا الاجراء في انخفاض التصدير الامريكي بسبب الاجراءات المضادة من قبل الدول الاخرى . ولم يتحسن وضع الاقتصاد الاميركي . بل وكثر من هذا فان فترة انتقال السلطة من رئيس ذاهب إلى رئيس منتخب اساءت إلى الاقتصاد فارتفعت البطالة واستمرت المحاصيل بالانخفاض وتدهورت حالات المصارف.

في آذار ١٩٣٣ استلم فرانكل روزفلت السلطة بعد ان حقق انتصاراً على خصمه هوفر في انتخابات ١٩٣٢ والتي استخدم فيها الديمقراطيون الركود الاقتصادي سلاحا لدحر الجمهوريين . وكان شعار روزفلت ثمة تجربة يجب محاولتها فان اخفقت لابد من محاولة تجربة ثانية « ان طنينا ما هو أحسن من سكوت قاتل » وكان موقف روزفلت من الركود واضحا .

فعلى العكس من هوفر الذي اعتقد ان اسباب الركود تقع خارج نطاق الاقتصاد الامريكي لذا معالجتها في الاقتصاد العالمي ، اعتقد روزفلت ان العلة في رحم الاقتصاد الامريكي نفسه . وكانت خطة العمل واضحة انقاذ الاقتصاد وانعاشه ومن ثم اصلاحه وهذه هي ابعاد السياسة الجديدة الاقتصادية التي سادت الثلاثينات .

وشرعت ادارة روزفلت في عملية مكافحة الركود . ففي نطاق النظام المصرفي والمالي قيدت حرية تقديم القروض لاغراض المضاربة المالية . فاغلقت المصارف التي لاثقة فيها لدى المتعاملين معها . وبعد ذلك جرت محاولة لموازنة ميزانية الدولة . فانخفاض الدخول بسبب الركود قلل من كمية الضرائب ولكي لايزيد الانفاق على الواردات قلصت ادارة روزفلت انفاقها العام . وفي مجال الزراعة دفعت الادارة تعويضات للمزارعين كي يخفضوا الانتاج فتحافظ الاسعار على مستوى عال . فشاعت حالة من اتلاف المحاصيل ما اثار غضبا اجتماعيا . وفي الصناعة حثت الادارة الصناعيين على تجنب منافسة تخفيض الاسعار وللاتفاق على اسعار موحدة . وكذلك خصصت ٣ بليون دولار للاعمال العامة.

لقد ترتب على السياسة الاقتصادية الجديدة نتائج سياسية واقتصادية فقد كانت الولايات المتحدة على وشك الدخول في ازمة اجتماعية كان من الممكن ان يترتب عليها موجات من العنف والاضطراب الاجتماعي . وقد ظهرت تيارات سياسية دعت الى العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة القومية توزيعا عادلا . وكذلك فان السياسة الجديدة وضعت اسس تعامل الحكومة الفيدرالية مع الاقتصاد القومي. فمنذ القرن التاسع عشر وحتى انهيار بورصة وول ستريت كان الاعتقاد السائد بأن عدم التدخل هو سر نجاح الاقتصاد الامريكي . وكان الرأي العام الامريكي قد تربى على ذلك. أما بعد ١٩٣٣ فقد نالت سياسة التدخل تأييداً عاما اصبحت سمة في النظام الامريكي . ولكن هذا التحول تصادم مع الموقف الدستوري. فحاولت المحكمة العليا ابطال اجراءات ادارة روزفلت وبعد تهديد من جانب السلطة التنفيذيةتراجع القضاة عن موقفهم.

في ١٩٣٦ أفلح روزفلت في الاحتفاظ بمنصب الرئاسة، كما أن سياسته في انعاش الاقتصاد الامريكي كانت بعيدة عن هدفها المعلن لها. ومن الممكن اصدار الحكم على السياسة الجديدة بانها اخفقت في اعادة الرخاء الامريكي. ففي ١٩٣٩ كانت نسبة البطالة ١٧,٢ ٪ من القوة العاملة، اى ٩,٥ مليون عامل . وان المخرج الوحيد الذى انقذ الاقتصاد الامريكي في ركوده الطويل هو اندلاع الحرب وبداية الانفاق الهائل على الصناعات الحربية في ١٩٤٠.

الولايات المتحدة والعالم ١٩٣٠ – ١٩٣٩:

كان حجر الزاوية في السياسة الاميريكية خلال الثلاثينات العزلة التي سادت في العشرينات والتي تجسدت في الحرص الشديد على حرية الولايات المتحدة في تصريف شؤونها وفقاً لاعتبارات مصلحية صرفة . فواشنطن لم تتطلع إلى تحمل مسؤولية عالمية تلزمها باتخاذ مواقف تتنافى مع مصالحها. لكن الولايات المتحدة تعرضت لضغوط خارجية تهددت مصالحها .

ففي ١٩٣١ تفجرت مسألة سيادة الصين وحرمة اراضيها . وكانت الصين موضع منافسة استعمارية بين روسيا القيصرية واليابان والولايات المتحدة والدول الاوربية الصناعية . وفي ضوء تلك المنافسة تصاعد التيار القومي الذى ناضل من أجل استعادة الاراضي الصينية التي احتلتها اليابان. وكانت الدول الكبرى قد وقعت اتفاقية الدول التسع في ٩٢٢ ابصدد حرمة أراضي الصين . وباحتلال الجيش الياباني لمنشوريا في أيلول ١٩٣١ اثيرت من جديد المجادلة بين التدخل والعزلة في الأدارة الامريكية . وكان الرئيس هوفر ميالا الى التغاضي عن الأحداث في الصين في حين حبذ وزير خارجيته هنرى ستمسن اتخاذ موقف أكثر صلابة بين الشجب الدبلوماسي والتظاهر بتطبيق بعض العقوبات . واشتركت الولايات المتحدة في لجنة العصبة بصورة غير رسمية . وقد أعلم ستمسن اليابان والصين بان واشنطن لن تعترف باية اتفاقية يتوصل اليها الطرفان قد تتعارض مع ميثاق بريان –

كيلوك ، او تقييد من حرية الامريكين في السياسة الباب المفتوح . وتشجعت اليابان في فرض ارادتها على الصين اولا وعلى آسيا الشرقية ناهجة درب مونرو الامريكي وذلك عندما ايقنت ان الولايات المتحدة لم تكن مستعدة لخوض حرب مع اليابان من اجل منشوريا كما ان العصبة لم تجد من يقودها لتطبيق مبادئها .

وفي صيف ١٩٣٧ حدثت الازمة اليابانية – الصينية . وتردد الرئيس روزفلت في تطبيق قانون الحياد الذى شرعته امريكا في نيسان ١٩٣٧ وبموجبه تمتنع الولايات المتحدة عن تصدير الاسلحة والمؤن الحربية والعتاد إلى الاطراف المتحاربة . وكانت اليابان اكثر انتفاعا من ذلك لانها لم تستورد اسلحة من امريكا . وتجاوبت الولايات المتحدة موقف العصبة عندما تداولت اعتداء اليابان على الصين وقررت ان اليابان اخترقت ميثاق باريس وميثاق الدول التسع . وحاولت الدول الاوربية دفع واشنطن لقيادة العصبة ضد اليابان عن طريق ميثاق الدول التسع . لكن روزفلت اعرب عن ان امريكا لن تتولى مسؤولية في مؤتمر الدول التسع الذى دعت اليه بلجيكا لمناقشة القضية الصينية . واخفق مؤتمر بروكسل في تنشيط الميثاق . وتحاشت واشنطن اثارة مخاوف اليابان كما ان اليابان ابتعدت عن الحاق الضرر بالمصالح الامريكية في الصين . ولكن مع تدهور الاوضاع في اوربا من ١٩٣٨ – ١٩٣٩ وجدت اليابان فرصاً سانحة للضغط على المصالح الاميريكية وقد أثر ذلك على الرأى العام الاميركي ضد مصالح اليابان .

لقد توافق تولي روزفلت لرئاسة الجمهورية مع استلام هتلر لمنصب المستشارية وكانت المشاكل الامنية الاوربية تنذر بالمخاطر . فهتلر هدد بالانتقام من فرساي وانذر بان المانيا ستتسلح . وكان موسيليني من جانبه يتطلع الى توسيع امبراطوريته في افريقيا. وفي ضوء هذه الارضية ارتفعت بعض الاصوات في واشنطن تدعو إلى الاسهام في الشؤون الدولية والابتعاد عن العزلة . لكن تيار العزلة كان قويا . فحتّى روزفلت الذي كان في العشرينات

من دعاة السياسة العالمية جنح أثناء ترأسه للجمهورية نحو الابتعاد عن الانغماس في الشؤون الاوربية وكل مايهدد الولايات المتحدة . ولكن مع هذا اعربت ادارته عن استعدادها في تعزيز أي اجراء تتخذه العصبة من أجل تثبيت الامن ومنع العدوان . وفي ١٩٣٥ شرع الكونغرس قانون الحياد الاول الذي وضع على حرية الرئيس قيودا في السياسة الخارجية كي يبتعد عن اشراك امريكا إلى جانب طرف أو آخر في حالة عدوان أو حرب . في حين كانت الاقلية العالمية تريد اعطاء الرئيس حرية الحركة . وعندما اعتدت ايطالياعلى الحبشة اصدر الكونغرس قرارا يطلب من الرئيس ان يعلن عن وجود حالة حرب ومن ثم تفرض القيود على ارسال الاسلحة وتقديم القروض إلىالاطراف المتحاربة . وفي مطلع ١٩٣٦ اصدر الكونغرس قانون الحياد الثاني الذي شل حركة العصبة في مواجهة الغزو الايطالي . وكانت الدول الاوربية تزمع فرض قيود على ارسال الوقود إلى ايطاليا ولكن اجراء كهذا لم يتخذ . ومع اندلاع الحرب الاهلية في اسبانيا اصدر الكونغرس قانون الحياد الثالثفي مايس ١٩٣٧.

في تشرين الاول ١٩٣٧ اعرب روزفلت في خطاب له عن فكرته في اتباع سياسة الحجر لكل دولة معتدية . واثار خطابه امالا في اوربا لمواجهة التهديد الالماني المتصاعد والمحور الالماني ـ الايطالي ـ الياباني ، أما على الصعيد الداخلي فقد رحبت العناصر الليبرالية بالتحول في سياسة امريكا لكن روزفلت لم تكن لديه خطط واضحة بصدد كيفية تنفيذ عزل المعتدي . لقد أرادبفكرته اخراج أمريكا من عزلتها بعزل المعتدي فانتهى إلى تعزيز الدعوة الانعزالية داخل أمريكا . وعلى الرغم من تزايد استنكار الرأي العام الامريكي لاغتصاب النمسا ومن ثم جيكوسلفاكيا فان الاتجاه في الكونغرس اعرب في كانون الثاني ١٩٣٨ عن ادخال تعديل دستوري يجعل الحرب باستثناء في حالة الاعتداء الفعلي عرضة لاستفتاء شعبي . لكن الادارة ضغطت على الكونغرس فعدل .

وفي ١٩٣٩ تنشطت جهود الادارة الاميركية لتعديل قوانين الحياد . فقد صرح الرئيس روزفلت للكونغرس عن أن في وسع العالم ان يقيد حرية الاعتداء باساليب دون التوصل الى القوة. وقد اتخذ الكونغرس قبل ذلك قرارا في زيادة الانفاق على القوة البحرية وتحويل الادارة تجمع المواد الحربية تحسبا للطوارىء. ومع هذا فان الكونغرس لم يصغ إلى طلبات الرئيس خلال بداية ١٩٣٩ رغم الغيوم في اوربا . وعندما اندلعت الحرب في ايلول اعلن الرئيس روزفلت حياد الولايات المتحدة.

1. S. Adler the Uncertain Giant 1921-1941 Ameri ca Foreign Policy Between the wars New york 1965.
2. D. K. Aoms. America in the Twentieth Century Cambridge 1967.
3. S. Adler the Isolationist Impulse New tork 1967.
4. T. Bailey. A Diplomatic History of the American People. 5th ed. N-Y. 1955.
5. S. F Beniss A Diplomatic History of the United States 5th ed. N. Y. 1965.
6. R. J. Caridi 20th Century American Foreign Policy. 1921-1933 New Jersy 1974.
7. L. . Ellis Repubolicyn Foreign Folicy 1921-1933 New Jersy 1968.
8. J. Potter the American Economy Between the world Wars. London 1974.
9. D. Shannon Between the wars America 1919-1941 Boston 1965.

المبحث الثالث

جمهورية فايمر والمانيا النازية

في ٢٩ أيلول ١٩١٨ اطلع لودندورف، القائد العام للجيش الالماني، الحكومة بحقيقة الوضع الحربي « ان حالة الجيش تستدعي الهدنة المباشرة كي نتجنب كارثة». كما أنه أعرب عن ضرورة تولي البرلمان تصريف شؤون الدولة. وفي ٣ تشرين الاول تولى الامير ماكس رئاسة وزارة كان من بين أعضائها ممثلون عن أحزاب الوسط والاشتراكيين الديمقراطيين. كانت مهمة الحكومة الجديدة اجراء صلح لايلحق بالامبراطورية الالمانية خسائر مادية جسيمة ولايفقدها جزءاً من أراضيها. لكن المهمة كانت عسيرة، لان الحلفاء لم يتفقوا على صيغة صلح جماعي. وطال الجدل بينهم. وفي ٥ تشرين الثاني أبلغت حكومة الولايات المتحدة برلين عن استعداد الحلفاء لعقد هدنة والبدء في مفاوضات الصلح.

وفي الوقت الذي كانت فيه المراسلات بين ألمانيا والحلفاء جارية بصدد الهدنة، كانت الاحداث الداخلية في ألمانيا تسير من سيء إلى أسوأ فعلى الصعيد العسكري فقد الجيش الامل في تغيير مجرى الحرب لصالح ألمانيا، كما أن نظام الحكم تزعزع بعدما كان حجر الزاوية في البناء السياسي العسكري للامبراطورية ولكي تتلافى الحكومة تيار الاضطرابات المتوقعة لجأت إلى اسلوب التحول من الديكتاتورية العسكرية التي فرضتها ظروف الحرب إلى برلمانية دستورية. وكانت الديكتوتورية العسكرية التي فرضتها ظروف الحرب إلى برلمانية دستورية. وكانت الغاية كذلك تدارك مايمكن أن يكون حدثاً « مشابهاً» للذي حصل في روسيا القيصرية.

في ٢٩ تشرين الاول ترك الملك وليم الثاني برلين واحتمى في سبا حيث مقر قيادة الجيش الالماني. في نفس اليوم هبت عاصفة التمرد بين بحارة الاسطول الالماني. وكانت أسباب التمرد عديدة منها الاوضاع المعنوية الراهنة عند البحارة. اضافة إلى سوء معاملة الضباط للمراتب — كما أن الرأى السائد بين

البحارة كان يشكك في نوايا الضباط الذين أرادوا شن حملة على الساحل الانكليزي لاحباط مساعي الهدنة . وفي ٤ تشرين الثاني أعلن التمرد في كيل وتشكلت مجالس البحارة ومجلس عمال الموانئ .وانتشرت الظاهرة في معظم الموانئ البحرية . وسرعان ماستسلم النظام القديم وتولت المجالس العمالية السلطات في مناطقها . وكانت تشكيلتها متباينة من مكان إلى آخر . ففي المدن الكبيرة هيمن الاشتراكيون الديمقراطيون وفي المدن الصغيرة ساد نفوذ الاغلبية الاشتراكية .

وفي ٨ تشرين الثاني اعلنت الجمهورية في ولاية بفاريا واستولى الاشتراكيون المستقلون على السلطة . وكانت برلين مترددة لان الاحزاب لم تستقر على رأي قاطع فالاغلبية الاشتراكية بزعامة ايرت لم تنظر إلى الثورة بمنظار البلاشفة وانما توقعتها ان تأتي عن سبيل البرلمانية كما ان فكرهم كان ديمقراطياً أكثر مما هو اشتراكي . وفي ٢ تشرين الثاني طالبت زعامة الاغلبية الاشتراكية بتنازل الامبراطور عن العرش. وقد حاول الامبراطور استخدام الجيش لاخماد الثورة المنتشرة في المانيا ، بيد ان الجيش لم يطاوعه . وفي عصر يوم ٩ تشرين الثاني تنازل الامبراطور ، واصبح ايرت مستشاراً على ان تدعو الحكومة إلى مجلس تأسيسي . وقد انضم إلى حكومته الاشتراكيون المستقلون ، إلى جانب اعضاء من حزب الوسط جانب اعضاء من حزب الوسط والمجموعات اللبرالية . بالاضافة إلى ذلك فان القيادة العسكرية اعربت عن تأييدها للحكومة الجديدة اذ كانت تخشى من مخاطر ثورة بلشفية. وفي مقابل ذلك تعهدت القيادة العسكرية بان تشرف على تسريح الجيش بعد الهدنة .

في ١١ تشرين الثاني وقعت المانيا على الهدنة . وكانت شروطها قاسية. ففي المجال البحرى استولى الحلفاء على معظم الاسطول البحرى الالماني والغواصات . كما ان جيوش الحلفاء احتلت أهم المعابر عند الراين واستلمت اعداداً كبيرة من الطائرات والمدافع والذخيرة . وطالب الحلفاء بسحب

القوات الالمانية من تركيا والنمسا ورومانيا كما اعتبرت اتفاقية بريست ليتوفسك باطلة .

ولكي تعزز الحكومة الجديدة سلطتها خارج برلين دعت إلى مؤتمر يضم جميع الولايات الالمانية . وكان هذا الاجراء ضرورياً من حيث ان مراكز السلطة تعددت في المانيا بعد سقوط العرش ، كما ان الاحزاب اليسارية لم تجمع على برنامج عمل موحد . فالنقابات العمالية تمسكت بخطها المركزي الموالي للاغلبية الاشتراكية في حين كانت مجالس العمال والجنود تخضع لتاثيرات أشخاص ثوريين . وبالتالي فان معظم نشاطات حكومة ايبرت اقتصرت على اجراءات بعيدة عن الاشتراكية بصيغة تأميم الصناعات الثقيلة يضاف إلى ذلك ان الحزب الواحد انشق على نفسه . ففي نهاية كانون الاول انشق الاسبارتكيون من حزب اشتراكيين المستقلين وشكلوا حزبا شيوعاً المانيا واخذوا يدعون ويعملون على استلام السلطة .
قرر مؤتمر الحزب الشيوعي اجراء انتخابات عامة لجمعية تأسيسية كما انه اعتبر مجالس العمال والجنود ممثلة للشعب حتى يتم انتخاب الجمعية.

لم تكن الاوضاع في برلين مستقرة . فقد تمردت فرقة من البحارة في ٢٣ كانون الثاني مما اضطر ايبرت إلى الاستنجاد بالقيادة العسكرية وحدثت مجابهة . وقد استنكر الاشتراكيون المستقلون هيمنة الاغلبية الاشتراكية على مجلس الوزراء وعلى مجالس العمال والجنود فانسحبوا من الحكومة وكان ذلك ايذاناً باضطرابات اذ شاعت بين أوساط العمال المخاوف من تحركات العناصر المناهضة للثورة . وفي الاسبوع الاول من ١٩١٩ هبت ريح ثورية جديدة في برلين وتظاهرت جموع الاشتراكيين المستقلين والاسبارتاكيين وبعض النقابيين واحتلوا بعض المواقع . ورداً على ذلك اوكل ايبرت مهمة هزم المتظاهرين إلى الجيش . وفي ١٠ كانون الثاني بدأت المجابهة وبعد ثلاثة ايام اخمدت الانتفاضة بعد سقوط ضحايا كثيرة .

في ١٩ كانون الاول ١٩١٩جرت انتخابات الجمعية التاميسية الوطنية وقد تنافس على المقاعد عدة احزاب ـ فالحزب الوسط هو الحزب المرتبط بالكنيسة للكاثوليكية وكانيضم بين صفوفه الصناعيين وملاك الأراضي والبرجوازية المنشقة وبعض النقابيين المسيحيين . وكان الحزب يؤمن بنظام برلماني مع ادخال اصلاحات اقتصادية واجتماعية على الرأسمالية الليبرالية . ولكي يحقق انتصاراً رشح الحزب عناصر من النقابيين المسيحيين والمحامين . وقد حصل الحزب على ٩١ مقعداً . وكان حزب الشعب البفارى قد صوت الى جانب حزب الوسط . فقد توافقت مواقف هذين الحزبين . فالحزب البفاري كان ينادي بنظام فيدرالي مرن وبتقلص صلاحيات الحكومة المركزية . وكان يمثل مصالح المزارعين والمدن الصغيرة . وفي١٩٢٠ انشق هذا الحزب عن حزب الوسط .

اما الفئات المحافظة من المحافظين الاحرار والمحافظين الالمان فقد رصوا صفوفهم تحت لواء حزب واحد هو حزب الشعب القومي الالماني .

وكان ملاك الارض وبعض رجال الصناعات الثقيلة يتصدرون الحزب . وكانت أغلبية الاعضاء لاتحبذ نظام الحكم الجمهوري . وفي انتخابات ١٩١٩ نال الحزب ٤٤ مقعداً اما الاحزاب الاشتراكية فقد انشقت على نفسها ، وكان في المقدمة حزب الاغلبية الاشتراكية الذي أصبح يعرف فيما بعد بالاشتراكيين الديمقراطيين وكان به ١٦٥ مقعداً ، ونال الاشتراكيون الديمقراطيون المستقلون ٢٢ مقعداً ، في حين لم يحرز الشيوعيون اى مقعد . وبين هاتين المجموعتين المتناقضتين من الاحزاب الاحرار اليساريين ونالوا ٧٥ مقعداً .

في حين لم يحصل الاشتراكيون القوميون على اى مقعد حتى ١٩٣٤ .

وهكذا فان حصيلة الانتخابات لم تعط الاشتراكيين الاغلبية ، فكان لزاماً عليهم ان يعتمدوا على حكومات ائتلاف . وفي ١٠ شباط ١٩١٩ انتخب ايبرت رئيسا للجمهورية ، وشكل شيد من حكومة جمهورية أئتلافية تألفت

من ٦ أعضاء من الاشتراكيين ، ٣ لوسط ، و٣ من الديمقراطيين . وقد عرفت هذه بائتلاف فايمر .

لقد كان امام الجمعية الوطنية التأسيسية مهام عديدة ، من بينها صياغة الدستور والتصديق على معاهدة الصلح . وقد تداخلت عدة اراء في تكوين دستور جمهورية فايمر. فالرئيس ينتخب من قبل الشعب لمدة سبع سنوات. ويتمتع بسلطات استثنائية في حالة الطوارىء . وله حق تعيين واعفاء المستشار وكذلك حل البرلمان الفيدرالي الى الرايخشتاع الذي ينتخب لمدة اربع سنوات . وتكون مسؤولية المستشار والوزراء امام الرايخشتاع . وكان الاقتراع العام يجرى على مبدأ التمثيل النسبي مما شجع تكاثر الاحزاب الصغيرة . وإلى جانب مجلس الرايخشتاع كان يوجد مجلس على مستوى (اللاندر) ويعرف بالريخستات. وفيه تمثل كل ولا ية على ان لاتكون حصة اية ولاية اكثر من ٢/٥ المقاعد . واذا حدث نزاع بين المجلسين فان رئيس الجمهورية يحسم الامر باللجوء الى الاستفتاء .

لقد حرص دستور فايمر على تأمين حقوق المواطن السياسية . كما ان العمل خضع لاشراف الرايخ ، ولكن قضية سيطرة الدولة على النشاط الاقتصادي لم يأخذ بها الدستور رغم إن عدداً كبيراً من اعضاء الجمعية التأسيسية كانوا من النقابيين وتركت الرأسمالية الليبرالية كنظام اقتصادي .

على الرغم من هذه الاحداث على الساحة الداخية ، كان الاقتصاد الالماني يعاني من شحة المواد الغذائية بسبب الحصار الذي لم يرفعه الحلفاء عن المانيا رغم توقيعها على الهدنة. وكانت هذة السياسة وسيلة لفرض شروط صلح على المانيا لم يكن في وسع حكومة الاشتراكيين قبولها .

وكانت الحكومة الالمانية قد اوضحت موقفها من الصلح بانه سيكون على اساس مبادىء الرئيس ولسن الاربعة عشر. لكن الحلفاء عدلوا مبدأ الغرامة الحربية واعتبروه تعويضات تدفعها المانيا للحلفاء. وفي ٧ مايس ١٩١٩ عرض

الحلفاء وثيقة الصلح على المانيا عند فرساي. لكن الحكومة الالمانية رفضت الشروط فتقدم الحلفاء في وثيقة معدلة في ١٩ حزيران مرفوقة بانذار أمده خمسة ايام.

وبعد ان رفضت الحكومة تدخل رئيس الجمهورية وبعد ان استشير هندنبرغ عن الوضع العسكري اتضح ان لا مناص امام المانيا سوى الرضوخ للشروط اذ لم يعد في وسعها خوض الحرب من جديد. وفي ٢٨ حزيران وقعت المانيا على معاهدة الصلح في قصر المرايا بباريس في نفس المكان الذي اعلن فيه قيام الامبراطورية الالمانية.

لقد كانت الاتفاقية من الناحية الاقليمية قاسية على ألمانيا. فقد سلخت منها الالزاس واللورين واعيدت إلى فرنسا. ولكي تعطي فرنسا الأمان من هجوم ألماني محتمل نزعت منطقة الراين من السلاح، وان تحتل قوات الحلفاء في الراينلاند حتى ١٩٣٥. كما خولت فرنسا في استثمار مناجم الفحم في منطقة السار التي وضعت تحت رقابة عصبة الامم إلى أن يقرر مصيرها عن سبيل الاستفتاء بعد خمسةعشر عاماً. وعدلت حدود ألمانيا مع بلجيكا لصالح الاخيرة. وحصلت الداينمارك على سكزفيك. أما في شرق ألمانيا فقد سلخ منها بوسن وغرب بروسيا إلى بولندا في حين فصلت بروسيا الشرقية عن بقية الاراضي المانيا بمر دانزك. ودولت المدينة.

أما الجانب العسكري من اتفاقية فرساي فقد حرم على ألمانيا ان تبني جيشاً قوياً سوى ١٠٠,٠٠٠ جندي لاغراض الحفاظ على النظام. وألغى نظام الخدمة الالزامية ووضعت رقابة على الصناعات العسكرية الالمانية. وعندما طالب الحلفاء بان تدفع لمانيا جميع الاضرار المادية التي ألحقتها الحرب بالحفاء تعذر عليها ذلك كما أن ودرو ولسن لم يوافق على هذا الموقف وادخلت قوة جديدة تحمل ألمانيا مسؤولية الحرب.

لقد أثارت اتفاقية فرساى حقد وغضب الجيش الالماني، كما أن الاحزاب السياسية لم تجد من حل بديل سوى التوقيع. الا ان امتعاض الالمان توجه على

الاحزاب اليسارية وكاد يطيح بالنظام الجمهوري. ففي ربيع ١٩٢٠ حدثت محاولة انقلاب عسكري. ففي ٢٠ آذار سارت بعض القطاعات نحو برلين وكان فولفاكن كاب وراء الحركة. وعندما طلبت الحكومة من حامية برلين التصدي إلى الانقلابيين رفض القادة العسكريون ذلك خشية مجابهة عسكرية داخلية .فما كان من ايبرت وحكومته الا ان يترك برلين ويذهبوا إلى دريسدن . ثم طالب الحزب الاشتراكي من العمال والنقابات اعلان اضراب عام وفعلا شلت الحركة الصناعية في المدينة ورفض الموظفون الرسميون الاعتراف بحكومة الانقلاب ، كما أن مصرف الرايخ لم يمدد الحكومة الانقلابية بالمال. وبعد أربعة ايام من الانقلاب انهار الانقلاب وهرب زعماؤه.

لقد تأصلت روح رفض اتفاقية فرساي في المؤسسة العسكرية . وعلى الرغم من قيود نزع السلاح فان الجيش الالماني تمكن من الحفاظ على حلقة اساسية كانت ستصبح فيما بعد محور الجيش النازي . فقد درب الضباط على السرعة والحركة ، وحاولت القيادة تسليح الجيش عن سبيل صناعات تمونها المانيا في الخارج . وكان التعاون بين المانيا والاتحاد السوفياتي واسبانيا والسويد . كما انتعشت الحركات المعادية للجمهورية وبذلك أصبحت العلاقة بين الجيش والحكومة قلقة فغدا الجيش دولة في داخل دولة .

ومما زاد من عدم استقرار السنين الاولى لجمهورية فايمر تردي الوضع الاقتصادي . فقد كانت فرص نهوض الاقتصاد الألماني محدودة . اضف الى ذلك ان اية محاولة لبناء اقتصاد قوي كانت ستؤول الى تشجيع الحلفاء للمطالبة بقسط اكبر من التعويضات . ومع هذا كانت معدلات التضخم تسير بارتفاع مطرد . كما ان فرص الاستثمار الداخلي كانت محدودة جداً والى جانب ذلك فان اكثر المناطق وفرة في المعادن كانت قد انتزعت من المانيا وهي السار واعالى سيلسيا . وفي اذار ١٩٢١ عقد مؤتمر في لندن للتباحث في كمية المدفوعات الالمانية ، وطالبت المانيا بتخفيض معدل التعويضات لكن الحلفاء لم يتفقوا فيما بينهم . ففرنسا كانت تنشد الحصول على اكبر

قسط من التعويضات في حين كانت بريطانيا ترغب في احياء الاقتصاد الالماني كي تتحسن التجاة في اوربا فينشط اقتصاد بريطانيا الذي كان يعاني من ركود في ١٩٢٢–١٩٢٣.وفي نيسان ١٩٢٢ عقد مؤتمر في جنوا لتداول مسألة التعويضات الألمانية. وقد تأكد الحلفاء من عجز الاقتصاد الالماني. وتخلفت المانيا عن دفع أقساط التعويضات إلى فرنسا. وفي نهاية السنة اعلنت لجنة التعويضات ان المانيا تتعمد التخلف في دفع التعويضات. وفي ١١ كانون الثاني ١٩٢٣ احتلت القوات الفرنسية والبلجيكية منطقة الرور الغنية بالفحم .وقد دفعت هذه السياسة إلى تردي حالة التضخم المالي. فشاعت في المانيا الفوضى. وتصدعت الدولة. وفي آب ١٩٢٣ تشكلت حكومة جديدة يرأسها حزب الوسط بزعامة ستريسمن .

لقد جابهت الحكومة الجديدة صعوبات داخلية. فالجيش تطلع إلى الاستيلاء على السلطة، والفئات اليسارية والقومية تحركت لحماية نفسها، حتى انه شاع عن احتمال تنفيذ مسيره إلى برلين على طريقة موسليني .وقد حاولت بفاريا ان تنشق عن الدولة لكن المحاولة احبطت . وتعزز موقف برلين. ثم توجهت الحكومة لمعالجة التضخم، فعادت الثقة إلى الاقتصاد الالماني. ومن العوامل التي ساعدت على نهوض مشروع دوز الذي عالج التعويضات في ١٩٢٤.فاصبحت مدفوعات المانيا تتناسب مع قدرتها الاقتصادية. كما استلمت المانيا قروضا كي يستقر نظامها النقدي .وفي هذا المناخ جرت انتخابات عامة حققت فيها الاحزاب المعادية للجمهورية من يساريين ويمينيين نجاحات. ولكن صعوبة تشكيل حكومة ائتلافية دفع إلى اعادة الانتخابات في نهاية ١٩٢٤.ولكن اليساريين واليمينيين خسروا الجولة هذه المرة (حاز الشيوعيون في آذار ١٩٢٤على ٦٢ مقعداً وفي كانون الاول ١٩٢٤ على ٤٥ مقعداً. في حين نال الاشتراكيون القوميون على ٣٢ مقعداً في ١٩٢٤ وعلى ١٤ مقعداً في كانون الاول ١٩٢٤) .

لقد امتازت السياسة الخارجية الالمانية بالسعي للظهور بمظهر المتقيد والمنفذ للالتزامات حتى تتثبت دول الحلفاء من استحالة مواصلة المانيا دفع التعويضات. وكانت فرنسا تنشد عزل المانيا سياسيا وفرض قيود نزع السلاح عليها. ولكن المانيا تمكنت من تحقيق كسب دبلوماسي عن سبيل عقد معاهدة ربالو مع الاتحاد السوفياتي والتي بموجبها تناولت حكومة الاتحاد السوفياتي عن حقها في المطالبة بالتعويضات في مقابل تنازل المانيا عن المطالبة بممتلكاتها وديونها في روسيا القيصرية . غير ان اهم جانب في الاتفاقية هو الجانب العسكري الذي اجاز لالمانيا فرصة التسلح وكسر قيود معاهدة فرساى في هذا المجال .

لقد تعثرت العلاقات البريطانية — الفرنسية بعد أحتلال فرنسا لمنطقة الرور . ولكن الاتجاه العام بصدد قضية الامن الاوربي اصبح واضحا عندما تسلمت حكومة المحافظين السلطة في برطانيا في نهاية ١٩٢٤. وقد قلقت المانيا من احتمال التقارب بين بريطانيا وفرنسا. علما ان محاولات سابقة كانت قد جرت باشراف العصبة لعقد برتكول جنيف الذي كان الهدف منه ردم الهوة في ميثاق العصبة بشأن التزام الدول الاعضاء في الناحية الامنية.

في مطلع ١٩٢٥ تقدم غوستاف سترسمن، وزير خارجية المانيا من ١٩٢٤ — ١٩٢٩، بمشروع تتعهد فيه المانيا باحترام حدودها الغربية مع فرنسا وبلجيكا وان تكون الدول الاوربية الكبرى دولا ضامنة لهذا التعهد. وقد رحبت فرنسا وبريطانيا بالفكرة. وكانت المسألة المحورية في مشروع المانيا هو فصل مصير حدودها الشرقية من حدودها الغربية. ففي الجبهة الغربية كانت على استعداد ان تعطى تعهدا بعدم شرعية تبدليل الحدود كما انها لن تثير قضية تسليح منطقة الراين. اما في الجبهة الشرقية فانها لم ترغب في ان تكون ضامنة للحدود مع بولندا خاصة وان نزاعا بين بولندا والاتحاد السوفياتي سوف يجر المانيا الى ساحة اذ ان فرنسا ستطالب بالسماح لقواتها في عبور المانيا لمساعدة بولندا. وهنا أقنع سترسمن بريطانيا وفرنسا بان المانيا قاردة على الايفاء بتعهدات العصبة بما تسمحه لها منزلتها العسكرية والجغرافية

ولما كانت المانيا منزوعة من السلاح فانها سوف لن تكون طرفا في هذه المسألة. وقد ارتاحت اندن لهذا لموقف لا نها هي الاخرى لم تكن راغبة في اعطاء التزامات في مناطق ليس لها فيها مصالح حيوية.

في ١ كانون الاول وقعت الاطراف المعنية معاهدة لوكارنو كما اقترحتها المانيا على ان تكون نافذة عندما تصبح المانيا عضواً في العصبة. كما ان انسحاب قوات الحلفاء من الضفة الغربية للراين بدات في صيف ١٩٢٥. ومع كل هذه الانتصارات السياسية كان الرأي العام الالماني ممتعضاً من مواقف دول الحلفاء التي تمسكت بسياسة الوضع الراهن. ولكي لاتتصدع العلاقات الالمانية السوفيتية من جراء انتماء المانيا إلى نظام الامن الاوربي حرصت المانيا على ابقاء روح اتفاقية ربالو. ففي نيسان ١٩٢٦ وقعت الدولتان على اتفاقية برلين، حيث فسرت المانيا المادة ٦ من ميثاق العصبة لصالح الاتحاد السوفيتي بتأييد من اطراف معاهدة لوكارنو. وبموجب ذلك التفسير اقرت المانيا بامتناعها عن تطبيق العقوبات التي قد تأتي بها العصبة ضد الاتحاد السوفيتي في المستقبل.

لقد آلت خطة دوز إلى انتعاش في الاقتصاد الالماني. فقد حدثت المانيا صناعتها بالاعتماد على رأسمال المستورد من الخارج وعلى الاخص من الولايات المتحدة التي أصبحت بعد الحرب من المصادر الرئيسة لتموين رأسمال. وعلى الرغم من الركود الذي أصاب الاقتصاد في ١٩٢٥ - ١٩٢٦ فان معدلات الانتاج بلغت في ١٩٢٧ ماكانت عليه في ٩١٣ كما أن الصناعات الثقيلة ثبتت اقدامها عن سبل نظام الكارتيل في حين تقلصت المنشآت الاقل قدرة على التنافس.

وقد حاولت الحكومة الالمانية الافادة من هذا الوضع الاقتصادي لدفع الحلفاء على اخلاء منطقة الراين من القوات الاجنبية. ولكن فرنسا كانت تتردد في فعل ذلك وانما ارادت ربط مسألة الانسحاب مع تسوية عامة للتعويضات ولكي تحسم المسألة تشكلت لجنة خاصة لدراسة التعويضات برئاسة او. دي يونك. وفي مطلع ١٩٢٩ اجتمعت اللجنة. وبعد مفاوضات وقعت المانيا على الخطة في حزيران ١٩٢٩. والفارق المميز لخطة يونك هو انها

وضعت سقفا زمنياً لدفع التعويضات حددته بخمسين سنة . كما اوصت بان تمنح الولايات المتحدة وبقية الحلفاء تخفيضات في الاموال المطالبة المانيا بدفعها .
آثارت خطة يونك اختلافات سياسية بين الاحزاب وبين صفوف الحكومة وفي آذار ١٩٣٠ سقطت حكومة مولر . وتولى برونتك تشكيل حكومة جديدة .

لكنها كانت حكومة لاتستند إلى تأييد الاحزاب وانما تمتعت بثقة هندنبرغ رئيس الجمهورية . ولم تدم طويلا اذ خسرت الثقة في البرلمان رغم انها حاولت الضغط على الحلفاء لتخفيف قيود صلح فرساى . وفي حزيران سقطت .
وتبع ذلك حل البرلمان وجرت الانتخابات في آيلول . وجاءت النتائج لتعكس التحول النفسي لدى الالمان ازاء النظام البرلماني غير المستقر ومعاهدة فرساى .
فقد انخفض عدد مقاعد الحزب الاشتراكي الديمقراطي وزاد عدد مقاعد الشيوعيين . وانخفض عدد مقاعد المحافظين ، في حين احرز النازيون على ١٠٧ مقاعد بعدما كان لهم ١٢ مقعداً حصلوا عليها في انتخابات ١٩٢٨ .
وهكذا لم يعد ممكنا سياسيا تأليف حكومة ائتلافية من دون ان تجتمع فيها اطراف متناحرون لايشتركون في منهاج سياسي موحد ولا يستطيعون التوفيق بين مواقف وشخصيات واساليب متباينة . وعلى الرغم من الخسارة في الانتخابات ظل برونتك يشغل منصب المستشار بفضل مساندة الاشتراكيين الديمقراطيين وذلك لانه كان في نظرهم شرا لامحالة ، في حين كان برونتك اكثر قبولا لديهم من النازيين . وقد اتاح تأييد الاشتراكيين سبلا امام برونتك لمعالجة الاقتصاد الالماني .

فقلص الانفاق على المرافق الاجتماعية من اجل تحقيق موزانة في الميزانية ، لكن ثمن الاجراءات الاقتصادية كان البطالة . وعلى الصعيد السياسي الدولي حاول برونتك وضع نهاية للتعويضات وبذلك يكسب لنفسه الالمانيا هدفين في آن واحد . فمن جهة ستكون المانيا أكثر حرية في العمل ضمن اطار العصبية والشوؤن

الاوربية وستستطيع حكومته من سحب البساط من تحت اقدام النازيين والشيوعيين الذين اخذوا يتحركون في الشوارع ويصرفون النظر والاهتمام بعيدا عن مراكز السياسة والسلطة الرسمية ويركزونها في الشوارع.

ففي منتصف ١٩١٣ اوقف الرئيس الامريكي جميع الديون والتعويضات لمدة سنة. لكن الحكومة الالمانية طالبت بتعديل مشروع يونك والاعتراف بحق المانيا في المساواة مع بقية الدول الاوربية الكبرى في مجال التسلح. لقد توجت برونتك السياسية والاقتصادية باعلانه عن ان التعويضات ستنتهي في في مطلع ١٩٣٢. وفي حزيران ١٩٣٢ اجتمعت دول فرساى في مؤتمر لوزان واعلنت عن نهاية التعويضات.

لكن في نطاق السياسة الداخلية كانت الرياح تجري ضد مايشتهي برونتك. ومن الممكن تشخيص ثلاثة تيارات اساسية. اولها ان دورة رئاسة الجمهورية كانت ان تنتهي في ربيع ١٩٣٢ . ووقف برونتك إلى جانب هند نبرغ رئيس الجمهورية . ورشح هتلر عن النازيين وثالمان عن الشيوعيين . ولم يفلح احد المرشحين ان يحقق اغلبية في الجولة الاولى. وفاز هند نبرغ في الجولة الثانية ضد هتلر. وكانت هذه الانتخابات اختبارا لقوة النازيين بالوقت الذي كانوا يحققون مكاسب في انتخابات برلمانات المقاطعات ففي بروسيا اقصوا الاشتراكيين الديمقراطيين ولم يستعص عليهم برلمان سوى بفاريا .

ان المد الجديد للــــنازية اعطى ردود فعل على مستوى رئاسة الجمهورية والمستشارية والشارع. فهند نبرغ اضحى تحت تأثير ضغوط يمينية وعسكرية ولم يتمكن من التوفيق بينهما. فقد رضح لضغوط الجمهوريين وصادق على قوانين تحرم نشاطات رجال .S.A,S.S (وهي منظمات نازية مسلحة) لكن عمله هذا قاد إلى مساومات بين هتلر وشليشر ألت في النهاية إلى سقوط S.A, SS. حكومة برونتك كشرط لموافقة هتلر على مستشار جديد مقابل رفع تحريم نشاطات واجراء انتخابات .

لقد احتدمت الفترة مابين سقوط برونك واستلام هتلر للسلطة باحداث على المستوى الداخلي والخارجي . فحكومة فرانز فون بابن (حكومة البارونات) جابهت مشاكل اقتصادية كثيرة ، ازدياد البطالة وانخفاض التصدير . كما سبب دفع تحريم .S.A.,S.S الى تحدد الاشتباكات المستمرة بين النازيين والشيوعيين . وعليه تأججت العلاقات بين الرئاسة والمستشارية والاحزاب ، والحكومة المركزية وحكومات الولايات . فقد حلت حكومة بروسيا لعجزها في تأمين النظام وخضعت للسلطة المركزية . كما ان الجيش كان لايؤتمن من حيث تأييده لحكومة بابن فيما اذا قرر الاخير مجابهة منظمات .S.A,S.S. ولكي يعزز موقفه في الرايخشتاغ . عرض بابن على هند نبرع حل البرلمان . لكن النازيين جاءوا باغلبية جديدة (ارتفع عدد مقاعدهم من ١٠٧ إلى ٢٢٠) . وحاول هتلر توظيف هذا الكسب بالوصاية من الشعب . غير ان هندنبرغ عرض عليه منصب نائب مستشار فرفض هتلر كما رفض هندنبرغ قبوله مستشارا . ولم يتحسن الموقف السياسي الداخلي لحكومة بابن على الرغم من انها نشطت في مجال السياسة الخارجية فاستثمر بابن مؤتمر لوزان لوضع نهاية للتعويضات ، كما انه كان يأمل في معاملة اكثر ايجابية من جانب الحكومة الراديكالية في فرنسا بصدد تسليح المانيا .

وفي خريف ١٩٣٢ انتكست حكومة بابن بفقدها ثقة الرايخشتاغ (٥١٢ ضد ٤٢) وتصدعت شعبيتها . وفي تشرين الثاني اجريت انتخابات عامة . وانحسر عدد مقاعد النازيين هذه المرة. ومع هذا لم يجد بابن تأييداً من جانب الأغلبية . فحاول أن يلجأ إلى أسلوب الحكم عن سبل صلاحيات رئيس الجمهورية بمساندة الجيش بعد أن يحل البرلمان كلياً. لكن هندنبرغ لم يأخذ بهذا الحل، في الوقت الذي رفض أن يمنح هتلر منصب المستشارية مع صلاحيات واسعة. وانتهت المناورات على السلطة فيتعين شليشر مستشاراً جديداً. لكن خط الأخير

لم يكن أفضل من خط سلفه بل سعى الآن بابن لعرقلة حكومة شليشير فلجأ إلى هتلر الذي كان قلقاً بصدد انخفاض شعبية النازيين وتعاظم العبء المالي للحزب ونشاطاته في الشوارع. وحقق بابن صفقة مع هتلر في لقاء كولون في ٤ كانون الأول ١٩٣٢ إذ مد الصناعيون يد المساعدة لهتلر لاعتبارات مصلحية. فكانوا يخشون من الشيوعيين ومن اليساريين ونقابات العمال. وإلى جانب ذلك وجد النازيون في بعض جنرالات الجيش مؤيدين لهم. فناصر الجنرال فون هامير شتاين هتلر مفضلا إياه على بابن وكذلك الجنرال فون بلمبرغ.

ولكي تنقذ حكومته طلب شليشير من هندنبرغ حل الرايخشتاغ وإعطائه صلاحيات رئاسية لإدارة الحكومة. ولكن رفض هندنبرغ طلباً كهذا خشية اندلاع الحرب أهلية. وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٣ استقال شليشير.

في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ عين هندنبرغ هتلر مستشاراً في حكومة ائتلافية ضمت اليها فون بابن كنائب للمستشار وعضوين نازيين وهما فرك لوزارة الداخلية وغويرنغ وزيراً بلا وزارة. كيف استطاع النازيون أن يستلموا السلطة؟ ربما أن الإجابة على هذا السؤال تدفع إلى طروحات عديدة. وليس هناك جواب شاف. فقد تظافرت عدة عوامل خارجية وداخلية – سياسية، اقتصادية، نفسية وعسكرية. ففرساي وشروطها القاسية اعاقت نهوض ألمانيا اقتصادياً، كما أنها هيجت شعوراً عاماً بالإهانة والإنتقام. والنظام بجمهورية فايمر من حيث هيكله وتوزيع السلطات أوجد فرصاً لممارسات لادستورية. والأحزاب السياسية وقياداتها أخفقت في تحقيق نظام سياسي مستقر فأصبحت دفة الامور خاضعة لتيارات خفية وتأثيرات جانبية. ويضاف الى ذلك أن البناء الأقتصادي الألماني لم يستعد قوته بصورة متواصلة، بل انتكس عدة مرات لأوضاع اقتصادية وسياسية بعضها جاءت من مواقف دول فرساي وعلى الأخص فرنسا، وبعضها نجم عن عجز في اتخاذ اجراءآت اقتصادية رشيدة تلقى تأييداً من كل فئات الشعب. ومما لاشك فيه أن مساندة الصناعيين الكبار وضباط الجيش للتيار النازي كانت

حاسمة. فقد انقذ الحزب من الضغوط المالية كما أنه امن على وجوده أمن انقلاب عسكري. ثم أن جمهورية فايمر لم تفلح في خلق جسور ثقة نفسية بين المواطنين وبين نظام الحكم. وقد إنعكست حالات عدم الاستقرار النفسي والسياسي في كثرة الانتخابات وتقلب اعداد المقاعد من حزب إلى حزب أو من جناح إلى جناح. ولا نغفل هنا الإشارة إلى أن اخفاق مناهضي النازيين في ايجاد كلمة موحدة تستقر على حد مامن التفاهم اتاح فرص المناورة والضغوط سواء على صعيد السياسة الرسمية أو الشارع. في مقابل ذلك كان هتلر يحظى بتأييد بعض الفئات المنتمية سياسياً واللامنتمية.

ألمانيا النازية من ١٩٣٣ — إلى أيلول ١٩٣٩

لقد كان هتلر عازماً على إرساء دعائم سلطته الدكتاتورية منذ البدء. وعليه فمن المهمات الرئيسية في مناخ سياسي كالذي عرفته ألمانيا في الأشهر الاولى من ١٩٣٣ التي واجهت النازية هي تصفية المناهضين لها باعتماد أساليب شتى امتدت من الإقناع إلى الوعود فالتهديدات فالعنف. ولكي يضفي هتلر على اجرائه صفة الشرعية اعتمد أسلوب الحكم بالصلاحيات المخولة له من قبل رئيس الجمهورية فألغى معظم الحريات السياسية. وأفاد من حريق البرلمان في ٢٧ شباط ١٩٣٣ الذي اعتبر خطراً يهدد الجمهورية متمثلا بالشيوعيين. وكانت أعمال رجال S.A استعداداً لانتخابات آذار والتي لم تحقق للنازيين انتصاراً ساحقاً. فقد ظلت أحزاب العمال محتفظة بثلث الأغلبية. وبفضل مناصرة الأحزاب الليبرالية والجماعات القومية تمكن الحزب النازي من التمتع بالأغلبية وبعد التأكد من السيطرة على الرايخشتاغ شدد النازيون على كسب الأغلبية في برلمانات الولايات متبعين شتى السبل. ومن جهة أخرى أجرت الحكومة المركزية تغييرات على علاقات برلمانات وحكومات ومجالس الولايات بها، فأصبحت مرتبطة بها وتعكس في تشكيلتها الأغلبية في الرايخشتاغ، وبذلك تمكن النازيون من بسط نفوذهم على الجهاز الحكومي.

لم يطمئن النازيون إلى القوى السياسية الفاعلية في الحد السياسي الألماني .
ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن تلك القوى تباينت من حيث قوتها السياسية والتأييد الذي حظت به والمواقف أزاء النازية .

فالنقابات العمالية لم تقاوم حملة الحزب النازي في مايس للإستيلاء على مراكزها ومنظماتها. أما الأحزاب السياسية الدستورية فقد أدركت أن دستور فايمر لم يعد معمولاً به . ففي حزيران ١٩٣٣ حرم الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وبعد ذلك حلت الأحزاب نفسها تباعاً (في حزيران الحزب الديمقراطي، وفي تموز حزب الشعب الألماني، وحزب الشعب البفاري) وفي نفس الشهر حل الحزب القومي الألماني نفسه .

أما حزب الوسط الذي له ارتباط وثيق بالكنيسة الكاثوليكية فإن موقفه من النازيين تأثر باعتبارات خارجية . فقد ساور الفاتيكان الشك والقلق على الكنيسة الكاثوليكية . ولكن هتلر طمأن الفاتيكان بعقد اتفاقية تحدد العلاقة بين الدولة والكنيسة (تموز ١٩٣٣) . وبموجب الاتفاقية تمتعت الكنيسة بحرية الإتصالات مع روما، وتعيين الاساقفة، ورعاية التعليم الديني . وفي مقابل ذلك أقسم الكاردينالبون الولاء للدولة ، وحلت الكنيسة منظماتها العمالية وكذلك حل حزب الوسط . ومع أن التيارات الدينية كانت في الأساس غير راضية بموقف الدولة فيها إلا أنها أذعنت لسيطرة النازين.

وبسط النازيون سيطرتهم على المنظمات وسخروا الاعلام لخدمة أغراضهم (وقد كان لغوبلز دوراً في هذا المجال). كما أعطى اهتمام خاص للتعليم فتنظم الشباب في منظمات للنشاطات السياسية والعسكرية والأعمال العامة. واحتوت التنظيمات النساء والمهن المختلفة.

وتميزت علاقة النازيين بالجيش خلال السنين الأولى بكونها حذرة فالجيش كان يرغب في إعادة قوته وتسليحه ومنزلته، وكان هتلر من جانبه يخشى الصراعات بين الجيش ومنظمات S.S,S.A . بل كان يخشى من تمرد من قبل .S.A بزعامة روهم.

وفي ١٩٣٤ تلبدت الغيوم في العلاقات مابين الجيش والملكيين من جهة وهتلر والجيش الخاص S.S ، ومنظمات S.A . ولكي يكسب الجنرالات أعرب هتلر عن أولوية تسليح ألمانيا وجعلها في منزلة القوى الأوربية عسكرياً. وفي حزيران نفذ هتلر بنفسه عملية تطهير في منظمة S.A وكان أفراد الجيش الخاص الأداة في ذلك بمساعدة الجيش الذي قدم لهم سبل المواصلات ووقف متأهباً. ومع تحسن الاقتصاد الألماني ومناورة هتلر في الشؤون الأوربية فقد الجيش نفوذه تدريجياً. وفي ١٩٣٦ اتيحت الفرص أمام النازيين ليدخلوا إلى الكليات العسكرية ويكسروا الطوق الذي شيده الجنرالات المحترفون .

وكانت مسألة تيسير المواد الاولية قضية حيوية للاقتصاد الالماني وعلى الاخص لتلبية برنامج التسلح واحتمال الحرب . وكانت المانيا تستورد معظم الحديد الخام والنفط من الخارج ، ولكي يخفف الاعتماد على الاستيراد تنشطت دعوه إلى الاكتفاء الذاتي والبحث عن البدائل . والى جانب ذلك تحسنت تجارة المانيا الخارجية وتوجهت الى دول شرق اوربا والبلقان حيث نظر اليهما مصدراً للمواد الاولية . وفي ١٩٣٦ شرع تنفيذ الخطة الرباعية الثانية والتي كان هدفها الصناعات الثقيلة .

وعندما تلكأت الصناعات غير الحكومية في تلبية الدعوة بسبب الكلفة ثبتت الحكومة تيسير الاموال اللازمة لمنشأت الصلب والكيمياويات .

لم يحدث هتلر انقلابا في السياسة الالمانية الخارجية وترك شؤون تصريفها الى وزارة الخارجية . وكانت اهداف هتلر الخارجية مدونة في كتاب كفاحي بصورة عريضة . فالوحدة مع النمسا وتوحيد جميع الالمان في رايخ واحد سواء أكانوا في بولندا اوجيكوسلفاكيا . ثم تأمين المجال الحيوي للامة الالمانية وذلك بالتوسع على حساب جيرانها وبالاخص اوربا الشرقية وروسيا . وعليه فإن طموحات هتلر كانت بسط النفوذ الالماني من الاطلسي الى الاورال . ولم يغفل هتلر التسلح فاعطاه الاولوية وادرك ان شروع المانيا في اعادة بناء

قوتها العسكرية سيثير مشاكل خارجية وعلى الاخص مع فرنسا . لكنه كان يناور على موقف بريطانيا من هذه المسألة . فبريطانيا لم تعارض التسلح الالماني في الاساس وانما أرادت تحقيق مساواة بين القوى ، فاقترحت حكومة مكدنولد تخفيض القوات الفرنسية وزيادة القوات الالمانية الى مستوى واحد . لكن فرنسا رفضت ذلك . هتلر نفسه من ذلك وحرر المانيا من قيود فرساي التي كانت قد قوضت تدريجياً في هذا المجال منذ مطلع العشرينات .

وعليه انسحبت من مفاوضات نزع السلاح . وكانت المانيا تخشى العزلة ، لكن غياب جبهة فرنسية — بريطانية من جهة ، وعدم ثقة حلفاء فرنسا في شرق اوربا من مدى تعهداتها لحماية الامن الاوربي في شرق أوربا اتاحت لمناورة سياسية المانية عند محور بولندا .

ففي بداية ١٩٣٤ توصلت المانيا وبولندا الى اتفاقية عدم اعتداء لمدة عشر سنوات . وكانت بولندا ترى في حركتها هذا نصراً دبلوماسيا .

فمن ناحية اطمأنت على مستقبل ممر ومدينة دانزلك اذ اعرب هتلر عن استعداده لتجميد هذه المسألة لحسابات خاصة . فدانزلك لم تكن من الاولويات آنذاك . كما ظنت بولندا انها سوف تستطيع الحفاظ على استقلالها بقيامها بدور القوة الموازنة بين فرنسا والمانيا في شرق اوربا بعد ان تخلت فرنسا عن مسؤوليتها . ثم ان بولندا رفعت انظار هتلر عنها وصرفتها الى دول اوربية اخرى وهي النمسا وجيكوسلفاكيا . اما هتلر فانه كان يخطط لعزلة فرنسا في شرق اوربا ، اول مافعله هو سلخ اكبر حليف لها وهي بولندا ، ثم نال حياد بولندا في حالة تحركاته المحتملة ضد النمسا وجيكوسلفاكيا .

وكان لتولي هتلر السلطة في برلين اثار مباشرة على المان في النمسا وجيكوسلفاكيا وكانت النمسا في وضع اعتمد على تأييد الدول الاوربية الاخرى وبالاخص ايطاليا. وقد عارضت هذه الدول قيام اتحاد اقتصادي مع النمسا في اواخر عهد جمهورية فايمر . وتشجع النازيون النمساويون وقاموا بمحاولة انقلاب في فينا وقتل دلفوس المستشار النمساوي . وحاولت برلين انهاء استقلال النمسا من

الداخل ، لكن احتماء شوشنك المستشار الجديد وراء تاييد موسليني اعاق تحقيق طموحات هتلر في النمسا . ولم تصمد النمسا طويلا . فبعد ان اصبحت ايطاليا طرفا في غزو الحبشة تدخلت في الحرب الاهلية الاسبانية وتناست النمسا .

وفي ١٩٣٥ استردت المانيا منطقة السار عن سبيل الاستفتاء الذي اشرفت عليه عصبة الامم . فتعززت ثقة المانيا وطالبت بمنزلة متكافئة مع بريطانيا وفرنسا . وخلال المفاوضات لوضع حد للتسلح بين فرنسا وبريطانيا والمانيا اتضح ان فرنسا لن تسمح بذلك ، كما ان بريطانيا لم تتخذ موقفا صلبا . وعليه اعلن هتلر عن وجود قوة جوية المانياوكذلك ادخل نظام الخدمة الالزامية ومما أغاظ فرنسا وزاد من عزلتها عسكريا ، ان بريطانيا في حزيران ١٩٣ توصلت الى اتفاقية تسلح بحري وافقت بموجبها على ان تكون لالمانيا ٣٥ ٪ من قوة بريطانيا البحرية .

الا ان المغامرة الكبيرة جاءت في آذار ١٩٣٦ عندما قرر هتلر وسط جو من التردد والاعتراض السياسي والعسكري بين صفوف ضباطه ووزارة الخارجية ، احتلال الراين وكسر طوق فرساي . فالراين كانت منزوعة من السلاح بموجب معاهدة فرساي . ولم تطمئن فرنسا لذلك فعقدت تحالفا مع الاتحاد السوفياتي في ١٩٣٥ فاعطت هتلر غطاءذرائعيا لاحتلال الراين . وكان رد فعل فرنسا لم يتعد الاستنكار السياسي . وكان هذا دليلا على عقم سياسة فرنسا لضعف نظامها وانقسامية السياسة . ثم ان فرنسا لم تحظ بتشجيع من جانب بريطانيا للقيام برد فعل عنيف على احتلال الراين . وتشير الدلائل على ان عملا عسكريا فرنسا كان سيضع المانيا في موقف حرج ويعرضها للإهانة بل ولربما لردعها لفترة من الزمن .

وعلى الرغم من تخفيف الحملة ضد النمسا ، فان هتلر لم يتخل عن مشاريعه في ضمنها الى المانيا . وكانت ايطاليا وموسليني العقبة في طريقة غير ان ايطاليا هي الاخرى حلت بامبراطوريتها الافريقية وصراعها مع فرنسا

وبريطانيا في البحر الابيض المتوسط . فتباعدت عن هاتين الدولتين بسبب حربها في الحبشة وخروجها من العصبة ومن ثم تدخلها في اسبانيا . فترددت ايطاليا عن الدفاع عن النمسا . ولم يدفع لها الفرنسيون والبريطانيون الثمن مستعمرات . ففي تشرين الثاني ١٩٣٦ عقد هتلر مع موسليني تحالفا للتعاون الاقتصادي والسياسي والايديولوجي ثم جاء بعد ذلك قيام محور ياباني الماني لصد التعاون السوفيتي البريطاني في الشرق الاقصى . وفي ١٩٣٧ انضمت ايطاليا فتشكل المحور الثلاثي.

وهكذا فقد عزلت النمسا عن مصادر اسناد استقلالها . وفي مطلع ١٩٣٨ حدثت اضطرابات داخلية زعزعت الثقة في حكومة شوشنك الذي حاول من جانبه التقرب الى هتلر بعد ان وجد ان موسليني لم يعد متمسكا بالدفاع عن النمسا. كما ان فرنسا وبريطانيا كانتا غير مهتمتين باستقلال النمسا بقدر اهتمامهما بتحاشي المجابهة معه . وفي آذار انتهكت حرمة النمسا واحتل النازيون النمسا دون أن تحرك اوربا ساكنا .فتحقق لهتلر هدفا تضمنه كتاب كفاحي .

فجاء دور جيكوسلفاكيا في قائمة التوسع . وجيكوسلفاكيا كانت تعتمد على مساندة فرنسا وبريطانيا لصيانة امنها واستقلالها ، بالأضافة إلى تنظيم دفاعي يضم دول شرق اوربا . لكن جيكوسلفاكيا وجدت نفسها في ١٩٣٨ في عزلة ووجها لوجه مع المانيا . ففي جيكوسلفاكيا المان متمركزون في سوديتنلاند ولهم حزبهم النازي فبدوا يثيرون المشاكل ويطالبون بحقوق سياسية هي أقرب إلى حق تقرير المصير . وكانت المانيا تشجعهم على ذلك. أما على الصعيد الاوربي ، فان جيكوسلفاكيا شعرت بخطورة موقف فرنسا وبريطانيا الدفاعي من مسألة توسعات هتلر . ثم ان ايطاليا اصبحت مربوطة بتحالف مع المانيا . والاكثر من هذا ان هيكل الامن الاوربي في شرق اوربا بدأ ينهار تدريجيا . فبولندا ابتعدت منذ ١٩٣٤ بتحالفها مع المانيا ، كما ان هنغاريا ورومانيا ابتعدتا عن فرنسا وبدلاً من ان تذهبا إلى الاتحاد السوفياتي بدأتا تتقاربان من المانيا لاعتبارات امنية وسياسية واقتصادية . فالمانيا الان

هي الدولة القوية وعن طريقها يمكن تقييد ايطاليا وتطلعاتها في البلقان ، كما ان المانيا قوة لصد الضغط السوفياتي . ثم ان اقتصاد المانيا احتوى اقتصاد هذه الدول .

في تشرين الثاني ١٩٣٨ اتضحت المعالم الرئيسة امام المانيا . ففي مؤتمر جمع بين هتلر ووزير خارجيته وقادة القوات المسلحة الثلاث تم استعراض الوضع الاوربي . وكان الرأي بين التحرك العسكري السريع وبين العمل السياسي . ولما كانت المانيا قد شرعت تخطط لحرب اوربية في مطلع الاربعينات فانها بدأت تشعر ببعض المضايقات والمؤشرات السلبية فالتسلح كان يسير ابطأ مما كان يتوقع له . ثم ان المسافة بين الدول الاوربية الاخرى والمانيا في مجال التسلح اخذت تضيق مما زاد من قلق هتلر . ولكي يحرر هتلر نفسه من الضغوط السياسية والعسكرية الداعية إلى تأجيل العمل العسكري اجرى تغييرات في وزارة الخارجية اذ اصبح روبنتروب وزيراً للخارجية وتولى هتلر بنفسه قيادة القوات المسلحة .

وكان القرار بين العمل العسكري والسياسي متأرجح . لكن حركة من جانب بريطانيا حبذت الاخذ بالعمل السياسي . فبعد زيارة هالفاكس وزير خارجية بريطانيا لبرلين تكون انطباع لدى هتلر ودوائره ان بريطانيا لن تعترض على عملية جراحية لتعديل الوضع الراهن طالما انها لن تكون عنيفة عسكرياً. وفي ١٢ يلول أعلن هتلر ان المانيا تريد حق تقرير المصير للالمان في السوديت وتدهورت الاوضاع في جيكوسلفاكيا بعد ذلك وحاولت بريطانيا حل الازمة فزار تشمبرلن رئيس وزرائها برلين في ١٥ أيلول وأعطى موافقته لحق تقرير المصير ورجع ليأخذ رأي حكومته ويقنع فرنســا . في ٢١ منه موافقة لحق تقرير المصير ورجع ليأخذ رأي حكومته ويقنع فرنسا . في ٢١ منه رجع تشمبرلن إلى برلين ثانية لكن هتلر تصلب في موقفه وطمع باغتصاب جيكوسلفاكيا باسرها . وانهارت المفاوضات . لكن بريطانيا رغبت في مواصلة البحث عن حل سلمي. فتحرك موسليني واقترح عقد مؤتمر يجمع روساء القوى الاوربية.

وفي ٢٩ أيلول اجتمع هتلر وتشمبرلن ودالديه وموسليني في ميونخ . واعطيت حصة كبيرة من جيكوسلوفاكيا لهتلر . لكن قوميات جيكوسلفاكيا تناحرت. فلجأ الجيكيون إلى المانيا طلباً للمساعدة في ظروف طالبت بولندا وهنغاريا ايضاً بحصص من اراضي جيكوسلفاكيا حيث يقطنها هنغاريون وبولنديون. وفي ١٤آذار ١٩٣٩ دخلت القوات الالمانية براغ . ولاحت في الأفق مسألة بولندا كمحطة تالية في عملية التوسع الالماني .

وفي ٣١ آذار ١٩٣٩ اعطت بريطانيا تعهداً لبولندا بالدفاع عن استقلالها. وكان هذا انقلابا في سياسة بريطانيا. ولكن بعد فوات الاوان. فبولندا الآن اصبحت معزولة . فشنت المانيا حربا اعلامية ونفسية ودبلوماسية لتطويق بولندا وكانت دانزك موضوع الصراع . واول حركة قامت بها المانيا انهاء معاهدة عدم الاعتداء مع بولندا . ثم وجهت ضربة الى حليف بولندا بالغاء معاهدة التسلح مع بريطانيا التي عقدت في ١٩٣٥. والاكثر من هذا ان دول اوربا الشرقية تباعدت عن بولندا ولكي يؤمن هتلر تحييد فرنسا وبريطانيا عزز علاقاته مع ايطاليا فعقد معاهدة الصلب في مايس وبها تعهدت ايطاليا الوقوف الى جانب المانيا في حالة قيام حرب.

ومن جانبها كانت فرنسا وبريطانيا تسعيان لكسب الاتحاد السوفياتي الى صفهما لكن المفاوضات سارت ببطء شديد. وساورت موسكو الشكوك وفسرت مناورة باريس ولندن دعوة لبرلين لضرب الاتحاد السوفياتي . فسارعت الى اعراب مودتها لبرلين. وفي آب طلب هتلر من ستالين ان يستقبل مبعوثه الخاص. وفي ٢٣ وقع ربنتروب ومولوتوف معاهدة عدم اعتداء لمدة عشرة سنوات . واعطت موسكو تعهداً بالوقوف على الحياد ، وحددت الدولتان مجالات النفوذ في شرق اوربا ، كما وعدت المانيا بممارسة

الضغوط على اليابان في الشرق الاقصى. وكرد فعل للمعاهدة الالمانية—السوفيتية وقعت بريطانيا وبولندا في ٢٥آب حلفا دفاعيا.

وفي ١ ايلول ١٩٣٩ غزت المانيا بولندا. وفي ٣ منه اعلنت انكلترا وفرنسا الحرب على المانيا. وهكذا هبت رياح الحرب على اوربا بعد فترة تميزت باستقرار غير مؤكد. ولم تكن الحرب الثانية عفوية. فجذورها متأصلة في نتائج الحرب الاولى.

المصادر

E. J. Passant, AShort History of Germany, 1815-1945 Cawls 1959.

W.Simson, Germany. A Brief History , New York, 1966.

E. Eyck, the Weimar Repulolic, Harvard, 1962.

A. Bullock, Hitler, A Study in Tyranny, London, 1952.

W. Carr, Arms, Autacky and Agression. A Study in German Forein poicy 1933-1939, London, 1972.

H. Trevor - Roper, The last Days of Hitter, London 1947.

W. Shirer The Rise and Eall of The Third Reic, London, 1960.

W. Carr, A History of Germany 1815-1945, London, 1974.

E. H. Carr, German- Soviet Relations But ween The Two Wars, Baltimore, 1951.

H. C. Dyck, Weimar Germany and Soviet Russia, 1926- 1933, London, 1964.

E. M. Rolsertson, Hisler Pre-War Policy , London, 1963.

E. M. Rolsertson, The Origins of The Second World War, ed. Londion 1911.

W. Speer, Inside The Third Reich, London, 1969.

A. J. P. Taylor, The Origins of Thr Second World War, London 1963.

A. J. Ryder, Twentieth- Centwry Germany, London 1973

المبحث الرابع

ايطاليا والحركة الفاشية

لقد توقع الايطاليون ان يغنموا من الحرب العالمية الاولى ، ولكن واقع الحال يدلل على ان حصة ايطاليا من المغانم كانت لاتتناسب مع احلامهم التوسعية . فالشعور السائد بعد الانتصار العسكري على النمسا - المجر والمانيا كان يتطلع إلى دمج دلماشيا في ايطاليا ، وبسط النفوذ الايطالي عبر الادرياتيك ليشمل آسيا الصغرى وسوريا. وكان انهيار الدولة العثمانية وروسيا حافزاً مشجعاً على التوجيه إلى هذه المنطقة . بيد ان المساومات السياسية والدبلوماسية السرية والعلنية التي قامت بها القوى الكبرى اثناء الحرب وقفت حجر عثرة في طريق طموحات ايطاليا . وكانت ايطاليا قد دخلت الحرب إلى جانب الحلفاء في ربيع ١٩١٥ بعد أن اغرتها عروض اتفاقية لندن الموقعة في ٢٦ نيسان ١٩١٥ .

لم تقتصر جهود ايطاليا التوسعية على نصيبها من اتفاقية لندن ففي تشرين الثاني ١٩١٨ أحتلت القوات الايطالية معظم البانيا وتوجهت جنوب كوتور وانتيفاري في اقليم الجبل الاسود . وكانت ايطاليا تخشى من ان تخضع هذه المناطق إلى دولة يوغسلافية موحدة . وفي الفترة نفسها أرسلت حكومة اورلاند حامية إلى فيوم لاخراج الحامية الصوبية . لكن تدخل فرنسا حرم على ايطاليا فرصة ضم فيوم . ولكي يشتري اورلاندو تأييد فرنسا للتوسع الايطالي في الادرياتيك عرض كليمنصو مناصرة ايطاليا لطموحات فرنسا عند الراين على حساب المانيا . غير ان صفقة كهذه كانت ستفسد على فرنسا علاقاتها مع بريطانيا والولايات المتحدة ولذلك رفض كليمنصو العرض الايطالي .

وحاولت الحكومة الايطالية كسب تأييد الرئيس ولسن لمسألة حدود ايطاليا الشمالية ، بيد ان ولسن لم يتزحزح عن موقفه الذي أعلنه في نقاطه

الأربعة عشر . أضف إلى ذلك ان الحكومة الايطالية استندت إلى اتفاقية لندن السرية لإثبات مشروعية مطاليبها ، في حين كان ولسن قد رفض الاعتراف بالاتفاقيات السرية . وعندما ناقش مؤتمر الصلح في الاشهر الاولى من ١٩١٩ مسألة الفيوم ودالماشيا اتضح ان الايطاليين كانوا يطالبون بتعديلات اقليمية كانت تتناقض ومبدأ حق تقرير المصير مما جعل التوفيق بين موقف الرئيس ولسن واورلاندو متعذراً على لويد جورج وكليمنصو . وقد اقترح الاخيران ان تصبح الفيوم مدينة محايدة حرة شأنها شأن دانزك على ان توضع تحت اشراف عصبة الامم وان ينطوي هذا المشروع على صيغة دولية بشأن دالماشيا . وكان موقف بريطانيا وفرنسا متأثراً باتفاقية لندن السرية. وعندما اخفقت جهود التوفيق قرر الوفد الايطالي الانسحاب من مؤتمر باريس وذلك احتجاجا على رفض المؤتمر لمطاليب ايطاليا . وكان الوفد الايطالي يتوخى من انسحابه ان ترك يترك فراغاً في المؤتمر ويحدث ضغطاً على ولسن . أضف إلى ذلك ان اورلاندو اراد ان يعزز موقفه في مؤتمر الصلح بالركون إلى الرأي العام الايطالي الذي كان قد أعرب عن استنكاره لمواقف الحلفاء عن سبيل المظاهرات وبالتزويد بالتأييد من البرلمان الايطالي وعلى الرغم من هيجان الرأي العام الايطالي وتوتر العلاقات بين الحكومة الايطالية والرئيس ولسن فان مؤتمر الصلح واصل اعماله بغياب ايطاليا وحسم اموراً كان بوسع ايطاليا ان تكسب منها . فالمستعمرات الالمانية وزعت مابين بريطانيا وفرنسا ، ووضعت اللمسات النهائية للمعاهدة مع المانيا كما قرر المؤتمر الشروع بترتيب معاهدة معاهدة الصلح مع النمسا — المجر وهي مسألة لها مساس مباشر بايطاليا. بل حتى ان لويد جورج وكليمنصو تأملا في التملص من التزامات دولتيهما باتفاقية لندن (١) .

---

(1) D. Lloyd George, the Truth about the Peace Treaties, London, Vol. II, pp. 869-9.

في مايس ١٩١٩ رجع الوفد الايطالي إلى مؤتمر باريس ، ولكن في آذار أرسلت الحكومة الايطالية قوة بحرية إلى اداليا في آسيا الصغرى وذلك وفقاً لما وعدت به ايطاليا من تعديلات في المنطقة المتاخمة لاداليا(١) . وعلى أثر ذلك انزلت اليونان وبريطانيا وفرنسا قوات رمزية في المنطقة .وقد تردد لويد جورج في تلبية مطاليب ايطاليا في تركيا بعد أن وجد معارضة من بين أعضاء حكومته والمسلمين الهنود (٢).

أما في افريقيا فقد كانت حصة ايطاليا بالمقارنة مع حصص بريطانياوفرنسا قليلة، لذلك شعر الايطاليون بأنهم عزلوا من توزيع مغانم الحرب وكانت ايطاليا تطمح إلى توسيع ممتلكاتها في ليبيا وشرق أفريقيا وقد تشكلت لجنة فرنسية — بريطانية — ايطالية للنظر في هذا الأمر . وتقدمت ايطاليا بمطالبها وهي واحة جغبوب في غرب الصحراء المصرية وكاسالا وجوبالاند(في شمال شرق كينيا) والصومال الايطالي وجيبوتي . ولكن الوفدين البريطاني والفرنسي لم يأخذا بهذه المطاليب، وانما اجريت تعديلات طفيفة على التزامات اتفاقية لندن وذلك بتوسيع حدود ليبيا صوب تونس ومنح جربوب وجوبالاند.

لقد ظلت مسألة الفيوم من غير حسم نهائي في وقت كان الوضع الدولي مؤتمر الصلح بباريس يجري ضد ايطاليا . في تموز ١٩١٩ حدثت أزمة في الفيوم انعكست على مؤتمر باريس. فقد قتل بعض الجنود الفرنسيين أثناء هيجان عام. فاجتمعت لجنة من دول الحلفاء وقررت اخلاء الفيوم من الجنود الايطاليين. ولكن دانونتزيو احتل المدينة على الطريقة الغاريبالدية رغم احتجاجات يوغسلافيا ومؤتمر باريس وحكومة روما . فتأزمت العلائق بين الحكومة الايطالية والرأي العام الايطالي ، وبينها وبين القوات المسلحة .وقد لعبت هذه القضية دوراً فاعلا في السياسة الداخلية لايطاليا وقد حسمت باتفاقية رابالو بين ايطاليا ويوغسلافيا في تشرين الثاني ١٩٢١ بأن اصبحت الفيوم مدينة حرة.

---

(١) انطوت اتفاقية لندن السرية على التزام بريطانيا وفرنسا باشباع رغبات ايطاليا في حوض البحر الابيض المتوسط .

(2) Lloyd Georg, op. cit., pp. 897-901.

ان عبء الحرب كان ثقيلا على ايطاليا بالرغم من أن اسهامها كان محدوداً وذلك لان اقتصادها كان ضعيفاً مع فرنسا وبريطانيا . وكانت ايطاليامهددة بالثورة والخراب الاقتصادي . ومن ناحية أن ايطاليا فقيرة في المواد الاولية وكانت تعتمد على المعونات من الحلفاء خلال الحرب . فعندما توقفت تلك المعونات تضرر الاقتصاد الايطالي . ومن جهة أخرى كانت حصة ايطاليا من التعويضات ضئيلة . وقد انخفض معدل الانتاج الصناعي واصبحت معدلات التضخم عالية واستعصت على الحكومة . ومما زاد من حدة الركود الاقتصادي ان جيشا من العمال المسرحين من الخدمة أصبحوا بلا عمل في وقت عجزت فيه الحكومة عن تحويل الاقتصاد من اقتصاد حرب إلى اقتصاد سلم .

في مثل هذا المناخ المضطرب سياسيا والراكد اقتصاديا طرحت الاحزاب الايطالية افكارها لمعالجة الامر. وكانت جميع الاجنحة غير واقعية في حلولها فالاحزاب اليسارية ، بالاضافة إلى تمزق صفها ، نظرت إلى روسيا وبحثت عن صيغة وقيادة تحاكي فيها البلاشفة الا أنها لم توفق في ذلك. وكذلك كان حال الاحزاب اليمينية سواء الليبرالية منها أو الدينية . فبعضها وضع آماله في احياء روما العظيمة ، وبعضها توقع الكثير من آراء الرئيس ولسن ومشروع عصبة الامم .

وقد تطلع حزب الاشتراكيين إلى تحقيق الثورة بعد الحرب . واصبحت مسألة محاكاة روسيا سبباً لانقسامه على نفسه. فالمتطرفون أرادوا تنفيذ مشروع ثورة للاستيلاء على السلطة واقامة السوفيتات على غرار الثورة الروسية أما الاصلاحيون في الحزب الاشتراكي فقد عمدوا إلى اعتماد اسلوب الاحزاب الصناعية والعمل السياسي وصولاً الى السلطة . ولقد اخفق المتطرفون في عقد تحالفات مع أطراف يسارية اخرى ، كما أنهم لجأوا إلى اسلوب مجابهة المحاولات البرلمانية واظهروا عداء للمحاربين والسياسيين الذين ايدوا الحرب الاولى ودفعوا ايطاليا إلى الاشتراك فيها .

في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ ظهر بيان الحزب الشعبي الايطالي . وهو حزب كاثوليكي تضمنت افكاره على العدالة الاجتماعية والحقوق السياسية. وقد وجد الحزب مناصرين له من بين اصحاب الاعمال الصغيرة والحرفيين والفلاحين في الريف واصحاب الحوانيت. وكانت زعامة الحزب بيد ثلاثة فرق. فقد تزعم الجناح اليميني الراهب انموستين جيميلي، وتزعم اليساريين ميجيلولي ، هو زعيم نقابي. اما الجناح الوسط فقد ترأسه سترزو وكانت دعوته اصلاحية.

لم يأبه هذان الحزبان بالشعور القومي الذي حمله المحاربون القدماء. فالحزب الاشتراكي بجميع اجنحته كان يامل في انجاز ثورة اشتراكية، والاحزاب الكاثوليكية كانت من جانبها تتطلع إلى الاصلاح. ولكن في وضع اقتصادي متدهور وشيوع الفوضى الاقتصادية وعجز الحكومة الليبرالية اتجهت انظار المحاربين إلى شخصيتين لم تكن لهما نزعة ديمقراطية وهما دينيزو وموسليني (١). وقد جند موسليني صحيفة للهجوم على الاشتراكيين والمحايدين. وكان يدعو إلى سلطة فردية صارمة. بحجة أن ايطاليا بحاجة إلى من يقوم بترتيب عقر دارها. وكان يدافع عن مطاليب ايطاليا التوسعية في منطقة الفيوم ودلماشيا. وعلى الرغم من هجومه على البلاشفة الا انه كان يتعرض ايضا الى الرأسمالية والبرجوازية بالنقد. ولكن في الواقع كانت صحيفته منذ ١٩١٨ تمون من قبل الاعمال الكبيرة.

في ٢٣ آذار ١٩١٩ اجتمع موسليني مع مجموعة قليلة في ميلان واوجدوا حزبا جديداً في الحياة السياسية الايطالية (٢). وكانت افكارهم عامة وغامضة.

---

(١) ولد موسليني في ٢٩ تموز ١٨٨٣. وكان ابوه حدادا وكانت امه معلمة. وقد سجن مرتين. وعمل في الصحافة . وكان عضوا في الحزب الاشتراكي ثم انشق عنه بسبب قضية دخول ايطاليا إلى الحرب . وخدم جنديا وجرح .

(2) C. Hibbert, Benito Mussolini a Biography, the Reprint Society, London, 1962, p. 44.

فقد دعوا الى حكم نيابي ، وتوزيع الاراضي على الفلاحين، ونقل ملكية المصانع الى العمال، والاستيلاء على املاك الكنيسة ، وضم مقاطعة دلماشيا. وقد نشطت المنظمة الفاشية في ميلان وبعض المدن الايطالية. ونظمت اضرابات عمالية.

في حزيران ١٩١٩ سقطت حكومة اورلاندو وخلفتها حكومة من الوسط بزعامة نيتي. وكانت فترة وزارته مشحونة بالاضطرابات الداخلية والخارجية حول الفيوم. وقد حاول ان يستعين بالقروض الامريكية الا انه اخفق في ذلك. ولكي ينال نيتي وصاية من الشعب اجرى انتخابات في خريف ١٩١٩. وقد اتبعت طريقة التمثيل النسبي. ففاز الاشتراكيون ب ١٥٦ من ٥٠٨ مقعداً وحصل الشعبيون على ١٠٠ مقعد. اما الاحرار والديمقراطيون والاصلاحيون، والجمهوريون فقد نالوا ٢٥٢ مقعداً. في حين لم يفلح الفاشيون في كسب مقعد واحد.

لقد كانت تشكيلة البرلمان الايطالي الجديد لا تسمح لممارسة اسلوب تأليف الحكومة عن سبيل المساومات، فقد أمتنع الاشتراكيون من التحالف مع غيرهم. ولكن تعاضد الشعبيون مع الليبراليين في حكومة نيتي. لكن سير دفة الحكم كانت مهمة مستعصية سياسيا من جهة لان موافقة الشعبيين كانت مشروطة بتمسك الحكومة ببرنامج ينطوي على افكارهم. في حين كان الوضع الاقتصادي سيئا.

فالاسعار ارتفعت إلى مستويات عالية حتى ان الحكومة اضطرت الى اتباع نظام الحصص في توزيع الخبز وبعض المواد المعاشية. وارتفع التضخم المالي وكثرت النقود الورقية في التداول. وحاولت حكومة نيتي الحصول على قروض مالية من بيوت الاموال الاوربية، بيد ان بورصات الاموال امتنعت عن مد ايطاليا بالقروض وذلك لفقدان الثقة في الاوضاع السياسية (١).

---

(1) Wood ward Butler, Documents on British Foreign Policy, 1919- 1939, col. XII, p. 144.

ولقد تميزت الفترة مابين ربيع ١٩١٩ ونهاية ١٩٣٠ بكثرة الاضطرابات الصناعية في المصانع والسكك الحديدية. وقد حدثت اشتباكات بين العمال المضربين عن العمل والسلطة. ولكي يسير الحكومة لجأ نيتي إلى منح التنازلات وارضاء الجماعات وقد اخذت بعض الاحزاب والمنظمات السلطة بيدها. ففي صقلية وضع المسيحيون أيديهم على الارض. اما في الشمال فقد تأججت المشاعر بسبب قضية الفيوم. وقد انتشرت السوفيتات في بعض المناطق.

في مناخ كهذا نشط الحزب الفاشي. فقد اتجه نحو العنف لمواجهـــة الماركسيين والاشتراكيين. وفي الوقت الذي اظهرت فيه بقية الاحزاب قدرتها على ارساء النظام والامن، تقدم الحزب الفاشي بصيغته واضعا مصلحة ايطاليا فوق جميع الاعتبارات. وقد كان لموقفه هذا أثر في كسب التأييد من بعض الاشتراكيين والكاثوليك. ومن المثاليين والخياليين الذين حلموا ببناء روما عظيمة من جديد، كما انخرط في الحزب عدد كبير من العسكريين.

في آذار ١٩٢٠ حدثت أزمة وزارية في ايطاليا اثر سحب الشعبيين تأييدهم لحكومة نيتي. لكنه حاول ان يدير الحكم بوزارة احتمت بتأييد الاحرار والموقف السلبي للاشتراكيين. وفي مايس سحبت الثقة من حكومة نيتي. وفي حزيران قدم استقالته.

لقد خلف جيوليتي حكومة نيتي. وكسب مناصرة فوق سياسة عديدة. فالشعبيون اشتركوا في الحكومة رغم نفورهم من اساليبه. كما ان الفاشيين ايدوه لانه تقدم ببرنامج اصلاحي لانقاذ الاقتصاد الايطالي لكن اجراءاته تعثرت لان الاضرابات استمرت في المدن الرئيسية. وقد احتل العمال المصانع في ميلان وجنوه وتورين. كما استولى الفلاحون على الارض في مقاطعة بولونيا. غير ان التناحر بين اصحاب المصانع والتجار واصحاب الدكاكين من جهة وبين النقابات العمالية لم يكن دائما لصالح العمال. فقد بدأت مجاميع كبيرة تفقد الثقة في جدوى الاعمال الثورية التي لم تثمر محصلة نهائية. اذ لم يكن في

وسع الاشتراكيين فرض ارادتهم على الحكومة واليمينيين، كما ان الليبراليين واليمينيين عجزوا عن فرض ارادتهم على الاشتراكيين . ولذلك فقد كانت الحكومة الايطالية تسير أمورها عن طريق الاجراءات بعيداً عن العملية البرلمانية.

واجهت حكومة جيوليتي قضايا عديدة في نطاق السياسة الخارجية . ففي تموز حضرت ايطاليا إلى مؤتمر سبا بشأن التعويضات ونال سفورزا وزير خارجيتها زيادة في حصة ايطاليا من ٧,٥٪ إلى ١٠٪ وامتلاك الاسطول النمساوي – المجري. كما ان الحكومة اتخذت قرارا بصدد سياستها في البانيا. فبعدما تدخلت ايطاليا هناك وكانت تطمح في الحصول على حق الانتداب اضطرت إلى سحب قواتها امام معارضة الحلفاء. وفي آب وقعت ايطاليا اتفاقية مع حكومة البانيا المؤقتة على ان تحتفظ ايطاليا بساسينو فقط.

لم تغفل حكومة جيوليتي علاقاتها مع اقاليم الامبراطورية النمساوية المفككة. فقد تعثرت العلاقات اليوغسلافية الايطالية بعد الحرب. وكانت ايطاليا عازمة على منع اليوغسلافيين في بسط نفوذهم في البانيا. وفي خريف ١٩٢١ احتلت القوات اليوغسلافية اراضي البانية، لكن ايطاليا لم تتجابه مع يوغسلافيا بمفردها بل جندت الحلفاء وعصبة الامم. وكان لها ماارادت ، فقد انسحب اليوغسلافيون. وكان الحادث سببا للتفاوض بصدد العلاقات بين البلدين ونتج عن الجهود الدبلوماسية اتفاقية رابولو. وكانت هذه الخطوات في طريق تقارب بين ايطاليا وجيكوسلفاكيا ورومانيا. فمن جهة عقدت جيكوسلفاكيا اتفاقية مع يوغسلافيا في آب ١٩٢٠ غرضه عسكري ضد الخطر النمساوي – الالماني المحتمل. وفي شباط ١٩٢١ عقدت جيكوسلفاكيا اتفاقية اقتصادية مع ايطاليا. ثم تلتها رومانيا. وفي الفترة عينها توجهت الحكومة الايطالية إلى تركيا وكانت جهود سفورزا وزير خارجية ايطاليا التعاون مع تركيا من أجل تأمين نفوذ لايطاليا في شرق البحر الابيض المتوسط. الا ان مساعيه

تنافرت مع السياسة البريطانية التي اعتبرت ان ايطاليا كانت قد دفعت ثمنا مقابل وعود تركية بصيغة تأييد ايطالي لتركيا ضد اليونان.

في مايس ١٩٢١ جرت انتخابات برلمانية في ايطاليا تحالف فيها الفاشيون مع جيوليتي في جبهة ضد الاشتراكيين. وفاز الفاشيون بخمسة وثلاثين مقعداً. وكان موسليني احد الاعضاء في البرلمان الجديد. لكن حكومة جيوليتي لم تمكث طويلاً في السلطة. فقد تفككت الجبهة بسبب الجدال حول السياسة الخارجية الايطالية. وفي حزيران استقال جيوليتي وتولى رئاسة الحكومة ايفانو بونومي وزير الحرب السابق. ولقد تعثر برنامج الحكومة الجديدة منذ البداية. ففي خريف ١٩٢١ عصفت بايطاليا ازمة مصرفية وعلى اثرها زادت البطالة وتقلصت الاعمال العمة وركدت الصناعات الثقيلة . وفي شباط ١٩٢٢ تشكلت وزارة جديدة اثر ازمة برلمانية . وكانت الحكومة برئاسة ليوجي فاكتا.

لكن تغيير الحكومة لم يحسم لايطاليا مشاكلها السياسية الداخلية والخارجية ولم تمنحها استقراراً اقتصاديا. فقد اخفقت الحكومة الليبرالية في تأمين النظام والانتعاش الاقتصادي فكانت موضع هجوم من جانب الفئات اليمينية وعلى رأسها الفاشية ومن جانب اليسار. وفي آب ١٩٢٢ حدث اضراب عام في ايطاليا كان للاشتراكيين دور في تنظيمه. ولما كانت الحكومة عاجزة عن فك الاضراب فقد هدد موسليني في استخدام جماعاته المسلحة في انهاء الاضراب. وكان اضراب الاشتراكيين محاولة انتحارية فقد تشجع الفاشيون واستولوا على مجالس البلديات في مدينة فيرار وبارما وغيرها.

شهدت الفترة مابين آب وتشرين الاول ١٩٢٢ سلسلة من المساومات بين الحكومة والاحزاب ولكن من دون نتيجة واضحة. في حين تبلورت لدى قيادة الحزب الفاشي فكرة الاستيلاء على السلطة عن طريق الانتفاضة وفي ٢٧ تشرين الاول اعلن موسليني «اننا نعتزم ادخال القوى الجديدة التي

أفرزتها الحرب والانتصار الى الدولة الليبرالية التي قد انهت مهماتها... فاما ان تعطى الحكومة لنا واما ان نستولي عليها بالزحف على روما (١).

وقد ادى الزحف على روما إلى تأزم سياسي . فالملك فكتور عما نوئيل الثالث كان متردداً في استخدام الجش لمنع المسيرة إلى روما . في الوقت نفسه كانت حكومة فاكتا عاجزة عن اتخاذ الاجراءات اللازمة . وبعد ملابسات استدعى الملك موسليني لتشكيل الحكومة . وكانت حكومته تستند إلى مهارات سياسيين بصفتهم الفردية وليس ممثلين عن احزاب. الداخلية. كما طالب البرلمان في منحه سلطات استئنافية لمدة سنة لترتيب الاوضاع الداخلية. وكان له ما اراد. وعن سبيل ذلك وضع الحزب الفاشي يده على العصب الحساس في جهاز الدولة. فاحتفظ موسليني بوزارتي الداخلية والخارجية إلى جانب رئاسة الحكومة. كما انه حول مليشيا الحزب إلى منظمة تابعة للدولة . ومن الصعوبة بمكان التثبت من مدى وطبيعة التأييد الذي ناله في حدود عام ١٩٢٢ . فادعاءات الفاشية تفوق الواقع الذي اوجده تسلم الحزب الفاشي للسلطة (٢) .

ولكي يؤمن موسليني اغلبية برلمانية طرح مشروع اكيربو لتعديل طريقة الانتخاب بأن اصبحت ايطاليا باسرها لمنطقة انتخابية واحدة يجرى فيها الانتخاب عن طريق التمثيل بحيث يحصل الحزب الفائز بالاغلبية على ثلثي مقاعد البرلمان .وفي نيسان ١٩٢٤ جرت الانتخابات وفاز الحزب الفاشي. وعلى الرغم من أساليب العنف والبطش فقد نالت الاحزاب الاخرى على٢,٥ مليون صوت . بيد أن الاحزاب المعارضة للفاشية لم تجمع صفوفها . وقد ارتكبت العناصر الفاشية أخطاء سياسية فادحة كادت تودي الى سقوط موسليني. ولكي يحكم قبضته على السلطة اعلن موسليني في كانون الثاني ١٩٢٥ نفسه

(1) C. Hibbert, op.cit., pp 51-52.
(2) M. Smith, Italy: A Modern History , the Univ. of Michigan press, New york, 1969, pp. 360-372.

ديكتاتوراً وشرع في اخراس الاصوات المعارضة .ففقد الوزراء غير الفاشيين مناصبهم ، وحلت الاحزاب ، وفرضت رقابة على الصحافة . وعطل دور البرلمان اذ اجيزت الحكومة حق التشريع بلوائح واجراءات غير برلمانية. أما على مستوى الادارة المحلية فقد ازيلت السلطات المحلية المنتخبة وعين مكانها . وبحلول ١٩٢٦ اصبح موسليني يتمتع بسلطات دكتاتورية بلامنازع فعلي.

لقد حرص موسليني على اشراك ايطاليا في الشؤون الاوربية وكان يعتمد في المرحلة الاولى على مساعديه في وزارة الخارجية . وكانت مسألة علاقات ايطاليا ببريطانيا وفرنسا تشغل حيزاً كبيراً من السياسة الخارجية الايطالية في وسط اوربا وبحر الادرياتيك ومستقبل ألمانيا . وعلى الرغم من عدم رضا موسليني بنتائج سياسة الحكومات السابقة الا أنه لم ينفض يديه من اتفاقية رابولو. في تشرين الثاني عقدت جلسات مؤتمر لوزان لتعديل اتفاقية سيفر بعد أن رفضتها حكومة كمال أتاتورك. وقد كسب موسليني لايطاليا معاملة الطرف المتساوي مع فرنسا وبريطانيا . لكن في مجال السياسة الواقعية اخفق موسليني في نيل اية منطقة تنتدب ايطاليا عليها من قبل عصبة الامم. وقد استرضت ايطاليا بحصولها على جزيرة في بحر ايجة .

وقد حاول موسليني ن يناصر فرنسا ضد بريطانيا بصدد مسألة التعويضات الالمانية وعجز ألمانيا عن دفعها . فقد تمسك الفرنسيون بموقف متصلب لم يتعاطف مع قصور الاقتصاد الالماني في تلبية مستلزمات التعويضات في حين كانت بريطانيا معتدلة في موقفها . أما موسليني فقد رفع شعار أن ألمانيا كانت قادرة على دفع التعويضات وينبغي الزامها بدفعها . وفي نهاية ١٩٢٢ عقد مؤتمر في لندن لبحث الموضوع وحضره موسليني . وعندما اخفقت الدول الدول الثلاث على صيغة لجأت فرنسا الى اسلوب الاحتلال العسكري. ولقد أوضح موسليني في خطابه أمام مجلس النواب المبادىء التي تسترشد بها سياسة ايطاليا الخارجية « ان السياسة الخارجية هي المجال الذي يشغلنا بصورة خاصة وان الخطوط الرئيسة التي تسترشد بها سياستنا الخارجية هي ان معاهدات

الصلح، سواء كانت حميدة أم مذمومة ،وينبغي أن تنفذ حالما توقع ويصادق عليها .... كما أن المعاهدات ليست ابدية وانها قابلة للتبديل ...» (١) وفي ١١ كانون الثاني ١٩٢٣ احتلت القوات الفرنسية منطقة الرور . وكان موقف موسليني من الاحتلال ايجابيا لانه كان يطمع في الحصول على حصة ايطاليامن الفحم الالماني . ولكن لم يكن من مصلحة ايطاليا أن تقع في احضان فرنسا في مجابهة بريطانيا . فبريطانيا كانت قوة حيوية بحرياً في المتوسط ، لذلك سعى موسليني فيما بعد للتعاون مع بريطانيا لتخفيف وطأة احتلال الرور.

في آب ١٩٢٣ تأزمت العلاقات بين ايطاليا وعصبة الامم بشأن حادثة كورفو. فقد قتل عضو من لجنة تثبيت الحدود الالبانية . اليونانية في الجانب اليوناني. فتقدم موسليني بانذار إلى اليونان التي امتنعت عن تنفيذ بعض بنوده. في ٣١ آب قدم الاسطول الايطالي عند شواطئ كورفو واطلق النار واحتلت المدينة. وتقدمت اليونان بطلب إلى عصبة الامم للنظر في الاعتداء . من هنا تحولت القضية إلى شد وضغط من جانب العصبة المتمثلة ببريطانيا وفرنسا وبين ايطاليا. وقد اخفقت العصبة في اتخاذ قرار واضح حول العدوان وذلك لان بريطانيا وفرنسا لم تحدد موقفيهما من عدوان ايطاليا. وبالتالي حققت ايطاليا انتصاراً دبلوماسيا من جهة ونالت تعويضات من اليونان . بيد أن المضار التي ألحقتها هذه الحادثة بالعصبة كانت جسيمة اذ تكررت فيما بعد في منشوريا من قبل اليابان وفي الحبشة من قبل ايطاليا.

لقد تمحورت علاقات ايطاليا مع دول وسط اوربا في ضوء علاقاتها مع يوغسلافيا التي كانت تتأزم بين الحين والحين بسبب البانيا . وكانت ايطاليا تعتبر يوغسلافيا عثرة في طريق نفوذها في المنطقة . وعندما اخفقت الجهود الدبلوماسية في حسم المنازعات توجهت ايطاليا إلى عزل يوغسلافيا سياسيا

---

(١) من خطاب موسليني في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢. موجود عند

E. Woskemann, Fascism in Italy: Its Development and Influence, Macmillan, New york, 1964, p. 49.

وذلك عن سبيل المعاهدات مع بقية الدول المنبثقة عن الامبراطورية النمساوية ـ المجرية المفككة. وبما أن جيكوسلفاكيا مالت إلى يوغسلافيا كما أنها كانت قد انضمت إلى فرنسا لتطويق المانيا ، فان موسليني تقرب إلى النمسا والمجر. ففي ١٩٢٦ وقعت ايطاليا معاهدة صداقة مع رومانيا وفي نيسان ١٩٢٧ وقعت معاهدة صداقة مع المجر ولكن في المقابل أدت سياسة موسليني إلى اندفاع يوغسلافيا صوب فرنسا ففي تشرين الثاني ١٩٢٧ وقعت يوغسلافيا تحالفا مع فرنسا .

امتازت العلاقات الايطالية ـ الفرنسية بالتوتر وذلك لجملة أسباب . فعلى الصعيد الايديولوجي كانت الصحف الفرنسية تهاجم الفاشية كما أن مناهضي موسليني لجأوا إلى فرنسا . وقد لعب اليسار الفرنسي دوراً في تردي العلاقات بين الدولتين . وعلى الرغم من محاولات تلطيف الحملة الاعلامية والفكرية ضد الفاشية ، فان ايطاليا اعتبرت فرنسا عدوها المباشر. وكان السبب الثاني للخلافات الفرنسية الايطالية استعماريا حول تونس والرعايا الايطاليين فيها. ثم كانت مسألة طنجة وإبعاد ايطالية من مفاوضات تحديد منزلتها القانونية. كما أن الفرنسيين لم يتعاونوا مع الايطالنيين بصدد تعديل حدود ليبيا والحبشة لصالح ايطاليا .

لقد اتضح من توجه سياسة موسليني من ١٩٢٢ حتى ١٩٢٥ بأنها انشغلت بتأمين مكاسب من مغانم الحرب سواء عند حدود ايطاليا مع دول البلقان والنمسا أو في أفريقيا ، وذلك على حساب الاسهام في القضايا الامنية الاوربية الرئيسة. وكانت مسألة الابقاء على الوضع الراهن انذاك وقضية الامن الاوربي ذات الاهمية الرئيسة في سياسة الدول الكبرى ،وعلى الاخص فرنسا . وفي ١٩٢٥ اتجهت النشاطات الدبلوماسية صوب عقد اتفاقية تعهد أخرى،وقد عرفت هذه الاتفاقية باتفاقية لوكارنو. ومما لاشك فيه أن لوكارنو كانت حداً فاصلاً في السياسة الايطالية في اوربا . اذ اتيحت أمام ايطاليا فرص الاسهام في ترتيب

توازن القوى في اوربا . وجاء ذلك نتيجة تردد بريطانيا في ضمان جميع الحدود الالمانية بما فيها حدودها مع النمسا ،في حين رغبت فرنسا في درج الحدود الالمانية من الراين وحتى الادرياتيك في اتفاقية واحدة. وهذا الموقف الاخير اهتمت به ايطاليا ،الا ان موسليني كان مناهضا للسياسة الفرنسية بادىء الامر. ولكن عندما تحركت المانيا في مايس ١٩٢٥ في اتجاه الاتحاد مع النمسا ثارت مخاوف موسليني .وكان لديه مايبرر قلقه . فمنطقه برينر التي تركتها اتفاقية الصلح بحيث أصبحت سد التيرول النمساوية ضمن الحدود الايطالية وفيها ٢٠٠،٠٠٠ الماني اصبحت مهددة من قبل احتمال قيام المانيا العظمى . فاذا توصلت المانيا الى تسوية مع فرنسا وبولندا وجيكوسلفاكيا بشأن الحدود ، على ان يتكون بريطانيا دولة ضامنة فان من المنطق ان ينصرف الثقل الالماني نحو ايطاليا عبر النمسا بالاتحاد معها . لذلك كان على موسليني ان يتحرك في اتجاه الامن الاوربي والا فسوف يعزل . لكنه افاد نفسه من رغبة فرنسا من ضمان الحدود عند منطقة برينر وذلك بأن طلب من باريس ان تدفع ثمنا مقابل دخول ايطاليا الى الاتفاقية .وكان الثمن تعديل في مسألة الايطاليين في تونس ومنزلة طنجة والاقاليم المنتدبة في افريقيا. واظهرت باريس استعدادها على دفع الثمن فتشجع موسليني وانتمى الى معاهدة لوكارنو . ان العلاقات الفرنسية الايطالية في السنين التالية أظهرت عجز فرنسا في تلبية مطاليب ايطاليا . وعلى الرغم من المفاوضات الثنائية فان فرنسا لم تشبع طموحات موسليني في التوسع الاستعماري . ولعل النتيجة التي آلت اليها تلك العلاقات كانت حاسمة وخطرة بالنسبة لفرنسا وايطاليا واوربا على العموم . فقد جنحت روما الان الى الاخذ بفكرة مناصرة المانيا المطالبة بتعديل الوضع الراهن واضعااف فرنسا . وكان موقف ايطاليا من مسألة نزع السلاح دليلا واضحا على ذلك ، اذ ناشدت ايطاليا بقية أطراف فرساي ان يخفضوا تسلحهم إلى المستوى الذي فرض على المانيا والنمسا وتركيا بموجب معاهدة فرساي .

لقد أثر تسلم النازية للسلطة في المانيا على علاقات ايطاليا مع فرنسا والمانيا عبر قضية مصير النمسا. فقد سارعت فرنسا وايطاليا إلى التفاوض في تسوية الخلافات التي اعاقت تعاونها. وكانت النتيجة اتفاق على ضرورة صيانة استقلال كل من النمسا والمجر وتشجيعهما على تحقيق تفاهم مع جيرانهما من دول اوربا الشرقية. وعلى الرغم من الخطر النازي فان تفاهما حقيقيا بين ايطاليا وفرنسا لم يتم. فكان موسليني يرغب في الحفاظ بعلاقات ودية مع المانيا من جهة ومع بريطانيا وفرنسا من جهة اخرى واعتبر هذا الخط سبيلا لنيل الفوائد من الطرفين. لكن هذا الموقف لم يمنع موسليني من اظهار تأييد شديد لاحد الطرفين عندما كان الامر يقتضي ذلك. ففي مسألة النمسا كان موسليني ميالا لتأييد موقف بريطانيا وفرنسا في الضغط على برلين التي شجعت النازيين النمساويين على جر النمسا إلى اتحاد مع المانيا. بل حتى ان موسليني دفع قواته إلى برنر لصد تدخل الماني اثر اغتيال دلفوس رئيس وزراء النمسا من قبل النازيين (١). وبذلك وضع نهاية لمحاولة التوفيق بين المانيا وايطاليا بصدد النمسا والتي بدأت في لقاء لاول مرة في البندقية في حزيران ١٩٣٤ بين هتلر وموسليني.

ان تردد بريطانيا في القيام بدور رئيس في وسط اوربا وترك فرنسا لوحدها في الساحة لمجابهة المانيا النازية معتمدة على حلفائها في اوربا الشرقية، يضاف اليه عدم رغبة فرنسا في تلبية مطاليب موسليني في التوسع الاستعماري وضعا على ايطاليا مهمة شاقة لم تكن قادرة على تأديتها بالوقت الذي سعت فيه إلى كسب استعماري. فعلى الرغم من تأييد فرنسا وبريطانيا لدور ايطاليا البارز في النمسا وترحيبها بالبروتكولات التي عقدت في روما بين ايطاليا والنمسا وهنغاريا فان نجاحات موسليني في مجابهة توجهات المانيا نحو النمسا لم يكتب

(١) حول العلاقات الالمانية الايطالية بصدد النمسا راجع
J. Gehl, Austria Germany and the Anschluss 1931 -1938, Oxford University Press, London, 1963.

لها عمر طويل. فقد افسدت سياسة موسليني الاستعمارية في الحبشة ما حققته سياسته من توازن في وسط أوربا أسبغ على ايطاليا دور الدولة الكبرى الضرورية للامن الاوربي.

ان دخول ايطاليا الى حلبة السباق على امتلاك المستعمرات جاء متأخراً. لذلك احتلت مهمة اكتساب اراض جديدة منزلة رئيسة في الفكر الفاشي. وقد تعاظمت الدعوة الى الحصول على المستعمرات بعد ان تأكدت ايطاليا ان بسط نفوذها في منطقة البلقان والبحر المتوسط لن يتحقق من دون اثارة عداء بريطانيا وفرنسا. ولما كانت ايطاليا عاجزة عن مجابهة احدى الدولتين فانها تحاشت الولوج إلى المنطقة بعد فرساى مباشرة وانما اعتمدت اسلوب استغلال فرص التوازن الاوربي وقلق فرنسا على امنها في الراين وحرص بريطانيا على الابتعاد عن تعهدات أمنية في البر الاوربي. لكن فوائد هذه السياسة لم تكن وافية. ولذلك انصرفت ايطاليا إلى افريقيا.

ولقد تضافرت جملة اسباب أخرى حدث بموسليني إلى التوسع في افريقيا. فالمشاكل الداخلية التي عجز أسلوب الدولة الفاشي على حسمها ولدت امتعاضا داخليا كان لابد من تصريفه في مغامرة استعمارية تحقق لايطاليا توسعا يشبع رغباتها ويتجاوب مع دعوتها إلى ايجاد مساحة جديدة، لايواء الايطاليين. ثم ان الحبشة كانت أفقا استعماريا في وسع ايطاليا استغلاله. فمن جهة كانت الحبشة تغرى ايطاليا لثرواتها الطبيعية. كما ان الايطاليين كانوا قد عقدوا اتفاقية اوسيالي في ١٨٨٩ وظنوا أنهم خولوا حق الحماية على تلك المنطقة، وقد دنست سمعة ايطاليا كدولة كبرى في ١٨٩٦ عندما الحق الحبشيون الهزيمة بالايطاليين في معركة عدوى. ولذلك فان الشعور الفاشي كان يريد الانتقام لدرجة ما. ومما يلفت النظر ايضا ان مصالح الدولتين الاستعماريتين الاخيرتين (بريطانيا وفرنسا) كانت محدودة في الحبشة. فمصلحة فرنسا كانت محدودة في الحبشة. فمصلحة فرنسا كانت في سكة حديد جيبوتي — اديس ابابا وكان في وسع ايطاليا ان تضمن لفرنسا هذه الحقوق. في حين كانت مصالح

بريطانيا ذات مساس بحوض النيل. ويضاف إلى تلك الاسباب سبب آخر دفع ايطاليا الفاشية إلى الحبشة وهو القلق الذي انتاب اوربا بعد ان استولى الحزب النازي على السلطة. اذ تشجعت روما على ركوب المجازفة لان الوضع الاوربي كان لصالحها وذلك لانها أصبحت طرفا هاما في توازن العلاقات بين انصار معاهدة فرساي ومناهضيها.

في ١٩٢٣ دخلت الحبشة إلى عصبة الامم. وبعدها بسنة سعى هيلا سيلاسي، ولي العهد آنذاك إلى كسب تايد ومساعدة فرنسا او بريطانيا في منحه منفذاً إلى البحر اما عبر ارتيريا الايطالية او الصومال الفرنسي والبريطاني. غير ان جهوده لم تفلح. اثرها توجهت جهود الحبشة صوب ايطاليا وتمخض عن ذلك برتكول ايطالي حبشي في ١٩٢٨ ينطوي على تطوير العلائق الاقتصادية والتجارية بينها وعلى الامتناع عن السياسات الفردية التي قد تمس بمصالح كل منهما بالاضافة الى منح منفذ إلى البحر.

على الرغم من ذلك سارعت ايطاليا في الزحف على الاقاليم بالحبشة تدريجيا وكانت المجابهة بين ايطاليا والحبشة لا يمكن تلافيها، ولكن روما راجعت موقفها. فاتضح امامها جملة حلول. اما الحل العسكري واما الحل السياسي. وكلاهما تطلب من ايطاليا تأمين موقف فرنسا وبريطانيا فمن الناحية العسكرية كانت الحملة على الحبشة تعني تامين مواصلات بحرية في وجه الهيمنة البحرية البريطانية. وكان هذا امراً مستحيلا. ولكن العمل السياسي لوحده لن يحسم الامر ايضا. فبعد ان تعقدت العلاقات الاوربية بسبب موقف المانيا من فرساي والراين أصبحت عملية التفاهم مع كل من بريطانيا وفرنسا متداخلة. وفي اثناء ذلك كانت روما تتربص الفرص وتسعى لاثارة الحبشة. وفي ١٩٣٤ حدثت ازمة حول الحدود في والوال ودارت اشتبكات بين القوات الايطالية والحبشية. وفي كانون الاول تقدمت الحبشة بطلب إلى العصبة للنظر في الامر.

لقد افادت روما موقفها من قلق فرنسا على الراين اثر تسلح المانيا. فقد اتضح ان أمن فرنسا في الراين يعتمد بدرجة كبيرة على مساعدة ايطاليا وذلك

لان بريطانيا لم تظهر استعداداً لتقديم تعهد بهذا الشأن. وكانت فرنسا فعلا راغبة في تحسين العلاقات مع ايطاليا بصدد القضايا التي اعاقت قيام تفاهم فيما بينهما. اما موقف بريطانيا فكان غامضا ومن الصعوبة بمكان تقريبه من الموقف الايطالي. ومع ذلك فقد ارسلت ايطاليا تعزيزات عسكرية إلى مستعمراتها في شرق افريقيا وفي آذار ١٩٣٥ تقدمت الحبشة بطلب ثان إلى العصبة وفقا للمادة العاشرة بشأن حسم الخلافات. الا ان المناخ الاوربي الذي انشغل بالسياسة الالمانية دفع بقضية الحبشة إلى الوراء. ووجد موسليني فرصة سانحة لكسب رضا بريطانيا التي حرصت على الابقاء على روح تفاهم لوكارنو. لكن ثمة عثّرات أعاقت التفاهم البريطاني الايطالي. فاذا ناصرت بريطانيا تحركت ايطاليا وتخلت عن العصبة فإن ذلك سيثير الرأي العام البريطاني، اما اذا وقفت بريطانيا في طريق الجهود الايطالية فانها بذلك ستربك محاولات التقارب الفرنسي — البريطاني — الايطالي في وجه المانيا. لذلك جندت بريطانيا الضغط على الحبشة للسير نحو ارضاء ايطاليا.

في مايس ١٩٣٥ اتخذت العصبة قرارين، اولا ان تحسم لجنة المصالحة الايطالية — الحبشية ازمة وال وال. اما اذا اخفقت فان مجلس عصبة الامم يتولى الامر. وكانت بريطانيا نشطة في مجال توظيف العصبة لمعالجة الامر على الرغم من ان مصالحها المباشرة لم تكن عرضة للخطر في الحبشة. وسبب نشاطها يعود الى ان الشعب البريطاني صوت بـ ٩٥٪ لصالح تأييد عصبة في مسألة الامن واعتبارها عصب رئيسي في نظام الامن الجماعي. كما ان نتيجة الخصام الايطالي الحبشي كانت في نظر بريطانيا مضرة على العلاقات الدولية. فاذا كانت حرب ايطاليا قصيرة وحاسمة فان روح المغامرة الايطالية ستعزز وربما تحاكيها دول اخرى. واذا كانت الحبشة بركة وحل تغوص فيها ايطاليا، فان دورها في اوربا سوف يتضاءل. وفي حالة اندحار ايطاليا في الحبشة سوف تسرع ايطاليا إلى مد يدها إلى القوة التي ستعينها، وكانت المانيا المرشح الاول للقيام بهذه المهمة. ويضاف إلى ذلك ان العصبة سوف تتشتت وكانت واجهة

للامن الاوربي ويتحرك من ورائها البريطانيون والفرنسيون والايطاليون. وهكذا فقد كان على بريطانيا وفرنسا ان تختار االمحصلة. ولكن محاولات التوفيق انتهت بالفشل في آب.

في ٣ تشرين الاول ١٩٣٥ عبرت القوات الايطالية حدود الحبشة وبعدها بشهر اجتمع مجلس عصبة الامم وقرر اعتماد المادة السادسة عشر التي تقضي بتطبيق العقوبات. لكن اسلوب التطبيق كان جزئيا. اذ لم تكن في نية بريطانيا تطويق ايطاليا بحريا ولا قطع طريق السويس عليها او منع المواد الرئيسية عنها. ولما كانت بريطانيا غير مصممة فان فرنسا تلكأت بعد ان رأت ان بريطانيا لا تنوي قيادة الموقف. في كانون الاول اجتمع لافال، وزير خارجية فرنسا، وهور، وزير خارجية بريطانيا، وتقدما بمشروع لتسوية الامر. بيد ان موقف الرأى العام من سياسة مجافاة العصبة ادى إلى تنحية هور وبذلك اخفقت الخطة. وفي شباط ١٩٣٦ تمكنت القوات الايطالية من دحر الحبشيين. وفي ٥ مارس احتلت اديس أبابا واعلن موسليني قيام الامبراطورية الايطالية (١).

لقد كان في حسبان موسليني ان الوقت كان يجري ضد مشاريعه في افريقيا. لذلك حاول ان ينهي قضية التوسع في افريقيا قبل ان تتعقد الساحة الاوربية، وعلى الاخص نهوض المانيا. لكن الزلزال الذي اصاب معاهدة فرساى باحتلال المانيا لمنطقة الراين برهن على ان توقيت موسليني كان غير صائب. فقد جرته احداث الاتحاد بين المانيا والنمسا إلى مواقف كان لا يرغب في اتخاذها.

ان نهوض المانيا النازية وتوجهها نحو النمسا وهنغاريا كان من جملة مايعنيه اما ان ترضى ايطاليا بزعامة المانيا او ان تتشاطر معها وسط اوربا او

(١) حول الحرب في الحبشة راجع:

A. Del Boca, the Ethopian War 1935-1941, the Univ. of Chicago Press, Chicago, 1969.

ان تجنح نحو فرنسا وبريطانيا. ولما كان الحل الاخير عسيراً بسبب احداث الحبشة وتدخل ايطاليا في الحرب الاهلية في اسبانيا ولما كان الحل الاول ايضا غير مقبول من قبل روما فان الحل الثاني كان الاكثر تقبلا عند الطرفين. اى ان تكون يوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا مجال نفوذ ايطالي وفي آذار ١٩٣٧ وقعت ايطاليا ويوغسلافيا ميثاقا.

لكن المعوق الرئيس في طريق المحور الالماني — الايطالي كانت مسألة النمسا. «فيما يخص العلاقات الايطالية — الالمانية — صحيح ان هناك مسألة هامة وهي قضية النمسا وهي مسألة ذات اهمية رئيسية وعندما نتكلم عن هذا الامر ينبغي ان نقول إلى اولئك الذين يريدون ان يصرفوا نظرنا إلى البرنر كي يمنعونا من التحرك في اماكن واسعة براً وبحراً ... ان مسألة استقلال النمسا هي مسألة تخص النمسا ،وتخص اوربا لكونها دولة اوربية. ولا تقتصر على ايطاليا وحدها» (١) فكان على موسليني ان يختار اما حماية ايطاليا لاستقلال النمسا وبذلك يكسب تأييد بريطانيا وفرنسا واما التخلي عن النمسا وترك مصيرها لهتلر وبذلك يكسب مناصرة المانيا. وكانت الاوضاع الداخلية في النمسا متوترة بين الحزب النازى والحكومة. وقد تأثرت حركة موسليني في الساحة النمساوية بالحملة على الحبشة ومن ثم بتدخله في اسبانيا. اذ تقلصت حركته وكان ينزلق تدريجيا نحو تغافل مايجرى من ضغوط المانية على النمسا لضمها اليها. وفي آذار ١٩٣٨ نالت المانيا هدفها بفضل موقف ايطاليا. وفي مايس ١٩٣٨ زار هتلر ايطاليا. وجرت مفاوضات بشأن تحالف عسكري — سياسي — اقتصادي انطوى على تعهد بتقديم المساعدة لحماية اراضي كل طرف لكن الزيارة لم تحقق ذلك سوى انها عززت انتماء ايطاليا إلى التفاهم الثلاثي بين ايطاليا ، واليابان والمانيا في ميثاق معاداة الاممية الذي وقع في نهاية ١٩٣٧ .

---

(١) خطاب موسليني في مجلس النواب في ١٩٣٥/٥/٢٥ انظر.

S.B. Clough and S.Saladino, ed., A History of Modern Italy, Documents, Reading, and Commentary, colanloia University Press New york, p. 488.

المبحث الخامس

بريطانيا العظمى

لقد هبت على الجزر البريطانية . شأنها شأن بقية الاقطار المتحاربة تيارات عاتية كانت فاعلة في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية خلال العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، لكن الحرب العالمية الاولى اعطتها زخما كبيرا بحيث لم يعد من السهولة بمكان احتواء التطلعات السياسية في برنامج عمل تمليه الاوضاع كما كان الحال عليه اثناء الحرب .

ومع انتهاء الحرب بين المانيا والحلفاء توجهت حكومة الائتلاف ، التي ترأسها لويد جورج بمساعدة حزب المحافظين بعد ان انشق عن الاحرار في ١٩١٦ ، الى الشعب للحصول على وصاية منه لمعالجة اوضاع ما بعد الحرب . وكانت مسألة الصلح مع المانيا ومعاملتها في مقدمة القضايا لانها ذات مساس بالمواقف السياسية للاحزاب والشخصيات السياسية من جهة ، ولانها وسيلة للتعويض عن الخسائر التي تكبدتها بريطانيا ماديا ومعنويا من جهة اخرى . وكان الشعور السائد هو ان تقر المانيا على دفع تكاليف الحرب التي تحملتها بريطانيا وان لايترك شريان في الاقتصاد الالماني الا ووظف من اجل اعادة بناء الاقتصاد البريطاني الذي تزعزعت رواسيه وتبدلت أولوياته اثناء الحرب . لكن رأيا آخر كان يتجمع هنا وهناك بان حلما كذا يستعصى تحقيقه ، بل والاكثر من هذا ان انعاش الاقتصاد البريطاني يعتمد لدرجة كبيرة على تنشيط الاقتصاد الالماني ، فبريطانيا دولة ترتبط ارتباطا وثيقا بالاقتصاد العالمي .

في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ حل البرلمان البريطاني على ان تجرى الانتخابات العامة في ١٤ كانون الاول . وطرحت الاحزاب عهودها وتعهداتها لبناء مستقبل ما بعد الحزب وانطوت البرامج السياسية الانتخابية على الصلح مع المانيا والاوضاع الداخلية . وكلها كانت تشدد على ان تجعل من بريطانيا اما بعد الحرب دولة رفاهية يستحق العيش فيها رجال الحرب العالمية الاولى ،

رغم ان السبل التي اقترحت كانت متباينة . فحزب العمال الذي خرج عن ائتلاف الحرب وتقدم للناخبين كحزب مستقل ينشد بناء بريطانيا على اربع دعائم تأميم الصناعات من بينها السكك الحديدية والكهرباء والفحم وتأميم الارض ،وثانيها توزيع عادل في الضرائب ، وثالثها التأمين الاجتماعي ومستوى عمالة عالي ، ورابعها توزيع فائض الثروة القومية على الصالح العام . وكان معين التأييد لحزب العمال هي نقابات العمال التي شهدت تغييرا في هياكلها التنظيمية نحو سيطرة اكثر من قبل لجنة مركزية . وكان مؤتمر نقابات العمال ولجنته التنفيذية يتعاون مع حزب العمال في البرلمان .

لقد جرت الانتخابات العامة في ضوء قانون تمثيل الشعب لسنة ١٩١٨ والذي اعطى حق التصويت للرجال بعمر ٢١ سنة وللنساء بعمر ٣١ سنة ، وجعل الاقتراع في يوم واحد كما وزعت المقاعد على مقاطعات جديدة . وبفضل هذا القانون اكتسب مليوناً رجل وستة ملايين امرأة حق الانتخاب . وجاءت نتيجة الاقتراع لصالح جبهة الائتلاف المكونة من جناح لويد جورج في حزب الاحرار والمحافظين بزعامة بونار لو . وكان الاخير مؤثرا على حزب المحافظين وكان حزب العمال اقوى جبهة في المعارضة اذ نال على ٥٩ مقعداً رغم انه كسب تأييدا وطنيا كبيراً لانه قدم عدداً كبيراً من المرشحين . وحاز الاحرار على ٢٦ مقعداً. وكانت هذه نكسة كبيرة دللت على اتجاه الرأى العام السياسي البريطاني والذي ساد حتى الان .

في نيسان ١٩٢٠ دب الركود في الاقتصاد البريطاني وظهرت معالم التضخم والبطالة . ومماعمق من آثار الركود ان الاقتصاد العالمي والاخص الاوربي كان هو الآخر يعاني من ارتباك عام . ومع ان الحكومة شرعت قوانين لمواجهة الاضرابات . فانها من جهة اخرى سنت قانونين هامين لمعالجة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية . وهما قانون الاسكان وتخطيط المدن وقانون التأمين ضد البطالة .

اما على صعيد الشؤون الدولية فان نشاطات حكومة الائتلاف انحصرت على مؤتمر الصلح والسعي لكسب اكبر حصة من غنائم الحرب . وكانت القضايا الاساسية مسألة المستعمرات الالمانية، والتعويضات ، وتسلح المانيا وعصبة الامم ورسم الخارطة الاوربية . وفي شباط ١٩١٩ افتتح مؤتمر باريس واتخذت الوفود مواقفها وتخندقت وفقاً لمصالحها الامنيةوالسياسية والاستعمارية فمن حيث الامن اجمعت الوفود على ضرورة نزع سلاح المانيا واضعافها تحاشيا لحرب محتملة . وكانت فرنسا اكثر الدول تصلبا في هذا الشأن .
ومن الناحية السياسية فان رؤساء الدول الكبرى روجوا افكاراً اعتبروها حلولا للصراعات العالمية . فاقترح اسلوب عصبة الامم ليحل محل نظام توازن القوى . وكان الرئيس الامريكي وودرو ولسن من الدعاة المتحمسين ، في حين نظر لويد جورج وكليمنصو الى نظام العصبة من زاوية اضيق باعتباره اسلوبا اضافيا لاضعاف المانيا ولتصريف الشؤون الدولية . اما بصدد الاقاليم التابعة الى الامبراطورية الالمانية والامبراطورية العثمانية فقد تزاحمت عليها الدول الاوربية وتسترت على اتفاقيات وبرتكولات وتعهدات توزيع تلك الممتلكات بصيغة دولية ربطت بهيكل عصبة الامم صوريا . فجاء نظام الانتداب . وحصلت بريطانيا ودول الدمنيون التابعة لها على اقاليم عديدة ذات اهمية عسكريةو اقتصاديةو استراتيجية فتعززتمواقع الامبراطورية البريطانية عندما نالت من الدولة العثمانية اقاليم العراق وفلسطينمن درجة(آ)منالانتداب ونالت شرق افريقيا وجزءا من الكاميرون من درجة (ب) من الانتداب . وعليه فقد استحكمت قبضة البحرية البريطانية على مداخل الهند والبحر الابيض المتوسط . ولكن واجهت الاطماع البريطانية الاستعمارية معارضة استعمارية من جانب الدول الحليفة لها . فكانت فرنسا تطمح بنيل الموصل وفقا لاتفاقيات سايكس بيكو السرية . في حين كانت ايطاليا تطالب بحصتها وفقا لاتفاقية لندن في ١٩١٥ . وقد تعرقلت عملية توزيع الحصص بسبب تطور الاحداث في تركيا ونهوض الحركة الكمالية . واوشكت العلاقات البريطانية ــ التركية

ان تسير الى الحرب لفرض شروط صلح . وبينما كانت المناورات الدبلوماسية حادثة حدثت مجابهة تركية – يونانية اثرت على موقف بريطانيا من الدولة التركية الجديدة . وشعرت بريطانيا بان فرنسا وايطاليا غير مستعدتين لخوض حرب مع تركيا . ولكي لاتترك وجها لوجه بمفردها مع تركيا لجأت الى مؤتمر لوزان في نهاية ١٩٢٢ الذي توجت المفاوضات فيه بتوقيع اتفاقية لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣ .

وكان التعاون البريطاني – الفرنسي يتعثر لاسباب عدة . فالتصلب في الموقف الفرنسي من المسألة الالمانية ، وقلق فرنسا الشديد على ضمانات امنها وعدم تنسيق مواقفها مع بريطانيا بصدد ممتلكات الدولة العثمانية ، والأزمة الاقتصادية الداخلية كلها تعاضدت لتبعد المسافة بين فرنسا وبريطانيا ففي نهاية ١٩٢١ جرت مباحثات لعقد تحالف بريطاني فرنسي ولكن من دون جدوى .

فبريطانيا حريصة على تضييق رقعة التزاماتها ، في حين كانت فرنسا تريد تحالفا يغطي المخاطر المباشرة وغير المباشرة لامنها . وعليه فان سياسة فرنسا ازاء المانيا جعلت التحالف البريطاني – الفرنسي امرا عسيرا التحقيق .

ان انهيار المانيا وروسيا قلل من اهمية التحالف البريطاني – الياباني في ١٩٠٢ لكن الشرق الاقصى كان مجالا حيويا للسياسة البريطانية فالتدهور في العلاقات اليابانية الصينية بسبب محاولات اليابان فرض هيمنتها انعكس على العلاقات البريطانية الصينية كما ان خشية دول الدمنيون البريطاني (كندا ونيوزيلاند واستراليا) من احتمال نزاع ياباني – امريكي دفعها الى عدم تحبيذ التحالف مع اليابان . وعليه فقد سعت بريطانيا إلى ترتيب جديد في الشرق الاقصى. وفي منتصف ١٩٢١ اقترحت الحكومة البريطانية عقد مؤتمر لتنظيم شؤون المحيط الهادي ثم قامت الولايات المتحدة بالمبادأة . وقد خرج المؤتمر بجملة ترتيب:

(١)اتفاقية الدول الاربعة في ١٣ كانون الاول ١٩٢١(بين بريطانيا وفرنسا واليابان والولايات المتحدة).

(٢) اتفاقية الدول التسع في ٦شباط ١٩٢٢بصدد الصين .

(٣) اتفاقية الدول الخمس في ٦شباط١٩٢٢ بصدد وضع حدود على الاسلحة البحرية. وقد تمخض عن اتفاقيات مؤتمر واشنطن وهنا في الموقف الاستراتيجي لبريطانيا فيه المحيط الهادي والشرق الاقصى . فقد حرم عليها بناء التحصينات الاضافية . ولكن من جهة اخرى افلحت في احراز استقرار في الشرق الاقصى لانها لم تكن قادرة على صد التوسع الياباني في الصين.

ان تأزم العلاقات البريطانية التركية واحتمال حدوث اشتباكات عسكرية على نطاق واسع بين الطرفين اجج التوترات في حكومة الائتلاف مما حدى بحزب المحافظين على سحب تأييدهم لرئيس الوزراء لويد جورج فاستقال في ٦تشرين الاول ١٩٢٢ وبعد شهرين جرت انتخابات عامة فاز فيها حزب المحافظين وأحتفظ باغلبية على الاحزاب المعارضة . وطرح حزب المحافظين سياسة الحماية لمعالجة البطالة . بيد ان هذا الحل قاد إلى هزيمة الحكومة في مجلس العموم. وفي كانون الاول ١٩٢٣ جرى اقتراع عام. وخسر المحافظون ٩٠مقعدا وكسب الاحرار ٤٠ في حين كسب العمال ٥٠ مقعدا . وتألفت اول حكومة عمالية بزعامة رامزي مكدونالد . وشرعت حكومة العمال في اظهار قدرتها على الحكم رغم ان السلطة لم تكن بيدها اذا احتاجت إلى تأييد الليبراليين .ومن جملة الاصلاحات التي عملت من اجلها مسألة السكن حيث زادت المساعدات

وطالبت الادارات المحلية ببناء مساكن اضافية . وفي مجال التعليم الثانوي اتيحت فرص التعليم امام قطاع كبير من السكان كانوا محرومين في السابق ؛ ولكن المسائل الاقتصادية لم تجد حلولا عند العمال . فالبطالة والاضرابات استعصت على الحل.

لقد تعرضت حكومة العمال بزعامة ماكدونالد إلى سياسة بريطانيا الخارجية بمحاولة لتلطيف المخاوف الفرنسية من المانيا وذلك باستعداد ماكدونالد تقديم مساندة لفرنسا عند الضرورة ظنا منه ان الحاجة لن تدعو إلى ذلك. ومن جهة اخرى كان ماكدونالد اكثر ميلا نحو المانيا وتحسسا بوضعها الاقتصادي. ولما كانت بريطانية ضعيفة عسكريا لتفرض حلولها على اوربا كان من رأى ماكدونالد الاعتماد على خلق مناخ من الثقة. خاصة وان العلاقات مع فرنسا قد توترت بسبب احتلال فرنسا لمنطقة الرور الالمانية نتيجة اخفاق المانيا في دفع ما عليها من اقساط التعويضات. وقد اتاحت محادثات لجنة دوز مجالا لتأمين حصة فرنسا مقابل استلام بريطانيا لنسبة من التعويضات لدفع ماعليها من ديون للولايات المتحدة.

ومما شجع الفرنسيين على الاخذ بالموقف البريطاني هو ان حكومة العمال لم تغفل مسألة الامن الاوربي. لكن التحسن في العلاقات البريطانية — السوفيتية في ظل حكومة العمال وعقد اتفاقيات تجارية اغاظ المحافظين والليبراليين على السواء. فسحب الليبراليون تأييدهم من حكومة العمال فسقطت. وكان سقوطها يعني اجراء انتخابات جديدة. ومع سقوط حكومة العمال تلاشت جهود ماكدونالد في احياء العصبة والتشديد على نزع السلاح بالاتفاق، وعلى الاخص دعوته إلى برتكول جنيف الذي كان سيجعل من بريطانيا طرفا في تأمين سلامة حدود الدول الاوربية.

لم تر افكار ماكدونالد في السياسة الاوربية النور لان حزب المحافظين لم يسر على نفس النهج. وكان سقوط حكومة العمال لاعتبارات عديدة. فالاحرار شككوا في توجهات حزب العمال نحو الاتحاد السوفيتي. وحاول اسكويث زعيم الاحرار ان يهزم العمال وبذلك يتمكن من تشكيل الوزارة رغم ان حزبه لم تكن له الاغلبية. ومما اضعف من فرص العمال في الانتخابات نشر رسالة زينوفيف رئيس الاممية التي دعا فيها الحزب الشيوعي البريطاني إلى نشاطات استثنائية. وقد هيجت هذه القضية مخاوف الناخبين من الطبقة الوسطى ومالوا إلى المحافظين.

ترأس بولدون حكومة المحافظين. وكان اوستن تشمبران يشغل منصب وزارة الخارجية وتشرشل منصب وزارة المالية. وفي ضوء الاوضاع العامة اوحت حكومة بولدون بانها حكومة الوعود سواء على الصعيد الداخلي او في مجال الامبراطورية أو السياسة الدولية. فعلى صعيد السياسة الداخلية انصرفت حكومة المحافظين إلى تعديلات واصلاحات جزئية لكنها كانت امتدادا إلى النظرة السائدة في مفهوم دولة الرفاهية. فلم يعترضوا على التأمين الصحي ولا على مبدأ التأمين ضد البطالة سوى انهم رفضوا زيادة المعدل. وشرعوا التأمين على كبار السن وضاعفوا من دخل المسنين. كما ان الانفاق على التعليم ازداد. فبعدما كانت حصة التعليم ١,١ ٪ من الدخل القومي قبل الحرب اصبح ٢,٢٪ واقيمت مؤسسات عامة في بعض الصناعات. ففي ١٩٢٦ تأسس مجلس الطاقة الكهربائية. وفي ١٩٢٨ انتقلت اذاعة لندن إلى هيئة عامة بعدما كانت شركة اهلية. وفي نفس السنة اعطى حق التصويت للنساء بعمر ٢١ سنة وفي مجال التجارة والصناعة اعتمد تشرشل اسلوب تخفيض العملة ثم عادت بريطانيا فاعتمدت نظام العملة الذهبية كأساس للباوند الاسترليني بمعدل ما قبل الحرب. فنتج عن ذلك زيادة اسعار الصادرات البريطانية في سوق تجارة عالمية غير مستقرة وعليه تضررت الصناعة البريطانية وارتفعت نسبة البطالة.

كانت البطالة من الظواهر الاقتصادية التي لازمت النظم الرأسمالية. ولكنها ازدادت حدة بعد الحرب العالمية الاولى. وتفجرت ازمة البطالة في ١٩٢٦ بعدما كانت قد جمعت قوة اندفاع منذ نهاية الحرب. ففي ١٩٢١ استخدمت حكومة الائتلاف بزعامة لويد جورج اجراءات استثنائية واستعرضت قوتها العسكرية لانهاء اضراب تحالفت على قيامه ثلاث نقابات عمالية كبرى وهي نقابة عمال مناجم الفحم ونقابة عمال سكك الحديد ونقابة عمال النقل. وفي ١٩٢٥ لجأت شركات المناجم إلى تخفيض في اجور العمال. وحاولت مرة اخرى في ١٩٢٦ فرفض اتحاد نقابات العمال شروط اصحاب المناجم. فتولت الحكومة دراسة الامر وخرجت بتوصيات لم ترض احداً وكانت

اكثر تعاطفا مع اصحاب المناجم. ولكي تضغط اتحاد النقابات على الحكومة واصحاب المناجم دعا إلى ايقاف العمل جزئيا . وتعثرت المفاوضات بين الحكومة والنقابات. وفي ٣ مايس بدأ الاضراب العام ودام تسعة ايام. وتصلب موقف الحكومة من الحركة النقابية فشرعت في ١٩٢٧ قانون المنازعات العمالية ونقابات العمال وحرمت بموجبه الاضرابات التعاطفية واستخدام اموال النقابات لاغراض سياسية.

في ١٩٢٦ عقد مؤتمر امبراطوري لوضع مبادىء امم الكومنولث البريطاني. وكانت علاقات بريطانيا مع ممتلكاتها ودول الدمينون تستند إلى صيغ مختلفة. فالدول البيضاء (ايرلندا الحرة، كندا واستراليا ، وجنوب افريقيا) تمتعت باستقلالية كبيرة حتى انها حضرت مؤتمر فرساي بل ووضعت يدها على مستعمرات المانية واصبحت منتدبة. اما علاقة بريطانيا بالهند فكانت على اسس استعمارية مع محاولات جزئية لارساء نظام دستوري مرتبط بالتاج البريطاني وكحلقة من الحلقات الاستعمارية شددت بريطانيا خلال فترة ١٩٢٥ — ١٩٢٩ على مصالحها في البحر الابيض المتوسط وعلى الاخص مصر وكذلك السودان. كما انها ماطلت في التسريع بعملية دخول العراق إلى عصبة الامم وناورت بصيغ تعديل المعاهدات تعديلا سطحيا شانها شأن مصر.

لقد آثار تراجع حكومة المحافظين عن مواقف حكومة مأكدونالد ازاء الامن الاوربي مخاوف فرنسا وبلجيكا بقدر ما طمأن التراجع دول الدومينون من ان بريطانيا لن تلج سياسة تحمل اعباء مسؤو ليةدولية. وفي ١٢ آذار ١٩٢٥ اعلن تشمبرلن وزير خارجية بريطانيا ان حكومته ستسعى لتعزيز جهاز عصبة الامم في مجال الامن الاوربي. وكان توجه حكومة بولدون يستند إلى محاولات سابقة سعت من اجلها بريطانيا وفرنسا والمانيا. فبعد تعثر تحالف بريطاني — فرنسي لضمان حدود فرنسا مع المانيا، تقدمت المانيا ١٩٢٢ باقتراح لعقد ميثاق ضمان ثنائي بين المانيا ودول الحلفاء بصدد حدودها الغربية لمدة جيل. لكن حكومة برانكاريه الفرنسية رفضت. وفي مطلع ١٩٢٥ بعثت الحكومة

الالمانية النشاط في اقتراحها. واحتفظت بريطانيا بالمبادأة. ورحبت بها بلجيكا ثم فرنسا. وبعد مفاوضات دامت عدة اشهر اعترضتها تداخلات سوفيتية واحتراسات من جانب دول الدومنيون وقع الميثاق في لندن في نهاية ١٩٢٥.

لم تحظ الجهود البريطانية بنجاح بارز في مجال نزع السلاح الذي تمت الترتيبات لانجازه في اطار عصبة الامم. فموقف بريطانيا كان موزعا بين تأييد افكار تساندها المانيا وبين طروحات رحبت بها فرنسا. فمن حيث حجم القوات المسلحة كانت بريطانيا تطالب بتخفيض عدد الجيوش وهذا مطلب وجد طريقه إلى قلب الألمان لأنهم كانوا منزوعي السلاح بحكم معاهدة فرساي كما ان بريطانيا طالبت بتخفيض الانفاق العسكري. في حين انها اعترضت على تحديد القوة البحرية، وهذا شيء طبيعي، وكانت فرنسا من انصار بريطانيا في هذا الشأن. لكن ايطاليا التي كانت منافسة مع فرنسا في البحر الابيض المتوسط اعترضت على الاقتراحات كما اعترضت الولايات المتحدة. وعليه انتهت مباحثات نزع السلاح إلى نهاية مغلقة حتى ١٩٣٢ عندما عقد مؤتمر نزع السلاح.

وانضمت بريطانيا الى محاولتين اخريين في مجال تعزيز الامن الاوربي والعالمي. ففي ايلول ١٩٢٧ وافقت الجمعية العامة لعصبة الامم على اقتراح بولندى يدعو إلى تحريم الحرب العدوانية. وبعد ذلك بسنة تقريبا وقعت مجموعة من الدول ميثاق بريان — كيلوك الذي كان في الاصل اقتراحا تقدم به بريان إلى الولايات المتحدة يدعو إلى اعتبار الحرب اجراء غير قانوني. ولكن الولايات المتحدة عرضت الفكرة على الدول الاوربية الأخرى فوافقت عليه وبهذا فقد الاقتراح جوهره لانه انتشر إلى حالات يصعب السيطرة عليها. فبريطانيا من جهتها اعتبرت ان بعض مناطق في العالم — مصر والسويس — ذات اهمية كبرى لمصلحتها القومية ولا يمكن ان تخضع لاقتراح بريان — كيلوك. ومن جانبها احترست الولايات المتحدة ايضا تماشيا مع روح مبدأ مونرو.

في مايس ١٩٢٩ جرى اقتراع عام. وجاء العمال إلى السلطة بعد ان كسبوا ٢٨٨ مقعد مقابل ٢٦٠ للمحافظين و٥٩ للاحرار. ولم يكن لحكومة العمال اغلبية ساحقة اضافة إلى ان الحزب اعتنق موقفا اصلاحيا وعليه فقد سعى إلى اسلوب الرأسمالية المنظمة. وهو اسلوب يرضي العمال ولا يثير اصحاب الصناعات والمشرفين عليها. ففي ١٩٣٠ شرعت الحكومة قانون مناجم الفحم حيث خفضت ساعات العمل إلى ٧ ١/٢ ساعة واعطت في المقابل حرية تحديد الاسعار ومعدلات الانتاج لاصحاب المناجم. وفي ١٩٣١ شرع قانون تسويق المنتجات الزراعية، حيث تشكلت هيئة عامة لتحديد الاسعار. وشجعت الحكومة المعونات لبناء المساكن. لكن الحكومة اخفقت في الغاء قانون المنازعات العمالية لسنة ١٩٢٧ حيث اعترض الاحرار. ومع هذا افادت حكومة العمال نفسها من الانقسامات التي هزت حزب المحافظين والاحرار معا.

في تشرين الأول ١٩٢٩ انهار النظام المالي العالمي بعد الركود الذي أصاب الولايات المتحدة. وتعطلت سيولة القروض من أمريكا وزادت معدلات البطالة وبلغت في ١٩٣١ (٢,٥ مليون) عاطل. ولم تكن أمام حكومة العمال حلول لمواجهة الموقف. فالأزمة عالمية وأسبابها خارجية. وفي آب ١٩٣٠ أوشكت المؤسسات المالية اللندنية على الأفلاس. وتعثرت سياسة الحكومة أمام عقبات بعضها من داخل صفوفها وأخرى بين صفوف المعارضة. فاختار مكدونالد خيار حكومة وطنية تجمع كل القوى السياسية. وفي ٢٤ آب تشكلت حكومة جديدة برئاسته. وكان مقصدها الأساسي لمعالجة الأوضاع الإستثنائية التي عرفتها بريطانيا وعند تحقيق ذلك كانت الأحزاب سترجع إلى خنادقها السابقة. واتخذت الحكومة اجراءآت مالية لحماية النظام المصرفي. وخفضت النفقات ورفعت الضرائب. وأخرجت الباوند الاسترليني من نظام الذهب. وفرضت ضرائب على الاستيراد بنسبة ١٠٪ . ومع هذا فقد بلغت معدلات البطالة مستويات عالية. ففي ١٩٣٢ كان عدد المنتفعين من نظام التأمين ٧ ملايين. ولكن بحدود ١٩٣٣ تحسنت الحالة الصناعية في بعض المجالات.

فقد عقدت بريطانيا اتفاقيات تجارية مع دول خارج الكومنولث وأقامت منظمة الاسترلنك وكذلك وقعت على اتفاقيات اوتادا التي انطوت على نظام التجارة الحرة بين دول الامبراطورية. وكانت الغاية من وراء ذلك تصريف التجارة البريطانية الى أنحاء الامبراطورية، وكذلك الاحتماء وراء الضرائب على الاستيراد كي تنتعش عملية تجديد وتحسين الصناعات البريطانية .

لقد أعطت حكومة العمال اهتمامها إلى الشؤون الخارجية . وكانت لشخصية الماكدونالد أثرها في تصريف القضايا الرئيسة في العصبة ومع المانيا. وقد التفتت الحكومة العمالية إلى علاقات بريطانيا مع الاتحاد السوفيتي . وكانت ثمة عقبات تعيق إقامة علاقات ودية وطبيعية بين الدولتين . فلا حزب العمال ولا حزب المحافظين كان منشداً إلى علاقة حميمة مع الاتحاد السوفيتي. ثم أن مسألة ديون بريطانيا للدولة القيصرية لم تسو حتى ١٩٢٩. وشرعت الحكومتان في مفاوضات ثنائية لتحسين العلاقات ولكن من دون جدوى . وعندما تولت الحكومة الوطنية السلطة في ١٩٣١ لم يحدث تبديل في السياسة البريطانية ازاء الاتحاد السوفيتي رغم أن التجارة بين البلدين تحسنت وارتفعت صادرات بريطانيا للاتحاد السوفيتي من قرابة ٥ ملايين باوند استرليني في ١٩٢٩ إلى ٩,٥ مليون في ١٩٣١ . وكانت المسألة الألمانية المحطة الثابتة للسياسة البريطانية بعد العلاقات مع الاتحاد السوفيتي . وهنا تبرز قضيتا التعويضات ونزع السلاح. أما بصدد التعويضات فإن مشروع يونك كان يستهدف وضع حل نهائي للمسائل الاقتصادية التي ترتبت على اندحار المانيا. وكانت حصة بريطانيا من التعويضات أقل من حصة فرنسا. وبعد ضغط من جانب الوند البريطاني وافقت المانيا على رفع حصة بريطانيا بزيادة الدفع من جانبها. وفي مطلع ١٩٣٠ اجتمع مؤتمر في لندن لنزع السلاح البحري . وكانت بريطانيا واليابان والولايات المتحدة على اتصال منذ ١٩٢٥. وكانت الغاية أن تتوصل الحكومات إلى مبادئ عامة ثم تترك الأمور التفصيلية إلى لجان مختصة. وقد قبلت فرنسا وايطاليا الاشتراك لكن ثمة خلافات في الموقف دبت بين الأعضاء . ففرنسا

كانت ترغب بنسبة عالية من حيث عدد البوارج والحمولة عموماً وذلك لاعتبارات استراتيجيتها في البحر الأبيض المتوسط من زاوية ايطاليا من جهة أخرى. كما أن اليابان كانت تنادى بنسبة ٧٠٪ من مجموع حمولة حصة الولايات المتحدة. وأفلحت الحكومة البريطانية في الحصول على موافقة اليابان على حل وسط. فقد خفضت بريطانيا بوارجها من ٧٠ إلى ٥٠ في حين أتيح الحق لليابان لبلوغ نسبة ٧٠٪ من الحمولة.

وعلى الرغم من تعاون اليابان مع بريطانيا والولايات المتحدة في مجال نزع السلاح، إلا أن غيوم الخلافات كانت تتجمع في الشرق الأقصى حيث كانت اليابان تنشد توسعاً أقليمياً على حساب الصين وكوريا . وتاريخ النزاعات الصينية — اليابانية يرجع إلى ماقبل الحرب الأولى . فالنهوض القومي في الصين كان لامحال أن يصطدم مع التوسع الياباني ولم يقتصر الخلاف على القضايا السياسية والاقتصادية وإنما اتسم. بالعمليات العسكرية أحياناً. وفي أيلول ١٩٢١ وقعت حوادث في مقاطعة مكدن في منشوريا واستغلتها اليابان ذريعة للتوسع . وتقدمت الصين بشكوى إلى عصبة الامم. لكن عصبة الامم لم تكن قادرة على اتخاذ موقف حاسم ازاء اليابان فبريطانيا وهي أقوى عضو في العصبة وذات مسؤوليات عظيمة ومصالح جسيمة في الشرق الأقصى لم تكن راغبة في تبني سياسة القوة ضد اليابان أو سياسة العقوبات الاقتصادية . واعذار بريطانيا كانت عديدة . فمن جهة أنها كانت ضعيفة في الشرق الاقصى، ومن جهة أن فرنسا لم تعرب عن استعدادها للسير في خط متصلب ازاء عدوان اليابان على الصين وفي كانون الثاني ١٩٣٢ تقدمت الولايات المتحدة بملاحظات انطوت على مبدأ «عام الاعتراف» بشرعية الاحتلال الياباني . ولكن الحكومة البريطانية ترددت في مشاركة الولايات المتحدة في هذا الموقف . وادعت انها من انصار سياسة الباب المفتوح في الصين وطالما أن اليابان لن تنتهك هذه السياسة فإن بريطانيا لاترى ضرورة لتوجيه مذكرة تحتوي على مبدأ الاعتراف. وهكذا فقد أتاح التباين في مواقف لندن

وواشنطن الفرص أمام اليابان لانتهاك مبادىء عصبة الامم . واقتصر الرد البريطاني على مذكرات احتجاج . واندفعت اليابان مستثمرة لعجز العصبة أو بالأحرى تردد لندن في اتخاذ موقف صارم، في التوسع على حساب الصين. فاحتلت منطقة جيهول في شباط ١٩٣٣، وعبرت القوات اليابانية الجدار الصيني شمالاً في نيسان — ولاظهار احتجاجها فرضت الحكومة البريطانية حظراً على ارسال الاسلحة إلى كل من اليابان والصين . ولكن تردد بريطانيا في قيادة العصبة أو اتباع الولايات المتحدة في التصدي للعدوان الياباني كان سبباً مباشراً لاحباط العصبة في مجال الامن . وقد تكشف قصور العصبة على مستوى الامن الأوربي عندما أصبحت المانيا تحت زعامة هتلر.

وكان هتلر والنظام الجديد في المانيا من أكثر القضايا التي شغلت الدبلوماسية البريطانية وذلك لأن خطر المانيا هدد أوربا مباشرة واعتمد اسلوباً توسعياً مضافاً إلى ذلك انه كان لدى المانيا من القدرات الكبيرة لحرب محتملة . وفوق هذا وذاك فقد ارغمت المانيا النازية على السياسة البريطانية كانت غير راغبة في اتخاذها، كما انها قلصت عليها فرص المناورة. ولكن مع ذلك فقد حاولت وزارة الخارجية البريطانية ان تواصل سياسة الحيطة وعدم الاندفاع وذلك لانها أدركت أن الخطر الالماني لم يتهدد الامن البريطاني بقدر ماهدد كلا من فرنسا والاتحاد السوفيتي ايطاليا . وعليه فإنها سعت إلى الضغط على هذه الدول لتقديم تنازلات وذلك عن سبيل التردد والحذر.

وبما أن هتلر كان في مطلع العهد النازي متوجهاً لترتيب شؤون داره الداخلية فإن تطلعات المانيا لالغاء معاهدة فرساي كانت واجهة لجس النبض ليس الا . والدليل على ذلك أن المانيا أظهرت استعدادها للتعاون مع الدول الأوربية شريطة اعطائها منزلة الدولة المتكافئة مع بقية الدول الكبرى . فأغفلت مسألة بولندا، والراين واهتمت بالتسلح إلى جانب النوايا السلمية . وعندما اقترح موسليني عقد ميثاق رباعي يضم بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا، رحبت به المانيا . ولكن وافقت عليه بريطانيا بعد أن أدخلت عليه تعديلات

أفرغته من مضمونه الخاص. فقد سعى موسليني إلى أن يكون الوسيط بين المانيا وفرنسا، لكنه كان قاصراً في تنفيذ دور كهذا.في حين أرادت لندن أن تقوم بالدور ذاته. ولكي لاتستثني من الميثاق اعطت تأييدها.

لكن فرنسا كانت أكثر تصلباً في مسألة تسلح المانيا. وهذا بدوره أثر على السياسة البريطانية في هذا المجال فقد أصبحت عملية التوفيق أكثر صعوبة . ففرنسا تريد ضمانات أمن وكان أمامها خياران اما أن تجعل المانيا منزوعة السلاح كما جاء في معاهدة الصلح، وأما تستند إلى بريطانيا . وكان كل من الامرين عسيراً. فعرضت بريطانيا نصف حل. وهو تعهد تقدمه لفرنسا مقابل تحديد على التسلح الفرنسي. ولكن المانيا كانت قد خطت إلى الامام في مجال التسلح واصبحت خطراً واضحاً . وهكذا اخفقت الجهود الجماعية لوضع حد للتسلح .

وعندما أعطى هتلر الضوء الاخضر للنشاطات النازية ضد النظام النمساوي من أجل ضم النمسا إلى المانيا ، اتخذت بريطانيا موقفاً موحداً مع فرنسا وايطاليا عزز من وحدة واستقلال النمسا . كما أنها اعربت عن تأييدها لمحاولات دول شرق أوربا في خلق نظام اشبه بمجموعة لوكارنو . لكن استعداد بريطانيا لتقديم ضمانات تؤمن حدود فرنسا مع المانيا وليس حدود المانيا الشرقية اثار مخاوف السوفييت . وعندما تقارب السوفييت مع الفرنسيين لم تعارض بريطانيا .

لقد كان غزو ايطاليا للحبشة حدثا اربك الدبلوماسية الاوربية . فبعدما كانت بريطانيا تتكيء على ايطاليا للضغط على المانيا بترويج مطامع ايطاليا في حوض الدانوب والبلقان ، أصبحت الآن ايطاليا طرفاً في نزاع لم يستثن بريطانيا . وفي آب ١٩٣٥ اعرب ساموئيل هور، وزير خارجية بريطانيا ، عن أن بريطانيا سوف تناصر العصبة إذا ارتأت العصبة اتخاذ عمل جماعي ضد ايطاليا . ومن جهة اخرى عرض ايدن على موسليني في تشرين الثاني

مشروعا يمنح فيه الحبشة جزءاً من الصومال البريطاني كي تصل الى البحر الاحمر عند ميناء زيلا ولكي يسهل على الحبشة اعطاء تنازلات اقليمية لايطاليا لكن موسليني رفض العرض .

وبينما كانت العمليات العسكرية جارية في الحبشة من دون نتيجة حاسمة تقدمت بريطانيا وفرنسا بمشروع ثنائي صاغه وزيرا خارجية البلدين بسلب من الحبشة مقاطعات كبيرة مقابل ممر ضيق تمنحه ايطاليا لها . واعترضت الصحف البريطانية . فاستقال وزير الخارجية . وتولى ايدن المنصب ورفض المشروع . وكان الرأي العام البريطاني قد اعرب عن رغبته في ان تقوم حكومته بمناصرة العصبة . لكن سياسة فرنسا والمانيا وتردد الحكومة البريطانية . لم يوفر المناخ لتبني عمل جماعي ضد ايطاليا . فبريطانيا كانت تخشى من تقارب ايطالي الماني فتتشجع ايطاليا على تأزيم الوضع في البحر المتوسط . كما انها لم ترغب في تزعم العصبة ، لانها أدركت تردد فرنسا التي بدورها لم تكن راغبة في دفع موسليني الى احضان هتلر في حالة تصلبها في ازمة حرب الحبشة .

لكن مخاوف بريطانيا من ازمة في البحر المتوسط لاحت في الافق عندما اندلعت الحرب الاهلية في اسبانيا . وكان هدف الدبلوماسية البريطانية ان لاتدع الحرب الاسبانية تتوسع الى الساحة الاوربية . ومن جهة اخرى تظافرت حرب الحبشة والحرب الاهلية الاسبانية لتدفع بريطانيا الى تعزيز موقفها في مصر بفرض اتفاقية ذات طابع عسكري . اما بصدد الحرب الاهلية نفسها فان الحكومة البريطانية اتخذت موقفا حياديا دعا الى مبدأ التدخل ، رغم ان الرأي العام على الجملة كان لصالح الحكومة الجمهورية في اسبانيا . وتشكلت في لندن لجنة دولية لمراقبة عدم التدخل من جانب الدول الاوربية . لكن المانيا وايطاليا واصلتا امداد الجنرال فرانكو بالمساعدات . وفي كانون الثاني ١٩٣٧ توصلت بريطانيا وايطاليا الى اتفاق اولي يصون الوضع الراهن في حوض البحر المتوسط . وفي نيسان ١٩٣٨ تعهدت بريطانيا بالاعتراف

بمنزلة ايطاليا الجديدة في الحبشة مقابل تخلي ايطاليا عن اية محاولة لوضع قدم سياسي او عسكري في اسبانيا . وكان بريطانيا تأمل في ان تسحب ايطاليا قواتها من اسبانيا . وفي نهاية ١٩٣٨ عزز الالمان مساعداتهم للجنرال فرانكو فتمكن من انهاء مقاومة الجمهوريين. وعليه فان اتخاذ موقف الحياد من جانب بريطانيا منع تقديم المساعدات الفعلية الى الجمهوريين في حين ان الجنرال فرانكو تمتع بالمساعدات الالمانية والايطالية ووجود متطوعين . وفي مطلع ١٩٣٩ اعترفت بريطانيا بحكومة فرانكو .

عندما قرر هتلر اغتصاب النمسا كانت الدول الاوربية عاجزة عن اتخاذ موقف صارم ضده . فايطاليا كانت قد تخلت عن مشاريعها في ان تكون الدولة الكبرى في شرق اوربا وحوض البلقان ، وفرنسا كانت ممزقة داخليا بسبب عدم استقرار نظامها السياسي ، وبريطانيا كانت مترددة وتتذرع بان خططها في التسلح لم تكتمل بعد ، والاتحاد السوفيتي كان يخشى من مناورات الدبلوماسية البريطانية . وبعد ان احتلت القوات الالمانية فينا اثر تطورات داخلية سريعة وامام تجمد في الموقف الايطالي والبريطاني وجد تشمبرلن لنفسه عذراً لسياسة عدم الاندفاع معترفا بانه لم يكن هناك في وسع أحد ان يرغم المانيا على العزوف عن عملها طالما ان بريطانيا وغيرها من الدول لم تكن على استعداد لمنعها بالقوة . وبانتصار هتلر في النمسا باكلاف لاتذكر توجهت انظاره إلى جيكوسلفاكيا .

وكانت بريطانيا غير مستعدة للدفاع عن جيكوسلفاكيا . فمن جهة لم ترتبط معها بحلف او التزامات أمن . وثانيا ، ان لالمانيا طلبات مشروعة في جيكوسلفاكيا . فطالما ان الالمان في السوديت لايرغبون في البقاء تحت سيادة الجيكوسلفاكيين فان لهم الحق في تقرير مصيرهم .
ثم ان جيكوسلفاكيا أصبحت عاجزة عسكرياً على صد المانيا بعد احتلالها للنمسا . ولكن من ناحية اخرى ان جيكوسلفاكيا كانت ذات اهمية في السياسة البريطانية . فبريطانيا تعهدت بالدفاع عن فرنسا واذا ارتأت فرنسا

الدفاع جيكوسلفاكيا التي تربطهما علاقات تحالفية فان بريطانيا سترغم على الحرب . كما أن ولوج المانيا الى النمسا وجيكوسلفاكيا سيفتح الطريق امام المانيا الى الدانوب وبذلك ستتعزز قوة المانيا وعندها ستتوجه لضرب فرنسا او بلجيكا وكلتا الدولتين تربطهما علاقة تعهدات أمنية ، بموجب معاهدة لوكارنو ، مع بريطانيا . وعليه فسوف ترغم بريطانيا على الحرب . يضاف الى ذلك ان الرأى العام البريطاني لم يكن مستعداً للدفاع عن جيكوسلفاكيا . وقد اعلمت فرنسا بهذا الموقف . لكن دالدييه رئيس وزراء فرنسا شدد على تشمبرلن بان غزو المانيا لجيكوسلفاكيا يعني تورط فرنسا في تنفيذ تعهداتها .

ولما كانت فرنسا غير مستعدة فثمة حل لا محال. وتبنى تشمبرلن اسلوب التحادث مع هتلر . فزار برلين في ايلول . واقترح هتلر مبدأ تقرير المصير تحاشيا الغزو الحتمي .

رجع تشمبرلن ليتداول مع مجلس الوزراء البريطاني . واجمعوا على سلخ المناطق الالمانية في جيكوسلفاكيا واعطت الحكومة الفرنسية موافقتها . وتكاتفت الحكومتان للضغط على براغ لقبول صيغة الحل . الجيكوسلفاكيون في ٢١ ايلول .

وعندما رجع تشمبرلن للقاء هتلر في ٢٢ ايلول استلم طلبا من المانيا بعيداً في مضمونه عن الاتفاق السابق ويبيح لهتلر تفكيك جيكوسلفاكيا .
رجع تشمبرلن من دون نتيجة واضحة . وعندما عرضت مطالب هتلر على حكومة فرنسا رفضتها كليا. وتأججت العلاقات بين العواصم الرئيسية. لكن بتحريك من لندن وافق موسليني على الضغط على هتلر لعقد مؤتمر رباعي وفي ٢٩ ايلول اجتمعوا في ميونخ . ووضعت صيغة لتسوية أزمة جيكوسلفاكيا وظن تشمبرلن ان الطريق أمام اوربا قد انفتح لتبني سياسة الارضاء . ولكن الاحداث سرعان ما تفاعلت داخل جيكوسلفاكيا ومزقتها من الداخل فاتاحت لهتلر فرصة تحقيق خطته دون أدفع الدول الكبرى الى اعلان الحرب

على المانيا . ومما لا ريب فيه ان سياسة الحكومة البريطانية تحمل مسؤولية كبيرة . ورغم ان الجدل ما يزال بصدد تحديد المواقف الان معظم الحقائق تشير إلى تلكؤ بريطانيا وعزوفها عن مواجهة التحدي الالماني وبحثها عن اعذار تارة تضعها على كاهل فرنسا وتارة تضعها على كاهل الاتحاد السوفيتي .

لقد شرعت الحكومة البريطانية بصعد ميونخ تبحث عن صيغة امن اوربي جديدة . فطرحت مشروع تحالف يضم بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيي وبولندا . ودارت مفاوضات ما بين لندن وموسكو بين نيسان وآب ١٩٣٩ . وتعثرت المباحثات بسبب تردد كل طرف من ان يلزم نفيه للاخر . فالسوفييت كانوا يرون في جهود لندن مناورة لتشجيع هتلر للتوجه شرقاً . وقد ظل هذا الرأى سائداً في موسكو . في حين كانت موسكو تنتظر تحركات برلين . فمن المنطقي ان تستثمر قوتها في المساومة طالما ان الطرفين يتطلعان اليها . وطالبت موسكو بحق عبور قواتها العسكرية عبر بولندا ورومانيا . لكن عواصم الدول الغربية لم تظهر استعدادها للاخذ بموقف موسكو . في الوقت نفسه كان السفير الالماني يجرى مباحثات من اجل معاهدة عدم اعتداء . وفي مناخ التلكؤ وغياب العزم من جانب لندن وقع في آب اتفاق عدم الاعتداء لمدة عشر سنوات بين المانيا والاتحاد السوفيتي .

وقد عزز هتلر موقفه بهذا الاتفاق واندفع نحو تعديل الوضع الراهن في بولندا وكانت العلاقات الالمانية البولندية تتدهور منذ ١٩٣٨ . وحاولت بريطانيا ان تظهر بمظهر المتعهد بالدفاع عن حرمة بولندا . وتحت ضغط فرنسي أعرب هاليفاكس ، وزير خارجية بريطانيا عن ان حكومته أعطت ضمانات امنية لرومانيا وبولندا وتركيا وان تهديد امن هذه الدول سيكون في النهاية تهديداً لامن بريطانيا . وفي ١٠ تموز ١٩٣٩ شدد تشمبرلن في مجلس العموم البريطاني على ان الحكومة البريطانية سوف تساند بولندا في مقاومتها لغرض حلول لقضية دانزك من قبل طرف واحد . لكن بريطانيا وفرنسا كانت تنتظر ما يجرى بين موسكو وبرلين ومع توقيع الاتفاق

أصبح الطريق مفتوحا دبلوماسيا الى دانزك . وحاولت بريطانيا اخطار هتلر بانها لن تقف مكتوفة الايدي امام عدوان على بولندا وبالمقابل طلبت منة ان يأخذ بفكرة هدنة على جميع الجبهات ريثما يتم التوصل الى حل . لكن هتلر رفض الاقتراح واتهم بريطانيا بانها تقف وراء بولندا في حين ان العلاقات الالمانية البريطانية كان ينبغي ان تكون اعتيادية وفي ٢٥ آب عرض هتلر على بريطانيا اقتراحا تحسم النزاعات الاستعمارية بينهما مع ضمان بالحفاظ على الامبراطورية البريطانية في مقابل اطلاق يده في دانزك . (وفي اليوم ذاته وقعت بريطانيا وبولندا على اتفاقية نصت على تقديم المساعدة في حالة تعرض احد الطرفين المتعاقدين الى اعتداء من طرف ثالث) وجاء الرد من لندن بالرفض .

وحدثت محاولات عدة ما بين يوم ٢٦ آب — ١ ايلول على صعيد الدبلوماسية والرسائل والتدخلات الشخصية ولكن من دون جدوى . وفي اول ايلول تحركت القوات الالمانية ضد بولندا . وفي ٣ ايلول اعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا .

المصادر

1. Survey of International Affairs
2. E. L. Woodward and R. Butler (ed.) Docuents on British Foreign Policy , 1919 - 1939.
3. A. J. P. Taylor English Hist ry 1914. 1945, Oxfofd 1965.
4. W.N. Medlcitt, Contemporary England, 1914 - 1945, London, 1967.
5. Henry Delling, Modern Britain, 1885 - 1955, London 1960.
6. A. F. Havighurst, Twentieth - Century Britain, New York 1962.
7. David Thomson, England in the Twentieth century, London, 1965.
8. C-L- Mowat, Britain Between the Wars, 1918 - 1940. London 1955.
9. W. Asworth, An Economic History of England, 1820 - 1939, London 1960.
10. P. A. Reynolds, British Foreign Policy in the Interwar Years, London, 1954.
11. A. Wolfers, Britain and France between two wars, London, 1940.
12. A. J. Youngson, the British Economy, 1920-1957, London, 1960.
13. M. Gilbert and R. Gott, The Appeasers, London 1963.
14. A. J. P. Taylor, origins of the Second Worjd War, London, 1961.

المبحث السادس

فرنسا

لقد ألحقت الحرب العالمية الاولى تلفا كبيراً في الاقتصاد الفرنسي اثر بصورة مباشرة وبارزة على هيكل اقتصادها ووضع جذور كثير من المشاكل الاجتماعية والسياسية التي صاحبت فرنسا حتى الحرب العالمية الثانية . فالمحافظات الشمالية فقدت ما يقارب نصف سكانها وانخفض عدد العاملين في الزراعة وتقلصت مساحات الاراضي المزروعة وتناقص عدد الحيوانات .

وقد انفقت فرنسا ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك من اجل بناء اقتصادها . وخسرت فرنسا رجلا من كل عشرة رجال في الحرب . وكان مردود الخسارة البشرية انخفاض في معدل النمو السكاني الفرنسي . وقد اعاقت هذه الحقيقة عملية بناء فرنسا فاعتمدت على الأيدي العاملــة الاجنبية من ايطاليا وبولندا او المستعمرات .

حاول كليمنصو في مؤتمر فرساى ان يعطى فرنسا ضمانات اقتصادية . سياسية . فعلى صعيد السياسة كانت فرنسا تخشى من انتقام المانيا وعليه مسألة الامن الفرنسي لم تتحمل الحلول التوفيقية . وبتمسك كليمنصو بمبدأ الامن الفرنسي . ارغم لويد جورج وودرو ولسن على الخروج بحلول لمسألة الامن الفرنسي . ولم يأت ايٌّ منهما بصيغة مقبولة .

فولسن وضع ثقته في نظام عصبة الامم . في حين اعتقد لويد جورج توازن القوى هو السبيل الى اعادة الامن الى اوربا . ولكن حلولا كهذه لم تحظ برضا كليمنصو والشعب الفرنسي . وكان الجواب الشافي لمسألة الامن الفرنسي هو ان تصبح المانيا واهنة . ولكن كيف بتحقق ذلك والمانيا من حيث القوة النسبية كانت رغم الحرب اقوى مما كانت عليه قبلها . فالمانيا لم تعرف عمليات عسكرية كالتي شهدتها فرنسا ، ثم ان القوة الحربية المحتملة لالمانيا اكبر بكثير من تلك التي كانت لدى فرنسا . ففرنسا خرجت من الحرب وسكانها

٣٩ مليون ، في حين كان عددسكان المانيا ٦٣ مليون . ويضاف الى ذلك ان القاعدة الاقتصادية الالمانية امتن وانشط من القاعدة الاقتصادية الفرنسية . وفي ضوءذلك تقدم الوفد الفرنسي بصيغته : ان تبقى المانيا منزوعة السلاح ، تقتطف منها الالزاس واللورين ، ان تكون حدودها بعد الراين فيصبح حدوداً طبيعية وان تدفع المانيا اكلاف تعمير فرنسا لم تجد الموقف الفرنسية ترحابا لدى ولسن وجورج فكلاهما لم يتحسس بالقلق الذي قد عاشه الفرنسيون فشعورهم ان الالمان سيقدمون مرة اخرى لم يغب من مخيلتهم . واقترحا ان يتعهدا بضمان أمن فرنسا ضد اي هجـوم الماني في المستقبل مقابل تراجع فرنسا عن موقفها بصدد الراين وتنازل كلمنصو عن مطلبه رغم ان فوش تكهن بان من دون الراين لن يكون في وسع حلفاء فرنسا باسعافها حين تدق الساعة للحرب . وكان عرض ولسن وجورج قد رفض من قبل الكونغرس الاميركي الذي بدوره جعل بموافقة مجلس العموم مشروطة بموافقة الولايات المتحدة . وشعرت فرنسا ان حلفاءها في الحرب قد نقضوا عهدهم .

اما بصدد مسألة التعويضات فكان هدف فرنسا اضعاف الاقتصاد الالماني ودفع نفقات بناء الصناعات وتعمير فرنسا . فالخراب في الصناعة كان افدح مما كان عليه في الزراعة . ولما كانت الصناعة الفرنسية في الاساس تعتمد على اسلوب المشروع الصغير فان خسارة الايدي العاملة وتناثر هذه الصناعة والتحطيم الذي اصابها ألحق اضراراً فادحة . وقد قدر عدد المشاريع التي تضررت بـ١٠٠,٠٠٠ . ويضاف الى ذلك ان المناجم قد اهملت واغرقت . ولكي تعوض فرنسا عن هذه المضار طالبت بان تدفع المانيا جميع الخسائر التي سببتها لفرنسا . وقد وجد كليمنصو تأييداً عند لويد جورج ، لكن ولسن عارض ذلك واقتصر دفع المانيا على خسائر الحرب فقط . وكان موقف فرنسا قصير النظر . فالمسألة لم تكن مسألة كم تدفع المانيا وانما كيف تدفع فمن دون اقتصاد قوى لن تستطيع المانيا تلبية طلبات التعويضات . ومع

هذا فقد شددت فرنسا على ان تكون المانيا واهنة اقتصاديا في الوقت الذي ينبغي عليها ان تدفع التعويضات . ومع ان المانيا بدأت تتلكأ في دفع التعويضات فان فرنسا سارت في طريق البناء وكانت حركة الانتعاش الاقتصادي قد مكنتها من أن تنشأ صناعات ثقيلة خاصة بعد ان اصبحت مناجم الالزاس واللورين لها . وربما ان لدى فرنسا معين كبير من البوكسات فقد تطورت فيها صناعة الالمنيوم . وهكذا فقد اصبحت فرنسا خلال السنوات القليلة بعد الحرب في مصاف الدول الصناعية الكبرى .

في ۱۹۱۹ جرت انتخابات في فرنسا في جو من عدم الاستقرار الاجتماعي ـ السياسي. فالتسريح من الجيش اوجد بطالة في وقت كانت الصناعات تعاني من دمار الحرب . ومع ارتفاع الاسعار تضررت قطاعات كبيرة من اصحاب الدخل المحدود كما ان الاجور لم ترتفع بنفس مستوى الاسعار وعليه فقد انخفض معدل الاجور الفعلية إلى دون مستوى ۱۹۱۱ . يضاف إلى ذلك ان احداث روسيا نشطت من جهود الاشراكيين. وقد جرى الاقتراع العام على اساس التمثيل النسبي . (اى ان يكون عدد نواب الحزب متناسباً مع عدد اصوات الناخبين التي نالها) وكان معظم المرشحين من الكتلة القومية التي ضمت بين صفوفها اعدادا من الملكيين والمسيحيين. وصار مجلس النواب بصفة عامة محافظا. واختار ديشانيه رئيسا للجمهورية بدلا من كليمنصو الذي استقال من منصب رئاسة الوزارة . وكان رفض المجلس لكليمنصو يعود في اغلبه إلى تسلطه في ادارة شؤون الدولة وميوله المناهضة للاتجاه الكهنوتي . واستبعد ديشانيه لاسباب صحية واختير ميليران رئيسا للجمهورية . واسبغ ميليران على الحياة السياسية الفرنسية بعضاً من مواقفه فكان مناهضا لليسار وعلى الاخص الاتجاه البلشفي ، فناصر بولندا ضد الدولة السوفيتية الجديدة كما انه حث على التدخل في الحرب الاهلية في روسيا واعترف بحكومة البيض دون بقية الدول

الاوربية. ولم تجد الكتلة القومية معارضة شديدة من جانب اليسار على الرغم من أن اعداد النقابيين ازدادت، وذلك يعود جزئيا إلى أن نظام التمثيل النسبي خدم الاحزاب المنظمة اكثر من الفئات المبعثرة التي تجتمع عند نقاط محددة. ولذا فعندما تحرك الاشتراكيون والراديكاليون واعادوا جبهتهم تحت اسم (اكاريتل دى كوشيه) في ١٩٢٤ تمكنوا من احراز الاغلبية. وبذلك بدأت مرحلة ثانية من تاريخ فرنسا مابين الحربين.

لقد جابهت حكومة الكتلة القومية على الساحة الخارجية عدة قضايا كان من اهمها بدون شك قضية التعويضات والأمن في اوربا. ففي نيسان ١٩٢١ حسمت لجنة التعويضات مابذمة المانيا من مبالغ يتوجب دفعها ١٣٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مارك ذهبي. وكانت حصة فرنسا قد تقررت في مؤتمر سبا في ١٩٢٠ وهي ٥٨٪ من المجموع. وعندما اعلنت اللجنة ان المانيا قد دفعت ما يعادل ٢١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مارك بحدود نيسان ١٩٢١ اتضح ان كلفة ادامة جيش الاحتلال استوفت حصة كبيرة. وعليه حدثت خلافات بين فرنسا وبريطانيا بصدد هذا الامر. واستغلت المانيا تلك الخلافات في وجهات النظر. وفي شباط ١٩٢١ تقدمت فرنسا وبريطانيا باقتراحات إلى المانيا استهدفت تنقيص التعويضات والتميز بين انواع الدفع. لكن المانيا وضعت شرطا سياسيا فطالبت بالاحتفاظ بسيليسيا العليا، ثم عادت وتراجعت ودفعت ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مارك ذهبي. ولكي تدفع المانيا اقترضت من المصارف الانكليزية والفرنسية وتحت ضغط القروض ودفع التعويضات اخفقت الميزانية الالمانية في تحقيق موازنة لم يكن من السهولة بمكان تحقيقها، فانخفض سعر المارك وبذلك تضرر الاقتصاد البريطاني الذي كان يعتمد على التجارة. فقد تحسنت القوة التجارية الالمانية بالمقارنة مع بريطانيا. وفسرت بريطانيا هذا الامر بانه بسبب حصول فرنسا واصرارها على التعويضات، في حين فسرت فرنسا الوضع بانه سياسة اقتصادية متعمدة من جانب المانيا كي تتحاشى دفع التعويضات مدعية قصورها.

ولم يذعن مجلس النواب الفرنسي إلى الواقع السياسي ، فقد انتظرت فرنسا طويلا دون ان تعرض بريطانيا تاييدها العسكري . واستقر الراى على اتخاذ موقف متصلب ازاء التعويضات . واول خطوة كانت هي سحب الثقة من بريان وتولاها زعيم الاغلبية القومية بوانكاريه وكانت سياسة بوانكاريه كسب ثقة بريطانيا بعد ان تدرك الاخيرة نوايا المانيا وعندما التقت الدول الكبرى عند جينوا في ١٩٢١ تخلف بوانكاريه ، وانذاك عقدت المانيا والاتحاد السوفيتي اتفاقية رابولو التي تهدت الامن في شرق اوربا . ثم ان فرنسا اختلفت مع بريطانيا بصدد مصالحهما في الشرق الاوسط والادنى . فمحاولات بريطانيا استثناء فرنسا من شرق البحر الابيض المتوسط معلومة . وكي توازن فرنسا ثقل بريطانيا توجهت إلى مناصرة تركيا في نزاعها مع اليونان .

لقد اثارت مسألة تلكؤ المانيا دفع التعويضات قضايا سياسية بين فرنسا وبريطانيا من جهة، وبين فرنسا والمانيا من جهة اخرى . ففرنسا كانت تريد من المانيا ان ترغب في الدفع وينبغي ان لا تشجع على التملص . في حين كانت بريطانيا تقدم اقتراحات الغاية منها تخفيف العبء عن الاقتصاد الالماني . وكرد على هذا الموقف تبنت فرنسا سياسة اتباع العقوبات لحمل المانيا على الدفع. في مطلع ١٩٢٣ تحركت القوات الفرنسية فاحتلت منطقة الرور بعد ان اعلنت لجنة التعويضات ان المانيا اخترقت تعهداتها. وساندت بلجيكا وايطاليا الحملة الفرنسية . اما بريطانيا فانها اعتبرت الاجراء غير قانوني لكنها لم تقف في وجه فرنسا. واتخذت المانيا اسلوب المقاومة السلبية ودفعت تعويضات للعاطلين ولاصحاب المنشآت في الرور. بيد ان اسلوبها لم يصمد طويلا فتخلت عنه وافلحت فرنسا في ادارة المنطقة وتشغيل صناعاتها وتجلت في الحملة على الرور حقيقة مدى اعتماد فرنسا على تأييد بريطانيا في سياستها ازاء المانيا . ولكن بالوقت نفسه وقف المجلس الفرنسي إلى جانب سياسة بوانكاريه وأيدها . وعلى الرغم من ان الحملة الفرنسية شجعت بعض الحركات الانفصالية في الرور الا انها لم تنجح وعمقت من الخلافات بين

فرنسا والمانيا مما جعل مساعى الحكومة البريطانية أكثر ملحة لانقاذ الوضع الاوربي من التدهور . ويتولى حكومة العمال السلطة في انتخابات ١٩٢٣ اخذت قضية التعويضات بعدا جديداً . فقد شرعت لجنة دوز بدراسة قدرات المانيا على الدفع وانسحاب القوات الفرنسية من الرور . واخذت الحكومة الفرنسية بمواقف اللجنة .

في نيسان ١٩٢٤ انهزمت الكتلة القومية في الاقتراع العام . وفاز الاشتراكيون بالاغلبية . وكانت فرنسا تعاني من ازمة مالية . فقد(اتضح) ان الفئات الغنية كانت ترفض اجراء تعديلات في نظام الضرائب. كما انها كانت تحرك الرأى العام من خلال صحفها العديدة على معارضة اقتراحات الاشتراكيين في زيادة الضرائب . وكان المجلس الفرنسي يتعاطف مع مواقف اصحاب المصارف والصناعيين رغم ان القطاع العام من الشعب كان يتحمل أعباء تدهور قيمة الفرنك الفرنسي. والاكثر من هذا ان حكومة هريو اليسارية تعرضت لمضايقات مالية من جانب المصارف . فبعدما كانت تلك المصارف تقدم القروض لمصرف باريس لتسيير شؤون الدولة حبست المصارف قروضها مما دفع الفرنك إلى التدهور أكثر فاكثر . وعندما حاولت الحكومة مقاومة هذه الضغوط داخل المجلس اتجهت مناورات المصارف والصناعيين إلى مجلس الشيوخ وافلحت هناك في الحاق المزيمة بالحكومة بعدم الثقة بها . ولم يقاوم هريو هذا الاجراء. ولعله اخطأ في ذلك فربما كان في وسعه ان يلجأ إلى حل المجلس واجراء انتخابات جديدة، ولكن كما هو معروف في تاريخ فرنسا فان الضغوط العلنية والخفية لليمينيين فاعلة بشكل يثير الدهشة وهذا كان يعنى الهزيمة لتجمع احزاب اليسار. او ربما ان الوضع الالماني كان خطيرا فلم يرتأى تعريض الاقتصاد الفرنسي إلى ازمة حادة وبالتالي ستكون فرص اليساريين ضعيفة ايضا. وتوالت ست حكومات خلال سنة، حتى ان حكومة دامت ليوم واحد. لم يكن في وسع حكومة ان تعالج الامر طالما أن اصحاب المصارف والصناعيين يرفضون تحمل حصتهم من العبء.

وقد سهلت هذه الاساليب رجوع بوانكاريه الى رئاسة الوزارة وقد استعان بلجنة الخبراء لارجاع الاستقرار إلى الوضع المالي بعد ان وافق المجلس على الضرائب التي لم يمنحها لحكومة هريو. ويعود السبب في ذلك إلى موقف الراديكاليين الذين كانوا في جوهر الامر اقرب إلى المحافظين سوى بالاسم.

وعلى الرغم من تقلب الحكومات خلال فترة ١٩٢٤ – ١٩٢٦ فان السياسة الخارجية الفرنسية تميزت بالنشاط على صعيد العلاقات مع المانيا والعصبة. فالاشتراكيون حاولوا ان يعززوا العصبة كجهاز للامن الاوربي. وخاصة المادة السادسة عشرة بصدد العدوان والعقوبات لردع العدوان وكانت حكومة العمال بزعامة ماكدونالد قد تعاطفت مع الحكومة الاشتراكية الفرنسية واتفقت الدولتان على برتكول جنيف. الذي سيضمن حدود فرنسا، وهو تعهد طالما ناشدت فرنسا من بريطانيا تقديمه. بيد ان معارضة حزب المحافظين لهذه الفكرة ادت إلى التخلي عنه. وبتخلي بريطانيا تعمق القلق عند الفرنسيين على امنهم ولكن تحرك حكومة بولدون البريطانية اسعف الموقف. فقد تنشطت فكرة سترسمان، وزير خارجية المانيا، في عقد تحالف يضمن حدود فرنسا الغربية. وبسبب حاجة فرنسا للامن رحبت بفكرة التضامن التي تأكدت في برلين واشرفت عليها لندن. ولكن فقط بصدد حدود فرنسا الغربية، اما حلفاؤها في شرق اوربا (بولندا وجيكوسلفاكيا)، فلم يرض الالمان في توسيع مضمون اتفاقية لوكارنو لتشمل حدودهم الشرقية. واكتفى بريان بالتشديد على تعهد فرنسا في حماية حدود حلفائها في شرق اوربا. وفي الواقع ان لوكارنو اضعفت علاقة فرنسا بحليفتيها بولندا وجيكوسلفاكيا. فقبل لوكارنو كان في وسع فرنسا ان تقف بجانب بولندا بموجب اتفاقية ١٩٢١ وبجانب جيكوسلفاكيا بموجب اتفاقية ١٩٢٤ في حالة تعرض احدهما لعدوان الماني. اما بعد لوكارنو فلم يعد في وسع فرنسا ان تقوم بذلك الا اذا اعتدت المانيا على فرنسا واذا هبت فرنسا لنصرة

بولندا مثلا وهجمت على المانيا فان بريطانيا ستكون إلى جانب المانيا الا اذا اعلن مجلس العصبة ان المانيا هي المعتدية.

لقد سارت الاوضاع الفرنسية مابين ١٩٢٦ – ١٩٢٩ بخطى هادئة بعد ان اعاد بوانكاريه الثقة إلى الوضع المالي. ففرنسا لم تشك من ارتباك اقتصادي كما كان شأن المانيا وبريطانيا. فبعد اعادة نظام الضرائب استقرت العلاقات بين المصارف والصناعات الحكومية . فانتعش الاقتصاد الفرنسي وارتفعت الصادرات وتنشطت صناعة السياحة. وارتفعت معدلات انتاج الحديد الخام والصلب. واصبحت فرنسا من اكبر مصدري السيارات. وفي غمرة الانتعاش الاقتصادي لم تغفل فرنسا امنها. واختارت بناء خط ماجينو الدفاعي لتعزيز خطوطها الامامية. واقر المجلس في ١٩٢٨ بناء الخط وذلك لاعتبارات عسكرية. ففي تلك السنة انخفضت الخدمة الالزامية في الجيش إلى السنة وبذلك تناقص حجم الجيش الفرنسي. وكان السبب الثاني هو حلول موعد الانسحاب من الراين. واعتبرت القيادة العسكرية بزعامة المارشال فوش انه مادامت فرنسا ضعيفة عسكريا زمن دون غطاء دفاعي عند حدودها الشرقية ومادامت المانيا غير ملتزمة بدقة ببند نزع السلاح فان احتلال فرنسا للراين كان الحل الوحيد لتأمين امن فرنسا الغربية .ولكن المانيا كانت تضغط على فرنسا مباشرة وعن طريق بريطانيا لاخلاء الراين. وبتهديد صريح من جانب وزير خارجية فرنسا تردد سترسمان عن اثارة الموضوع امام عصبة الامم. وكي تصون فرنسا لنفسها حق وفرص تهديد المانيا من الشرق لم تكتف بتحالفها مع بولندا وجيكوسلفاكيا، فتحالفت مع يوغسلافيا في آذار ١٩٢٧ وبعدها بثلاثة اشهر تحالفت مع رومانيا

في نيسان ١٩٢٨ حققت احزاب اليمين والوسط اغلبية في الاقتراع العام. فعاد بوانكاريه إلى رئاسة الوزارة. لكنه استقال بعد ان تعرضت حكومته للنقد بسبب اتجاهها الديني في تموز ١٩٢٩. وخلال حكمه حاولت المانيا الضغط عليه لاخلاء الراين، الا انه جعل الاخلاء مشروطا بدفع المانيا

التعويضات وان تقف المانيا وفرنسا في وجه البلشفية والتسلل الامريكي. ولكي يخفف العبء عن المانيا، طلب بوانكاريه لقائه مع سترسمان ان تضغط الدولتان على امريكا لتسقط من الحساب ديون الحرب. وبعد مناقشات بين بريطانيا وفرنسا والمانيا في عصبة الامم تم الاتفاق على قيام لجنة من الخبراء لدراسة مسألة التعويضات على ان تنضم اليها الولايات المتحدة. واجتمعت في مطلع ١٩٢٩. ولم تفرض خطة يونك على المانيا وانما تفاوضت على اقتراحاتها كطرف متكافيء. وانتقدت باريس الاقتراحات (تخفيض مبلغ التعويضات واخلاء الراين في ١٩٣٠). فانتعاش الاقتصاد الالماني بفضل قروض امريكية كان له اثر في تحسين القوة التجارية النسبية الالمانية .كما ان الاخذ بفكرة الانسحاب من الراين اثارت مخاوف الفرنسيين. فكان الاعتقاد لدى الرجل الفرنسي الاعتيادي ان المانيا كانت تسلك سلوكا حذرا بفضل وجود قوات الاحتلال. وليس هناك مايضمن ان المانيا ستظهر حسن النية.

وانشغلت الحكومة الفرنسية بين ١٩٢٨ – ١٩٣٠ بمسألة نزع السلاح. وقد تقدمت لندن وباريس باقتراح إلى الولايات المتحدة والمانيا وايطاليا واليابان. وانطوت هذه الاقتراحات على مساندةا أنكلترا لموقف فرنسا من حيث عدم تخفيض القوات البرية والاحتياط كي تبقى امنع من المانيا التي ستتمسك ببنود فرساي، وبالمقابل تساند فرنسا موقف بريطانيا في عدم وضع حدود على بناء البوارج الصغيرة في نفس الوقت يضع سقفاً على بناء البوارج الكبيرة. لكن الولايات المتحدة رفضت المشروع وكانت ايطاليا تعارض فكرة نسبة اقل من نسبة فرنسا في القوة البحرية. ففي رى الايطاليين ان البحر الابيض المتوسط كي يستقر سياسيا لابد من تساوى في القوة البحرية بين فرنسا وايطاليا في حين ان الفرنسيين رفضوا موقفاً كهذا بحجة أن لديهم سواحل اطول. أما المانيا فانها لم تنظر إلى نزع السلاح من نفس الزاوية التي نظرت اليها بقية الدول. فحسب بنود الصلح تعتبر المانيا منزوعة

السلاح وعليه فإما أن تتساوى مع بقية الدول الأوربية بأن تنزع تلك الدول سلاحها إلى المستوى الألماني أو أن يجاز لالمانيا بأن تعيد تسليحها لتبلغ مستوى تسلح تلك الدول. وظلت مسألة نزع السلاح معلقة حتى عقد مؤتمر نزع السلاح في ١٩٣٢ .

في نهاية ١٩٢٩ أصبح دالادية رئيساً للوزراء . وحاول أن يبعث روحاً جديدة في كتلة القوميين فاتخذ موقفاً متصلباً من اليسار فارغم احزاب الوسط والراديكاليين على الخيار بين الوقوف معه أو الإنتماء إلى اليساريين. لكنه في السياسة الخارجية احتفظ بسياسة بريان وتركه يشرف عليها حتى آذار ١٩٣٢. وخلال ١٩٣١ بدأت أركان سياسة بريان تتهدم. فمحاولات المانيا تحقيق وحدة أقتصادية مع النمسا آثارت مخاوف اليمينين الفرنسيين. وعندما جرت انتخابات ١٩٣٢ فاز تجمع الاحزاب اليسارية. لكن الأزمة الاقتصادية اربكت سياستهم فنازلت أربع حكومات مابين نهاية ١٩٣٢ وحتى مطلع ١٩٣٤. والأكثر من هذا أن الاحزاب المحافظة كانت تعيق الاصلاحات الداخلية. وبدا أن الجمهورية الثالثة في مأزق، فالمجلس غير قادر على التحرك طالما أن المحافظين معتصمون بالوصاية التي منحت لهم من قبل الشعب ، والاشتراكيون لم يستطيعوا رص صفوفهم لمواجهة المشاكل المالية . ففي ميزانية ١٩٣٤ حاولت حكومة والادبية تخفيض اجور العاملين لدى الدولة بنسبة ٦٪ لكن الاشتراكيين رفضوا . وكان لموقف مصرف باريس دور كبير في عرقلة السياسات المالية .

فالمصرف (الذي تملك ٢٠٠ عائلة اسهمه) حبذ سياسة تخفيض قيمة العملة اي الحاق الضرر بالاجور الفعلية . وخيمت على باريس بوادر عاصفة هوجاء . فتعثر البرلمان في اتخاذ سياسة واضحة وتتابع سقوط الحكومات وانتشار تظاهرات الملكين وذيوع فضيحة ستافسكي ، وانتشار جمعيات

مناهضة للنظام البرلماني وداعية لنظام فاشي . كانت تقف وراءها مؤسسات صناعية تمولها (امثال ايرنست ميرسية) من عمالقة الصناعات الكهربائية والنفطية . وبحدد ١٩٣٤ اتضح ان الاتجاه اليميني تسرب الى الجيش واشارت الصحف اليمينية الى انقلاب .

في ٦شباط ١٩٣٤ التأم المجلس ليصوت على حكومة جبهة وطنية تضم جميع الاحزاب لمعالجة الوضع . حثت معظم الصحف الناس للنهوض بوجه البرلمان.وهاجت جموع باريس.لكن المجلس اعطى ثقته لحكومة والابية الجبهوية. وكان امام الحكومة مهمة اخماد الانتفاضة اما عن سبيل استدعاء الجيش او القاء القبض على قادة المتظاهرين. لكن لم يأخذ باجراء صارم لينقذ الجمهورية الثالثة. فاستقال وتشكلت حكومة جديدة تمكنت من تحقيق الامن،وكانت احداث شباط حاسمة في حياة الجمهورية الثالثة .

اذ كان في وسع الملكيين واليمينيين ان يطيحوا بها ، ولكن ضاعت الفرصة . ومنذ ذلك الحدث العظيم انقسمت فرنسا الى شطرين اليسار واليمين دون ان يلتقيا.وكان اليمين يمثل الفاشيين الذين نزلوا الى الشارع في٦شباط وحاولوا ان يسقطوا الجمهورية الثالثة بصورة غير دستورية . وكان اليسار متمثل في الراديكاليين الذين ساروا وراء رجال التاسع والثاني عشر من شباط حيث هبت الاتحادات العمالية بزعامة الاتحاد العام لنقابات العمال فاعلنت الاضراب العام كرد فعل لحركة الفاشيين .

واستعرضت القوى السياسية موقفها بعد احداث ٦ شباط . وفي تموز تشكلت جبهة شعبية بين الاشتراكيين بزعامته ليون ببلوم والشيوعيين بزعامة توريز ، وتردد الراديكاليون الاشتراكيون بزعامة دالاديه الا انه قاد حزبه الى الجبهة . وانتشرت خارج الاحزاب السياسية جماعات من المثقفين والصحفيين والعمال تدعو الى تبني اصلاحات وتغيرات في الدستور . وعلى الرغم من ازمة ٦ شباط فان الحكومة اخفقت في تمرير اصلاحات تعزز

سلطة رئيس الجمهورية على حساب البرلمان كي تتمتع الحكومات بشيء من الاستقرار . فلو اتخذت حكومة الائتلاف بزعامة دوميرك قرارها في اعطاء حق حل البرلمان لرئيس الجمهورية من دون موافقة مجلس الشيوخ في خصم الاحداث لكان من المحتمل ان يذعن البرلمان . لكن تاجيل طرح اقتراحات تعديل الدستور لانشغال الحكومة بالوضع المالي ادى الى رفض الراديكاليين للاقتراحات فانسحبوا من الحكومة فاستقالت .

في نيسان — مايس تعرضت حكومة فلاندان الى مجابهة مع مصرف فرنسا . وكانت الازمة مفتعلة لارغام الحكومة على اتباع سياسة مالية تتماشى مع مصالح المصرف . وعندما تقدم رئيس الوزراء بميزانيته ظهر فيها عجز — وهذا شيء مالوف في الميزانية الفرنسية — ولكي يغطي العجز طلب مصرف فرنسا ادخال تخفيضات في النفقات لكن الحكومة رفضت . فتأزمت العلاقة واصبح رصيد المصرف في وضع متدهور مما قيد من حرية الحكومة التي لم تكن عازمة على التصدى للمصرف فتخلت عن مواقفها وأذعنت . لكنها فقدت الثقة في المجلس واستقالت .

في نيسان ١٩٣٦ توجه الناخبون الفرنسيون الى صناديق الاقتراع وكانت الجبهة الشعبية قد تقدمت ببرنامج موحد اشتركت فيه على أساس «الدفاع عن الحرية الديمقراطية ، اعطاء الخبز للعمال ، العمل من اجل الشباب والسلام الكبير للعالم» . وكسبت الجبهة الشعبية ٥,٥ مليون صوت مقابل ٤,٢٠ مليون للاحزاب اليمينية . (ولها ٣٦٨ مقعداً مقابل ٢٢٠) . وكانت حصة الاشتراكيين كبيرة اذ اصبحوا لاول مرة اكبر حزب في المجلس ولهم ١٤٦ مقعداً ، وتحسنت اصوات الشيوعيين فزاد عداد المقاعد لديهم من ١٠ في المجلس السابق الى ٧٠ مقعداً . لكن انتصار الجبهة لم يلق الترحاب عند اصحاب المصارف والصناعات . فاضطرب الاقتصاد والوضع المالي . فتهافتت سندات الحكومة ، وهبطت اسعار اسهم مصرف فرنسا وبدأ الرأسمال يهرب الى

الخارج . وحاولت الحكومة طمأنة الرأسمال الا أن جهودها ذهبت سدى .
وقبل ان يتولى بلوم الوزارة تنشطت الاضرابات وكادت الجبهة ان تتفكك في ٣ حزيران تشكلت الوزارة وابتعد الشيوعيون عنها . وحاول بلوم كسب ثقة العمال وازاحة مخاوف اليمينيين بصدد نوايا الجبهة التي شاع عنها بانها تنوى احداث ثورة في الجمهورية الثالثة . ولاول مرة تأخذ العلاقات الصناعية بأسلوب المساومة الجماعية ولم يعد في وسع اصحاب المصانع طرد العمال من العمل لمجرد تضامنهم مع غيرهم، وشرع لاربعين ساعة في الاسبوع لكن الحكومة لم تفلح في سياستها مع المصارف . وفي ربيع ١٩٣٧ بدأت ملامح قصة اسقاط الحكومة المألوفة . فقد استمر نزوج الرأسمال الى الخارج وانخفض الانتاج وخسر مصرف فرنسا خلال اسابيع ٨ بلايين فرنك ذهبا. وانخفضت قيمة الفرنك مقابل الدولار . وكما كان العمال يضربون ،فان الرأسمال الفرنسي هو الآخر اعلن الاضراب . وطالب بلو بصلاحيات لكن مجلس الشيوخ رفض فاعاق عمل الحكومة فاضطربت حكومة الجبهة الشعبية الى الاستقالة في ٢٢ حزيران ١٩٣٧ . ولم ينته دور الجبهة الشعبية ، فقد أعيد بلوم الى رئاسة الوزارة . وقد تقدم ببرنامج عام لبعث اقتصاد فرنسا ووضعها المالي وتشجيع رأس المال للتوجه الى النشاطات الانتاجية والسيطرة على نظام التحويل وشدد على الأنتاج الحربي للحاق ببرنامج تسلح المانيا. لكن الوضع السياسي المنقسم على نفسه في فرنسا وارتباك السلطات الدستورية اعاق تمرير برنامج بلوم . فعلى الرغم من ان اغلبية اعضاء المجلس ، وهم من الجبهة الشعبية ، قد صوتوا الى جانب البرنامج ، الا ان مجلس الشيوخ رفض باغلبية ٢١٤ الى ٤٧ . وكان ذلك دليل واضح على ان الشعب قد اعطى الوصاية الى الاحزاب اليسارية الا أنها لم تستطع ممارسة الحكم في ظل الدستور .
واستقالت الحكومة . وبعد ان خرج الراديكاليون من الجبهة الشعبية تولى زعيمهم أدوار الاديه رئاسة الوزارة . وفي الوقت الذي رفض مجلس الشيوخ

تخويل بلوم بصلاحيات استثنائية منح الى تلك الصلاحيات لمواجهة أسوء وضع سياسي عرفته اوربا ما بين الحربين .

السياسة الخارجية الفرنسية ١٩٣٣ – ١٩٣٩ :

ان استلام هتلر للسلطة في المانيا كان ايذانا صارخا بان فرنسا ينبغي ان تحدد موقفها من جملة قضايا كانت قد تلكأت في حسمها في السابق . فنوايا هتلر كانت لاتغيب عن العين وهي الانتقام من تراتيب ١٩١٨ . ومما لا ريب ان ذلك يتعارض تعارضا مباشرا مع سياسة فرنسا . فأمن فرنسا كان يكمن لا في قوتها بالمقارنة مع المانيا وانما في الابقاء على فرساى اى المانيا المنزوعة السلاح والراين المنزوع من السلاح والاقتصاد المثقل بالتعويضات . بالاضافة الى شبكة الاحلاف التي نسجتها حول المانيا . وفوق هذا وذلك كانت فرنسا تعول على تأييد بريطانيا لها. ولكن السياسة الفرنسية لم تتمكن من نهج خط واضح في جميع هذه المجالات . ويرجع الامر في ذلك الى تبدل المتغيرات في أوربا اولا ، والى انشطار الرأى الفرنسي ثانيا .

فمن الحقائق ان فرنسا لم تتخذ سياسات كان يتوجب عليها تبنيها لاحباط مشاريع هتلر وافشال تهديداته . واذا نظرنا إلى تلك الفترة فان الخيارات التي مثلت امام باريس يمكن ان تجمل بما يلي :

١ – ان تزيد فرنسا من انفاقاتها العسكرية وتعزز دفاعاتها وتتخلى عن الجمود الفكري في نطاق الخطط العسكرية وان لاتنزوى وراء جدار خط ماجينو . فعلى الرغم من ان لدى فرنسا احتياط عسكري كبير الا أنه لم يوظف توظيفا صحيحا . فقد عرقلت الانقسامات الداخلية بين اليسار واليمين اى خطة شاملة لبناء قوة عسكرية فرنسية عالية .

٢ – ان تبدأ فرنسا بالبحث عن حلفاء جدد لمواجهة القوة الحربية المحتملة لالمانيا . وكانت بريطانيا وايطاليا والاتحاد السوفيتي الدول المرشحة كي تكسب من قبل فرنسا . وكما شهدنا سابقا فان بريطانيا اعتمدت سياسة تحاشي

التحالف مع فرنسا ضد المانيا على الرغم من ضغوط فرنسا على لندن .
اما ايطاليا الفاشية فكانت تتنافس مع فرنسا في البحر الابيض المتوسط والمستعمرات ، وكانت ايطاليا تطالب بثمن مقابل تحالفها مع فرنسا لم يكن في وسع فرنسا ان تدفعه . وعليه فقد كان الاتحاد السوفيتي الحليف المحتمل فلدى الدولتين تاريخ في الوفاق والتحالف ضد المانيا . كما ان الاتحاد السوفيتي كان يخشى المانيا النازية . ويضاف الى ذلك انه كان القوة العسكرية والاقتصادية الوحيدة التي في وسعها الضغط على المانيا وتهديدها في شرق اوربا .

٣ – ان تعزز فرنسا علاقاتها التحالفية مع اطراف الوفاق الصغيرة (بولندا جيكوسلفاكيا ، رومانيـا ، ويوغسلافيـا) كي لاتدعها عرضة للضغوط الالمانية النازية .

٤ – بعث الروح في عصبة الامم ومساندتها في عملية حسم الصراعات بالطرق السلمية وانجاز مشاريع واقتراحات نزع السلاح وارساء نظام مالي واقتصادي عالمي .

ففي نطاق نزع السلاح انشغلت باريس في ثلاثة أمور أولها مسألة علاقة القوة بينها وبين المانيا، وثانيهما نزع السلاح البحري وثالثها نزع السلاح في الشرق الأقصى. وكان المجال الاخير قد رتب حسب اتفاقية واشنطن . والنقطة الثانية حدث فيها خلاف بين الولايات المتحدة وايطاليا من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى. أما المجال الأول فقد كان أمام فرنسا أما أن تزيد قوتها أو تبقى على مستوى القوة الألمانية كما تقرر بمعاهدة فرساي. بيد أن معارضة المانيا منذ عهد جمهورية فايمر ومطالبة هتلر بمعاملة المانيا معاملة المتكافيء، وعطف بريطانيا على الموقف الالماني جعل من سياسة فرنسا في مجال نزع السلاح قضية صعبة المنال. فالمانيا انسحبت من مؤتمر نزع السلاح باشراف عصبة الامم في تشرين الاول ١٩٣٣، كما أن هتلر أعلن عن برنامج تسلح.

وطرحت لندن اقتراحاً توفيقياً لكن باريس رفضته في نيسان ١٩٣٤. وبذلك تمسكت الحكومة الفرنسية بمبدأ عدم التكافؤ مع المانيا. وكان ذلك يعني أن

على فرنسا منذ الآن أن تسير الدرب وحدها في مجال الامن العسكري. فليس بريطانيا بعازمة على التحالف معها، وليس لدى فرنسا القوة المحتملة لمجاراة برنامج التسلح الالماني. فالاقتصاد الالماني امنع من الاقتصاد الفرنسي. والحكومة النازية سيطرت على شؤونها الداخلية في حين تمزق جسد السياسة الفرنسية. والقوة البحرية الالمانية أكبر من نظيرتها الفرنسية. ثم أن هتلر كان عازماً على انجاز أهدافه ولن يسمح لقوة داخلية أن تعيقه.

في ضوء عجز فرنسا عسكرياً للتصدي على التحدي الألماني اتجهت باريس إلى الدبلوماسية. وطرحت فكرة إيجاد لوكارنو الشرقية. تتعهد فيها ألمانيا والاتحاد السوفيتي في احترام حدود دول أوربا الشرقية وتنضم القائمة وينظم إلى التعهد بولندا وجيكوسلفاكيا ورومانيا وتقوم بدور الضامن فرنسا وبريطانيا وايطاليا. لكن بولندا رفضت شروط الاتحاد السوفيتي بأن يسمح لقواته بالمرور عبر أراضيه عند الحاجة. وكانت بولندا تفكر في التقارب مع المانيا بعدما أدركت أن فرنسا بدأت تتراجع في تعهداتها للحلف الصغير.

وتزامنت تحركات لافال مع تطلعات موسليني إلى الحبشة. وكانت باريس قد شجعته في تموز ١٩٣٤ للتصدي إلى محاولة النازيين النمساويين لاختطاف السلطة في فينا بتشجيع من برلين. وعقد لافال مع موسليني ميثاق روما في كانون الثاني ١٩٣٥ بموجبه تناصر فرنسا ايطاليا للدفاع عن النمسا، وأن تتشاور هيئتا أركان البلدين في القضايا العسكرية بصدد التحرك ضد المانيا في أوربا. وفي مقابل ذلك استلم موسليني حرية اغتصاب الحبشة بمباركة فرنسا. وكانت بريطانيا تحبذ التقارب بين فرنسا وايطاليا لكن هتلر كان أسرع في رده على نهج باريس فاعلن تخلي المانيا عن التزام نزع السلاح كما نصت عليه اتفاقية فرساي. ولم يكن رد فعل أطراف فرساي سوى احتجاج سياسي بلسان عصبة الامم.

في مايس وقع السفير السوفيتي لدى باريس ولافال ميثاق التعاون المتبادل وذهب لافال بعد ذلك إلى موسكو لكنه افرغ الميثاق من فحواه. فقد طالب

بأن تكون المساندة من طرف إلى آخر ضد العدوان بعد أن تقرر العصبة أن عدواناً قد حدث ثم يجب أن تؤيد أطراف (لوكارنو) أيضاً ذلك بعبارة أخرى أن عدوانا المانيا على روسيا سوف يجد من الوقت اللازم قبل أن تهب فرنسا لنصرة الاتحاد السوفيتي. والاكثر من هذا ان امتنع عن اجراء حوار عسكري بين الطرفين كما انه لم يقدم الميثاق إلى البرلمان للمصادقة عليه. وكانت نيته أن يبعد شكوك المانيا تلك الشكوك التي ايدته عليها مواقف العسكريين الفرنسيين. فالميثاق كان انحرافاً عن روح لوكارنو وان في وسع هتلر أن يستغل ذلك لصالحه وبعد سنة قدمت الحكومة الجديدة الميثاق للتصديق وسط ترحاب من اليساريين الذين طالبوا بتكاتف فرنسا مع بريطانيا والاتحاد السوفيتي لمواجهة المانيا وفي المقابل شنت الصحف اليمينية نقداً للميثاق على اعتباره دعوة للعداء الالماني الفرنسي إذ أن المانيا ستتعذر بأنها قد طوقت.

لقد كانت السياسة الخارجية الفرنسية تتلون بطبيعة الصراعات الداخلية. فعندما غزا موسليني الحبشة في خريف ١٩٣٥ تأزمت السياسة الفرنسية. فاليمينيون كانوا يطالبون باعطاء ايطاليا يداً مطلقة في الحبشة. وواقع السياسة الفرنسية كان يتماشي مع هذا الخط لدرجة ما. فإذا عارضت فرنسا ايطاليا فسوف ترتمي ايطاليا في أحضان المانيا وبذلك ينكسر الطوق المناهض لالمانيا. وهكذا وجدت باريس نفسها في مأزق. فالعصبة بتأييد من بريطانيا والاتحاد السوفيتي وبقية الدول أصدرت قرارها بأن ايطاليا قد لجأت إلى الحرب وعليه سينفذ بحقها المادة ١٦ القائلة بفرض العقوبات. ولكي يخرج لافال من المأزق حاول أن يتبع دربين في آن واحد، أن يناصر العصبة ويرضي موسليني. لكنه أخفق في كليهما. ومع هذا فإنه وقف ضد تطبيق عقوبات اقتصادية على ايطاليا وبالأخص قطع النفط عنها. وكانت بريطانيا مترددة في مسايرة فرنسا. وفي كانون الأول ١٩٣٥ توصل لافال إلى أتفاق مع هور وزير خارجية بريطانيا على اعطاء نصف الحبشة لموسليني لكن الخطة احبطت بسبب تصويت الرأي العام البريطاني لصالح مناصرة العصبة. ولم يرض موسليني بمواقف

فرنسا غير الثابتة فرد على نفور فرنسا منه بالغاء ميثاق روما وقطع المباحثات العسكرية وانهاء تفاهم سترسيا .

في آذار ١٩٣٦ هبت ريح الانتقام الألماني من عبر الراين وكانت فرنسا تتوقع ذلك. فهتلر كان يخطط لذلك. لكن ماكان في وسع بريطانيا أن تصنعه . ومنذ أحتلال الرور في ١٩٢٣ تقيدت حرية حركة فرنسا . فطالما لاتقود بريطانيا سياسة المواجهة ضد هتلر لن تستطيع فرنسا أن تقوم بعمل ايجابي . في كانون الثاني ١٩٣٦ اجتمع وزير خارجية فرنسا فلاندان في لندن بايدن وأخبره باحتمال تحرك هتلر على الراين. أجاب أيدن أن تحرك بريطانيا يعتمد على ماستقوم به فرنسا . وحاولت باريس أن تعطي جواباً ايجابياً ، لكن المناقشات بين رئيس الوزراء ووزير الخارجية ولجنة الدفاع ووزير الدفاع تدلل على أن الجيش الفرنسي لم يكن مستعداً لمهمة كهذه. وسعت فرنسا تبحث عن شروط لاحتلال الراين كان يتحدد حجم القوات والمعدات الالمانية . ولكن من دون جدوى. فالدعوة إلى الاحتراس كان رمزاً للضعف والوهن. وفي ٧ آذار تحرك الالمان على الراين. وتعثرت فرنسا في الرد عليه. فالسياسيون يزعمون أنهم كانوا مستعدين لمجابهة القوات الالمانية ، لكن قرار القوات المسلحة جنح عن ذلك. وطلبت لندن من باريس أن لاتتحرك من دون التشاور مع الحكومة البريطانية. وتركت لندن الامور تسير من دون رقابة . ففرنسا كانت تخشى من حرب مع المانيا بدون حليف. فربما كان في وسع فرنسا أن تلحق هزيمة أولية بالمانيا، لكن ثقل الصناعة الالمانية وسكانها سيميل التوازن لصالحها. وكان الرأي العام الفرنسي غير متفق على موقف .

فاليمينيون والمحافظون عبر صحافتهم كانوا يحذرون من التصدي لاحتلال الراين لأن ذلك يخدم مصلحة السوفيت. والاشتراكيون من جانبهم دعوا إلى التروي. وهكذا تحدثت باريس كثيراً ولكن بلا فعل وكانت سياستها جعجعة بلا طحين .

في منتصف تموز ١٩٣٦ هيمنت على العلاقات الدولية الاوربية الحرب الاهلية الاسبانية. فاسبانيا الجمهورية تحكمها جبهة شعبية أيضاً وكانت تخشى من المحافظين والملكيين الذين ساد نفوذهم في الكنيسة الكاثوليكية والجيش. واستنجد رئيس وزراء اسبانيا جوزيه جيرال بالحكومة الفرنسية لتقديم الأسلحة والطائرات لصد تحرك الجيش بزعامة فرانكو. وفي بادىء الأمر تعاطف بلوم مع طلب مدريد وتقرر في مجلس وزراء فرنسا ارسال شحنات. لكن شيوع النبأ أثار حفيظة الصحف اليمينية وأصبحت القضية مرتعاً للجدل والتهجمات بين أطراف السياسة الفرنسية. وكانت الكتل اليمينية لاتريد مناصرة الجمهورية الاسبانية. واغفل باوم الضغوط الداخلية، لكنه وجد نفسه هدفاً لضغط بريطاني. فقد طلب منه ايدن أن لايشرك فرنسا في هذه الأزمة. وكانت لندن ترى في الحرب الاهلية حرباً عقائدية أوربية محتملة. مما لاريب فيه أن ايطاليا وألمانيا ستناصر الجنرال فرانكو ومع مرور الأيام تعاظمت المعارضة داخل البرلمان حتى أن رئيس الجمهورية أعرب عن عدم رضاه لتدخل فرنسا. لكن فئات يسارية كانت تطالب بالسلاح لاسبانيا. ولم ترسل باريس اسلحة على الرغم من أن ايطاليا كانت تمد فرانكو بالطائرات. ووجدت حكومة بلوم مخرجاً لنفسها بتبني فكرة عدم التدخل وان تدعو اليها بريطانيا والمانيا وايطاليا. ورحبت بريطانيا بالخطة. فبريطانيا لم تقلق على مواصلاتها البحرية من تمركز بحري الماني ايطالي في اسبانيا لانها ظنت أن فرانكو لن يسمح بذلك حرصاً على استقلال بلاده. في حين كانت فرنسا تنظر بعين قلقة جداً إلى كونها مطوقة من الجهات الثلاث باعداء. ومن المدهش أن الجيش الفرنسي لم يظهر مخاوفه من تمركز ايطاليا والمانيا في اسبانيا. وربما كان في وسع فرنسا أن تلبي طلب حكومة اسبانيا فتمكنها من سحق جناح فرانكو. وقد تركت الحرب الأهلية الاسبانية أثرها بارزاً على وجه السياسة الفرنسية. فقد تعمق الخلاف بين الاشتراكيين والشيوعيين من جهة وبين المحافظين من جهة أخرى. كما أن

سياسة التردد والانتظار بلندن ضيعت على فرنسا فرص المناورة المبكرة. وبذلك تدافعت القوى المتباينة وراء اعتبارات ضيقة، فالكنيسة الكاثولوكية ناصرت فرانكو في حين تجند المثقفون للتطوع إلى جانب الجمهورية، بعيداً عن مصلحة أمن وسلامة فرنسا .

وبعد أن تركت فرنسا الجمهورية الاسبانية تساق بالقوة إلى نهايتها، تحركت المانيا لاغتصاب النمسا وهي هدف أعتز به هتلر شخصياً. ولم تكن النمسا بحد ذاتها مصدر قلق فرنسا، بل أن جيكوسلفاكيا ستطوق من ثلاث جبهات، وستسقط للألمان أن عاجلا أو آجلاً. والاكثر من هذا أن تحصنات ألمانيا في الراين مضافاً اليها وضعها الاستراتيجي الجديد سيجعلها حجرة صلدة أمام أي تحرك فرنسي لنصرة حليف في شرق أوربا. ولذلك ارتأت حكومة باريس بزعامة دالاديه الراديكالي أن تقوم بعمل ما هذه المرة. ولكن لابد من التشاور مع لندن. وجاء رد لندن داعياً إلى ضبط النفس والاكتفاء بالاحتجاج الرسمي عن سبيل عصبة الامم. وهكذا دمجت النمسا مع الرايخ بدون أية كلفة تذكر. لقد انقذت لندن باريس مرة أخرى ، وكانت باريس تعلم علم اليقين أن لندن لاموقف لديها سوى الارضاء والتقريب بين باريس وبرلين. وحاولت موسكو تحريك الدول الكبرى لمجابهة هتلر. لكن اقتراحها لعقد مؤتمر لرؤساء الدول المعنية قد طرح جانباً .

وتنبهت باريس لمصير جيكوسلفاكيا. واخبرت حكومتها بأن فرنسا ستلتزم بتعهداتها بغض النظر عن موقف بريطانيا. والاكثر من هذا ان باريس اعلمت برلين بهذا الامر وان خططاً عسكرية قد وضعت لمواجهة مثل هذه الحالة. ولكن بريطانيا لم تكن مستعدة للمخاطرة من أجل جيكوسلفاكيا. حتى وان ذهبت فرنسا لنصرتها. وفي نيسان ١٩٣٨ غادر دالاديه رئيس الوزراء وبونيه وزير الخارجية الى لندن . وكان جواب الحكومة البريطانية سلبياً. فحكومة المحافظين ستنضم إلى الحكومة الفرنسية في عمل دبلوماسي

للضغط على برلين كي تكون معتدلة وفي المقابل ستطلب من الحكومة الجيكية ان تلبي طلبات هتلر بصدد الالمان في السوديت .

وشددت الحكومة البريطانية على موقفها مرة تلو المرة . واستقبلت باريس تردد لندن بترحاب لانه كان مخرجا لها . بل أكدت على مشاركتها في تسليط الضغوط على براغ لقبول شروط هتلر .

وكان في وسع فرنسا ان تعوض عن مساندة بريطانيا بالتوجه الى الاتحاد السوفيتي حيث للفرنسيين تحالف معه ، او في أسوء الحالات ان تضغط باريس على لندن عن سبيل موسكو . ولكن امراً كهذا تطلب جملة التزامات اهمها الجانب العسكري . فعلى الرغم من ان الرأي العسكري والسياسي في باريس لم يعط للقوة العسكرية السوفيتية قيمة عالية، فاتح بونيه لتفينوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي بصدد احتمال تقديم موسكو المساعدة لبراغ حيث تربط البلدين معاهدة دفاعية . واعرب لتفينوف عن استعداد حكومته ارسال قوات عبر رومانيا وبولندا فيما اذا نالت باريس موافقة هاتين الدولتين . لكن باريس لم تكن على استعداد للقيام بذلك .

وتأزمت الاشهر التالية لنيسان بين باريس ولندن من جهة وداخل صفوف الحكومة الفرنسية. فالجيش لم يعزز موقف الحكومة فكلما اراد د الاديه ان يكون متصلبا في وجه هتلر وبعيداً عن الموقف الارضائي لتشمبرلن غالت هيئة الاركان الفرنسية في القدرة العسكرية الالمانية . ولكي لايتصرف الفرنسيون بأسلوب بعيد عن الحذر اخذ تشمبرلن المبادأة في زيارة برلين من دون ان يعلم نظيره الفرنسي . ومع هذا لم يكن من بد سوى ان تضع فرنسا يدها في يد بريطانيا للضغط على براغ بعد زيارة تشمبرلن الاولى لالمانيا .

ولكن عندما رجع تشمبرلن من لقاء غودسبرغ ومعه تحذيرات هتلر وطلباته رفضت حكومة المحافظين والحكومة الفرنسية والحكومة الجيكية

وساطة تشمبرلن. واتخذت فرنسا موقفا صلبا فاعلنت التعبئة واستدعت الاحتياط وفي ٢٥ ايلول توجه دالاديبه وبونيه إلى لندن. وتمسك تشمبرلن بموقف حكومته الداعي إلى تنازلات اكبر تقدم لهتلر كي يجنب اوربا حربا لكن دالاديبه كان يؤكد على عزم فرنسا على الوقوف بوجه هتلر بحزم. وكان لكل منهما رأيه في مدى استعداد بلديهما. فتشمبرلن لم يثق بقدرة فرنسا العسكرية وكان اعلم بقوة بلده. واقترح عقد مباحثات عسكرية لدراسة الموقف العسكري. وتشجعت لندن لتقديرات رئيس الاركان الفرنسي وادركت الحكومة البريطانية ان فرنسا ستقف إلى جانب جيكوسلوفاكيا وهذا بدوره سيرغمها على الوقوف إلى جانب فرنسا. وبعث تشمبرلن رسالة إلى هتلر يحذره ويخبره بهذا الموقف. واثار هذا الموقف اعتراضات في فرنسا. فالجناح اليميني بزعامة فلاندان رئيس حزب الوسط اعرب عن معارضته للحرب في الصحف وانضمت اليه بعض النقابات، نقابة المعلمين ونقابة البريد والتلفون. وبدأ موقف حكومة دالاديبه يتذبذب وهو في باريس. ثم ان لندن عاودت ضغوطها بل شددت على ضرورة جعل اى اجراء عسكري تزعم فرنسا اتخاذه خاضعا للتشاور مع بريطانيا. ووافق بونيه لان بريطانيا اعطت مخرجا جديدا.

اعطى دالاديبه موافقته لحضور مؤتمر رباعي في ميونخ في ٢٨ آيلول وصادق الفرنسيون والبريطانيون على وثيقة ميونخ لتفكيك جيكوسلفاكيا. وكان التنصل من الالتزامات التعهدية في الدفاع عن جيكوسلفاكيا حلقة اخرى في تاريخ تثلم المواقف الفرنسية في سياستها الخارجية ازاء اوربا عموما والمانيا على وجه الخصوص. انها كانت دليلا على التردد وعلى الوهن الداخلي الكامن في النظام الفرنسي الذي تميز بالانقسامات السياسية الحادة والنظرة التشاؤمية للقيادة العسكرية التي لم تأت بالاقتراحات الصائبة.

وبعد ان تناسى الفرنسيون حلفاءهم الجيكيين جاء دور حلفائهم البولندين. وكانت بولندا قد حظيت بتشجيع من فرنسا في تحقيق تفاهم مع المانيا

النازية . وفي ١٩٣٤ عقدت اتفاقية عدم اعتداء لمدة عشر سنوات وكانت انتصاراً للدبلوماسية البولندية بقدر ما كانت فخا لها . بل تشجعت لتنقض على جيكوسلفاكيا اثناء محنتها فارملت قواتها لاسترجاع قيشن .

لقد اثبتت احداث جيكوسلفاكيا ان شكوك دالاديبه بان هدف هتلر لم يكن السوديت بل تفكيك جيكوسلفاكيا ومن ثم بولندا وبعد ان يهيمن هتلر على وسط اوربا يتوجه الى الغرب . وكي تتلاقى الحكومة الفرنسية العجز في قدرتها العسكرية خصصت ٢٥ مليون فرنك للتسلح وعلى الاخص تحسين القوة الجوية . وعلى الصعيد الدبلوماسي تلكأت باريس في ترجمة اقتراح موسكو لعقد مؤتمر يضمم بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي وبولندا ورومانيا وتركيا لتشكيل جبهة ضد هتلر . ،في آذار ١٩٣٩ اخفقت لندن وباريس في الضغط على وارشو للاخذ بالفكرة . وفي نيسان طرح الفرنسيون اقتراح تقديم تعهد من جانب موسكو الى رومانيا وبولندا . ولكن لتفنيوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي اقترح عقد حلف ثلاثي كي يضيع الفرصة على الغرب في دفع هتلر صوب الشرق ، بالوقت نفسه ترك الباب المفتوح لالمانيا . ودفعت فرنسا بالمفاوضات نحو الامام وذلك بالدخول في مناقشات عسكرية . لكن موعد وصول الوفد الفرنسي ـ الانكليزي وتشكيله دللت على ان ليس هناك عزم أكيدعلى التوصل الى اتفاق مع موسكو . وفي الوقت نفسه كانت بوادر تقارب الماني سوفيتي تظهر للعيان . ولم تكترث لندن وباريس . وكان هتلر متلهفا لتحقيق تفاهم مع موسكو لانه كان يريد ان يغزو بولندا في ايلول . وكان السوفيت يريدون ان يجيبهم الفرنسيون والبريطانيون على اسئلة محددة . كيف يستطيع السوفييت الاشتباك مع الالمان من دون ان يعبروا بولندا ورومانيا وكانت بولندا عثرة كأداء . وحاولت باريس ان تضغط على وارشو لاعطاء جواب ايجابي . ولكن جوابا كهذا لم يأت. وبعد ان اعلنت برلين ان اتفاقا لعدم الاعتداء سيعقد بين المانيا والاتحاد السوفيتي جاءت التعليمات الى الوفد الفرنسي العسكري في موسكو من دلاديبه بان بولندا ستسمح بعبور القوات السوفيتية وكان الجواب مباداة من جانبه ليس

الا . في ٢٣ آب وقعت المانيا والاتحاد السوفيتي على اتفاقية عدم الاعتداء . وبدأت حلقة طرح الاسئلة في فرنسا من جديد . هل فرنسا على استعداد للدفاع عن بولندا ؟ هل من صالحها ان تتنصل عن التزاماتها لبولندا ؟ ما هو موقف بريطانيا ؟ في ٢٥ آب حاول هتلر ان يقنع بريطانيا وفرنسا بالعدول عن مناصرة بولندا بعد ان اخبره تشمبرلن خطيا بان بريطانيا ستلتزم بالدفاع بولندا والى جانبها فرنسا . لكنه لم يفلح كما ان دالاديه لم يفلح في اقناع هتلر بالعزوف عن خطته ازاء بولندا . في ١ ايلول غزا هتلر بولندا وفي ٣ منه اعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا .

المصادر

J.B.T. Burcy, History of France, London, 1969.

E.Carr, the Twenty years Crisis, London, 1942.

H.Cole, Laval, A Biography, London, 1963.

G.Graig and F. Gilbert, the Diplomats, 1919-1939 Princeton, 1953.

A. Eden, the Memoirs of Anthony Eden , 1965.

K. Fekling, The Life of Neville chamberlain , London, 1946.

H. Thomas, the Spanish Civil War, London, 1961.

W.L. Shirer, the Collapse of the Third Repubolic, New Yourk, 1969.

A.Werth, the Destiny of France, London, 1937.

D.W. Brogan, the Development of Modern France, London 1959.

المبحث السابع
اليابان

في ٧ آب ١٩١٤ اختارت اليابان جانب الحلفاء وانضمت إلى الحرب. وكانت الابصار موجهة صوب الجزر التي كانت من ممتلكات المانيا في المحيط الهادي، وإلى فرص استثمار التوسع الياباني لاخضاع البر الصيني إلى هيمنة طوكيو وبذلك سيكون في وسع اليابان صد الضغط الاوربي المتمثل في الولايات المتحدة التي كانت قد وسعت من قوتها البحرية في المحيط الهادي والمصالح البريطانية في الشرق الاقصى. وقد اندفعت العسكرية اليابانية في الاشهر الاولى من الحرب لوضع يدها على مساحات واسعة على الرغم من عدم ارتياح لندن وواشنطن. وفي مطلع ١٩١٥ تقدمت اليابان إلى الصين بمذكرة انطوت على احدى وعشرين نقطة اعتبرتها حلا للقضية الصينية التي شغلتها سياسيا وعسكريا. وكانت المذكرة وسيلة لبسط النفوذ الياباني في الصين. فقد حرم على الصين تأجير جزر ومرافيء وسكك إلى الغرب. وطلب منها تمديد تأجير مانشوريا لليابان لفترة تسع وتسعين سنة ، وان تستولى اليابان على ممتلكات المانيا في الصين. وان تقترض الصين ديونها من اليابان وليس من الدول الغربية. ولقد أثارت هذه السياسة خلافات على الصعيد الداخلي والخارجي. فقد استنكرت بريطانيا والولايات المتحدة سياسة اليابان في الصين ولكن لم توقفا اليابان عن التوسع. اما داخليا فقد اعترض الجيش بزعامة يماكاتا خشية من تطويق الوجود الياباني من قبل الدول البحرية. وبسبب ضغوطه على الامبراطور تايشو أقيلت حكومة اوكومو في ايلول ١٩١٦، وعين محلها حكومة يترأسها الجنرال تيراوشي.

وبما ان بريطانيا كانت بحاجة إلى مساندة البحرية اليابانية لمقاومة نشاطات الغواصات الالمانية، فان الحكومة البريطانية اخبرت تيراوشي في شباط ١٩١٧ بانها على استعداد لرعاية مطالب اليابان في مؤتمر الصلح القادم بصدد حقوق المانيا في شانتونغ وبقية الممتلكات في الجزر الواقعة شمال مدار

الجدي على أن تناصر اليابان مطاليب بريطانيا في الجزر الواقعة إلى الجنوب(١). وقد تعزز موقف اليابان بعد ان نالت ضمانات من ايطاليا وفرنسا وروسيا.

في ربيع ١٩١٧ انهار حكم آل رومانوف في روسيا ولاحت آفاق جديدة للتوسع الياباني في سيبريا. وعلى الرغم من الخلافات بين وجهات نظر وزارة الخارجية وهيئة الاركان بشأن مدى تدخل اليابان فقد تضافرت جملة عوامل دفعت إلى الاخذ بسياسة التدخل. فمن جهة وجدت اليابان مناصرة شديدة من جانب دول الحلفاء من أجل التدخل وذلك لان دول الحلفاء كانت تخشى الاثار المترتبة على انحسار الجبهة الشرقية. لكن العسكرية اليابانية ترددت في بادىء الامر لانها كانت مهتمة بالصين وشرق سيبريا. ثانيا، ان قيام النظام السوفيتي عند حدود كوريا ومنشوريا اعتبر من قبل طوكيو بمثابة خطر يهدد مصالح اليابان الحيوية هناك. ثالثا، كانت هيئة الاركان تحرص على ان لا تقوم دولة غربية في مزايدة اليابان في استثمار الاقاليم البحرية (٢). ونزولا عند ضغوط رجال السياسة التقليديين واصحاب المصالح المالية قررت حكومة تيراوشي ارسال حملة مستقلة، ولكن القرار جابه معارضة في الدايت الياباني من جانب هارا زعيم حزب سايوكاي والكونت كاتو زعيم حزب كينسكاي، لذلك عدلت الحكومة عن تبني سياسة التدخل المستقلة فتعاونت مع الولايات المتحدة.

لم تلق حملة التدخل التأييد الشعبي كما انها لم تثر الحماس الوطني بين الفلاحين في الريف وابناء المدن. ومما اعطى الحملة بعداً سياسيا سلبيا هو ارتفاع اسعار الرز إلى مستويات عالية فسببت هيجانا عاما استنجدت الحكومة بالجيش لاخماده. وفي آيلول ١٩١٨ استقالت حكومة تيراوشي وخلفتها اول حكومة تستند إلى النظام الحزبي بزعامة هارا. وعلى النقيض ممن سلفوه

(1) Russell Fifield, Woodrow Wilson and the Far East, 1952, p.54.
(2) R.Storry, A History of Modern Japan, Penguin Books, 1968, 757, 758

من رؤساء الحكومات فانه لم يكن من عائلة ارستقراطية او منتمياً إلى الحلقة الحاكمة تقليديا، فكان فاتحة عهد جديد عرف بالعهد الليبرالي.

ومن الجدير بنا ان نستعرض تطور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في اليابان كي نتبين الخط السياسي الذي سارت عليه الحكومات في الداخل وفي السياسة الدولية.

لقد شهدت سبعينات القرن التاسع عشر حاجة اليابان إلى تصنيع نفسها وتأمين اقتصادها وتعزيز قدرتها العسكرية لمواجهة تحدى الغرب. كما ان الحكومة شجعت بناء الصناعات الخفيفة في قطاع صناعة الحرير. وقد اعتمدت نظاما نقديا مستقراً ونظاما مصرفيا، وساعدت على تطوير المواصلات ففي ١٨٧٢ انشئت أول سكة حديد. وقد انتشر التصنيع من قطاع إلى قطاع. وبما ان اليابان تمتعت باكتساب التقنية الغربية وتيسر الايادى العاملة ومحافظة مستوى المعيشة على مستواه التقليدي فان فرص اليابان كانت كبيرة في التوسع تجاريا (١). ومع هذا ينبغي ان لا نبالغ في الخطوات التقنية التي حققتها اليابان خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فمرحلة الانطلاق الفعلية جاءت بعد الحرب الروسية — اليابانية في ١٩٠٤ (٢). وفي خلال الفترة ١٩٠٠ — ١٩٤٠ ازداد انتاج المواد الاولية بثلاث مرات وزاد انتاج البضائع المصنعة بما يقارب اثنتي عشرة مرة. حتى ان تعاظم التجارة اليابانية وشروطها التنافسية أديا إلى قلق بعض الدول الصناعية الغربية. ومن الاسباب التي ساعدت اليابان على هذا النمو استغلالها الشديد للمستعمرات الاسيوية امثال كوريا وتايوان والصين ومنشوريا. كما ان توزيـــع الثروة الجديدة لم يكن خاضعا لضوابط سياسية فقد انحصر في ايادى شرائح اجتماعية قليلة مما جعل الاستهلاك الوطني محدوداً وبالتالي دفع التجارة اليابانية إلى الاسـواق،

(1) E.O. Reischauer, Japan: the Story of a Nation, A.A. Knopf publisher, New york, 1974, PP. 151-155.

(2) E.O. Reischauer and A.M. Craig, Japan: Jradition and Transformation, George Allen and Unwin, London, 1979 p. 193.

لقد أثرت الحرب العالمية الاولى أيجابيا على الاقتصاد الياباني. فانهماك الدول الاوربية الصناعية بالحرب أدى إلى حلول الصناعات اليابانية في الاسواق الاسيوية، كما ان تحطم السفن التجارية الاوربية زاد من اعتماد الحلفاء على النقل البحري الياباني. وهكذا فقد تضاعف عدد العمال في المصانع وزاد الدخل الصافي عشر مرات، وارتفع معدل الاستثمار، والاكثر من هذا تحولت اليابان من دولة مقترضة إلى دولة دائنة. اذ أصبح رصيدها الذهبي اكثر من بليوني ين. لكن هذا الانتعاش سرعان ماخمد في السنة الاخيرة من الحرب. فارتفعت الاسعار في حين حافظت الاجور على مستواها. وبدأت اليابان تمر في تجربة الاضرابات العمالية لتحسين ظروف العمل والاجور .وفي ١٩٢١ اضرب العمال في منشآت متسوبوشي وأنتشرت الاحداث إلى الريف الذي كان قد تأثر بركود اسعار الرز، وخاصة وان الفلاحين الصغار اعتمدوا على التسويق إلى المدينة (١) .

لقد تضرر الاقتصاد الياباني من جراء الركود الاقتصاد العالمي في ١٩٢٩ . لكن اليابان استطاعت ان تنهض ثانية بفضل توسع التجارة واعتمادها سياسة تخفيض قيمة الين الياباني فاصبحت البضاعة اليابانية أرخص من منافستها الاوربية. ويضاف إلى ذلك ان الاقتصاد انتعش بسبب الانفاق العسكري الذي رافق الحملة على منشوريا في ١٩٣١. ولقد تعرضت التجارة اليابانية إلى القيود التجارية التي فرضتها الدول الغربية. ووجدت اليابان في هذه الحقيقة عذراً لتبرير توسعها الامبريالي. كما ان اعتمادها على المواد الاولية المستوردة دفعها إلى احتكار المستعمرات وتبني سياسة عسكرية عدوانية.

لقد تميز التطور الصناعي والنمو الاقتصادي في اليابان بانهما لم يقضيا على المشاريع الصغيرة، ولذلك يوصف التركيب الاقتصادي الياباني «بالثنائية» ففي ١٩٣٠ كان نصف القوة العاملة في اليابان تعمل في مشاريع لايزيد عدد

---

(1)W.S.Beasley, the Modern History of Japan, Weidenfald and Nicolson, London, 1963, P . 230.

العاملين فيها عن الخمسة كثيراً. في حين كان إلى جانب ذلك نظام زاياتسو الذي يعني مجموعة من الصناعات الكبيرة التابعة لعوائل معدودة. ففي ١٩١٣ كان عدد الشركات التي رأسمالها يزيد على ٥ ملايين ين هو ٥٢ شركة، لكنها تملك ٣٨٪ من الرأسمال الوطني (١).

لم تكن العشرينات من القرن العشرين فترة تغير اقتصادي فحسب، بل تحول اجتماعي وسياسي ايضا. فالتصنيع الذي بدأ في القرن السابق والاقتباس من تقاليد الغرب الحضارية سواء في الادب او السلوك او التعليم كلها ثلمت من بنية العائلة اليابانية وبدلت أساليب الحياة في المدن.

فالزيادة في السكان والتجمهر في المدن وتقدم الصناعة اوجد فوارق اجتماعية. فطبقة التجار الذين وضعهم نظام الحكم في اسفل السلم الاجتماعي اصبحوا من الفئات الحاسمة في تطوير الاقتصاد. كما ان تزايد عدد العمال والموظفين والطلاب قاد إلى المطالبة بحقوق سياسية وتنظيمات نقابية.

ان حكومة هارا (١٩١٨ - ١٩٢١) لم تتخذ الاجراءات اللازمة لتغيير تركيب الحكومة. فعلى الرغم من ان دستور فيجي نص على تأسيس دايت امبراطوري ينتخبه الشعب (١٨٩٠)، فان دور الدايت حتى الحرب العالمية الثانية كان محدوداً، اذ اغفلته الحكومات (٢). ومع ان الانتخابات قد نظمت وفق تشريع في ١٨٨٩، فان حق الانتخاب اقتصر على كل من بلغ ٢٥ سنة ويدفع ١٥ ين ضريبة سنوية وكانت الغاية من ذلك تحديد عدد الناخبين وفي ١٩٠٠ خفض شرط الضريبة إلى ١٠ يانات وذلك تجاوبا مع الدعوة المتزايدة لتوسيع حق الانتخاب ليشمل عامة الناس بالاضافة إلى رغبة الحكومات في التغلب على معارضة المحافظين من ملاك الارض الذين هيمنوا على الدايت.

(1) J.W. Hall, Japan from Prehistory to Modern Times, Charles. Tuttle Comp., Tokyo, 1976, P. 311.

(2) N.IKe, Japanese Politics,. Alfred A. Knopf, New York, 1972, p. 27.

فقد عارضوا مشاريع التصنيع التي طالبت بها الفئات الرأسمالية وجرت محاولتان في ١٩٠٣ و ١٩١١ لجعل الانتخابات عامة لكن مجلس اللوردات رفض الموافقة على مسودة المشروعين. وفي ١٩١٩ خفض شرط الضريبة إلى ٣ ياناات وبذلك نال عدد كبير من صغار المزارعين حق التصويت ولكن بالوقت نفسه لم يتمتع عمال المدن بحق الانتخاب. وفي١٩٢٥ شرع قانون الانتخابات العامة وعمل به في انتخابات ١٩٢٨.

ان تبني دستور فيجي كان ايذانا بالشروع في سياسة الاحزاب. وكانت الاحزاب في بداية الامر بمثابة مؤسسات تمثل مصالح فئوية في السياسة اليابانية التي هيمنت عليها شخصيات تقليدية. ومع زوال هذه الشخصيات عن المسرح السياسي تزايد نشاط الاحزاب . وفي ١٩١٢ اظهرت الاحزاب نفوذها السياسي عندما اتحدت في جبهة ايدت فيها البيروقراطية ضد محاولة المؤسسة العسكرية لتمرير مشروع الانفاق العسكري في الدايت (١). لم تكن سياسة الاحزاب في اليابان متماثلة مع الاسلوب الاوربي . فزعيم حزب الاغلبية في الدايت لا يصبح تلقائيا رئيس الحكومة. ولقد تنافست الاحزاب في العشرينات حول مسألة الاقتراع العام، ولكنها كانت محافظة في نظرتها إلى التركيب الاساسي للنظام. ولكي تصد اتجاه التحولات شرع في عهد حكومة كاتو ١٩٢٥ قانون الحفاظ على السلم والذي انطوى على منع تأسيس اية مجموعة تدعو إلى تغيير السياسة الوطنية لليابان او إلى الغاء الملكية الخاصة. لكن هذا الامر لم يمنع قيام الاحزاب الاشتراكية، إلا انها لم تكسب اصواتا انتخابية في انتخابات ١٩٢٨، ١٩٣٠، ١٩٣٢ التي جرت على اساس الاقتراع العام.

وهكذا فان فترة العشرينات من تاريخ اليابان تميزت بكونها منفتحة دستوريا وتنامت فيها الفئات ، وتنشط الاقتصاد الصناعي وتنوع واتبع مبدأ الاقتراع العام وتوسعت قاعدة الاحزاب ، ولكن مع هذا حافظ على بنيته الرئيسية .

(1) J.W. Hall, op.cit, p. 315.

اما الثلاثينيات فقد شهدت ثلاثة تطورات جوهرية اثرت على السياسة الداخلية والخارجية لليابان وهي : الازمة الاقتصادية العالمية في ١٩٢٩ ، الضغط على وجود اليابان في منشوريا من جانب التوجه القومي في الصين وصعود موسليني وهتلر الى الحكم في اوربا .

لقد تضرر الاقتصاد الياباني بالركود الذي اصاب الاقتصاد العالمي في ١٩٢٩ ـ ١٩٣٢ . فارتفعت البطالة ٣ ملايين ، وانخفضت اسعار الحرير ٦٥٪ ، كما هبط معدل الدخل من قاعدة ١٠٠٪ في ١٩٢٦ الى ٨١٪ في ١٩٣٠ و٦٩ ٪ في ١٩٣١ . كما انخفض دخل المزارعين الى الثلث . ولكي تتغلب الاحزاب على الركود تشكلت حكومة تسيوش في ١٩٣١ واتخذت سياسة اخراج اليابان من نظام العملة الذهبية فساعد هذا الامر على التخلص من اثار الركود اذا ارتفع التصدير الياباني إلى مستويات جديدة ، وانخفضت البطالة وارتفعت الدخول .

ان تاريخ الجيش في السياسة يعود الى الاستقلالية التي تمتعت بها المؤسسة العسكرية في اليابان . فكانت هيئة الاركان ذات صلة مباشرة بالامبراطور. وكان للجنرالات اثر مباشر في سياسة اليابان العسكرية في الخارج .

ولكن مع ظهور الفئات السياسية في العشرينات انحسر دور العسكريين . حتى توتر الموقف في منشوريا في مطلع الثلاثينات . وكانت منشوريا في مطلع الثلاثينات. وكانت منشوريا في نظر العسكريين منطقة عازلة، كما انها كانت قبلة للتوسع السكاني. ولكن المصالح اليابانية هناك تعرضت إلى التحدي من جانب الشعور القومي الصيني. وفي آب ١٩٣١ تولى العسكريون اليابانيون الامر بانفسهم لحسم الخلافات مع الصين فاحتلوا مكدن ومن ثم اقاموا دولة منشوكو في ١٩٣٢. وعندما عارضت الدول الاخرى اجراءات اليابان انسحبت اليابان من عصبة الامم في آذار ١٩٣٣ (١) . وقد ترتب،

(1) A.L.Sadler, A Short History of Japan, Angus and Robertson, 1962, p. 264.

على السياسة العسكرية في منشوريا سقوط حكومة داكاتسكي في نهاية ١٩٣١. وتألفت حكومة بزعامة انوكاى الذي حاول ان يتفاوض مع الصين ولكن المعارضة من جانب العسكريين حالت دون ذلك. وفي نيسان ١٩٣٢ اغتيل رئيس الوزراء. ومنذ هذا التاريخ لم تجد الاحزاب اليابانية الزعامة القادرة على تحقيق توازن بين القوى السياسية المتنامية، اذ اخفقت اساليب التوفيق بين الفئات واصبح الطريق مفتوحا امام العسكريين. ففي مايس ١٩٣٢ تولى سايتو وهو عسكرى رئاسة الوزراء حتى تموز ١٩٣٤ ثم اعقبه الادميرال اوكاوا حتى آذار ١٩٣٦.

وكان هذا المناخ غير المستقر سياسيا ملائما لانتشار الجمعيات اليمينية واليسارية. وقد شهد منتصف الثلاثينات تكاثر الجمعيات الوطنية بين ضباط الجيش والبحرية. وكانت هذه الجمعيات ترفض السياسة التي اتبعتها الحكومات في تأمين مصالح اليابان في اسيا كما انها اتهمتها باغفال «رسالة اليابان» في اسيا. وفي شباط ١٩٣٦ قام الجيش بمحاولة انقلاب وتطهير بعض السياسيين المعارضين لهيمنة الجيش. ولكن المحاولة اخمدت بعد ان تدخل الامبراطور. ومنذ حادث الانقلاب وحتى الحرب اليابانية الصينية في تموز ١٩٣٧ تنافس تياران في طوكيو احدهما يدعو إلى هيمنة الجيش على الحكومة والاخر ينادى باعادة سياسة الاحزاب. ولما كان الوضع الاقتصادي منتعشا فان انتخابات ١٩٣٧ دللت على الرغبة في الحفاظ على سياسة الاحزاب. فقد كسب الحزبان الرئيسان ٧ ملايين صوت ونالا ٣٥٤ مقعدا في حين حصلت الاحزاب الموالية للحكومة على ٤٠ مقعدا. ولكي لا يحدث انقسام بين الدايت والاحزاب اليمينية فقد اختير الامير كونو لرئاسة الوزارة (١).

مازال الجدل يدور بشان دور الاغتيالات في ارباك التطور السياسي البرلماني وفقا لمبدأ سياسة الاحزاب في اليابان. فهناك من يرى ان اغتيالات

(1) B.O. Reischauer and A.M. Craig, op. cit, p. 255.

وانقلابات الثلاثينات هي السبب (١).، في حين يرى اخرون ان الحروب الخارجية التي خاضتها اليابان في منشوريا اولا ثم في الصين هي التي مكنت العسكريين من الهيمنة على السياسة (٢).

إن السياسة التوسعية اليابانية في الصين والمعارضة التي لقيتها دفعتها الى الانسحاب من عصبة الامم ، وهذه أدت في النهاية الى عزلتها في وقت كانت تنظر الى الخطر السوفيتي بقلق شديد . لذلك بحثت عن حلفاء لها . وفي ١٩٣٦ وقعت مع المانيا معاهدة معاداة الاممية وتوقعت اليابان حلفا مع المانيا ضد السوفييت . ولكن الموقف الالماني رأى ان حرب اليابان مع الصين قد اضعف الجبهة الالمانية اليابانية ضد السوفييت ، في حين كان اليابانيون يتطلعون الى حلف مع مع المانيا لصد الثقل السوفيتي في اسيا وعلى الاخص ابعد ان قدمت موسكو العون والتأييد للصين (٣).

في كانون الثاني ١٩٣٩ استقالت حكومة كونو بعد ان اخفقت في حسم المسألة الصينية واظرحت معارضة للتحالف مع المانيا . لكن شروط هتلر في عقد تحالف عسكري عام من دون قيد او شرط اربك طوكيو فانقسمت على نفسها بين مؤيد ومعارض . وكانت البحرية من المعارضين والقوات البرية من المؤيدين . وبينما كانت اليابان تتردد في عقد حلف مع هتلر اعلن هتلر على العالم في ٢٣ آب ١٩٣٩ معاهدة عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفيتي . وبعد فترة من التقلبات الدبلوماسية ومحاولات التقارب بين المانيا واليابان وقعت اليابان حلفا ثلاثيا مع ايطاليا والمانيا في ٢٧ ايلول ١٩٤٠ وبذلك ارتبط مصير اليابان مع مصير اوربا الذي خيمت عليه غيوم الحرب .

---

(1) H. Byas, Government by Assassination, Knopf, New York 1942. J.K. Fairbank and others, East Asia the Modern Transform ation, Henghton, Milfflin, Boston, **1965.**

(2) W.G. Beasley, Modern Japan Aspecte of Histor, Unwin Ltd, 1975, p. 83.

الفصل التاسع

العلاقات الدولية ١٩١٩-١٩٣٩

المبحث الاول: مؤتمر واشنطن

في حزيران ١٩٢١ اثيرت في مؤتمر الامبراطورية البريطانية مسألة الشرق الاقصى ولم يطرق الموضوع صدفة. فالتحالف الانكليزي - الياباني في في ١٩٠٢ قد حان وقت مراجعته. ثانيا ان الولايات المتحدة خرجت من الحرب العالمية الاولى وهي اقوى مما كانت عليه قبلها ماليا وعسكريا. ثالثا رغم ان اوربا كانت مثقلة بديون الحرب للولايات المتحدة وانها تبنت نظام العصبة، فإن الولايات المتحدة قررت العزلة. رابعا، ان اليابان اصبحت من القوى البحرية ذات الثقل العسكري والسياسي في الشرق الاقصى وترتب على ذلك علاقاتها مع بقية دول الكومنولث ذات المصلحة في المحيط الهادي استراليا ونيوزيلاند وكندا، وكذلك توجه اليابان الى استغلال الصين وتعريض المصالح الاوربية هنالك الى المضايقات.

وكان رئيس وزراء كندا ارثر ميكين قد حاجج بان اليابان والهجرة تهددان كندا وفي حالة الخلافات فقد تميل لندن لصالح اليابان. فاقترح على بريطانيا ترك التحالف مع اليابان من دون تجديد او ان يصار الى ترتيب جديد لايتيح لليابان استثمار التحالف في خلافاتها مع بقية المصالح في المحيط الهادي. وكانت الادارة الامريكية تشجع كندا على دفع هذا الموقف الى خاتمته.

وفي ٧ تموز ١٩٢١ اعلنت لندن عن انها. ارسلت دعوات مؤتمر بصدد الشرق الاقصى، وكذلك اعطى هاردنك، الرئيس الامريكي، تصريحا صحفيا بصدد الشيء نفسه. وفي ١١ تشرين الثاني ١٩٢١ افتتح مؤتمرواشنطن وقد حقق المؤتمر نجاحا قبل ان يعقد عندما قررت الحكومة البريطانية تبني موقف تحويل التحالف مع اليابان الى صيغة موسعة تذوب فيها الالتزامات

البريطانية المتضمنة في اتفاقية ١٩٠٢ . وحضر الى جانب بريطانيا والولايات المتحدة كل من اليابان وفرنسا والصين وبلجيكا وهولندا والبرتغال . وطرح هيوز وزير خارجية الولايات المتحدة الخطة الامريكية .

١ ــ الغاء مشاريع بناء السفن البحرية الكبيرة لفترة زمنية .

٢ ــ اجراء تخفيض في بقية اصناف السفن حسب نسب محددة .

٣ ــ الاحتفاظ بالغواصات مع تحديد احجامها وشروط استخدامها في الحرب .

٤ ــ ان يكون لكل من فرنساوايطاليا نسب متكافئة .

وفي ٦ شباط ١٩٢٢ وقعت الدول الخمس على الاتفاقية البحرية للدول الخمس (الولايات المتحدة ، بريطانيا ، اليابان، فرنسا، وايطاليا).
وقد اعطت الاتفاقية للولايات المتحدة ٥٢٥,٨٥٠ طن من السفن الكبيرة ، ولبريطانيا ٥٥٨,٩٥٠ طن و لليابان ٣٠١,٣٢٠ طن ولفرنسا ٢٢١,١٧٠ طن ولايطاليا ١٨٠,٨٠٠ طن : ثانيا ان تقوم الدول الاعضاء بتبديل السفن دون تجاوز الرقم الاجمالي المخصص لها . ثالثا : ان تمتنع الدول عن بناء سفن كبيرة جديدة لمدة عشرة سنوات .

ومن الزاوية الامريكية فان اتفاقية الدول البحرية الخمس قد حققت الغرض المنشود بان قيدت الجهود اليابانية في توسيع قوتها البحرية . ثانيا ، انها جعلت اليابان في موقف ضعيف بالمقارنة مع الولايات المتحدة .

ولكن اليابان فسرت الاتفاقية من زاوية مختلفة . فكون الاتفاقية تطالب الامتناع عن توسيع المنشأت البحرية في الشرق الاقصى ، باستثناء في هاواى وسنغافورة ، فان مجابهة بحرية بين الولايات المتحدة واليابان سوف تكون لصالح اليابان وذلك لتعذر التموين والادامة على سفن الولايات المتحدة. وكذلك الحال بالنسبة لبريطانيا ، وعليه فان اليابان كانت في وضع الدولة القوية بحريا في الشرق الاقصى .

وفي ١٠ كانون الاول ١٩٢١ اتفقت الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان وفرنسا على عقد اتفاقية المحيط الهادي للدول الاربع . وكان الغاية من الاتفاقية اطفاء فاعلية التحالف الياباني - الانكليزي وكذلك ارضاء فرنسا التي ترددت في التوقيع على اتفاقية الدول الخمس والتي رفضت ان تجعل القيود سارية المفعول على الغواصات. وتعرضت الاتفاقية إلى معالجة الممتلكات الاستعمارية في الشرق الاقصى. فلكي لاتكون هذه الممتلكات سببا للمنازعات تعهدت الدول الاربع باحترام الممتلكات وان لا تلجأ إلى القوة لحسم المنازعات بصددها وان يقدم كل طرف المساعدة للاخرين في حالة تعرض مصالحه هناك إلى عدوان من طرف خارجي.

لقد كانت الصين مصدر منازعات الدول الاوربية الصناعية والولايات المتحدة واليابان. وفي الوقت الذي كانت فيه المصالح الاوربية تتقلص في الصين كانت المصالح اليابانية والامريكية تتعاظم . وقد نظرت اليابان إلى الصين من زاويتين. فمن جهة كانت اليابان تسعى لتجعل الصين محمية لها وذلك لاعتبارات اقتصادية واستراتيجية . ومن جهة أخرى اتكأت اليابان على الصين كي تبسط نفوذها في جميع آسيا ولتصد التحدي الغربي . اما الولايات المتحدة فهي الاخرى كانت ترى الصين مجال نفوذ لتوسع اقتصادي . وفي الواقع ان سياسة الباب المفتوح واصرار الادارة الامريكية على ضرورة التزام الدول الاخرى بمبادئها هي من الاساليب الدبلوماسية للدفاع عن المصالح الامريكية. ومن تلك المبادىء احترام وحدة الاراضي الصينية ، وتمسك الدول الصناعية بسياسة الحقوق المحدودة، وعدم الاستئثار بمزايا دون الآخرين ، وان يتاح للصين فرص التطور. وقد كان موقف اليابان من الصين وتدخلها في سيبريا موضع شك وقلق بالنسبة لواشنطن ولندن . وعليه فقد تظافرت جهود بلفور وهيوز اثناء المؤتمر واستنزعت من وزير خارجية اليابان اتفاقية الدول التسع (الولايات المتحدة، بريطانيا، اليابان، فرنسا، ايطاليا ، هولندا بلجيكا، البرتغال ، والصين). وقد تعهدت الدول التسع باحترام بنود سياسة

الباب المفتوح. ان الاتفاقيات الثلاث التي تحققت في مؤتمر واشنطن تركت اثرها الايجابي على العلاقات الدولية في الشرق الاقصى اولا وفي العالم ثانيا. فمن جهة ان الولايات المتحدة اصبحت اكثر اسهاما في الشؤون الدولية لانها نظمت وعززت هذه الاتفاقيات. ولكن من جهة اخرى قد يكون مؤتمر واشنطن حجرة زاوية في سياسة العزلة. فالمصالح الحيوية الامريكية في الشرق الاقصى قد أُمن عليها من دون اعطاء تعهدات والتزامات تقيد حرية حركة الولايات المتحدة. فقد افلحت الولايات المتحدة في تطويق اليابان في الشرق الاقصى كما انها تمكنت من اقناع الاطراف في اتباع سياسة نكران الذات ازاء الصين.

ثانيا، ان مؤتمر واشنطن كان اول خطوة عملية ناجحة في نزع السلاح. ولم يحدث ان حققت دول اخرى اتفاقية كهذه حتى الحرب الثانية. ومما يعاب على الولايات المتحدة والدول الاخرى انها لم تستثمر روح مؤتمر واشنطن وتترجم افكاره عن التسلح في البر والجو. وربما يكون الامر هو ان نجاح مؤتمر واشنطن قد يعود إلى ان الاتفاقية لم تعرض المصالح الحيوية لكل من الاطراف الى مخاطرة امنية. وعليه فقد كانت المهمة في نطاق الممكن. ثالثا ، ان النتائج المباشرة للمؤتمر كان انخفاضا في الانفاق العسكري على القوة البحرية. وانتفعت بريطانيا من ذلك لانها كانت في ازمة اقتصادية تطلبت تقليصا في الميزانية البحرية.

رابعا، لقد كانت بريطانيا حتى ١٩٢١ من الدول ذات النفوذ السياسي في الشرق الاقصى بفضل التحالف مع اليابان. وقد سخرت ذلك التحالف من دون ان تضع اعباء امنية جديدة على اسطولها البحري. وقد كان ذلك ممكنا لان الولايات المتحدة لم تظهر في المنطقة كقوة بحرية منيعة. ولكن بعد ان تعاظم دور الولايات المتحدة في الشرق الاقصى واتضحت قدرتها البحرية المحتملة ايقنت بريطانيا ان سياستها في الشرق الاقصى ينبغي ان تتوافق من الان فصاعداً مع الولايات المتحدة.

المبحث الثاني

لوكارنو

في ١٦ تشرين الاول ١٩٢٥ وقعت سبع دول اوربية في لوكارنو في سويسرا على خمس اتفاقيات. احداها معاهدة الضمان المتبادل ذات الصبغة الامنية حيث تعهدت كل من المانيا وفرنسا وبلجيكا بعدم الهجوم او الغزو او اللجوء إلى الحرب فيما بينها. وبالاضافة إلى ذلك فان كلا من فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا وبلجيكا تعهدت باحترام المنطقة المنزوعة من السلاح في الراين ثم الدفاع عن الحدود القائمة بين المانيا وفرنسا والمانيا وبلجيكا وان تتقدم بالمساعدة للدولة التي تتعرض من للعدوان اما الاتفاقيات الاربع الاخرى فانها ذات صلة بالتحكيم بين المانيا وجيرانها (فرنسا، بلجيكا، جيكولوسلفاكيا، وبولندا).

لقد جاءت مبادرة كارنو من المانيا بشخص ستر سمان وزير خارجيتها لعدة اعتبارات. اولا، تجميد نوايا فرنسا من تفكيك الرايخ الالماني تلك النوايا التي اتضحت باحتلالها لمنطقة الرور ١٩٢٣ وتشجيعها النزعة الانفصالية في الراين. وثانيا، الاعتراف بحدود المانيا الغربية كحقيقة قائمة مقابل حرية المناورة في الحدود الشرقية مع بولندا وجيكوسلفاكيا والنمسا. ثالثا، تهويل المخاطر الفرنسية وذلك لاشراك الدول الاوربية الاخرى وعلى الاخص بريطانيا. بعبارة اخرى ان تصبح لندن رقيبا على فرنسا وبذلك تتقيد حرية حركة باريس. رابعا، تحقيق كسب في السياسة الخارجية لتأمين الوضع الداخلي الذي تضرر بسبب الارتباك الاقتصادي. خامسا، اظهار المانيا بدور المتمسك بمعاهدة فرساي رغم قساوتها كي تساوم على ارخاء بعض بنودها واهمها التعويضات ونزع السلاح والجلاء عن الراين. سادسا ان المأزق في الامن الاوربي كان يكمن في تخوف فرنسا من هجوم الماني وعليه فقد شددت فرنسا

على ثلاثة حلول هي تحالف مع بريطانيا (لم يتحقق) ،ونزع سلاح المانيا، واحتلال الراين. ويضاف إلى ذلك ان المؤسسات العسكرية الالمانية كانت تطالب بجلاء قوات الحلفاء عن اراضيها .ولكي يخرج سترسمن من هذا المأزق تقدم بفكرة الضمان ضد الاعتداء .

لقد كانت اتفاقية لوكارنو حداً فاصلا في فترة مابين الحربين. فمن جهة وضعت نهاية للحرب العالمية الثانية. الاولى ومن جهة اخرى كان اخفاقها في ١٩٣٦ بداية للحرب العالمية الثانية. واسبغت اتفاقية لوكارنو على العلاقات الدولية اثارا عديدة على الاصعدة الدبلوماسية والسياسية والعسكرية . وعلى الرغم من ان الدول الموقعة على الاتفاقية نظرت اليها من زاويتها الخاصة وكانت تفسيراتها لمضامين بنودها متناقضة احيانا، فان روح لوكارنو لطفت العلاقات الدولية الاوربية والعالمية.

فالالمان نظروا إلى لوكارنو على انها فاتحة عهد جديد ستتقدم فيه الدول الاوربية بتنازلات لفك قيود فرساى. فعلى المستوى العسكري كانت برلين تطمح في التعجيل في جلاء قوات الحلفاء من منطقة الراين (وكانت اتفاقية فرساى قد حددتها حتى ١٩٣٥ على ان يتم الجلاء خلال ثلاث مراحل) فطالما ان المانيا اعترفت في اتفاقية لوكارنو برجوع الالزاس واللورين الى فرنسا وان تبقى الراين منزوعة من السلاح ينبغي على فرنسا وبريطانيا وايطاليا وبلجيكا ان تسحب قواتها في المرحلة الاولى من كولون . لكن تشمبرلن وبراين وبريان رفضا تقديم تنازلات اضافية كثمن للتوقيع على لوكارنو. وفي كانون الاول أعلنت دول الحلفاء عن بداية انسحابها من كولون اعرابا عن حسن النية وارتضت برلين بهذا القسط كدفعة اولى.

وكان من بنود اتفاقية لوكارنو ان تنتمي المانيا إلى العصبة وتأخذ مقعداً لها كعضو دائم. ولهذا الاقرار ابعاده السياسية والدبلوماسية .فمن جهة كان اعترافا من جانب بريطانيا وفرنسا وايطاليا بان المانيا تحتل مرتبة متكافئة

وفي الوقت الذي كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعيدتين عن العصبة ،فان آفاقا جديدة اتيحت للدبلوماسية الالمانية في تحقيق اهدافها. ومن هذه الناحية فان جنيف اصبحت بؤرة التحرك الدبلوماسي بين فرنسا وبريطانيا والمانيا وفقا لمبادىء دبلوماسية المحفل الاوربي حيث كانت للسرية والتشاور غير الرسمي والاستشار بالادوار آثارها في ايجاد نمط من التعامل السياسي يعتمد على العلائق الشخصية يلجأ اليه عند الحاجة.

وفي نيسان ١٩٢٦ لاحت في الافق ازمة بين اطراف لوكارنو بسبب توجه المانيا نحو الاتحاد السوفيتي. وكانت الدول الاوربية تتوقع من المانيا ان ينصاع لروح اتفاقية لوكارنو. وكانت معاهدة برلين بين الاتحاد السوفيتي والمانيا قد اعفت المانيا من الاشتراك في عقوبات قد تتخذها العصبة ضد الاتحاد السوفيتي. وعندما البت برلين من فرنسا وبريطانيا التعجيل في تخفيض قوات الاحتلال في منطقة الراين لم تجد تجاوبا. وكانت فرنسا ترى في الاحتلال درعا يقيها من الهجوم الالماني طالما الاحتلال درعا يقيها من الهجوم الالماني طالما ان تحصيناتها لم تنجز بعد (بناء خط ماجينو) .

وعلى الرغم من محاولات الحكومة الالمانية لفك حصار فرساي عليها — الجلاء والأمن والتعريضات ، فان قيود فرساي كانت فاعلةبعد لوكارنو وفي مجال التعويضات توصلت اطراف لوكارنو الى تشكيل لجنة خبراء عرفت بلجنة يونك .وكان القرار جزءاً من توصيات اخرى اتفق عليها في لقاء جنيف في ١٦ ايلول ١٩٢٨ والتي توافقت مع الحل التوفيقي لقضية نزع السلاح البحري .

فمن خلال مناقشات ثنائية بين بريطانيا وفرنسا صرح تشمبرلن في ٣٠ تموز امام مجلس العموم بالتوصل الى حل توفيقي لتحديد التسلح البحري وكانت فرنسا قد عارضت الموقف البريطاني في مفاوضات نزع السلاح باشراف عصبة الامم منذ ١٩٢٦ .وحينها احتفلت مع الولايات المتحدة

وقد اعتبر الحل التوفيقي محاولة بريطانية – فرنسية للتمييز على المانيا والولايات المتحدة . ففي حالة بريطانيا احتفظت بحقها في امتلاك اعداد كبيرة من البوارج الخفيفة ذات مدافع ستة عقد ، في حين اصرت الولايات المتحدة على بناء بوارج متوازنة من حيث الحمولة مع البوارج البريطانية . اما فرنسا فانها شددت على حقها في الاحتفاظ بقوات برية احتياطية . وكانت المانيا وايطاليا قد عارضتا الموقف الفرنسي .وعندما فوتحت العواصم الثلاث بالحل التوفيقي اثيرت الشكوك حول نوايا بريطانيا وفرنسا .وانتقدت الحكومة البريطانية بانها اخذت تميل الى فكرة مناصرة الهيمنة الفرنسية والعسكرية في اوربا.

في ربيع ١٩٢٩ انعطفت قضية نزع السلاح نحو مستقبل افضل عندما تولى حزب العمال السلطة في بريطانيا .وكان رمزي ماكدونالد من المؤمنين بنزع السلاح واعتقد ان فرنسا تهول مخاوفها من انتقام المانيا .ودعت حكومة العمال الى مؤتمر نزع سلاح يعقد في لندن ووجهت الدعوة الى الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا واليابان على ان يعقد

المؤتمر في كانون الثاني ١٩٣٠. وتقدمت بريطانيا إلى المؤتمر بخطة انطوت على مراضاة الولايات المتحدة في مسألة النسب. لكن فرنسا رفضت المشروع الانكليزي بحجة ان اعتباراتها الامنية البحرية تتحكم فيها طبيعة ساحلها. وهذه مجادلة ليست جديدة في الموقف الفرنسي فقد استخدمت ضد دعوة ايطاليا إلى التكافؤ في القوة البحرية بين الدولتين.و عندها حاججت فرنسا بان التكافؤ يعني تفوق ايطاليا في البحر المتوسط وتعثر المؤتمر عند مسألة الحمولة العامة. فاليابان طالبت بنسبة ٧٠٪ من القوة البحرية الامريكية . ولكن مؤتمر لندن حقق بعض النجاح في مجال الحمولة وبناء السفن الحربية حرب الغواصات. وفي ١ كانون الثاني ١٩٣١ صادقت الدولة المعينة على الاتفاقية

لم يكن نصيب موتمر نزع السلاح الذي انعقد في ٢شباط ١٩٣٢ افضل من المؤتمرات السابقة. فقد شهد المسرح الدولي متغيرات جديدة لبدت سماء لوكارنو بالغيوم هنا وهناك .فمنذ ١٩٢٩ والاقتصاد العالمي يعاني من

ازمة اقتصادية حادة انهكت الدول الصناعية .كما ان اليابان توسلت إلى القوة في ١٩٣١ لبسط نفوذها على الصين وذلك عندما غزت منشوريا . وفي ألمانيا تفاقمت الضغوط الداخلية وارتفعت اصوات مناهضة لفرساى واسلوب التعامل مع اطرافها. فالجيش لم يرض عن اسلوب سترسمن ومولر في كسب التنازلات على الاخص في مجال الجلاء عن الراين والتسلح. والنازيون كانوا يطالبون بنقض فرساى .

وقد طرحت عدة مشاريع على المؤتمر. فالفرنسيون طالبوا بجعل نظام الامن الجماعي كما جاء في ميثاق العصبة أمراً حقيقيا .وكان موقفهم يسند إلى الحجة القائلة بان الامن يجب ان يؤمن اولا ومن ثم يجري نزع السلاح. اما البريطانيون فقد اقترحوا اتباع اسلوب التميز بين الاسلحة على ان يبدأ نزع السلاح بالاسلحة الفتاكة .ولكن دبت الاختلافات حول معايير التميز. فالبريطانيون اعتبروا الغواصات اسلحة فتاكة في حين كانت لدى الاخرين عصب القوة البحرية . وتقدم الرئيس الامريكي هوفر بمشروعه الذي اعتمد فكرة النسب . ورحبت ايطاليا بالمشروع لكن الدول الاخرى رفضت لان فيه فجوة تسمح لبعض الدول بقدرة حرب محتملة اكبر من غيرها.

في تموز انفض المؤتمر على أن يلتقي في شباط ١٩٣٣. وخلال تلك الفترة تولى هتلر السلطة في الرايخ. وعندما اجتمع المؤتمر طالبت المانيا بمبدأ المساواة في التسلح مع فرنسا. وكانت هذه عقبة كأداء امام الدبلوماسية البريطانية. ففرنسا كانت ترفض مبدأ المساواة ولم تقبل به إلا إذا صاحب ذلك تعهد من جانب بريطانيا بتنسيق الجهود العسكرية بين البلدين. لكن بريطانيا لم تأخذ بهذا الحل. ولكي ينقذ المؤتمر من الاخفاق ضغطت بريطانيا وايطاليا على فرنسا، لكن فرنسا طالبت بضمان. وعندما لم تجده عند بريطانيا تقدمت باقتراح يقضي بأن تبقى المانيا منزوعة السلاح خلال فترة أربع سنوات اضافية. ولقد دفعت سياسة نزع السلاح الفرنسية بريطانيا وايطاليا صوب المانيا اكثر فأكثر. وعليه استغل هتلر هذه الفرصة واعلن انسحاب بلاده من المؤتمر في

١٤ تشرين الأول ١٩٣٣. وبعدها بأسبوع انسحبت المانيا من عصبة الامم. ولكن المانيا لم توصد ابواب العودة إلى مفاوضات نزع السلاح. وكانت ايطاليا تتحين الفرص لتفيد نفسها من مواقف المانيا كي تحقق مكسباً في مجال نزع السلاح. فعندما طالب هتلر شروط العودة إلى المفاوضات وجد تفهماً لدى لندن وروما (وكان هتلر قد طالب بجيش الزامي تعداده ٣٠٠,٠٠٠ والسماح بتسليمه وبناء قوة جوية غير خاضعة للتفتيش وارجاع منطقة السار إلى المانيا) . ولم ترحب باريس بهذه الشروط . واصبحت من مهمة الدبلوماسية البريطانية ان تنقذ مصير مؤتمر نزع السلاح. وكانت بريطانيا على استعداد لتقديم تنازلات لالمانيا إلا أنها تشددت في مسألة القوة الجوية، ودعت إلى تأجيل ذلك لمدة سنتين. وكان سبب ذلك محاولة بريطانيا تعزيز قوتها الجوية خلال تلك الفترة. وانضمت اليها ايطاليا في الضغط على باريس وكانت روما تناشد الدول الاخرى بالحفاظ على مستوى معين من التسلح لكن بريطانيا لم تأخذ بهذا الموقف. وسعى ايدن لتحقيق تفاهم بين لندن وباريس حيث كررت الاخيرة شرط الضمانات البريطانية كمقدمة لقبولها بتسلح المانيا. وعندما راوغت لندن في تقديم الضمانات واعلنت الحكومة الالمانية عن زيادة في ميزانيتها العسكرية اصبح جلياً ان فرنسا سترفض. وفي مايس ١٩٣٤ اجتمعت لجنة نزع السلاح وعلقت اجتماعها إلى أجل غير معين على أن تقوم هيئات متخصصة بدراسة موسعة للمسألة .

لقد كان تسلح المانيا حقيقة قائمة ،ولكن بصورة سرية بطيئة، قبل مجيء هتلر إلى الحكم. وعلى الرغم من ان جمهورية فايمر اظهرت رفضها لقيود فرساي، فانها لم تجرؤ على اعلان تسلحها .وكانت المهمة تنتظر هتلر. ففي مطلع ١٩٣٥ تنشطت الجهود البريطانية ــ الفرنسية في قضية نزع السلاح. وجرت مباحثات في لندن صدر عنها بيان مشترك اعربت فيه الدولتان عن استعدادهما لعقد اتفاقية جوية تتماشى مع مبادىء لوكارنو. وكانت الفكرة الرئيسة ان تقدم مساعدة جوية لكل طرف يتعرض لعدوان جوي. وعندما

عرض الميثاق الجوي على المانيا تزامن مع تصريحات من لندن وباريس تشير إلى تبني سياسة تسلح جديدة على اساس ان المانيا قد اخترقت اتفاقية فرساى وروح لوكارنو. واستغل هتلر المناسبة فافاد نفسه من تلك التصريحات ليعلن في آذار عن الولادة الرسمية للقوة الجوية الالمانية وهكذا انتهكت المانيا بصورة رسمية وعلنية معاهدة فرساى. ثم تلت الانتهاكات تباعا.

لم يكن امام القوى الاوربية المعنية بفرساى سوى ان تجمع صفوفها وتتظاهر ضد هتلر والمانيا وتعرب عن عزمها على صيانة الامن الاوربي والمواثيق الدولية. فتحركت لندن وسعت إلى عقد مؤتمر يضم بريطانيا وفرنسا وايطاليا . وفي نيسان عقد اللقاء في ستريسا . وكانت الاطراف المجتمعة ذات غايات متباينة. فموسليني كان يخطط لغزو الحبشة وعليه فاحتاج إلى ترتيب الشؤون الاوربية كي لايلقى عدوانه رفضا لدى الدول الكبرى. ولما كان موسليني قد وقف ضد تحرك هتلر على النمسا وانه لم يتوقع تأييداً من برلين. وكان يتوقع ان تدفع فرنسا .وحان الوقت لدفعه. اما فرنسا فهي الاخرى كانت ترغب في التقارب مع ايطاليا خاصة وان التقارب مع الاتحاد السوفيتي لم يثمر بعد. فحاولت الجمع بين الاثنين. وكان لافال على استعداد ليدفع الثمن .فايطاليا الفاشية اعتبرت جزءاً من وسائل تحقيق الامن الفرنسي في وجه المانيا. وبريطانيا من جانبها حبذت خلق جبهة اشبه بتلك التي عقبت الحرب الاولى كي لاتتولى المسؤولية لوحدها في معارضة انتهاك المانيا لمعاهدة فرساى. وخرج المجتمعون ببيان شددوا فيه على المساعي السلمية لتسوية مسألة التسلح. كما أظهروا عزمهم في الذود عن حرمة اراضي النمسا، وأعربت فرنسا عن استعدادها لارسال قوات فرنسية إلى ايطاليا لهذا الغرض. وحقيقة الامر ان لقاء ستريسا كان واجهة مزيفة لان كلا من الاطراف لم يكن على استعداد بالفعل لتحمل المسؤولية.

لقد انتهكت المانيا بنود نزع السلاح لفرساى من دون ان تتعرض إلى رد فعل حازم. لقد حقق هتلر بسياسة الصبر على الانتظار مالم يتمكن ستريسمن

من تحقيقه بسياسة المثابرة والاقتراحات .وكانت لوكارنو التي تمسك بها سياسيو جمهورية فايمر قد احتفظت بحرمتها حتى الان. اذ اعرب هتلر عن ان المسألة الاقليمية والحدود مازالت خاضعة لبنود لوكارنو. ولكن ليس لفترة طويلة. فقد كانت الاقطاب الاخرى في السياسة الاوربية تهيء الاجواء إلى هتلر ليغنم جزءاً بعد جزء.

ففي ٢١ مايس أعرب هتلر عن استعداده لاحترام المنطقة المنزوعة من السلاح في الراين وللدخول في مفاوضات من اجل عدم التسلح ، ولكن من موقف القوة اذ لم تعد المانيا تتمسك بفرساي. واغتنمت الحكومة البريطانية عرض هتلر. وجرت مفاوضات بين الدولتين بصدد عقد اتفاقية بحرية. في ١٨ حزيران توصلتا إلى اتفاق نالت فيه المانيا نسبة ٣٥ إلى ١٠٠ لصالح بريطانيا وعليه فان الاتفاقية زعزعت جبهة ستريسا، كما تغاضت فرنسا التي طالما سعت لتحقيق تفاهم امني مع بريطانيا.

لكن الخدمة الكبيرة التي قدمت إلى هتلر لانتهاك لوكارنو جاءت من جانب موسليني. فالدولة الفاشية كانت تحلم في بناء امبراطورية.ولما كانت المصالح الاستعمارية موزعة تاريخيا ووفقا لنظام الانتداب فقد وقعت عين موسليني على الحبشة التي كانت مسرح عمليات توسعية منذ نهاية القرن التاسع عشر. وتبنت ايطاليا فكرة دخول الحبشة إلى العصبة في ١٩٢٥ رغم معارضة بريطانيا. وكانت الحبشة مجال نفوذ لبريطانيا وفرنسا وايطاليا، بيد ان الجذور الاولية للمصالح الايطالية اعطتها اولوية طالما جهد موسليني لتعزيزها وتحصيل تأييد من الدول الاوربية. في كانون الثاني ١٩٣٥ تأكد موسليني من مناصرة فرنسا اذ اعرب لافال عن تفهمه لنوايا موسليني التي تبلورت في ١٩٣٤. وكانت الاشتباكات الحدودية في الحبشة قد تصاعدت في نهاية ١٩٣٤. وحاولت الحكومة الحبشية حسم القضية عن طريق التحكم، لكن ايطاليا رفضت .وفي مطلع ١٩٣٥ تقدمت الحبشة بشكوى إلى العصبة .وجاء الطلب في وقت غير مناسب .ففرنسا اصبحت تسير في ضوء سياسة لافال

الذي حبذ التقارب إلى ايطاليا باي ثمن ،كما ان المانيا كانت قد اعلنت انتهاكها لفرساى. ولم تحاول العصبة معالجة الامر وتركت بريطانيا وفرنسا الامور تسير على هواها كي ينقذها موسليني من ضرورة تحديد موقف معين وكانت الحكومة البريطانية بين نارين .فمن جهة صوت البريطانيون في استفتاء اعربوا فيه عن مناصرتهم لسياسة العصبة في الامن الجماعي، ومن جهة كانت الاعتبارات السياسية العلمية تقضي بان لاتتورط بريطانيا في مجابهة بموجب الامن الجماعي ضد ايطاليا. فالمانيا كانت تنتظر لاستقبال ايطاليا بعيداً عن تفاهم ستريسا والعداء لاغتصاب النمسا وتذرعت بريطانيا برأي الخبراء العسكريين الذين رأوا ان ايطاليا ستقدم مواجهة عنيدة للقوة البحرية البريطانية في البحر المتوسط لذلك لم يحبذوا اي موقف متصلب ضد ايطاليا. وعليه لم تظهر رغبة في قيادة العصبة. وكان ذلك لصالح فرنسا. فصحيح ان فرنسا نظرت إلى العصبة كوسيلة في تأمين امنها لكن ذلك اقتصر على اوربا . اما ان تأتي دولة ضحية عدوان أوربي فتفسد تراتيب امن فرنسا — وايطاليا حلقة هامة — فان ذلك لم يدخل في اعتبارات السياسة الفرنسية العلمية .

في ٧ تشرين الاول ١٩٣٥ اعلن مجلس العصبة ان ايطاليا لجأت الى الحرب وبذلك اخترقت الميثاق. فجاء دور التنفيذ للمادة ١٦ من الميثاق التي تقضي بايقاع العقوبات ضد الطرف المعتدي .فترددت الدول في الايفاء ببنود الميثاق . ولجأت الدبلوماسية البريطانية — الفرنسية الى وسائل الامتناع مرة اخرى .ففي كانون الاول اجتمع لافال وهور واتفقا على صيغة لارضاء موسليني على حساب الحبشة . وكادت الصيغة تنجح اولاان تسربت إلى الرأى العام .فتعذر تطبيقها في وقت كانت القوات الايطالية تنتشر في الحبشة امام مجابهة واهنة في الساحة العسكرية وتعقيم متعمد في الساحة الدبلوماسية في مايس ١٩٣٦ استولت القوات الايطالية على اديس ابابا بعد ان غادرها هيلاسيلاسي .وفي تموز رفعت العصبة القيود التي فرضتها على التعامل التجاري والمالي والعسكري مع ايطاليا .وكانت تلك القيود مشكوكاً بها ،منذ البداية

ولو كانت صادقة لارغمت ايطاليا على تعديل موقفها . وهكذا تشتت اركان الامن الجماعي. وربما يصح القول ان العصبة تجمدت منذ هذه الفترة .

ان اخفاق العصبة في التصدي لموسليني افاد هتلر من عدة نواح فمن جهة ان ايطاليا اصبحت اكثر استعدادا للتوجه صوب برلين بعد ان ايقن موسليني ان بريطانيا وفرنسا لاتدفعان الثمن ،كما انه ادرك ان ليس في وسع ايطاليا ان تقوم بدور الوسيط بين المانيا وبريطانيا فتكسب من الطرفين . ثانيا ،ان اخفاق العصبة اتاح فرصا امام هتلر لانتهاك التراتيب الامنية التي جاءت بها فرساي ولوكارنو في الراين وفي اوربا الشرقية . ثالثا ،ان العصبة لايمكن ان تستخدم ضد طرف قوي يتوسل الى القوة بالفعل او يهددها . وكانت احداث منشوريا واليابان في ١٩٣١ وايطاليا والحبشة في ١٩٣٥ نموذجا .

لكن هتلر لم يتعجل ليمتحن العصبة . بل ترك الاخرين يقدمون الخدمات لالمانيا . فكما فعل موسليني في الحبشة ، فان فرنسا بدأت تتحرك صوب شرق اوربا من اجل احكام تحالفها الصغير مع بولندا وجيكوسلفاكيا بالاضافة الى اشراك الاتحاد السوفيتي . وكانت الخطة الفرنسية تستند الى صيغة لوكارنو شرقية . ففي مواثيق لوكارنو لم تلتزم المانيا بضمان حدودها الشرقية ولم تتقدم بريطانيا وايطاليا بعرض الضامن كما فعلتا في شأن الراين . ولكي تخرج صيغة لوكارنو الشرقية الى حيز الوجود كان لابد ان تجهد فرنسا لتحقيق تقارب بين الاتحاد السوفيتي وجيران المانيا . وكان الاتحاد السوفيتي على استعداد لتقديم الضمان شريطة ان تؤمن فرنسا موافقة بولندا على عبور القوات السوفيتية في اراضيها وصولا الى الحدود الالمانية كي يرضى السوفيت بنقلهم لنصرة فرنسا . ولكن بولندا لم توافق . وكان حسابها يستند الى ان خطر موسكو افدح من خطر برلين .ثم ان برلين ووارشو قد وقعتا في ١٩٣٤ على اتفاق عشرة سنوات .اضف الى ذلك ان بولندا لم تكن في مقدمة قائمة مطاليب هتلر .فهناك الراين المنزوع من السلاح وهناك النمسا وهناك جيكوسلفاكيا فليس من الحكمة ان تؤجج بولندا بانضمامها الى لوكارنو شرقية مخاوف

المانيا وبالتالي تثيرها عليها على ان الوضع الدولي كان يدل على ان الدول الاوربية لم تكن مستعدة للالتزام بتعهداتها . فلوكارنو في الاصل هو قنصل فرنسا مع حلفها الصغير مع دول شرق اوربا .وهكذا ضيعت فرنسا وبولندا فرصة كانت ستغير توزيع القوى في وسط اوربا .وربما كانت ستضع السوفيت لاول مرة امام التجربة للايفاء بالتعهدات .كثيرا مااغفلت القوى الغربية اقتراحات موسكو لمواجهة هتلر على انها مشاريع غير عملية .

واصلت فرنسا حوارها مع الاتحاد السوفيتي بصدد تحالف ثنائي . لكن ردد فرنسا وتأجيل تصديق الاتفاق دللا على ان فرنسا لم تكن صادقة الصدق كله في تقاربها من السوفيت . والسوفيت بدورهم أرادوا ان يبعدوا انظار هتلر عن الساحة الشرقية وهو الهدف الاعلى الذي اختطه ستالين حتى صيف ١٩٤١. وفي شباط ١٩٣٦ صادق مجلس النواب الفرنسي على لائحة الاتفاقية السوفيتية ــ الفرنسية. وكرد فعل نفذ هتلر عملية احتلال الراين في ٧ آذار. وكانت العملية قدأثارت جدلا داخل الرايخ ولكن هتلر دفعها إلى حيز التنفيذ بصورة مغامرة .

لقد توقعت الدوائر الاوربية عملا كهذا الا انها لم تتمكن من تحديد توقيته . وكان اغلب الظن ان فرنسا لن تتردد في استخدام القوة لطرد الالمان من الراين . بل حتى ان برلين كانت قد اخذت في اعتبارها احتمالا كهذا . لكن مجريات الامور في العاصمة الفرنسية دللت على عجز السياسة الفرنسية واضطراب ادارتها . فالسياسيون جهدوا ان يضعوا المسؤولية على العسكريين . وعندما استفسر من هيئة الاركان تحججت بقدرتها على صد الغزو الالماني للراين ولكن بعد ان تتحقق جملة شروط ينبغي على السياسيين ان يؤمنوها. اولها ، ان يزداد الانفاق العسكري، ثانيا، ان تتضامن بريطانيا مع فرنسا، وثالثا، ان تكون فرنسا على استعداد لخوض حرب طويلة قد تنقلب فيها الموازين لصالح المانيا لتفوقها في السكان والصناعات الحربية . وتوجهت الادارة الفرنسية إلى لندن تستفسر عن موقف بريطانيا ازاء احتلال الراين في ضوء اتفاقية

فرساى ومواثيق لوكارنو. وكانت لندن اكثر ترددا من باريس. فقد احالت الاستفسار إلى باريس بصدد استعداد الحكومة الفرنسية . لكن باريس لم يكن لديها جواب على هذا الاستفسار . والاكثر من هذا فان الحكومة البريطانية اعلمت الحكومة الفرنسية بان بريطانيا ليست على استعداد لخوض حرب ضد المانيا لانه لم تكن لديها القوات الكافية كما ان الراي العام البريطاني لن يتحمس لحرب كهذه. وهكذا فان احتلال الراين انقذ فرنسا كما انقذ بريطانيا من قيود فرساى واتفاقية لوكارنو. ففرنسا كانت تتظاهر في حقها باللجوء إلى بنود فرساى ولوكارنولصد التوسع الالماني ، في حين كانت في الواقع تسير في طريق ارضاء برلين متذرعة بعجزها اولا وتردد حلفائها في الوقوف إلى جنبها . فالبولنديون لم يعربوا عن استعدادهم لنصرة فرنسا إلا اذا تعرضت اراضيها بالذات الى الاعتداء واحتلال الراين من الناحية الفنية الدقيقة لم يتهدد الاراضي الفرنسية . اما السوفييت فانهم تعهدوا بتقديم المساعدة . ولكن المسألة كيف يستطيعون ترجمتها إلى واقع. وهذه المسألة سياسة حلها في يد باريس. والبريطانيون كما يتضح من سياستهم ازاء المانيا كانوا يرغبون في القيام بدور الوسيط وليس الضامن. لان في الدور الاخير خطورة قصوى لن تخدم مصالحهم .وطالما ان فرنسا لن تذعن لشروط القيادة البريطانية فان لندن لن تتحمل مسؤولية قيادة الامن الاوربي، لكن لندن كانت تخشى من ان تندفع فرنسا وراء سياسة مغامرة فتناصر حلفاءها في شرق اوربا وبذلك تجر بريطانيا إلى الحرب . وعليه فقد شجعت بريطانيا بسياستها الملتوية المانيا على الضغط على فرنسا . وكان احتلال الراين ضغطاً لم يكن في وسع فرنسا ان تتغافله . فلقد كانت فرنسا تتهدد المانيا وكانت المانيا واهنة طالما كان الراين منزوعا من السلاح .

اما بعد احتلاله وتسليحه فان فرنسا قد وضعت في موقف لاتحسد عليه ويريح بريطانيا من اعبائها . لقد اصبح الامن الفرنسي بعد احتلال الراين واهنا فكان

لابد من ان تذعن فرنسا للقيادة البريطانية . وكانت الاخيرة تضع شرطا بعد شرط مع تطور الاحداث .

وانتقلت ردود الفعل الى الدوائر الدبلوماسية بعد ان شدد على عقم الجهد العسكري . فاحالت الدولتان القضية الى عصبة الامم تلك المؤسسة التي تجمدت اثر احداث الحبشة . فأعلن مجلس العصبة في ١٤ آذار ان المانيا قد انتهكت الالتزامات الدولية . وبذلك اسدل الستار على اتفاقيات اوكارنو التي كانت ركنا اساسيا في الامن الاوربي .

وبتداعي فرساى اثر اعلان المانيا عن وجود قوة جوية واتباع نظام الخدمة الالزامية وتداعى لوكارنو بأحتلال الراين اتضح ان اوربا كانت تسير نحو الهاوية بخطى سريعة . فطالما ان فرصة تلو فرصة أفلتت من ايدي أطراف فرساى لمنع المانيا من تمزيقها جزءاً جزءاً لم يعد في وسع اى منهما ان يوقف المانيا من تحديد الاهداف المتتابعة ومن ثم تنفيذها برضى من الآخرين الذين ظنوا ان اشباع متطلبات المانيا يبعدهم عن الحرب . لقد ارتكبت الدول الاوربية افدح خطر عندما صاغت فرساى بالشكل المخفف ولكن من دون رغبة او استعداد للدفاع عنها عند اكثر من منعطف . فبعد احتلال الراين وبسبب الحرب الاهلية الاسبانية تعزز التقارب الالماني ــ الايطالي .

المبحث الثالث
حركة نزع السلاح

في ١٨٩٩ دعا القيصر الروسي نيقولا الثاني الى مؤتمر «لوضع نهاية للتطورات المتقدمة في الاسلحة المعاصرة» . وتشكلت لجنة عسكرية لدراسة القضية وتقدمت بتقريرها الذي انطوى على الاسباب التي تحول دون تحقيق عالم منزوع من السلاح. وكان اخفاق مؤتمر لاهاى خيبة أمل للمنظمات التي انتشرت في الدول الكبرى والتي دعت الى تخفيض في الانفاق على التسلح .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى شدد مؤسسوا العصبة على قضية نزع السلاح فجاءت المادة الثامنة من الميثاق تنص على ان تخفض الدول تسلحها الى الحد الادنى من اجل صيانة السلم العالمي . وان يصوغ مجلس العصبة خططا لتحقيق ذلك في ضوء الاعتبارات الجغرافية واوضاع كل دولة وان تراجع هذه الخطط كل عشر سنوات . كما يتوجب على اعضاء العصبة ان يتبادلوا المعلومات بصدد برامج التسلح. وقد تشكلت لجنة برئاسة ليوبورجيه. واوصت اللجنة بتكوين قوات دولية او تخصص قوات قومية تحت اشراف العصبة. وكانت هذه الافكار بعيدة عن الواقع .

فلم تكن في اوربا دولة مستعدة ان تضع سيادتها تحت اشراف العصبة او ان توكل امنها الى قوة دولية . ولكي تذلل الصعوبات امام الاقتراح طلبت اللجنة تشكيل هيئة تفتيش ورقابة على وسائل التسلح عند الدول .

ولكن ودرو ولسن رفض الفكرة كما رفضتها بريطانيا .

وفي صيف ١٩٢١ طلبت الجمعية من مجلس العصبة دراسة مسألة نزع السلاح وعهدت رئاستها الى فيفياني . لكن تقرير اللجنة لم يكن مشجعا .

وكان موقف فرنسا غير مشجع. ففرنسا كانت تملك أكبر جيش في القارة الاوربية ولديها قوة جوية كما ان لها حلفاء في شرق اوربا . لذلك رفضت نزع السلاح . لانها كانت تخشى من تعاظم الروح العسكرية الالمانية. كما رفضت فرنسا وبريطانيا وبلجيكا مشروعا تقدمت به الدول الصغرى لتخفيض الانفاق العسكري .

ومن معوقات نزع السلاح ان الولايات المتحدة كانت تنهج سياسة العزلة، والاتحاد السوفيتي كان خارج العصبة. وقد تذرعت الدول المتاخمة للاتحاد السوفيتي بانها ليس في وسعها تبني سياسة نزع السلاح طالما ان قوة الاتحاد السوفيتي غير معلومة وغير خاضعة لالتزامات العصبة. وعندما اجتمعت الدول الكبرى في مؤتمر جنوا انضم السوفييت الى فكرة التفتيش وطالبوا باشراكهم في مداولات العصبة في قضية نزع السلاح. وكان الموقف السوفيتي دبلوماسيا اكثر مما هو واقعي ففرنسا كانت لاترغب في ان يكون لالمانيا قدم المساواة معها، ولذلك اعتبرت محاولة الاتحاد السوفيتي والمانيا الاسهام في عملية نزع السلاح مناورة ضدها وخروجا عن قيود العصبة .

وكانت العصبة تناقش نزع السلاح في اكثر اجتماعها الدورية ، بل انها اوكلت اللجنة المشتركة المؤقتة متابعة الامر. وفي ١٩٢٢ تقدم اللورد ايشر مندوب بريطانيا باقتراح لنزع السلاح اعتمد خطة مبسطة مطابقة لفكرة النسب في مؤتمر واشنطن لنزع السلاح البحري . واقترح ايشر ان يكون هناك ٣٠٠,٠٠٠ رجل من كل صنف ، وعلى ان تحتفظ فرنسا بستة صنوف وايطاليا وبولندا ٤ وبريطانيا ٣. لكن اقتراح ايشر لم يلق التأييد .

وقد اتضح من جهود العصبة واللجنة المشتركة المؤقتة ان الدول الاوربية منقسمة الى فريقين بصدد نزع السلاح . فبريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة والدول الاسكنانافية وقفت الى جانب الرأى القائل بأن نزع السلاح عندما يصبح حقيقة سيخلق الامن . وعليه من الاجدر ان تشرع دولةاومجموعة من الدول في تخفيض قواتها المسلحة كي توجد حسن النية عندجيرانها وبذلك تصبح العملية مشاعة فيعم الامن . وكما يبدو ان تلك الدول لم تكن تتحس بوجود خطر فادح يهدد امنها. فهي بعيدة عن المانيا كما انها مستعدة لتعديل قيود فرساي. اما تلكالدول التي تعرضت للغزو الالماني فقد شككت بصلاحية هذا الراي واعتبرت ان الامن يسبق نزع السلاح. وعليه لابد من تأمين حصول الدولة على مساعدة من حلفائها او العصبة لصد العدوان قبل ان تشرع في نزع سلاحها .

وترأست فرنسا هذا الموقف ومعها دول التحالف الصغير في شرق اوربا . ومن الجدير بالاشارة ان بريطانيا والولايات المتحدة انسحبتا من تعهدهما لحماية فرنسا في ١٩١٩ فتركت فرنسا لوحدها وعليه فقد اعتمدت على قوتها الذاتية .

وتوصلت اللجنة الى اقتراح عرض على الجمعية وفحواه ان تعقد الدول اتفاقيات ضمان في حالة تعرض احداهما الى العدوان وهي ملتزمة بنزع السلاح . فاذا اطمأنت الدولة العضو في العصبة الى ان اتفاقيات الضمان المتبادل ستحميها فانها ستتشجع في تخفيض سلاحها ، كما انه كلما كانت الاتفاقيات مفتوحة امام كل الدول كان نزع السلاح شاملا .

وتضمنت الجمعية في قرارها رقم ١٥ لسنة ١٩٢٢ لهذه التوصيات واحالتها الى الدول الاعضاء لتقدم اراءها بصدد عقد اتفاقيات ضمان متبادل. ولم تظهر الدول الاعضاء استعداداً للاخذ بالقرار . لكن اقتراح اتفاقية ضمان لم يجد ترحيبا لدى ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا العمالي الذي اعرب عن عزمه على اصدار دعوة لعقد مؤتمر لنزع السلاح . وهكذا اخفقت المساعي لتحقيق نزع سلاح عن سبيل عصبة الامم .

والى جانب جهود عصبة الامم كانت هنالك محاولات اقليمية للحد من التسلح ففي كانون الاول ١٩٢٢ دعا الاتحاد السوفيتي الى عقد مؤتمر يضم الدول المتآخمة له . وتقدم الاتحاد السوفيتي بأقتراح لتخفيض القوات المسلحة بنسبة ٥٪ اضافة إلى وضع سقوف للانفاق الحربي . ولكي لاتتهدد كل دولة جاراتها أقترح ايضا ايجاد مناطق منزوعة من السلاح . لكن مؤتمر موسكو لم يفلح لان الاطراف المساهمة شككت في نوايا الاتحاد السوفيتي . وجرت محاولة في أمريكا لعقد اتفاقية مشابهة لاتفاقية واشنطن بصدد القوة البحرية بين مجموعة دول امريكا اللاتينية . بيد ان البرازيل والارجنتين امتنعتا عن الاسهام في أي مؤتمر بشأن الحد من القوة البحرية . وفي ١٩٢٣ عقد مؤتمر في روما كان الغرض منه توسيع رقعة اتفاقية واشنطن بدعوة الدول البحرية الأخرى للتقيد بالنسب التي اقرها مؤتمر واشنطن و لكن المحاولة فشلت ايضا .

في أيلول ١٩٢٤ أبدت الحكومة العمالية البريطانية والحكومة الفرنسية عن استعدادهما لتبني مشروع تحكيم وأمن ونزع السلاح عرف فيما بعد ببرتكول جنيف . وكان البرتكول يدعو إلى عقد مؤتمر عالمي باشراف عصبة الأمم لنزع السلاح في منتصف ١٩٢٥ . لكن البرتكول لم يوقع لان دول الدومنيون البريطاني امتنعت عن الانتماء اليه فما كان على بريطانيا الا أن تتخلى عن الاقتراح . وخمدت نار الحماس لعقد مؤتمر نزع سلاح وذلك لان التحركات السياسية والدبلوماسية انصبت على الجانب السياسي للامن . فطالما ان الابعاد الفنية لنزع السلاح لم تلق التأييد من قبل الدول فان اللجوء إلى الصيغ السياسية لتوفر الأمن اصبحت ذات الاولوية .

ومن جهة فان عصبة الامم تولت عن طريق لجنة الاعداد لمؤتمر نزع السلاح البحث عن سبل عملية لنزع السلاح . وقد شاركت الولايات المتحدة والمانيا والاتحاد السوفيتي في عمل اللجنة وطلب المجلس من اللجنة ان تدرس بعض القضايا التي فيها جدل حاد : كيف تحدد الاسلحة ؟ وما هي معايير عقد المقارنة بينها ؟ هل من الممكن التمييز بين الاسلحة التعرضة والدفاعية؟ ما هي صيغ الحد من التسلح ؟ وبما ان اعطاء الرأي في هذه القضايا لم يقتصر على الاعتبارات العلمية ، فان مواقف الخبراء كانت متأثرة بمواقف سياسة اقطارهم . وعندما تقدمت فرنسا وبريطانيا بمسودتين لميثاق نزع السلاح اتضح ان فرنسا كانت تنوي الحفاظ على تلك الجوانب من التسلح التي تمنحها تفوقا في القارة الاوربية ، في حين ان بريطانيا نشدت تذويب التزاماتها في الامن الاوربي . وتوفقت اللجنة في اعداد وثيقة مشتركة .

في ١٩٢٧ كانت الدول البحرية تخوض سباقا في التسلح البحري . وتعرضت الادارة الأمريكية الى تيارين احدهما يطالب بزيادة الانفاق العسكري وثانيهما يريد تخفيضه . وبعد ان طلبت من الكونغرس زيادة الانفاق تقدمت بأقتراح لعقد مؤتمر بصدد اخضاع اصناف السلاح البحري الاخرى الى

ضوابط اتفاقية واشنطن وهي السفن الحربية والبوارج والمدمرات والغواصات . ورفضت فرنسا وايطاليا الاسهام في حين وافقت بريطانيا واليابان . واقترح كوولدج رئيس الجمهورية الامريكية نسب ٥: ٥: ٣ وانطوى الاقتراح على ان تخفض بريطانيا عدد مدمراتها من ٧٠ إلى ٥٠ وان يصار إلى مساواة في كل صنف من البواخر ، بين بريطانيا والولايات المتحدة . اما الوفد البريطاني فقد طرح اقتراحا انطوى على ثلاث نقاط : اولا ، اضافة ست سنوات اخرى على السفن الكبيرة قبل تبديلها أي تصبح ١٢ سنة وبذلك يخفض الانفاق على التسلح . ثانيا عندما يصار إلى تبديل تلك البواخر تقلل حمولتها من ٣٥,٠٠٠ طن إلى ٣٠,٠٠٠ طن . ثالثا ، مايخص البوارج فتصنف إلى قسمين من كانت حمولتها ١٠,٠٠٠ طن ومسلحة بمدافع من عيار ٨ عقدة ، واخرى حمولتها ٦٠,٠٠٠ طن ومسلحة بمدافع من عيار ٦ عقدة . وتمسك الوفد البريطاني بفكرة « الحاجة المطلقة» التي يتطلبها الاسطول البريطاني لذلك لم يوافق الوفد على اقل من ٧٠ مدمرة . وقد تعذر على الدولتين ان تتفقا على صيغة وبذلك فشل مؤتمر الدول الثلاث البحرية في ١٩٢٧ . وعليه فقد كان من نتائج المؤتمر ان اصبحت الدولتان أكثر تباعداً واختلافاً . كما انهما بدأتا تتنافسان في مضمار القوة البحرية . ولكي لاتتوقف مباحثات الحد من التسلح أقترح الوفد الفرنسي على اللجنة التحضيرية استمرار دراسة الاختصاصيين العسكريين لقضية نزع السلاح .

وكان الطلب الفرنسي يتماشى مع اتفاق سياسي في خريف ١٩٢٨ بين أوستن تشمبرلن وبريان يقضي بفتح حوار بين رئيس هيئة اركان البحرية الفرنسية والبريطانية. وفي ايلول توصلت الدولتان إلى حل وسط انطوى على تشديد على الرأى البريطاني منذ ١٩٢٢ كما أعطى لفرنسا مطاليبها. وكان الحل الوسط صيغة أساءت إلى مفاوضات نزع السلاح. كما انها عمقت الخلافات والشكوك بين بريطانيا والولايات المتحدة. ففي الوقت الذي اعلن عن ان الدولتين قد اتفقتا على ان يكون ميثاق نزع السلاح متضمنا للسفن الحربية

الكبيرة من حمولة ١٠٠,٠٠٠ طن فما فوق، وحاملات الطائرات، والسفن الاخرى السطحية من حمولة ١٠,٠٠٠ طن بالاضافة إلى الغواصات، فان تنازل بريطانيا باعفاء القوات الاحتياطية من القيود لم يعلن. وكانت فرنسا تثير هذه المسألة في جميع مفاوضات نزع السلاح لانها الدولة الوحيدة التي احتفظت باحتياطي عسكري كبير وقد اعطى الحل الوسط بريطانيا حق بناء المدمرات ذات مدافع ٦ عقدة حسب ماتمليه الحاجة الدفاعية في حين وضع قيداً على حق الولايات المتحدة في بناء سفن كبيرة. وعلى الرغم من ان بريطانيا لم تكن تتوقع حربا بحرية مع الولايات المتحدة الا ان سياستها الامنية كانت ترى بان تتمتع بقوة بحرية من الدرجة الاولى. وعليه اعتذرت الولايات المتحدة عن الموافقة على الحل الوسط. كما ان ايطاليا رفضت الانضمام اليه معربة عن موقفها التقليدي الذي ينادي بوضع حد للحمولة دون العدد. وذلك كي تتمتع ايطاليا بنفس معدلات الحمولة التي تمنح لفرنسا .

في ١٩٢٩ زار ماكدونالد الولايات المتحدة. وكان ماكدونالد من المؤيدين للحد من التسلح وقد ترك اثرا على سير المفاوضات بفضل شخصيته واندفاعه نحو تحقيق مكسب في هذا المجال يعزز الامن الاوربي. وفي الولايات المتحدة وجد تأييداً عند هوفر رئيس الجمهورية الجديد الذي كان من المحبذين لانفتاح الولايات المتحدة على العصبة والشؤون العالمية وكان في ١٩٢٠ من انصار العصبة. وكان هوفر قد اعرب في نيسان ١٩٢٩ عن ضرورة استثمار روح ميثاق كيلوك وذلك بمعالجة مسألة نزع السلاح لا من زاوية الحد من التسلح وانما بتخفيض التسلح .

واجتمع في لندن في مطلع ١٩٣٠ ممثل عن الولايات المتحدة واليابان ولم يحضر الوفد الفرنسي والايطالي. وكانت مهمة الممثلين وضع مسودة لاتفاقية لندن لنزع السلاح البحري. وقد تنازلت الولايات المتحدة لبريطانيا في مجال المدمرات المسلحة بمدافع ٨ عقدة حيث أرتضت بان يكون لها ١٨ مدمرة بدلا من ٢١ مدمرة. في مقابل ذلك اعطت بريطانيا موافقتها على إن

يكون لها ٥٠ مدمرة بدلا من ٧٠ مدمرة. وفي كانون الثاني اصبحت اتفاقية لندن لنزع السلاح البحري سارية المفعول .

في ٢ شباط ١٩٣٢ اجتمع أول مؤتمر دولي لنزع السلاح نظمته العصبة. وكان الجو السياسي الاوربي والعالمي ملبداً بالازمات. فاليابان غزت منشوريا والمانيا كانت تمر في اعصب مرحلة من حياة جمهورية فايمر، كما ان الخلافات البريطانية — الفرنسية، والفرنسية — الايطالية بصدد بنود ميثاق نزع السلاح مازالت غير محسومة. وقد اشترك في المؤتمر ٤٦ دولة. وأستمع المؤتمر إلى النداآت التي وجهتها المنظمات في بعض الدول .

تقدمت فرنسا بمشروع تاردو وجاء فيه انه يجب على الدول الكبرى المالكة لاسلحة تعرضية كالقاصفات والسفن الحربية الكبيرة والمدافع الضخمة ان تمتنع عن استخدامها الا اذا طلبت منها العصبة او دفاعا عن النفس وان تعزز العصبة بقوة دولية . كما يجب ان تلتزم الدول بنظام العقوبات ضد الدولة المعتدية . واعترضت المانيا على الخطة لانها اغفلت مصير المانيا عسكريا ، كما ان ايطاليا شككت في نوايا فرنسا . وبالاضافة الى ذلك فان بريطانيا ودول الكومنولث رات في الخطة التزامات واسعة ليس من مصلحتها الاخذ بها .

وفي ٢٢ حزيران ١٩٣٢ تقدم هوفر بخطة أمريكية لنزع السلاح .وارتكزت الخطة على مبدأ ميثاق كيلوك — بريان وذلك بان أقترح الغاء الدبابات والحرب الكيمياوية وجميع المدافع الكبيرة المتحركة وبذلك ستنخفض القدرة على شن الهجوم لدى الدول بالمقارنة مع القدرة على الدفاع .وكانت خطة هوفر مقبولة لدى معظم الدول ولكن هل في وسع المؤتمر ترجمتها الى واقع فعندما نوقشت التفاصيل ظهرت الخلافات المتأصلة في مواقف الدول الكبرى وفي الواقع ان موقف الحكومة البريطانية كان السبب الرئيس لاخفاق الخطة فانفض المؤتمر من دون صيغة عملية .

واستمرت الجهــود لتحقيق اتفاق ، ولكنها تعثرت بسبب التطورات في السياسة الدولية .فاليابان ادارت ظهرها للعصبة ،كما ان المانيا الهتلرية رفعت صوتها محتجة على فرساى وقيوده ومطالبة بتعديل الاوضاع الاقليمية وكذلك اصبحت ايطاليا من انصار تعديل فرساي ومتطلعة الى منزلة الدول الكبرى. وفي آذار ١٩٣٣ تقدمت الحكومة البريطانية بمسودة خطة الى
وكذلك اصبحت ايطاليا من انصار تعديل فرساى ومتطلعة الى منزلة الدول
المؤتمر .وفي نفس الشهر أجتمع ماكدونالد معموسليني وتباحث معه بصدد ميثاق الدول الاربع .ودرست الدول المعنية الخطة البريطانية .ورفضتها المانيا التي شرعت تتسلح على نطاق واسع .وفي تشرين الثاني اعلمت برلين لجنة المؤتمر في جنيف بأنها ستترك المؤتمر . وحاولت لندن الاتيان بصيغة توفيقية تعطي فرنسا شعورا بالامن وتمنح المانيا امتيازها في التسلح ولكن من دون جدوى .واستمرت المفاوضات وتبادل الرسائل بين فرنسا وبريطانيا والمانيا حتى ١١ حزيران ١٩٣٤ عندما انهى مؤتمر نزع السلاح جلساته بعد ان اخفق في ايجاد ميثاق تلتزم به الدول جميعها،كما ان التسلح كان على نطاق واسع واصبح خطر الحرب اكثر احتمالا .

المبحث الرابع

الازمة الاقتصادية

ان الاسئلة التي يطرحها الاقتصاديون والمؤرخون والسياسيون بصدد الركود الاقتصادي العالمي ١٩٢٩ — ١٩٣٣ عديدة كما ان الحلول والاجابات، عليها غير كافية ولاتسلط الضوء على واقع الاقتصاد العالمي وما ترتب عليه .والبحث في اسباب الركود .ونقطة البداية مازالتا موضوع جدل .ولكن اية دراسة لابد ان تشرع قبل ١٩٢٩ وعلى الارجح من الحرب العالمية الاولى فاندلاع الحرب والتغييرات التي صاحبتها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا زعزعت الاسس التي استقر عليها النظام الاقتصادي العالمي ومن دون شك ان العالم الصناعي قد شهد فترات ركود اقتصادي قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ،ولكن مايميز الركود العظيم هو انه كان كبيراً وواسعا ويصعب السيطرة عليه ثم انه ترك آثاراً على التطورات السياسية في العالم وبذلك مكنت في المؤسسات الاقتصادية والهيكل الاقتصادي عيوب لم يكن من السهولة بمكان التغلب عليها حتى اندلاع الحرب الثانية .

ولعل من المفيد تصنيف مدارس تفسير الركود الاقتصادي العظيم الى اولئك الذين يعزون الاسباب الى اقتصاد الولايات المتحدة واولئك الذين يزعمون ان العلل كانت في الاقتصاد الاوربي .ومن جهة اخرى هنالك فريق يضع اللوم على عدة عوامل ،في حين في المقابل هنالك من يشخص سبباً واحداً كاساس فالرئيس هوفر اتهم الاقتصاد الاوربي الذي تزعزع بعد الحرب واعتقد ان الاخفاق في تكييف الاقتصاد من نتائج الحرب والازمة المالية في ١٩٣١ هي سبب الركود . بينما شاع في اوربا أن سبب الركود هوالولايات المتحدة لان حكومتها لم تظهر استعداداً جدياً لتصفية ديون الحرب التي اثقلت كاهل اقتصاديات الدول الاوربية — وسنحاول هناالاشارة إلى الآراء المتيسرة في تفسير الركود.

١ ـ تكرار الركود الاقتصادي: وترى هذه المدرسة أن الركود الاقتصادي من طبيعة النظام. فكل توسع او انتعاش يتبعه ركود أو تعديل في بعض جوانب الهياكل الاقتصادية. وقد عرف التاريخ العالمي المعاصر دورات ركود اقتصادي كبيرة (١٨٧٣ ـ ١٨٩٦). وتكون فترات الركود عادة مابين ٣ ـ ٥٠ سنة. ويطلق الاقتصاديون الركود الصغير على الركود الذي امده ٣ سنوات، والركود الرئيسي إذا كانت المدة ٩ ـ ١٠ سنوات، والركود المتنامي إذا كانت الفترة ٣٠ سنة، والركود الطويل إذا كان معدل الفترة ٥٠ سنة. ولا تعتبر هذه الاشكال منفصلة وانما متداخلة، وعليه فإن الركود العظيم حدث عندما تصادف في نهاية العشرينات.

٢ ـ التفسيرات المالية : وجوهر الامر في نظر التفسيرات المالية هو أن العالم كان يشكو من شحة الذهب نتيجة انخفاض في الانتاج خلال العشرينات وعليه فقد وضعت هذه الشحة كوابح على عملية الانتعاش التي تلت الحرب. ويضاف إلى ذلك أن السياسات المالية والنقدية للولايات المتحدة وبعض الدول الاوربية كانت عوامل مسببة للركود كايقاف القروض الامريكية إلى المانيا والدول غير الاوربية في ١٩٢٨، والقروض البريطانية للنمسا في ١٩٣١، وعودة بريطانيا إلى نظام العملة الذهبية في ١٩٢٥ وتبني اليابان للنظام الذهبي في ١٩٢٩.

٣ ـ نظريات الاستثمار : وتبرز هنا آراء كثيرة في الاستثمار ومعدل الفائدة. وقد ارجعت اسباب الركود إلى أن فرص الاستثمار قد تقلصت في الولايات المتحدة وذلك لتوافق عدة تطورات في الاقتصاد . فالاقتصاد الامريكي بلغ النضوج ولم يعد يتطور فكان لابد ان يحدث ركود . ومن التطورات التي قادت الى ذلك انخفاض في نمو السكان وبالتالي اثر سلبيا على الطلب . وثانيا ان الصناعات الثقيلة ـ السيارات والكهرباء ـ التي دفعت الى الانتعاش في العشرينات فقدت حركتها ولم يكن هنالك صناعات اخرى لتفتح امام الاستثمارات فرصا جديدة. ثالثا،

ان المؤسسات الكبيرة لديها رؤوس اموال هائلة فلم تلجأ الى السوق المالي .

٤ ــ عدم التوازن في القطاعات الاقتصادية : ونقطة البداية في هذا التفسير هو ان اسعار المواد الاولية قد انخفض خلال فترة ما بين الحربين. وكان الانخفاض اشده في القطاع الزراعي وبالتالي انخفض الطلب على الانتاج الصناعي من جهة اخرى ان صناعة البناء والتعمير كانت منتعشة وكذلك صناعة السيارات والكهرباء .

وعليه فان دخل القطاع الزراعي كان متحفظاً كما ان السيولة المالية لم تيسر وذلك لان معظم المصارف في المناطق الزراعية والمدن الصغيرة قد افلست ، في الوقت نفسه كانت فرص العمل في المدن الصناعية محدودة .

ومهما كانت اسباب الركود الاقتصادي وكيف حدث ؟ ولماذا لم يحتوه الاقتصاد العالمي ؟ ولماذا لم تهب الحكومات لمعالجة الامر ؟ فان الركود العظيم قد اثر على الاقتصاد والسياسة الاقتصادية للدول الكبرى وعلى علاقاتها الدولية .

ان انهيار النظام المالي الامريكي في تشرين الاول ١٩٢٩ ألحق اضراراً في الاقتصاد العالمي ففي ١٩٣١ انخفضت قيمة التجارة الدولية بمقدار الثلثين عما كانت عليه في ١٩٢٨ . وكان ذلك بسبب تقلص النشاط الصناعي ، واستمرار انخفاض الاسعار ، والقيود الكمركية التي فرضتها الدول. وقد تضرر اقتصاد الدول الزراعية المنتجة للمواد الاولية . فمن جهة لم يكن لدى هذه الدول احتيــاط كبير من الذهب لتغطية استيرادها ، يضاف الى ذلك اسعار منتجاتها كانت منخفضة .

وفوق هذا وذاك واجهت بضائعها قيود تعريفة كمركية فتعذر عليها التصدير وكانت الولايات المتحدة قد شرعت في آذار ١٩٣٢ فرض تعريفة كمركية وردت عليها بقيت الدول بالمثل فامتنعت سويسرا عن استيراد البضائع الامريكية وزادت ايطاليا التعريفة الكمركية على السيارات وحذت كل من فرنسا والمكسيك واستراليا حذوها. والاكثر من هذا ان حرب التعريفة الكمركية

دلل على انه لايوجد احد على استعداد لتولى انقاذ الاقتصاد العالمي من الركود .
فعندما حاولت بريطانيا وهولندا اعطاء تعهد بالحفاظ على نظام التجارة الحرة قبل اجراء تخفيض ٢٥٪ من تعريفة بقية الدول لم يتجاوب احد معهما .

وحاولت الدول الاوربية التفاوض مع الولايات المتحدة بصدد التعويضات وديون الحرب. ففي خريف ١٩٣١ زار لافال واشنطن واقترح هوفر ان تجتمع الدول الاوربية لمناقشة قابلية المانيا على الدفع . وسعت الحكومات الاوربية الى ربط ديون الحرب مع مسألة التعويضات لكن واشنطن امتنعت عن ذلك . وقد درست لجنة يونك الامر وتوصلت الى اعفاء المانيا من ديونها.

ان تناقص النشاطات الاقتصادية في الدول الصناعية انتشر الى بقية دول العالم غير النامية. وعليه فقد تناقصت صادراتها والتي كانت متغيرا اساسيا في تحديد الدخول لديها . والاكثر من هذا فان بعض الدول المصدرة للمواد الاولية والزراعية تنافست فيما بينها على الاسواق الخارجية عن سبيل حرب الاسعار. فصراع الدانمارك ونيوزيلاند على سوق المنتجات الزراعية البريطانية جعل بريطانيا تشتري الزبد من الدولتين باسعار زهيدة. ولعل ارقام انخفاض صادرات الدول غير النامية تدلل على فداحة الاضرار التي الحقت بها (الصين ٧٥ ــ ٨٠٪ تشيلي ٨٠٪، برازيل ومصر واليونان ٦٠٪، استراليا وبلغاريا ٥٠٪ النرويج والبرتغال ورومانيا ٤٠٪) .

لقد قررت الدول الاوربية المجتمعة في لوزان ــ المانيا وبريطانيا ، فرنسا، ايطاليا ، اليابان ،وبلجيكا ــ على عقد مؤتمر اقتصادي ومالي عالمي لدراسة الاوضاع التجارية الدولية. وعندما اجتمعت وفود ٣٦ دولة في ١٢ حزيران ١٩٣٣ كانت التطورات الاوربية قد تدهورت خلال الاشهر السابقة . ففي نهاية ١٩٣٢ لم تدفع فرنسا ديون حربها للولايات المتحدة ولمحت بقية الدول عن انها ستحذو حذو فرنسا . وفي آذار ١٩٣٣ استلم النازيون السلطة، وفي نفس الشهر انسحبت اليابان من العصبة ، وكذلك اعلنت الولايات المتحدة في نيسان عن خروجها من نظام العملة الذهبية . واعربت الحكومة

الامريكية عن عدم استعدادها للتعاون في خطة لوضع نظام مالي دولي مستقر. وعليه فقد تعذر على المؤتمر ان يحقق غايته طالما ان دولة اساسية ذات امنع وانشط اقتصاد في العالم لم تكن مستعدة للتضحية من اجل اقتصاد دولي مستقر تعم فائدته على بقية الدول .

وكانت الدول الاوربية تعاني من أزمات متتالية . ففي اذار ١٩٣١ اندلعت ازمة سياسية قادتها فرنسا في وجه محاولة المانية – نمساوية لعقد اتحاد اقتصادي بين الدولتين ؟ وقد قررت محكمة العدل الدولية في لاهاي بان فكرة الاتحاد تتنافي ومعاهدة فرساي . وخلال التوتر السياسي تزعزعت الثقة في الحكومة النمساوية ونظامها الاقتصادي وكانت النمسا خلال العشرينات تتمول من قروض اوربية بتشجيع من حكومات لندن وباريس كي لاتضطر النمسا على الاتحاد مع المانيا . وبالرغم من المساعدات التي قدمها مصرف لندن ومصارف باريس سحب الدائنون الاجانب ودائعهم ولم تتيسر للاعمال النمساوية ومصارفها أموال كافية فاغلقت المصانع والمصارف وأعيد ترتيب النظام المالي النمساوي . وانتقلت عدوى الازمة النمساوية الى المانيا . فقد كانت بيوت الاموال الالمانية متداخلة في نشاطاتها مع بيوت الامـوال النمساوية ، ثم ان حملة السندات الاجانب باعوا في مايس ١٩٣٠ باسعار منخفضة وذلك تحسبا من تدهور الاوضاع السياسية في المانيا لان النازيين والشيوعيين حققوا انتصارات انتخابية كما سحبت من المصارف الالمانية الايداعات للمدى القصير فخسر المصرف المركزي الالماني احتياطه من الذهب . وكان الاقتـصاد الالماني يشكو من بطالة دائمة . وفي ١٩٣٢ بدأ أن الازمة انتقلت من الولايات المتحدة واصبحت بؤرتها في المانيا .

ومما لا ريب فيه ان اضطراب القارة الاوربية اقتصاديا وسياسيا يـؤثر بدوره على الاقتصاد البريطاني . فبعد عمليات انقاذ للنظام المصرفي لكثير من الدول الاوربية فقد مصرف انكلترا قدرته على تحمل الضغوط . وفي ايلول ١٩٣١ اقترح على الحكومة الخروج من نظام العملة الذهبية . وكانت الـ[illegible] النفسية

للمقترضين والدائنين سببا في الازمة . فقد سحبت من مصرف انكلترا الودائع الاجنبية ولكن لم يكن في وسع بريطانيا استدعاء ايداعاتها في الخارج لانها كانت مجمدة وقد تسبب هذا الامر في احداث ازمة سياسية استقالت بسببها حكومة العمال الثانية وتألفت حكومة وطنية .

لقد كانت آثار الركود على الاوضاع الاجتماعية والسياسية في الدول الاوربية متباينة . ففي الولايات المتحدة واجهت العمال العاطلين عن العمل ايام عصيبة استهلكوا فيها ادخاراتهم الشخصية . واثقلت الادارة المحلية بالديون من اجل اعانة العاطلين ،حتى ان الحكومة الفيدرالية خولت السحب من احتياطي القمح والقطن ليوزع عن طريق الصليب الاحمر .
وقد اضطرت الطبقة الوسطى الى بيع ممتلكاتها حتى بلغت ارقاما عالية .
وفي مطلع ١٩٣٣ كانت هنالك دلائل حدوث اضطرابات اقتصادية بل وربما ثورات محلية وطالبت بعض الهيئات من الحكومة اتخاذ تدابير لمنع نزوح المزارعين .

اما في بريطانيا فكان الركود اشد لكن تقلص الاعمال كان اقل مما حدث في المانيا والولايات المتحدة . ومن الجدير بالذكر ان المناطق التي تضررت بالركود كانت في العشرينات تشكو من بطالة عالية خاصة ويلز ومناطق الفحم . وقد عطلت حالة الركود المساعدات المركزية لبناء المساكن والخدمات الاجتماعية .

ليس من السهولة بمكان تحديد الصلة بين الركود الاقتصادي ١٩٢٩ – ١٩٣٣ وبين التطورات الرئيسة في العلاقات الدولية الاوربية . فمن الواضح ان قيام النازية في المانيا تخصب في الاوضاع الاقتصادية السيئة التي شهدتها المانيا بعد الحرب فكان النازيون يزدادون عددا مع كل ازمة وينتمي اليهم افواج من العمال ومن الطبقة الوسطى .واما بصدد موسليني فان طموحاته في بناء امبراطورية ايطالية تأكدت من خلال الركود. فايطاليا كانت تعتمد على استيراد

موادها الاولية من الخارج ،ولكي تقلل من ارتباطها بالتجارة الدولية وجدت في حملتها على الحبشة مخرجا لذلك . ويتجلى تأثير الركود على السياسة اليابانية التوسعية في الصين ومنشوريا. فاليابان وزمرتها العسكرية اندفعت في حملة استعمارية للاستثمار بالصين واستغلال مواردها وسوقها بعد ان صدت التعاريف الكمركية الصادرات اليابانية.

لقد تعمقت التناقضات الرئيسية في النظم الاقتصادية الرأسمالية اثر الركود الاقتصادي ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩ . واصبح المخرج من التعرض للازمة المالية او الاقتصادية ثانية هو اللجوء إلى الاعتماد على الذات والنكوص عن التعاون الدولي .ولذلك كانت اجراءات الحكومات تنطلق من زاوية ضيقة وتمتاز بالتردد. وعليه لم تسخر تلك الحكومات المنظمة الدولية لتأمين نظام اقتصادي دولي مستقر.

المبحث الخامس

قيام الحرب العالمية الثانية مراحلها ونتائجها

في الاسبوع الاول من ايلول ١٩٣٩ بدات العمليات العسكرية الحربية بين المانيا وبولندا. كما صدر عن عواصم فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا مراسيم اعلان الحرب قانونيا . ولم تاخذ الحرب سمتها الدولية الا بعد غزوة المانيا للاراضي السوفيتية واندلاع الاشتباكات في الشرق الاقصى بين الولايات المتحدة واليابان.

ومما لاريب فيه ان اسباب الحرب العالمية الثانية ، عديدة ، وكل مؤرخ ومحلل يشدد على عامل او مجموعة عوامل دون اخرى– وطالما ان الخزائن الرسمية للوثائق مازالت غير معرضة للدراسة الا بعض منها فان الجدل سيبقى دائرا بين الكتاب. ومع كل اطلاع على حقائق جديدة يجري تعديل في المواقف او قراءة ثانية لوجهات نظر وكما كانت مسألة مسؤولية الحرب العالمية الاولى قد وضعت على كاهل القيصرية الالمانية ثم بدأت المسؤولية تتوزع على بقية مراكز القوى في السياسة الاوربية ، فان قضية من المسؤول عن الحرب العالمية الثانية تمر نفس التجربة. وسنحاول هنا الاشارة إلى اكبر عدد من المتغيرات التي كان لها دور في تحضير العلاقات الاوربية والعالمية إلى الحرب (١) .

ومن الافكار الشائعة والتي لا تغيب عن ناظر اي محلل ومؤرخ هو ان جذور الحرب العالمية الثانية قد زرعت في نتائج الحرب العالمية الاولى . وهنا تتحمل الدول المنتصرة اعباء ماصنعت دبلوماسيتها وخططها العسكرية. فمعاهدة فرساى انطوت على تمزيق الوحدة الجغرافية الالمانية التي كانت مصدر تهديد امنى لفرنسا واوربا .فالمانيا استمدت قوتها العسكرية من جغرافيتها

---

(١) لا يعني تسلسل الاسباب اننا نذكرها حسب اولويتها .

وسكانها وتركيبها الاجتماعي والاقتصادي والروح العسكرية. فلكي تكون اوربا امنة للفرنسيين والبريطانيين والبلجيكيين جهدت مهارات دبلوماسي فرساي لجعل جميع تلك المقومات عناصر وهن لاقوة لالمانية. وعليه سلبت المانيا من مستعمراتها فقاسمتها الدول المنتصرة. وفرض عليها تعويضات، وتشتت مناطقها الشرقية ودمجت ملايين من سكانها في دول اخرى، واحتلت منطقة الراين وانتزعت منها الالزاس واللورين ،ونزع سلاحها، وفرضت عليها رقابة، وتجرحت اراضيها بمضيق دانزك.

وهكذا فليس من المدهش ان تسعى السياسة الالمانية، سواء في عهد جمهورية فايمر أو في عهد النازية، من اجل اخراج المانيا من قيود فرساي. وكانت مساعي دبلوماسي وسياسي جمهورية فايمر سلمية في حين لجأ هتلر إلى التهديد والابتزاز والمقامرة والمغامرة والتخطيط وانتهازالاوضاع ليكسر اصفاد فرساي. وفعلا افلح في ذلك وكان الثمن حربا عالمية .

وليس في وسعنا عندما ندرس شخصية هتلر السياسية والنفسية ان نغفل انه كان قد عزم منذ شبابه على الأنتقام من فرساي. فقد شارك في الحرب الاولى، وتسكع شأنه شأن الكثيرين من الالمان، وتحسس بالاهانه القومية . وتوصل إلى قناعة انه من دون القوة ،وعلى الاخص القوة العسكرية، لم يكن بوسع المانيا ان تعيد لنفسها كرامتها السياسية والقومية . لقد امن هتلر بشدة بقدرة الامة الالمانية على اخذ ثأرها .

ورأى في انكلترا المحرك الخفي وراء الواجهة الدولية . اما فرنسا فانه كان يدرك انها لن تصمد امام القوة الالمانية لفوارق طبيعية . وعندما اصبحت القوة وسيلة لتحقيق غاية داخليا ،بتصفية العناصر المناوئة للنازية ،ولتعديل شروط فرساي ،سرعان ماتحولت ،الى غاية بحد ذاتها .لقد استهدف هتلر بناء المانيا المنيعة المتفوقة السائدة ثم فرض وجودها على اوربا .ولم يكتم هتلر احاسيسه الداخلية فقد اعرب عنها في كتابه كفاحي وفي معظم مؤتمراته مع قادة حزبه ومرؤوسيه .

والحديث عن هتلر ينقلنا الى مسألة فيها جدل .فهل كان هتلر يخطط بصورة دقيقة ؟وهل وضع لنفسه استراتيجية عليا ؟وهل كانت لديه مقاصد واضحة ومحدودة ؟وهل ادرك حدود قدرات المانيا ؟ام كان يترك القضايا تأخذ اوضاعها وعندئذ يتخذ قراره وفقا لموضوعية الموقف .لقد كانت السياسة الخارجية الالمانية في رعاية دبلوماسيين تقليديين استطاعوا ان يحافظوا على ديمومة المواقف الالمانية وتقديم كشوفات دقيقة للتحركات في العلاقات الاوربية .ومما لاريب فيه ان هتلر اختط لنفسه استراتيجية عليا واهداف لكنه شأنه شأن اي انسان او سياسي فهو عرضة للخطأ والتلكؤ والتعجيل والتفاؤل والتشاؤم .فهجومه على الاتحاد السوفيتي لم يكن غلطة بسيطة .الم يتعلم درس القيصرية الالمانية القائل بعدم فتح حرب على جبهتين ؟ام هل كان يعتقد ان الاتحاد السوفيتي لن يقدم مقاومة شديدة تؤثر على خططه في الغرب ام هل كان متشائما من مصير الحرب وكان يقلق على جبهته الشرقية خاصة وان الاتحاد السوفيتي بدأ يتحصن ؟

وما هو دور التغيرات الاقتصادية في اشعال الحرب؟ ان التغيرات التي طرأت على اقتصاد الدول بعد الحرب العالمية الاولى لم توطن ولم تعالج معالجة صحيحة وعليه فقد زادت التناقضات الاقتصادية والاجتماعية في داخل المجتمعات الاوربية . فانقسام المجتمع الفرنسي الى اليسار واليمين كان له اثر بارز على التعجيل بقيام الحرب .فلو كانت لدى فرنسا جبهة داخلية سياسية مستقرة ولديها خطط عسكرية حظت بتأييد السياسيين ،لما تلكأت في الرد على احتلال الراين .كما ان احباط الاصلاحات الاجتماعية في انكلترا وفرنسا وتزايد النفقات العسكرية جعل المجتمع غير متوازن اقتصاديا . وليس من الصعوبة بمكان ان يرى المرء الصلة بين الاوضاع الاقتصادية في المانيا وبين صعود النازية الى الحكم .ولقد ترك الركود الاقتصادي اثاراً سلبية على الاقتصاد العالمي متمثلة في حرب التعريفية الكمركية والسيطرة على المستعمرات ،بل والتوسع الى اقاليم جديدة كما حدث في الصين والحبشة

ويضاف الى ذلك ان الازمات المالية زعزعت الثقة في قدرة النظم السياسية على معالجة تلك الازمات فكان ينظر الى الحرب على انه امر حتمي في اوضاع متردية يصعب السيطرة عليها .

وحتمية الحرب مسألة اخرى .فليس من الضروري ان يدرك المرء افتراضات فلسفية وجدلية كي يتوصل الى قناعة بان الحرب كانت في الثلاثينيات امراً حتميا . فالدلالات عديدة . الصحف تشير الى التوجهات العدوانية والى غياب حسن النية ،والعسكريون يخططون وكأن الحرب ستقع غدا ، وهذا شيء مألوف .والسياسيون كانوا غير واثقين من حلولهم .ففرساي لم تعدل بصورة جذرية وكانت العروض تأتي متأخرة تسحب نفسها عند أقدام كل ازمة وما ان تغيب كارثة وتختفي ازمة وتنفرج كربة الا وظهرت اخرى هنا وهناك بصورة عنف عسكري .فاحتلال الرور ومنشوريا والحبشة وإحتلال الراين والحرب الاهلية الاسبانية كلها مجابهات عسكرية دفعت الرأى العام الاوربي الى الاعتقاد بان الحرب قادمة لامحالة .

لم تكن تلك الواجهات العسكرية العنيفة والازمات من صنع هتلر وحده فموسليني من جانبه كان يتطلع الى بناء دولة عظمى بوسائل محدودة . وكان يخطط لمشاريع توسعية . فالوثائق المعاصرة تكشف على انه كان ينوى اشعال حرب اهلية في اسبانيا منذ ١٩٣١ ،وكانت مشاريعه في الحبشة بديلا لما كي لايثير المخاوف الاوربية.وما ترتب على سياسة موسليني ليس بالخفي فقد اضطرت فرنسا على ارضائه وشجعتها بريطانيا كل من زاويتها . ففرنسا لاتريد ان يكون موسليني اداة بيد هتلر ، وموسليني كان يندفع نحو هتلر كي يرغم فرنسا على ان تصده عن ذلك فتدفع ثمنا .وبريطانيا من جهتها كانت ترغب في صد موسليني بتفاهم مع فرنسا في البحر المتوسط كي لايصبح موسليني عنصر قلق وخطر على مصالحها في الشرق الاوسط مصر وفلسطين والعراق .

وفي الشرق الاقصى لم يكن الوضع مستقرا فالعلاقات الدولية في تلك المنطقة تتحمل قسطها من مسؤولية الاعداد للحرب الثانية فالمزاحمة اليابانية على الصين ترجع الى العقود الاخيرة في القرن التاسع عشر .كما ان الولايات المتحدة تحسست بعد الحرب الاولى بالنتائج السلبية المترتبة على تنامي القوة البحرية اليابانية واستيلائها على الجزر الالمانية في المحيط الهادي والتحرك السريع والواسع على منشوريا والصين .وما مؤتمر واشنطن لنزع السلاح البحري سوى محاولة لتطويق القوة البحرية اليابانية الصاعدة التي هددت المصالح الامريكية كما انطوت عليها سياسة الباب المفتوح وقد تذرعت اليابان بحجة المجال الحيوي .

والمجال الحيوي نزعة توسعية تتستر وراء اعتبارات جيوبلتيكية . فالفكر الجغرافي الالماني في نهاية القرن التاسع عشر و مابين الحربين روج لهذه الدعوة .وكانت كتابات هوسهوفر ومعهد ميونخ مكرسة لايجاد تفسيرات سياسية واقعية .فالمانيا لايمكن ان تجد ذاتها الطبيعية الا في نطاق واقع حدودها الطبيعية .والحدود الطبيعية ينبغي ان تؤمن وعليه لابد من السيطرة على المناطق المتاخمة .وبسط النفوذ على المناطق يثير مخاوف امنية عند القوى الاخرى ففرنسا كانت ترى في الراين المنزوع من السلاح وسيلة لصد الزحف الالماني والاتحاد السوفيتي بدوره كان يحرص على ايجاد منطقة عازلة بين اراضيه وبين المانيا .وكانت تحركاته نحو بولندا ودول البلطيق في هذا الصدد تعبيرا عن الحاجة الاستراتيجية لمنطقة عازلة .

ولم يكن هتلر في نزوعه نحو المجال الحيوي منحرفا عن سياسة اسلافه فكما اتضح فيما بعد ان سياسيي القيصرية الالمانية كانوا يعدون للاستيلاء على شرق اوربا بما فيها اوكرانيا واخلائها من سكانها وتحويلها إلى مجال حيوي لالمانيا العظمى. ولم يقتصر التوسع الالماني على اوربا الشرقية بل انطوى على بلوغ الحدود الطبيعية عند الراين . واذا تحقق ذلك لالمانيا فانها ستصبح اقوى دولة في اوربا وبالتالي ستهيمن على اوربا ومن ثم العالم.

واذا كان اسلاف هتلر قد افتقروا إلى ايديولوجية واضحة تربط بين السياسة الداخلية وتسخر القدرات لخدمة السياسة الخارجية . فالنازية الالمانية كانت عدوانية وتوسعية وانتقامية ودللت على ذلك بسياستها الداخلية والخارجية. وقد اوجدت شعورا لدى الجيل الالماني بالانتقام من صانعي فرساي سواء ممن كان مسؤولا على القبول بها والتمسك بها او فارضا لها من الخارج . وتشترك في هذا الامر الفاشية الايطالية والنزعة العسكرية اليابانية . ولذلك فليس من الغريب ان تلتقي هذه الافكار في تحالف عالمي .

وللتحالفات العالمية دور في تأجيج الوضع الدولي. فالتوازن في القوى لم يتحقق. ففي العشرينات وحتى ١٩٣٦ كانت فرنسا جاهزة في الحفاظ على هيمنتها غير الطبيعية وذلك عن طريقتين . اضعاف المانيا بشروط فرساي، ورسم شبكة من التحالفات. ففي ١٩٢١ انتهى حلم فرنسا في تأمين تعهد بريطاني امريكي مشترك للدفاع عنها . فتوجهت إلى بناء تحالف صغير مع بولندا وجيكوسلفاكيا ويوغسلافيا . ثم لم تكن واثقة من قدرتها على الدفاع عن حدودها الشرقية فجنحت نحو الحلول التحكمية بمعاهدة لوكارنو . وفي ١٩٣٥ عقدت تحالفا مع الاتحاد السوفيتي فدفعت هتلر إلى التستر لاحتلال الراين. وبالمقابل فان المانيا سعت لعزل فرنسا . فوقعت معاهدة عدم اعتداء مع بولندا في ١٩٣٤، ومعاهدة نزع سلاح جوي وبحري مع بريطانيا . والاهم من هذا كله حققت تحالف محور بينها وبين ايطاليا واليابان . وفي ١٩٣٩ وقعت معاهدة عدم أعتداء مع الاتحاد السوفيتي . وهكذا فان سلسلة التحالفات شجعت على التسلح والاندفاع نحو مناطق توسعية ــ النمسا، جيكوسلفاكيا، واخير بولندا .

وإلى جانب التحالفات كانت الدول الاوربية منشغلة ببرامج تسلح متزايدة.وعلى الرغم من تكاليف التسلح، على الاخص في الاوضاع الاقتصادية تأصلت فيها الازمة فان التسلح استمر في التصاعد بنسب عالية كماً ونوعاً. وحتى ١٩٣٤ كانت المانيا تتسلح في الخفاء، ومن ثم اعلن هتلر عن الخدمة

الالزامية ووجود قوة جوية. وكانت فرنسا منذ ١٩٢٧ تعتمد خط ماجينو العسكري وادخلت نظام الخدمة الالزامية لفترة طويلة واحتفظت بأحتياط كبير. اما انكلترا فقد شددت على قوتها البحرية ودعت إلى الاعتراف بحاجتها إلى سفن حربية بنسب عالية كي تتناسب مع مسؤوليتها الاستعمارية العالمية . (انفقت المانيا٢١٪ وبريطانيا ١٢٪ وفرنسا ١٧٪ من الدخل القومي على التسلح في ١٩٣٨) .كما شجعت الحكومات نمو الصناعات الحربية وصناعات الهندسة ذات الغرض المزدوج للسلم والحرب .وعند دراسة استراتيجيات الدول الاوربية يجد الباحث ان معظمها كانت تخطط لوقوع حرب في جبهة او اخرى. فهيئة الاركان الفرنسية اعتصمت وراء خط ماجينو الدفاعي لأنها تصورت ان الهجوم سيأتي من الراين .وبريطانيا كانت تحسب صمود فرنسا إلى ان يحين اشتراك قواتها . والاتحاد السوفيتي كـــــان يقلق من اندفاع المانيا نحو الشرق . وكما تكشف سجلات المفاوضات العسكرية بين بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي في ١٩٣٩ فان العسكريين كانوا حذرين جدا في تقدم حلول عسكرية لان المقرارات كانت سياسية . فلندن كانت ترغب في دفع المانيا نحو الشرق لذلك تلكأت في عقد صفقة مع الاتحاد السوفيتي . وكانت فرنسا بدورها قد افرغت اتفاقية ١٩٣٥ من معناها العسكري . ولو تعاضدت هذه الدول عسكريا ضد المانيا لكانت الاحداث الاوربية قد اتخذت مجرى آخر.

ان تاريخ العلاقات الدولية مابين الحربين يكشف عن ان بريطانيا وفرنسا هيمنتا على تصريف السياسة الدولية . فأندحار المانيا ، وعزلة الولايات المتحدة، وتقوقع الاتحاد السوفيتي، وعجز ايطاليا ، كلها تظافرت لتترك الساحة لتحركات الدولتين العظيمتين .بيد ان كلا منهما لم تتخذ المواقف الصائبة والسياسات الحكيمة .فقد كانت بريطانيا على بينة من ان فرنسا لن تقدر على صياغة هيكل العلاقات الاوربية من دون ان تسترشد بلندن عند المنعطفات

الحاسمة . ومن جهة اخرى كانت بريطانيا تتردد في تولي مسؤولية قيادة السياسة الاوربية وبذلك تركت العلاقات الالمانية – الفرنسية تحتكم إلى سياسات تقليدية لم تر في المستقبل سوى الانتقام وضرورة الحفاظ على الوضع الراهن . ففرنسا كانت ترفض تعديل الوضع الراهن من دون ضمان بريطاني ، والمانيا كانت تطالب بتعديله ولكن من دون قدرة على ذلك.

فكانت مسؤولية بريطانية مزدوجة . الاقدام على ضمان امن فرنسا وارضاء المانيا بتعديل فرساى . لكن الحكومات البريطانية لم تنهج ايا من المسلكين وبذلك كانت سياستها تسير على حبلين. ففي ازمة الرور تخلت بريطانيا عن الضغط على فرنسا، فلجأت الاخيرة إلى العمل العسكري . وفي احداث الحبشة ساومت فرنسا ايطاليا وجرت معها بريطانيا ولكن على حساب مبدأ استقر عليه امن فرنسا الا وهو الامن الجماعي.

والامن الجماعي كما انطوى عليه ميثاق عصبة الامم كان مبدأ جديداً ليحل محل نظام توازن القوى الذي اخفق في صيانة الأمن العالمي . ولكن كانت العصبة من دون وسائل فاعلة لتنفيذ هذا النظام . فالشروط الموضوعة اللازمة لعملة لم تكن متيسرة في الواقع وانما افترضها واضعوا الميثاق . فالانتماء الشامل للعصبة شرط لم يتحقق فقد انسحبت الولايات المتحدة منذ البداية وكانت المانيا والاتحاد السوفيتي خارج العصبة في فترة او اخرى كما ان اليابان وايطاليا انسحبتا من العصبة .كما ان العصبة لم تتخذ اجراءات صارمة ضد المعتدي .فتغاضت عن اليابان في منشوريا وايطاليا في الحبشة والمانيا في الراين .ومما لاشك فيه ان موقف بريطانيا وفرنسا كانت وراء تحركات العصبة المشلولة .وفي نطاق نزع السلاح والازمات الاقتصادية لم يكن للعصبة دور حاسم .وعليه فقد اصبح نشاطها محدودا وفقدت الثقة التي أودعت فيها .ففي الوقت الذي تظاهرت فرنسا بأن العصبة ذات مهمة دولية سخرتها كوسيلة لزيادة امنها ،وفي الوقت الذي تبنت بريطانيا ميثاق العصبة استخدمتها امتداداً لدبلوماسيتها في توازن القوى .

ان الصراعات بين الدول الاوربية على المستعمرات اتخذت طابعاً شرعياً بأسم عصبة الامم .فبعدما كان التوسع قبل الحرب الاولى يأخذ شكلا عسكرياً ودبلوماسياً وأقتصادياً أعطى الميثاق للدول الاستعمارية حق الانتداب .وهو استعمار سوى بالاسم .ولم تتوصل الدول الاستعمارية الى صيغة موحدة لتقاسم ممتلكات الدولة العثمانية والامبراطورية الالمانية وكانت المساومات شديدة وحرجة وتوفيقية انطوت على تناقضات مصلحية واستراتيجية تفجرت فيما بعد .فتوسع اليابان في الشرق الاقصى تهدد المصالح البريطانية والامريكية وتحركات ايطاليا في البحر الابيض المتوسط وافريقيا تهددت المصالح البريطانية والفرنسية .وكانت المانيا تنظر الى اوربا مجالا لتوسعها الاستعماري بصيغة الهيمنة الاقتصادية .ولذلك كان اندماج النمسا في المانيا واحتلال جيكوسلفاكيا توجها استعماريا اعطى لالمانيا قوة اقتصادية واستراتيجية اضافية افسدت توازن القوى .

ان الدفاع عن بولندا امام قوة عاتية وقادرة تطلب من استراتيجيتها ان يعتمدوا اولا على دفاعاتهم الذاتية حتى تصل اليهم النجدات من الاتحاد السوفيتي وفرنسا . ربما ان فرنسا كانت بعيدة فالاتحاد السوفيتي كان الظهير الوحيد . ولكن اتفاقية عدم الاعتداء الإلمانية السوفيتية الغت مثل هذا الاحتمال . وعليه كان ينبغي على البولنديين ان يدافعوا عن جبهتهم الغربية ثم ينسحبوا في الوقت الملائم الى الشرق ترقبا لاحداث سياسية اوربية قد تدخل متغيرات جديدة الى الحرب فقد كانت مواقعهم الدفاعية عند نهر فيستولا منيعة .

ولكن تصورات هيئة الاركان الالمانية كانت تفوق قدرات بولندا الدفاعية فكانت الخطة تعرضا عند جناحي الجيش البولندي واختراق مدرع من الوسط بحيث يدفع الجيش البولندي الى غرب نهر فيستولا . وفي الوقت الذي تشاغل المشاة الالمانية القوات البولندية تقوم القوات السيارة بتطويق الجيش البولندي . وفي ١ ايلول عبرت القوات الالمانية حدود بولندا واندفعت

بسرعة مباغتة حسابات هيئة الاركان البولندية . وصاحبت الزحف عمليات قصف جوى للمواصلات والمطارات. فشلت القوة الجوية البولندية (وكانت تتألف من ٥٠٠ طائرة) في حين جندت المانيا ١,٦٠٠ طائرة للحملة على بولندا . وبعد اسبوعين حدثت معركة بازورا حيث وقع ١٥٠,٠٠٠ طائرة) في الاسر . وحاولت هيئة الاركان البولندي الانسحاب عند خط دنيستيز كي تكون رأس جسر لهجوم مضاد فرنسي بولندي ولكن في ١٧ ايلول عبرت القوات السوفيتية الحدود البولندية . ولكي لايخوض هتلر حربا من بيت لبيت ومن شارع لشارع اعطى اوامره بتدمير وارشو . فتنشط القصف الجوي وتكاثفت نيران المدفعية. وفي ٢٧ ايلول استسلمت حامية وارشو.

وكانت القوات السوفيتية تتقدم نحو البلطيق فوقعت ايستونيا ولاتفيا ولتوانيا معاهدات للتعاون المتبادل . وبفضل تلك المواثيق تحصنت دفاعات لينينغراد . ولكن الخطر كان يتهددها من جانب فنلندة اذا وقعت تحت نفوذ المانيا . وبعد ان اخفقت المفاوضات بين الحكومة السوفيتية والحكومة الفنلندية بصدد امتيازات حربية تمنحها فنلندا للسوفييت اعلن الاتحاد السوفيتي الحرب على فنلندة في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ . ولم يفلح السوفيت في تحقيق نصر سريع كما فعل الالمان في بولندا . وفي ١١شباط ١٩٤٠ شنت القوات السوفيتية هجوما كبيرا ارغم الفنلنديين على عقد صلح في ٤آذار نالت بموجبه شمال بحيرة لادوكا وشريحة من اراضي فنلندة وتركت نظام الحكم كما كان عليه.

لم تتحرك القوات الفرنسية ضد المانيا على الرغم من ان معظم الجيش الالماني كان منشغلا في حملته على بولندا . وقد اعطى هذا التردد فسحةزمنية لجلب قوات المانية اضافة حتى بلغت الفرق الالمانية ١٣٠ بعد ماكانت ٣٣ . وكانت قوات الحلفاء البحرية قادرة على السيطرة على المحيط الاطلسي وطرفي البحر المتوسط. ولكن الغواصات الالمانية الحقت اضرارا بالبوارج الحربية .

ان الفترة مابين ايلول ١٩٣٩ ومايس ١٩٤٠ كانت فترة استعداد من جانب الطرفين . فالقيادة الالمانية تريثت حتى تنجز سحب قواتها السيارة

في بولندا . ثم ان الظروف المناخية لم تكن ملائمة ،يضاف إلى ذلك ان الحماة على الدول الاسكندنافية حولت الانتباه في الجبهة الغربية . وفوق هذا وذاك كان كل طرف ينتظر مشروع الاخر بالمبادأة ليرتكب الاخطاء فتستثمر .وخلال تلك الفترة ظهر بعض العجز في المعدات الالمانية والتموين وخطوط المواصلات كما ان فرقا جديدة استدعيت وكان لابد من اعدادها للحرب .وقد ضخت المصانع الالمانية مئات الدبابات السريعة وذات القدرة على قطع مسافات طويلة من دون تزويد بالوقود. ربما كانت القوات الالمانية تشكو من عجز في المدفعية الثقيلة الا ان دفاعاتها المضادة للطائرات كانت نشطة واعتمدت القوة الجوية لاسناد القطعات البرية والقوات المدرعة .

أما الفرنسيون فقد دفعوا إلى الجبهة فرقا جديدة كما ارسلت عشر فرق مشاة . وكانت المصانع الفرنسية قد زادت من انتاجها الحربي واستدعية القوات الاحتياطية .

وفي ١ مايس ١٩٤٠ اعطى هتلر الأوامر بالاستعداد للهجوم عن هولندا وبلجيكا ولكسمبرغ ولم تستخدم الطائرات كي لايعطى انذار إلى الحلفاء في باديء الأمر. ولم يصمد الجيش الهولندي اطول من خمسة ايام بعد أن تعذر على الحلفاء تقديم النجدة العسكرية لعدم وضع خطط سابقة . فقد حاولت هولندا الحفاظ على حيادها بعدم فتح حوار مع الحلفاء . وحاول الجيش الفرنسي الخامس الالتحام مع الجيش الهولندي لكنه اخفق فانسحب اذ كانت القوات الالمانية قد انتشرت في الاراضي الهولندية . وفي ١١ مايس هربت العائلة المالكة والحكومة إلى بريطانيا .

في ١٠ مايس بدأ الجنرال فون راندستت زحفه إلى جبهة نامور لونجوا باربع واربعين فرقة سبع منها مدرعة . وكانت خطته تسديد هجومين . احدهما يسير نحو سيدان ويسير الثاني نحو دنيان . وفي ١٢ مايس وصلت بعض القوات الالمانية إلى نهر ميس . وفي ١٤ منه عبرت وشتتت الفرقة المدرعة الأولى الفرنسية . وفي ١٦ مايس تفكك الجيش التاسع الفرنسي وكانت

قوات راندستت تندفع نحو السوم . اما في الجبهة الشمالية الغربية . فان قوات الجنرال بوك دفعت قوات الحلفاء نحو دنكرك . واضطرت القوات البريطانية على الانسحاب من البر الاوربي فنقلت السفن عبر بحر المانش خلال عشرة أيام ٢٢٥,٠٠٠ جندي بريطاني و ١١٠,٠٠٠ جندي فرنسي بالاضافة إلى ٥٠,٠٠٠ جندي نقلتهم السفن الفرنسية تاركين خلفهم معدات هائلة.

بعد هذا المشهد المذهل انصرفت ١٤٠ فرقة المانية نحو الجنوب ضد بقايا قوات الحلفاء . وبعد ان تصدت لها ٦٢ فرقة فرنسية وفرقتان بريطانيتان حققت القوات الالمانية تقدما عند السين الاسفل يمين قوات الحلفاء والى مارن من اليسار . وفي ١٠ حزيران انسحبت الحكومة الفرنسية الى تور. وفي ١٤ حزيران دخلت القوات الالمانية باريس .

واستقال رئيس وزراء فرنسا وتولى المارشال بيتان السلطة وعقد هدنة مع المانيا .

في تموز امر هتلر باعداد خطط غزو بريطانيا على ان يبدأ بأحتلال شريط ساحلي ضيق تنزل فيه ٤٠ فرقة على ان ترافق عملية الانزال بغطاء من الجانبين بواسطة الالغام والجو . ولكي تنجح العملية لابد من ابعاد البوارج البريطانية من الساحل بواسطة القوة الجوية . وفي ١٣ آب بدأت الغارات الجوية على الجزر البريطانية واستمرت حتى ايلول وشملت مناطق صناعية وكلاسكو وليفربول ولندن . وتمكنت بريطانيا من احتواء الهجوم الجوي بفضل الرادار . وترتب على ذلك ان عدل هتلر عن غزو بريطانيا اذ كانت الاتجاهات تميل نحو غزو الاتحاد السوفيتي . فمنذ تموز ١٩٤٠ بدأ بانشاء المطارات في بولندا وتعزيز التحشيدات .

وفي شتاء ١٩٤٠ كانت هيئة الاركان البريطانية تجرى الاستعدادات للقيام بتعرض في شمال افريقيا . وكان المارشال غريزياني قد نشر قواته من ليبيا صوب مصر . وفي ٨ كانون الاول استولى الجنرال اوكونر على طبرق واسر ٣٨,٠٠٠ ايطالي . وادركت برلين خطورة تمركز البريطانيين في ليبيا حيث سيهددون جنوب اوربا ومنابع النفط في رومانيا ، فارسلت قوات

مدرعة بقيادة أيرون روميل الى طرابلس . وفي آذار قرر هتلر غزو اليونان عن طريق بلغاريا . فطلبت لندن من الجنرال ويفيل في مصر ان يستعد للعمليات في البلقان . وفي ٣١ آذار تحرك روميل ضد المدافعين البريطانيين واستطاع بفضل ذكائه العسكري ان يحرز انتصارا فتح افاق طرد البريطانيين من الشرق الاوسط .

وبحلول صيف ١٩٤١ كانت العمليات الحربية في الشرق الاوسط واوربا من دون حسم . كما ان بريطانيا احتوت الغارات الليلية والدمار الذي الحق بأسطولها التجاري . وكانت الامدادات الامريكية تدعمها .
اما في البلقان فقد بسطت القوات الالمانية والايطالية نفوذها على اليونان ويوغسلافيا .

في ٢٢ حزيران ١٩٤١ نفذ هتلر خطة باربروس ضد الاتحاد السوفيتي وكانت خطة للهجوم على جبهة امتدت من البلطيق الى البحر الاسود . اوكلت المهمة الى ثلاثة جيوش . فوضعت ٥٠ فرق بقيادة بوك ليسير صوب موسكو من منسك ومن سمولينسك . وكان على يساره ٢٩ فرقة بقيادة ليب متوجها نحو لينغراد . وفي الجناح الايمن كان ستت متجها صوب كييف ومن ثم الى البحر الاسود وستالينغراد. وكانت التوقعات تشير الى ان الجيش الاحمر لن يصمد اكثر من شهر امام الجيش الالماني واسلوب الحرب الخاطفة. وبعد مرور شهر من الاشتباكات حقق الجيشان الشمالي والوسطي زحفا كبيرا الا ان الجيش الجنوبي لم يبلغ اهدافه بسبب رداءة الجو . وفي ١٩ ايلول كشف ستالين عن خطورة الموقف في الجبهة السوفيتية . وبعد بداية غير ثابتة تحولت القوات السوفيتية من صد الهجوم الالماني الى دفاع في العمق . كما ان السوفييت نقلوا اكبر من ١,٥٠٠ منشاة من غرب روسيا الى الفولكا والاورال وسيبريا وكازاخستان وبذلك ضيعوا على الالمان فرصة الافادة من المناطق الصناعية في اوكرانيا وحوض الدنيستر لكن الصناعات الحربية السوفيتية

عانت من شحة في المعادن وطلبت من الولايات المتحدة ارسال الالمنيوم الذي كانت بأمس الحاجة اليه .

وقد دعمت بريطانيا والولايات المتحدة بارسال المعدات لكن مسألة نقلها الى الاراضي السوفيتية كانت معضلة لم تذلل . وفي اواخر الصيف بدأت القيادة العسكرية الالمانية تقلق على تحركات جيوشها فالجيش السوفيتي لم ينهر والشتاء على الابواب وقطعات جديدة بدأت تلتحم بالجبهة في حين دب الانهاك في القوات الالمانية . وعندما حل تشرين الاول وجلب معه الامطار والثلج بطأت سرعة الافواج الالية الالمانية. في الوقت الذي تولى جوكوف قيادة الدفاع عن موسكو .

وفي تشرين الثاني بلغت بعض القطعات الالمانية مشارف موسكو . لكن هجوما مضادا أرغمها على التراجع . وبحلول مايس ١٩٤٢ اصبحت موسكو ولينغراد في وضع دفاعي أفضل .

كانت الخطة اليابانية في كانون الاول ١٩٤١ التقدم نحو سنغافورة وسيام والملايو . ثم احتلال هونكونك والفلبين ثم جاوا وسومطرا. وفي ١ كانون الاول غارت الطائرات المحمولة بحرا على بيرل هاربر فدمرت ٤ بوارج واغرقت ٦ مدمرات ودمرت ٢٠٠ طائرة على مدرجاتها . وكان للبريطانيين ٧٠,٠٠٠ جندي في الملايو وسنغافورة . وكانت قوات برية لم تستطع الصمود امام الهجمات اليابانية . وحاولت لندن ارسال نجدات من مصر الا انها جاءت متأخرة . واستسلمت تلك القوات . اما في بورما فان العمليات الحربية استغرقت فترة اطول . ولكن النتيجة واحدة فقد حوصرت القوات البريطانية واضطرت على الفرار الى الهند .

لقد كانت القوات الالمانية في موقف الدفاع حتى صيف ١٩٤٢ . وفي حزيران اندفعت لتعبر نهر الرون كي تصل الى ابار النفط في القوقاز . وفي نهاية آب اصبحت عند مشارف ستالينغراد التي كانت تفتقر الىالدفاعات الطبيعية.

وقطعت عن المواصلات وحدثت فيها اشتباكات من بيت الى بيت ولكن لم تستسلم المدينة .

وكانت الحرب في الجو خلال ١٩٤٢ تميل لصالح الحلفاء . وشنت الطائرات البريطانية غارات متكررة وركزت على منطقة الرور وبلغت غاراتها سواحل البلطيق . ثم ان القدرات الأمريكية بدأت تظهر ثقلها في موازين القوة الحربية . وفي خريف ١٩٤٢ بدأت العمليات الحربية تسير لصالح الحلفاء . فقد حقق مونتغمرى نصرا على روميل بعد أن وصلته امدادات كبيرة وانسحبت القوات الايطالية والالمانية إلى طبرق ثم بنغازي ووقع ٣٠٠,٠٠٠ ايطالي في الاسر . في الوقت نفسه كانت تتجه نحو مراكش حملة بحرية . وفي الاراضي السوفيتية وقعت القوات الالمانية والرومانية التي طوقت ستالينغراد في طوق من الجيش الأحمر . فاضطرت إلى الانسحاب وبذلك تلاشى حلم نفط باكو .

وعلى الصعيد السياسي كان ستالين يطالب بفتح جبهة غربية عند سواحل فرنسا . لكن بريطانيا والولايات المتحدة ترددتا في ذلك . ومما لاريب فيه ان امراً كهذا زرع الشكوك في النوايا . فقد اعتقد السوفييت ان انشغال حلفائهم في جبهات شمال افريقيا والشرق الأقصى ماهي سوى محاولات للابقاء على مصالحهم الاستعمارية في الوقت الذي تركوا فيه السوفييت يتحملون الثقل الاكبر من هجمات الالمان . وعليه فان انزالا غربياً في فرنسا سوف يخفف من عبء السوفييت ويمكنهم من التحول إلى الهجوم المضاد بصورة جادة . ولكن لندن وواشنطن فكرتا في حلول اخرى وهي غزو من الجو واختراق من ايطاليا .

ففي ٩ أيلول ١٩٤٣ نزل جيشان للحلفاء عند ساحل صقلية . وبدأت الحملة لاحتلال ايطاليا وانهارت القوات الايطالية ولكن الالمان تولوا الدفاع عن السواحل . وتنازل موسليني وجماعته لكنه وقع في الأسر .

لقد كانت آفاق ١٩٤٤ تفاؤلية . فالاتحاد السوفيتي اخذ المبادأة في التعرض، وذلك بفضل توسع صناعاته الحربية بالاضافة إلى الانهاك الذي اصاب القوات الالمانية . كما ان الولايات المتحدة احتفظت بـ ٤,٠٠٠,٠٠٠ رجلا فيما وراء البحر ووجهت امكانياتها الحربية للجبهة الاوربية .وفوق هذا فان التدمير في الجو اصاب المنشأت الالمانية والحق اضراراً في الانتاج الحربي . وكانت المانيا تعاني من شحة في المواد الاولية والوقود . وكانت القوات البريطانية والامريكية ٧٠ ميلا بعيدا عن روما . وفي يوغوسلافيا اشغلت حرب العصابات فرقا المانية عديدة كانت ايطاليا بأمس الحاجة اليها .

في اذار وجد الالمان انفسهم ينسحبون حتى بلغوا المواقع التي كانوا عندها حيث المسالك شمالا إلى بولندا او جنوبا إلى البلقان .

وكانت القوات الحليفة تزحف على روما خلال ربيع ١٩٤٤ وبلغتها في ٤ حزيران بعد ان تركها الالمان وتحشدوا عند فلورنس .

في ٦ حزيران بدأت عملية الانزال عند نورماندي وكانت محصلة جهود ضخمة لفترة طويلة . وكرست لها القدرات الاقتصادية والصناعية . وكانت بريطانيا مأوى للجنود الامريكيين ومستودعاً هائلا . وبعد شهر ونصف استعيد الجزء الشمالي الغربي من فرنسا . وبحلول آب استعيدت باريس .

وفي نفس الوقت كانت القوات السوفيتية تتوجه نحو الجزء الشرقي من المانيا . فأحتلت بولندا ودخلت بلغاريا . وقد حدثت خلافات سياسية حول مصير بولندا . فلندن شجعت على رجوع حكومة المنفى . لكن موسكو كانت مترددة .

في ١٦ كانون الاول ١٩٤٤ شن الالمان هجوما مضادا على القوات الامريكية وبعد انتصارات اولية بدأت القوات الالمانية تعاني من شحة الوقود والامدادات فتراجعت في ربيع ١٩٤٥ اما هجمات الحلفاء فقد بلغت الضفة الغربية من الراين . اما القوات السوفيتية فقد وسعت جبهتها وأحتلت

بروسيا الشرقية حتى دانزك . وفي شباط استسلمت بودابست وفي نيسان استسلمت فينا . وزحفت قوات الحلفاء من الشرق والغرب على برلين . وفي ٢ مايس سقطت برلين للقوات السوفيتية .

بعد سقوط برلين انصرفت الولايات المتحدة وبريطانيا لمجابهة اليابان في الشرق الاقصى من دون السوفييت وذلك لان موسكو كانت قدوقعت معاهدة عدم اعتداء مع اليابان في ١٩٤٠ . وكانت انتصارات اليابان تتقلص تدريجيا . فقد رمت الولايات المتحدة بثقلها العسكري الان ضدها . فتعرضت الجزر اليابانية الى غارات جوية نفذتها القاصفات من طراز ب ـ ٢٩ . فحطمت الموانيء وكثيرا من السفن . ولما كانت اليابان تعتمد على مواردها الاولية ووقودها من الخارج فان الحصار الذي فرض عليها انهكها داخليا . ومع هذا فعلى العكس من المانيا لم تنفذ قوات الحلفاء انزالا على الجزر اليابانية وفي آب تقربت اليابان من موسكو للتوسط بينها وبين بريطانيا والولايات المتحدة . لكن ستالين لم يفعل شيئا لانه كان قد تعهد في الدخول الى الحرب ضد اليابان . وكانت شروط الاستسلام غير مقبولة لدى اليابانيين . كما انهم استعدوا للدفاع عن الجزر اليابانية ضد أى انزال امريكي .

وفي ٦ آب القت الولايات المتحدة اول قنبلة ذرية على هيروشيما . وبعد بضعة ايام القت قنبلة ثانية على نكاساكي . وفي ١٠ آب استسلمت اليابان . وبذلك أسدل الستار على حرب بدأت محدودة جغرافياً وسياسياًوعسكرياً وانتهت عالمية ومدمرة بصورة كلية . فقد ولد معها سلاح فتاك وعملاق ما يزال ظله مبسوطا على العلاقات الدولية حتى هذه اللحظة .

ان نتائج الحرب العالمية الثانية كانت مباشرة في بعض جوانبها وآنية لكن القوى الكامنةفي السياسة الدولية تكشفت تدريجيا ومازالت فروعها الجانبية ونتوئاتها تنمو . فاندحار المانيا النازية غير توازن القوى في القارة الاوربية . فلم تعد الدول العظمى بعد١٩٤٥ دولا عظمى وانما انسحبت إلى

مرتبة ادنى . فالحرب انهكت امكانياتها الاقتصادية والعسكرية وجعلتها عاجزة عن تحمل مسؤولياتها العالمية .

ثانيا ، ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اصبحتا القوتين الوحيدتين ذات الاستراتيجية العالمية .فبفضل قوتيهما العسكرية والاقتصادية استطاعتا ان تفرضا وجودهما في المناطق الاستراتيجية الهامة التي توثر على موقعهما من القوة النسبي .

ثالثا ، ان العالم انشطر إلى معسكرين سياسيين يعتمدان عقائد متباينة . وبذلك اصبحت العلاقات الدولية متلازمة تلازما وثيقا بالايديولوجية. فالاتحاد السوفيتي تربع على زعامة المعسكر الشرقي وتولت الولايات المتحدة زمام قيادة الدول الغربية :

رابعا ، ان الاوضاع الاقتصادية العالمية قد تغيرت. فالدمار الذي اصاب الدول المتحاربة ترك اثارا اجتماعية — سياسية تمثلت بالدعوة إلى قيام نظم سياسية اكثر عدالة اجتماعية . ففي بريطانية تولى حزب العمال السلطة وهو ينادي ببرنامج اصلاحي ، وكذلك الحال في فرنسا . كما ان اعتماد هذه الدول على الولايات المتحدة في قضية التغير والبناء جعل قبضة الاحتكار الامريكي على النظام الرأسمالي احكم مما كانت عليه قبل الحرب .

خامسا ، لقد تفاءل الكثيرون بقيام جبهة تحالف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كأمتداد لتحالف الحرب ، ولكن سرعان مابدت الخلافات الجوهرية بين الطرفين فحلت الحرب الباردة محل الحرب الساخنة . وقد ترتب اثار عديدة كالتسلح والاحلاف والازمات .

سادسا ، لقد تطلعت الشعوب المستعمرة إلى نيل استقلالها بعد الحرب . لكن القوى الاستعمارية تمسكت بامبراطورياتها . ففرنسا رجعت إلى سوريا ولبنان وشمال افريقيا ، واستعادت بريطانيا سيطرتها على الهند والملايو وبورما . وكذلك عززت الولايات المتحدة وجودها في المحيط الهادي والصين . مع

تصاعد الحركات القومية والاستقلالية وعجز الامبراطوريات التقليدية على تحمل التحدي نالت بعض الشعوب استقلالها . فاستقلت الهند وتحررت الصين واستقلت سوريا ولبنان ، كما اعطت الوعود بمنح الاستقلال إلى شعوب اخرى .

سابعا ، اما على صعيد السياسة الدولية فقد اقيمت منظمة الامم المتحدة لتكون امتداداً وتطورا للعصبة . وكانت الامال معقودة عليها لتكون منبرا لحسم الخلافات الدولية . ولكن اتضح فيما بعد ان المنظمة الدولية اخذت تتلون بواقع سياسة القوة في العالم المعاصر . فهيمنت الدول الكبرى في مجلس الامن واحتمت بحق الفيتو .

المصادر

W. Ashworth A Short History of the International Econom... . 1850- 1950, London , 1952.

A. Bullock Hitler a Study in Tyranny, London , 1952.

M. Beloff the Foreign Policy of Soviet Russia, 1929- 1941, 2 vol 3. ,London, 1947 .

B: Collier, the Second World War, London, 1972.

G. A. Craig and F. Gilbert. (ed), the Diplomats, 1919- 1939 Princeton, 1953.

E. H. Carr, Ambassodors at Large: A Study of Foreign Policy from Versailles to the Outbresk of War, London, 1958.

E. H. Carr, Twenty years, Crisiy, London 1958.

E. H. Carr, German Soviet Reations between the two Wars, London 1951.

J. V. Compton, the Swastika and the Eagle, London, 1968.

A. M. Gathorne- Hardy , Short History of International Affairs 1919 - 1939, London, 1950.

M. Gilbert, the Appeasers, London, 1963.

J. H. Jockson, Between War World, 1928 - 1939, London, 1947.

G. Jackson, the Spanish Repubolic and the Civil War, 1931 -1939, Princeton, 1971.

I. Kirpatrick, Mussolini, A Study of Power, New York , 1964.

L. Kochan the Struggle for Germany, Edinburgh , 1963.

C. P. Kindleberger, the World in Depression 1929-1939 Berkeley 1973.

W. C. Langsam the World Since 1914 New York 1940 .

A. Marwick, Britain in the Century of Total War London 1968.

F. S. Northedge, the Troubled Giant, London, 1966.

R. A. C. Parker , Europe 1974 – 1945 , London 1969 .

E. M. Robertson, (ed), the Origins of the Second World War, London, 1971.

A. J. P. Taylor, the Origins of the Second World War London 1963.

M. Toscano, the History of Treaties and International Politics, Baltimore, 1967.

F. P. Walters, History of the League of Nations, 1954.

E. Wiske mann, Europe of the Dictators, 1919 - 1945, London, 1966.

المحتويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٨٨ لسنة ١٩٨٢

طبع بمطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر
جامعة الموصل